

حياة أمير المؤمنين
عليه السلام

في سيرة النبي

تأليف

محمد صادق الصدر

مشارف الشرف الرضي



حَيَاةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

مَحْصَدُ الْقَصْدِ

حَيَاتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

فِي عَهْدِ النَّبِيِّ

■ هوية الكتاب ■

■ اسم الكتاب : حياة أمير المؤمنين (ع)

■ اسم المؤلف : محمد صادق الصدر

■ الناشر : انتشارات الشريف الرضي

■ المطبعة : أمير - قم

■ الزينغراف : سيد الشهداء

■ الكمية : ١٠٠٠ نسخة

■ الطبعة الأولى ١٤١٥ - ١٣٧٣

إهداء

الى رئيس مجلس وزراء العراق
ورئيس مجلس الاعيان في أكثر دوراته
وزعيم الثورة العراقية سنة العشرين
صاحب الفخامة والسماحة
المرحوم السيد محمد الصدر

أهدي

هذا المجهود من تاريخ حياة جده « الوصي » العظيم اعترافاً
بفضله ، وتقديراً لجهوده ، وتسجيلاً لخدماته المشكورة الخالدة
في سبيل الله ، والدين والوطن .

محمد صادق الصدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، والصفوة من صحبه المنتجبين وسلم تسليماً كثيراً .

« اللهم إنك آنس الآتسين لأوليائك واحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك ، تشاهدهم في سرائرهم ، وتطلع عليهم في ضمايرهم ، وتعلم مبلغ بصائرهم ، فأسرارهم لك مكشوفة ، وقلوبهم اليك ملهوفة ، إن اوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك ، وإن صبت عليهم المصيبة لجأوا الى الاستجارة بك عِلماً بأن أزمّة الامور بيدك ، ومصادرها عن قضائك .

اللهم إن فهمت عن مسألتي ، او عميت عن طلبتي فدلني على مصالحتي ، وخذ بقلبي الى مراشدي ، فليس ذلك بنكر من هداياتك ولا ببدع من كفاياتك .

اللهم احملني على عفوك ، ولا تحملي على عدلك .

« اللهم اني اعوذ بك أن افقر في غيناك ، او أضلّ في هداك ، او اضام في سلطانك ، او اضطهد والأمر لك .

اللهم إنّنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك ، او نفتن عن دينك ، او نتابع بنا اهوؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك .^(١)
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) من أدعية الامام عليه السلام .

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نقطتان بارزتان في حياة الإمام تدلان كل الدلالة على عبقريته وعظيم شخصيته ، ولا سيما إذا نظرنا الى أنه عليه السلام كان في دور الغصن اليانع ، والصبي اليافع .

والواقع أن الباحث يحار في تفسيرهما اذا نظر الى الإمام نظرة مجردة عن « الامامة » التي ارادها الله تعالى له ، وأعدّه النبي الكريم لها بجدارة واستحقاق .

نعم لو نظر الباحث اليه عليه السلام كصحابي من الأصحاب المقربين كما كان ينظر الى غيره من صحابة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لوقف وقفة المندهش الذي لا يستطيع التفكير ، ولا التعبير ، ولا التفسير ، ولا التكذيب ولا التصديق لأن العقل يقصر عن تصور ذلك وإن رآته العين ، وسمعته الاذن .

١ - النقطة الاولى : قول النبي (ص) للإمام : « إنك تسمع ما اسمع ، وترى ما أرى الا أنك لست بنبي ، ولكنك وزير ، وإنك لعل خير » قال هذه الكلمة في جواب الامام حيث قال : « ولقد سمعت رة الشيطان

حين نزول الرحي عليه صلوات الله عليه ، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة ؟؟ فقال : هذا الشيطان قد آيس من عبادته إنك تسمع ما اسمع الى آخر كلامه صلوات الله عليه .

قال الرسول ذلك ولم يزد عمر الامام يومئذٍ عن عشر سنوات ولكنه (ص) قد خاطبه مخاطبة الند لنده مؤكداً له انه عليه السلام يرى ما يرى الرسول ، ويسمع ما يسمع ، وحيث يتبادر الى الذهن من هذه المنزلة « النبوة » لذلك استدرك ذلك فقال : « ولكنك وزير ، وانك لعل خير » .

وانك لثراه صلى الله عليه وآله قد صرح بوزارة الامام وخلافته قبل الإنذار ، وعلان الدعوة ، وهذا لا يمكن تفسيره وتصويره إلا اذا كانت الامامة بالنص ، وكان الامام فيه من الإعداد الإلهي ما يؤهله للقيام بمشاركة النبي (ص) ومؤازرته في نشر دعوته ، وتأييد رسالته في كل ما ينبغي القيام به ، سواء كان عن طريق السنان والحسام ، او نشر الدين وبيان الأحكام .

ولا شك أن النبي صلى الله عليه وآله اذ يخاطبه بهذا النحو من الاسلوب فلانما يخاطبه بعد أن تكاملت شخصيته ، ووصلت الى هذا المستوى الرفيع ، بحيث يستطيع ان ينهض بالعبيء مع النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم اذا اعلنت الدعوة ، وجاء وقت العمل .

ولا شك ايضاً بأن الفترة السعيدة التي قضها الوصي في رعاية النبي كانت — بالنسبة الى استعداد الامام — كافية ، وقد كان سلام الله عليه يتبعه — على حد تعبيره — اتباع الفصيل اثرامه ، يرفع له في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمره بالاعتداء به ، وهذا ما جعله يرى ما يرى النبي (ص) ويسمع ما يسمع .

واي فتى عرف التاريخ بعد النبي مثل علي ؟؟ إنه وزير للبشير النذير ،

وهو (ع) في دور الفتى الصغير ١٩٩

٢- النقطة الثانية : قول النبي صلى الله عليه وآله لعشيرته «إنّ هذا أخي ووصييّ ، ووزيري ، وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» .

إنّ قوله هذا أول حديث نبوي في أول حدث تاريخي من أول يوم من أيام الاسلام كما أوضحناه بصورة جلية في فصل (وزير) فليتدبره القراء .

ولقد قابلت عشيرته قوله صلى الله عليه وآله « فاسمعوا له وأطيعوا » بالضحك والاستهزاء ، فقد قال الطبري وابن الأثير « فقام القوم بضحكون ، ويقولون لا بي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع » .

ونحن لا نستغرب من هؤلاء أن يقفوا موقف المستهزئين فان الكفر الذي تغلغل في نفوسهم هو الذي حفزهم أن يسخروا بأمر النبي ضاحكين ، ولا سيما أنّ الوصي كان قتي فلا يمكنهم ان يتصوروا خلافته فيهم ، ووجوب السمع والطاعة له عليهم . وكيف يخضع هؤلاء لوصاية علي وخلافته وهم لم يؤمنوا بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٩٩ !!

وهنا سؤال يتبادر الى الذهن لا بد من عرضه والجواب عليه وهو : لماذا تعرض النبي (ص) لهذه الوصاية وهو في أول أيام الدعوة في الوقت الذي يحدد قومه أصل الدين ، وينكر كل فرد منهم نبوة النبي العظيم ١١٩ !!

والجواب أنّ لكل نبي بين يدي دعوته معجزة تثبت نبوته للناس ، فمعجزة ابراهيم أنّ النار كانت برداً وسلاماً عليه ، ومعجزة موسى العصى ، ومعجزة عيسى تكلمه في المهد ، ومعجزة محمد صلى الله عليه وآله هي إعداد علي لخلافته وهو في سن الصبي .

وحسب النبيّ (ص) أن يتحدّاهم - وفيهم أعمامه - فيقول : « إنّ هذا أخي ، ووصييّ ، وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا » .

فيختاره من دونهم أحداً ، ويتخذهم عليهم خليفة ووصياً ، ثم يأمرهم بالسمع له والطاعة في أول يوم من أيام الإسلام .

ولم يكن قيام القوم وضحكهم غمزاً في كفاءة الامام ، وانما كان لصدور الامر بالسمع والطاعة ، وهو بعمومه يشمل ابا طالب فيجب أن يسمع لابنه ويطيع ، وهذا ما دعاهم أن يضحكوا اذ لا يمكن أن يتصوروا إطاعة الأب الكبير لفتاه الصغير .

ولكن النبي الكريم أراد أن يلفتهم الى موطن المعجزة في علي فيفهمهم أن إطاعة اولى الامر واجبة على كل مسلم بدون تفريق بين الآباء وغيرهم ، كما اوضح الله هذه الطاعة بعد نزول القرآن الكريم على نبيه العظيم فقال : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) .

نعم كانت دعوة النبي الى النبوة والامامة في وقت واحد ، ومجلس واحد ، لأن الاسلام إنما يقوم بهما ، والايمان إنما يتم بالتمسك والاعتصام بجلهما ، ولا شك أن الله عز وجل هو الذي أمر النبي (ص) بإسناد الخلافة الى الوصي وذلك لأن الله تعالى تقدست اسماءه قد أمر رسوله أن يصدع بما يؤمر ، وقد صدع بذلك فبين لهم منزلة أخيه ليعرفوا حقه ، وليعلموا أنه الخليفة القائم بعده فلا يختلف الناس فيه .

لقد كانت كل كلمة في هذا الحديث الشريف المعروف بحديث الدار تدل على عظمة علي وامامته .

وأي كلمة تدل على الامامة لم يأت بها النبي الكريم ؟؟ إنه اخوه من حيث المنزلة ، وانه وزيره ، ووصيه ، وخليفته .

وقد اكد النبي صلى الله عليه وآله كل كلمة من هذه الكلمات بأحاديث متواترة في كل مناسبة من المناسبات دعت الى التحدث .

فقد آخى صلى الله عليه وآله بينه وبين علي يوم آخى بين المهاجرين انفسهم ، ثم آخى بينهم وبين الانصار ، وقد اختص علياً في كلتا المرتين وميّزه بهذه الاخوة على سائر اهله واصحابه ، وقد قال (ص) في كل واحدة منهما - كما يحدث في الاستيعاب - لعلي « أنت أخي في الدنيا والآخرة » .

ويقول : « (ص) له ايضاً « والذي بعثني بالحق نبياً ما أخرجك الا لنفسي انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وأنت أخي ووارثي » .

ويحدث ابن هشام في سيرته فيقول : « وآخى رسول الله (ص) بين اصحابه من المهاجرين والانصار فقال فيما بلغنا - ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - تأخوا في الله أخوين ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : هذا أخي ، فكان رسول الله (ص) سيد المرسلين ، وامام المتقين ، ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ، ولا نظير من العباد ، وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه أخوين » .

وكان الوصي يعتز بهذه الاخوة ، ويذكرها بكل مناسبة ، وكذلك كانت الزهراء عليها السلام تذكرها بافتخار مستدلة بها على فضل الامام .

وقد اكد النبي الوصاية لعلي يوم المصاهرة فقال صلى الله عليه وآله للزهراء « يا فاطمة أما علمت أن الله عز وجل اطلع على اهل الارض فاختار منهم اباك فبعثه نبياً ، ثم اطلع الثانية فاختار بعلك فأوحى الي فأنكحته واتخذته وصياً » .

وقد اكد النبي الكريم الوزارة والخلافة في احاديث كثيرة منها قوله : « إن خليلي ، ووزيري ، وخليفتي ، وخير من اترك بعدي ، يقضي ديني ، وينجز مواعيدي علي بن أبي طالب » .

ولم يكتف النبي صلى الله عليه وآله بالا حاديث لمعرفة الامام حتى

اشركه في مميزات التي لا تكون الا لني او وصي ني ، وهي كلها تنادي بالامامة بدون حاجة الى بيان .

١- حصر التبليغ بالنبي والوصي كما اتضح ذلك باخذه سورة براءة من ابي بكر ثم تبليغها للناس بأمر النبي كما فصل ذلك الامام النسائي في خصائصه وذكرناه في فصل (مميزات) .

ويحدث النسائي فيقول : وانصرف ابو بكر وهو كئيب فقال لرسول الله (ص) أنزل في شيء؟؟ قال : لا ، إلا اني امرت أن ابلغه انا او رجل من اهل بيتي . « وفي رواية عبد الله بن عمر انه قال (ص) لأبي بكر : « لا : جبريل جاءني فقال لن يؤدي عنك إلا انت او رجل منك » وفي رواية « علي مني وانا منه فلا يؤدي عني إلا انا او علي » .

ولا شك ان هذا التبليغ يدل على مقام عظيم عند الله عز وجل لأن الارسال كان بوحى منه تعالى ، وهو مقدمة تمهيدية ترمز للخلافة العامة فإنّ الذي يؤدي الآيات ، ويبلغ الاحكام في عهد النبي حري أن يؤديها بعد وفاته (ص) ويبلغها كما هي ، ولا سيما اذا عرفنا أنّ الرسول الأعظم قد خصّه بهذا الوسام ، وأنّ الله عز وجل رشحه لهذا المقام .

٢- إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اشرك الوصي في « حجة الوداع » في حجه وهديه كما اوضحناه في فصل (مولى) .

ولا شك ان الهدف من ذلك توجيه الانظار اليه ليعلموا انه هو الخليفة بعد النبي ، ولا سيما أن الرسول الأعظم قد نص على خلافته بمرأى من الناس ومسمع في حديث (الغدیر) المشهور المتواتر الذي اجمعت الأمة على صحته .

٣- جعل النبي علماً كنفسه ، طاعته كطاعته ، ومعصيته كمعصيته فقال : « علي مني كنفي طاعته طاعتي ، ومعصيته معصيتي » .

وليس لاحد من امله وأصحابه (ص) مَن له هذه المنزلة عند الله والرسول .

ولما كان الامام بهذه المنزلة اصبح حبه ايماناً ، وبغضه نفاقاً .

٤ - كفر من سبَّ الامام ، فقد قال الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : « مَن سبَّ علياً فقد سبني ، ومَن سبني فقد سبَّ الله ، ومَن سب الله عز وجل أكبه الله على منخريه » .

وسبَّ اي أحد من المسلمين - ما عدا ما استثناه النبي - لا يوجب الكفر باجماع المذاهب الاسلامية كافة .

وهذه ميزة للوصي تشير بوضوح الى امامة الإمام وخلافته ، والواقع أن كل صفة من صفات الامام ، وكل تاريخ حياته الذي كان وفقاً على خدمة الاسلام يشعرونا بعظمة الوصي وخلافته .

ولو كان للأمة الاسلامية حظ لاهتدت بأقواله واقتبست من انواره . وسارت على طريقه المستقيم .

* * *

في سنة ١٩٤٤ كانت الطبعة الاولى من كتابي (حياة امير المؤمنين) تستقبل القراء الكرام في ظرف عالمي مستعر حيث كانت الحرب العالمية الثانية قائمة ، يضطرم بنارها واوارها العالم بأجمعه .

وكان الورق الاسمر نادراً فكيف يمكن الحصول على الورق الابيض الناصع الممتاز ، ومن الطبيعي ان يكون سعره خيالياً لا ينخطر على البال ، ومع ذلك اراد الله عز وجل أن يطبع الكتاب وان ينتشر بين ايدي الناس على أجمل صورة كما اوضحت ذلك في خاتمة الطبعة الاولى .

ولامور اعتبارية كتمت يومئذٍ مَن اسدى اليّ يد العون في اخراج الكتاب .

وحيث قد غيب الثرى تلك اليد الكريمة ، واصبحت — واسفاه —
تلك النفس الرفيعة في ذمة التاريخ ، فأرى من واجب الوفاء أن اذكر
هذه اليد ، وأن اشكر هذه العارفة .

انها يد كريمة سيدنا المرحوم العم السيد الصدر ، شريكة حياتي وام
اولادي واكبادي اشبالها الزهر جعفر وعلي واسامة وشقيقتهم العزيزة
حرسهم الله بعينه التي لا تنام .

لقد رأت ام جعفر رحمها الله حيرتي بأمر طبع الكتاب في ذلك الظرف
العصيب فوضعت تحت تصرفي كل ما تملك من مصاغ ذهبي وطلبت بيعه
وصرفه في شؤون الطبع فامتنعت ، وامتنعت هي ان تعيده الى ملكها بعد
ان بذلته في هذا السبيل ، وقالت « إنك بذلت عصارة فكرك في خدمة
جدك بنفع يبقى ، فهل انخل على جدي بمال يفنى » ؟؟ !!

وقدامثلت وكان من اثر ذلك نشر الكتاب لانتفاع الناس به ، على
ورق ممتاز ، واخراج انيق يتناسب مع مكانة الامام ، وعظيم مقامه في
الاسلام . رحمها الله ، وعرف بينها وبين اجدادها عندما تسأل عن النعيم^(١) .

* * *

ولا بدّ لي الآن بمناسبة الطبعة الجديدة أن اشكر القانوني البارع الاستاذ
الحاج « حسن الكاظمي » المحامي في بغداد لايخراج الكتاب الى عالم
الطبع على نفقته الخاصة بهذه الصورة المشرقة الممتازة فله الشكر ، ومن
الله عظيم الاجر

وما احوجنا في خدمة الثقافة الاسلامية الى مثل هذه النفسية والأريحية
العربية ، وفقه الله للخير ، وجعله القدوة الحسنة في الأعمال الصالحة المثمرة .

(١) روعنا بفقدائها في ٤ رجب ١٣٨٤ الموافق مساء الاثنين ١١/٩/١٩٦٤ ودفنت يوم الثلاثاء الى
جنب والدها ساحة السيد الصدر في مقبرة جدها الامام السيد حسن الصدر ، رحم الله الجميع
برحمته الواسعة .

كما اني اشكره ايضاً اذ كان السبب في هذه الاضافات المهمة في الطبعة الجديدة .

فقد كان فصل (مولى) آخر الفصول في طبعته الاولى . وقد اشتملت هذه الطبعة الثانية على زيادة فصول ستة « بحث اسامه » و « رزية الخميس » و « حاجتنا الى السنة » و « صلاة النبي بالناس » و « الوصي في وفاة النبي » و « شذور من نهج الامام » .

وتضمنت هذه البحوث كشف كثير ، من الحقائق التاريخية الغامضة التي يجدر بالباحثين تدبرها والاطلاع عليها .

وقد حررت الكتاب في فصوله السابقة واللاحقة بروح علمية متجردة عن العواطف والميول ، يقودني الى ما اريد الدليل والبحث ، ويدفعني الى ما اذهب اليه الضمير والانصاف ، والحق والعدل شأن الباحث المنصف الذي يرعى الحق فيما يكتب ويقول ، وحرى أن اتمثل بقول القائل :

كتابي سير في الارض واسلك فجاجها
ونخل عباد الله تلوك ما تلو
فما بك من اكدوبة فأخافها
ولا بك من جهل فيزري بك الجهل

وقفنا الله للخير ، وهدانا جميعاً الى الطريق السوي ، وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين .

محمد صادق الصدر

العراق : الكاظمية

١٢٠ / ٩ / ١٩٧١ م .

٢١ / ٧ / ١٣٩١ هـ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم الطبعة الاولى

نحن الآن بين يدي عليّ أمير المؤمنين نستوحي أسرارهِ ، ونستعرض أخبارهِ ، ونقلب صفحات ناصعة من جهاده اللامع ، وتأريخه الساطع ، المزدهم بالعلم والأدب والحكمة ، والزاهر بالمجد والعبر والعظمة ، والطافح بالأقوال السامية والأعمال الخالدة .

وما أخرج الأمة الإسلامية اليوم إلى درس مثل هذه الشخصية العظيمة التي خدمت الإسلام والمسلمين خدمات جليلة يحمدها الله تعالى في كتابهِ ، ويشكرها الرسول الكريم في سنتهِ ، ويرتل المسلمون آلاءها معجبين مكبرين .
إننا بأشد الحاجة إلى التعرف على شخصية الامام الفذة لتضيء لنا السبيل ، وتهدينا الصراط المستقيم الذي عبّده النبي و سار عليه الوصي .

إن الأمة في العصر الحاضر قد بعدت كثيراً عن المثل الإسلامية العليا لذلك قد وصلت إلى ما نرى من تفريق الكلمة ، وتشيت الشمل ، واختلاف الأفئدة ، ولا يصلحها اليوم إلاّ ما أصلحها بالأمس فهي خربة بأن تفحص عن السداء لتستعمل له الدواء الذي يرجع سقمها إلى صحة ، وضعفها إلى قوة ، وتشيتها إلى اجتماع ، واختلافها إلى اتفاق تتعارف فيه النفوس ، وتتصافح فيه الأيدي .

ومما لا ريب فيه ان دراسة الصفوة من صحابة النبي ترجع بالامة الى

ما تريد من تعاليم حقة ، ومثل عليا ، وتأريخ صحيح يرشدها إلى ما فيه الخير والصلاح في الدارين .

كان أصحاب الرسول رضوان الله عليهم على جانب عظيم من الإيمان والصلاح ، والورع والزهد ، والعلم والحلم ، والكرم والشهامة ، والقناعة والبسالة والعفة ، والأدب والحكمة ، والجهاد في سبيل الله والتضحية ، إلى غير ما هنالك من صفات وخلال كانت تبدو فيهم واضحة أشد الوضوح ، وإذا كانت هذه الصفات متفرقة في صحابة النبي (ص) فقد كانت مجتمعة في شخص الوصي فما كان في الصحابة الأبرار صفة من صفات الكمال إلاّ كان في ذات عليّ من نوعها ، وعلى أتم وأفضل صورها ، أضف إلى ذلك كثيراً من الخلال والمميزات التي اختص فيها الامام وامتاز بها على غيره ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله - وهو أعرف الناس به وبأصحابه - يرى علياً أخاه يختص بسبع ينضم بها ، ولا يحاجه فيها أحد ، فقد قال له كما يروي ذلك عمر بن الخطاب (رض) وابن عباس وغيرهما من الأصحاب « يا عليّ أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي ، وتخصم بسبع ، ولا يحاجك فيها أحد من قريش ، أنت أولهم إيماناً بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدلهم في الرعية ، وأبصرهم بالقضية ، وأعظمهم عند الله مزية^(١) » فدراسة الوصي إذن دراسة للصفات الفاضلة ، والمزايا الماثلة ، والرجولة الكاملة ، فقد أودع الله فيه من الصفات والمزايا ما تفرق في الناس كافة ، فأنشأه بقدرته خلقاً سوياً ، وصوّره للناس فكان (عليّاً) .

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وإذا درسنا عليّاً عليه السلام فكأنما درسنا النبي (ص) لأنه صورة طبق

(١) ص ٣٤ من منتخب كنز العمال وفي ص ٨٣ من ذخائر العقبى لشيخ الشافعية العلامة محب الدين الطبري .

الأصل عنه ، يمثله في خلقه وهديه ، وزهده وورعه ، وقوله وفعله ، وعلمه وفضله ، ونطقه وعقله ، وفي كل حالة من حالاته ، وطور من أطواره ، فقد كان عليه السلام تلميذ النبي صلى الله عليه وآله وخريج مدرسته ، يسير على نهجه القويم في السياسة ، والأدب والاجتماع والدين ، وغير ذلك من مقتضيات الحياة .

وسيرة الامام تمثل سيرة النبي (ص) فاذا أردت أن تبحث عن حصار الشعب ، والدعوة الاسلامية ، ويوم الهجرة ، والأخوة والصحبة ، والغزوات والحروب ، ومباهلة نصارى نجران ، وحجة الوداع وغير ذلك من المواقف البارزة في التاريخ فانك ستجد علياً شريكاً للرسول (ص) ورفيقه في كل ذلك ، ينصره إذا عزّ الناصر ، ويبذل نفسه إذا احتاج الرسول إلى التضحية والمفاداة .

فسيرة أمير المؤمنين دروس بليغة تملي علينا الالباء والعزة والنجدة ، والتضحية والاخلاص ، والنصح لله والدين ، والرسول وللمسلمين ، فقد كان الأمير إماماً في كل ذلك ، لا يضارع ، ولا يشق له غبار ، فهو يقول القول ، ويعمل العمل ، إذا كان لله وللرسول رضا في ذلك فما عهد عن الامام أن عوتب في قول أو فعل من الله أو الرسول وقد نزل القرآن الكريم في عتاب قوم وتقرير آخرين .

وكان الامام يسير مع الخلفاء الراشدين سيرة الناصح المرشد ، المخلص في نصحه وإرشاده ، فهو لا يضمن عليهم بعلمه ، ولا يكتّم رأيه ونصحه ، ولا يمنع عن إبداء ذلك اعتقاده بأن الخلافة له ، وأنه وصي النبي وخليفته على الامة من بعده لأن المصلحة الاسلامية العامة فوق كل شيء ، وهي الهدف السامي الذي يرمي إليه في كل ما يقول أو يفعل . وكان الخلفاء يعرفون فيه هذا الاخلاص ، ويقدرّون له هذه الأيادي ، يذكرونها للناس ،

ويذيعونها معجبين بها مكبرين ، وكم مرة قال عمر بن الخطاب (رض) « لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن ^(١) » ، « وجاء إليه إعرابيان يختصمان فأذن لعلّي في القضاء بينهما ففضي فقال أحدهما هذا يقضي بيتنا ! فوثب إليه عمر وأخذ بتليبيه وقال ويحك ما تدري من هذا ؟ هذا مولاك ومولى كل مؤمن ، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن ^(٢) » وهكذا القول في غيره من الخلفاء كما ستعرف ذلك فيما يأتي من فصول الكتاب وحسبك أن ترى معاوية - وهو العدو المخاصم - يقول لسائل سأله عن مسألة : « أسأل عنها علياً فهو أعلم فقال يا أمير المؤمنين جوابك فيها أحب إلي من جواب علي » قال بثما قلت لقد كرهت رجلاً كان رسول الله يغزه ^(٣) بالعلم غزاً ، ولقد قال له : أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه ، ولقد شهدته إذا أشكل عليه شيء قال : ههنا علي ^(٤) » .

وكانت هذه عقيدة الناس فيه كافة لذلك كان الامام بعد النبي المرجع الوحيد الذي يرجع إليه في العلم والفقه ومشاكل الدين ، فاذا قال قولاً إتبع ، وإذا أفتى في أمر اخذ في فتواه ، يقول ابن عباس : - وهو حبر الأمة - « إذا حدثنا ثقة عن عليّ الفتيا لا نعدوها ^(٥) » وكان يقول « لم يكن أحد من الصحابة يقول سلوني إلاّ عليّ ^(٦) » ، ويرى عمر بن الخطاب وابن مسعود ، وغيرهما من الصحابة « أن أفرض أهل المدينة وأقضاها عليّ ^(٧) »

(١) ص ٧٦ من الصواعق المحرقة للعلامة ابن حجر .

(٢) ص ١٠٧ من الصواعق المحرقة وص ٦٨ من ذخائر العقبى .

(٣) يغزه أي يخصه من بين أصحابه .

(٤) ص ١٠٧ من الصواعق المحرقة وص ٧٩ من الذخائر .

(٥) ص ٧٦ من الصواعق .

(٦) ص ٧٦ من الصواعق وفي ص ٤٠ من الجزء الثالث من كتاب الاستيعاب ونظيره عن ابن المسيب .

(٧) ص ٧٦ من الصواعق وص ٣٨ من الجزء الثالث من كتاب الاستيعاب .

وذكر عند عائشة فقالت « إنه أعلم من بقي بالسنة^(١) » وكان ابن عباس يقول : « والله لقد أعطي عليّ بن أبي طالب تسعة اعشار العلم ، وإيم الله لقد شارككم في العشر العاشر^(٢) » وإنما كان يرى هذا الرأي في الامام لقول النبي فيه « قسمت الحكمة عشرة أجزاء فاعطي عليّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً ، وعليّ أعلم بالجزء الواحد منهم^(٣) » وقوله (ص) مخاطباً أصحابه « أقضاكم عليّ بن أبي طالب^(٤) » وقوله « أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمن أراد العلم فليأتها من بابها^(٥) » وكان يقول (ص) كما يروي ذلك أبوذر « أعلم أمتي من بعدي عليّ بن أبي طالب^(٦) » ويقول كما يرويه سلمان الفارسي « عليّ بن أبي طالب أعلم الناس بالله والناس^(٧) » وعن ابن مسعود أن النبي (ص) كان يقول : « يا عليّ أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي^(٨) » إلى غير ذلك من الأحاديث المتضافرة التي تدل دلالة واضحة على عظيم منزلة الامام العلمية .

وكان الامام (ع) يعرض نفسه على المسلمين طالباً منهم أن يتقدموا إليه بكل ما لديهم من سؤال ، وهو يقسم أنه ما يسألونه عن شيء إلاّ ويخبرهم عنه ، فهذا أبو الطفيل يقول « شهدت علياً يخطب وهو يقول سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلاّ أخبرتكم عنه الحديث^(٩) » لذلك كنت ترى أن الصحابة كانوا يسألونه ويرجعون إليه الناس إذا سئلوا ، فهذا عبد الرحمن

(١) ص ٧٦ الصواعق وفي ص ٤٠ من الجزء الثالث من الاستيعاب .

(٢) ص ٤٠ من الاستيعاب الجزء الثالث .

(٣) ص ٣٣ من منتخب كنز العمال وهو على هامش الجزء الخامس من مسند الامام احمد .

(٤) ص ٣٨ الاستيعاب الجزء الثالث .

(٥) ص ٣٨ من الاستيعاب الجزء الثالث .

(٦) ص ٣٣ منتخب الكنز .

(٧) ص ٣٣ منتخب الكنز أيضاً .

(٨) ص ٣٣ المنتخب ايضاً .

(٩) ص ٤٣ من الاستيعاب الجزء الثالث .

ابن اذينة العبدى يروي عن أبيه اذينة بن مسلمة قال : « أتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسألته من أين أعتمر فقال ائت علياً فاسأله^(١) » وسأل شريح ابن هاني عائشة أم المؤمنين عن المسح على الخفين فقالت ائت علياً فاسأله^(٢) ويقول العلامة ابن عبد البر في استيعابه^(٣) « وكان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب عن ذلك فلما بلغه قتله قال ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب فقال له أخوه لا يسمع هذا منك أهل الشام فقال له دعني عنك » .

هذا علي كما يراه الرسول والناس ، وهذا هو كما يعتقد فيه المحب والعدو فقد كان عظيماً في نظر هؤلاء جميعاً يحترمونه ويقدرونه ، ويعرفون له مكانته ومنزلته . والحق ان علياً (ع) كان بنشأته وتربيته وعظيم منزلته ادل دليل على نبوة النبي وصدق رسالته ، فقد كان للنبي معجزتان هما علي والقرآن ، فالقرآن بفصاحته وبلاغته واعجازه يدل على انه وحي خبير عليم ، وعلي بعلمه وفضله وعظمته يدل على انه تلميذ نبي عظيم علمه شديد القوى .

وكانت معجزتا النبي (ص) كرفيقين متعاقبين لا يختلفان في حال وقد قال الرسول الاعظم فيهما « علي مع القرآن ، والقرآن مع علي ، لا يفترقان حتى يرثي علي الحوض^(٤) » نعم كانا يسيران جنباً الى جنب لا يختلفان في اي امر يذهبان اليه ، فاذا امر القرآن بأمر كان علي السميع المطيع يأتمر بأمره ، ويسارع الى تنفيذه ، واذا ذهب الوصي الى امر من الامور ارتضاه القرآن ، ووافق عليه ، لأنه عليه السلام كما قال النبي (ص) « علي مع الحق ،

(١) ص ٤٣ نفس المصدر والصفحة .

(٢) ص ٤٣ ايضاً نفس المصدر .

(٣) الجزء الثالث ص ٤٥ .

(٤) ص ٧٤ الصواعق المهرقة .

والحق مع علي يدور معه كيفما دار^(١) » ولذلك كان مع القرآن لا يفرقان حتى يردا على النبي الحوض .

وكان جديراً بمثل هذين الرفيقين ان يخبر احدهما الآخر ، ويطلع على اسراره ودقائق اطواره لذلك ترى القرآن الكريم يلقي على المسلمين فيما يخص الامام وعترته آيات بينات تدل على فضلهم وعظيم منزلتهم كآية المباهلة ، وآية التطهير ، وآية المودة في القربى ، وآيات الابرار ، وغير ذلك^(٢) وترى أبا الحسن يقسم صادقاً « والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت ، واين نزلت ، وعلى من نزلت إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً^(٣) » ويقول « سلوني عن كتاب الله فانه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم جبل^(٤) » .

وكان الحري بمثل هذين الثقيلين العظيمين ان يتكاتفا ويتحدا معاً ، ويكون كل منهما بالنسبة لصاحبه مسلماً لمن سالم ، وحرباً لمن حارب ، فقد قاتل الامام الكافرين في حياة النبي على تنزيل القرآن ، وقاتل بعد وفاته الناكثين ، والمارقين والقاسطين على تأويله ، وهذا عهد من النبي الامي عهده الى اخيه علي فقال له بمحضر من اصحابه « إنك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله^(٥) » وهو عليه السلام اذ يعزم على قتال هؤلاء تراه يأمر اصحابه ان يضافوهم ، ولا يبدؤوهم بقتال ، ولا يرموهم بسهم ، ولا يضربوهم ،

(١) اخرج الامام الترمذي في كتاب السنن كما في ص ١٧ من كتاب تذكرة خواص الامة وذكره في ينابيع المودة ص ٩١ عن ابن عباس وذكر ذلك ايضاً الامام احمد في الجزء الاول من مسنده ص ٨٤ وص ٨٨ وص ١١٩ فراجع .

(٢) اخرج الطبراني عن ابن عباس انه نزل في علي اكثر من ثلاث مئة آية في مدحه راجع ص ١٢٦ من ينابيع المودة .

(٣) ص ٧٦ الصواعق المحرقة .

(٤) ص ٧٦ الصواعق وفي ص ٨٣ من ذخائر العقبى .

(٥) ص ٧٤ الصواعق .

ولا يطعنوهم برمح^(١) ، كل ذلك محافظة على دمائهم ، وطمعاً برجعهم الى الحق حتى ان الناكثين قد قتلوا بعض اصحاب الامام وانخوهم بالجراح فقام عمار رضوان الله عليه وقال « ماذا تنتظر يا امير المؤمنين وليس لك عند القوم إلاّ الحرب » فقام عليّ عليه السلام وقال « اذا هزمتهم فلا تجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا اسيراً ، ولا تتبعوا مولياً ، ولا تطلبوا مدبراً ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمشلوا بقتيل ، ولا تهتكوا سرّاً ، ولا تقربوا من اموالهم إلاّ ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع ، أو عبد أو أمة ، وما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله^(٢) »

وانت ترى من هذا انه عليه السلام لا يشرع بقتال ، ولا يبدؤهم بنزال إلاّ اذا اعيت الحيل ، وتقطعت الاسباب ، وانحصر الطريق بقتالهم عند ذلك يبدأ بالمحارب السابق الى محاربتة ، وهو انما يحاربه حباً به لأنه يريد له ان ينهج منهج الصديق ، متبعاً طريق الحق ، فاذا رجع الى الله كان له ما لبقية المسلمين من حقوق وحرمة ، وشتان بين هذه التعاليم العالية ، وبين هذه الحرب الطاحنة التي لا تعرف العطف على الكبير ، ولا الرأفة بالصغير ، ولا الرحمة بالبائس الفقير .

هذه هي الشخصية الاسلامية الرفيعة التي نريد تحليلها في هذا الكتاب ، وشخصية الامام شخصية غزيرة المادة ، كثيرة النواحي ، وهي اخصب شخصية عرفها التاريخ الاسلامي بعد النبي ، ونحن إذ نبحت عنها نرى اننا بحاجة ماسة الى وضع موسوعة كبيرة تشتمل على أربع حلقات تتضمن حياة الامام عليه السلام ، فالحلقة الأولى - وهي هذا الكتاب - تستوعب النقاط المهمة من حياته في عهد النبي (ص) والثانية حياته في عهد الخلفاء الراشدين ، والثالثة أيام خلافته ، والرابعة عبقريته وما يتصل بهذا الموضوع

(١) ص ٩ الجزء الثاني من مروج الذهب للمسعودي .

(٢) ص ٩ الجزء الثاني من المسعودي ايضاً .

من علمه ، وفقهه وأدبه وسياسته ، وما إلى ذلك من فصول تدخل في هذا العنوان .

ويرى القارئ الكريم اني رجعت غالباً في سيرة الامام علي ما كتبه اخواننا السنيون ، معتمداً على مصادرهم الوثيقة المعروفة لدى العلماء والباحثين ، ليكون الكتاب مرجعاً أميناً لكافة المسلمين ، يرجعون إليه كلما أرادوا الامام بحياة الامام ، وليكون أيضاً برهاناً ساطعاً على ما يضمره العلماء المنصفون من اخواننا رعاهم الله تجاه الوصي العظيم ، من الاكبار والتقدير والتعظيم ، وفي هذا النحو من التأليف تشيع الألفة ، وتسود المحبة والمودة ، ويعم المسلمين شعور إسلامي نبيل ، يجمع الكلمة ، ويوحد الصفوف ويؤلف القلوب ، ويرفع سوء التفاهم الذي كانت السياسة الغاشمة قد اضرمت ناره في العصور الغابرة .

ولعلني في عملي هذا قد قمت بخدمة إسلامية صحيحة تنفعني في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، (إن اريد إلاّ الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه انيب) .

محمد صادق الصدر

الكاظمية - بغداد

١٣٦٣ - ١٩٤٤

وَلِيدُ الْبَيْتِ

« ان الله تبارك وتعالى خلق علياً من نوري وخلقني من نوره ،
وكلانا نور واحد »
(رسول الله)

مرت على أبي طالب ساعات رهيبة كان خلالها في سورة عميقة من الحزن ،
وموجة زاخرة من الهم ، لا يهدأ له بال ، ولا يكاد يستقر على حال .

أقبل الليل على شيخ الأبطح فزاد ظلامه الخالك في ظلمة نفسه فجعلها
تنخبط في ديجورها ، وتسترسل في همومها ، تقضي الليل ساهرة حائرة
لا تستضيء بنور ، ولا تهتدي إلى طريق .

هدأت الأصوات في بطحاء مكة ، وهجعت العيون ، ولكن عين
أبي طالب يقظى لا يخالطها الوسن ، ولا يطوف بها الكرى وإنما هي على
الدوام مسهدة يورقها الهم ، ويزيد في تسهيدها الفكر المضطرب .

كانت خواطره المبرحة تثور في نفسه كلما رأى أم الأشبال فاطمة بنت
أسد أمام ناظره قد فاجأها المخاض ، واعتراها الاعسار وشدة الطلق .
وكانت عواطفه الفياضة تأبى عليه أن يرتاح أو يطمئن إلى مضجع ، ولكنه
ماذا يصنع وليس له من الأمر شيء وإنما الأمر كله بيد الله عز وجل .

فكر أبو طالب في الأمر طويلاً فأعياه الفكر . ولكن بارقة من الأمل
المعسول التمعت في ذهنه بددت تلك الهموم ، وكشفت تلك الغياهب ،
وجعلت نفسه هادئة مطمئنة .

إن أبا طالب كان شديد الاخلاص لله قوي الايمان به ، وحرى بمن
كان بهذه الصفة أن يتقدم إليه بحاجاته ، وأن يلجأ إليه في مهماته ، وهذا

هو الذي حدا الشيخ الحليل بأن يتوسل في البيت الحرام فأخذ بيد فاطمة وجاء إلى الكعبة فدخل بها ثم رجع أدراجه مرتاح الضمير معتقداً كل الاعتقاد بعطف الله وحنانه .

أما فاطمة بنت أسد فقد ابتهلت إلى الله عز وجل بكلمات ملؤها الايمان بعظمة الله وكتبه راجية منه أن يسهل ولادتها . ويسر لها ما تعسر من أمرها فقد تمسكت بأستار الكعبة وأنشأت تقول « ربّي اني مؤمنة بك ، وبما جاء من عندك من رسل وكتب ، واني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الحليل وانه بنى البيت العتيق ، فبحق الذي بنى هذا البيت ، وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت عليّ ولادتي^(١) » .

وليس غريباً أن تواجه فاطمة ربّ البيت بمثل هذا الكلام الطافح بالايمان والعقيدة ، لأن بنت أسد وسائر بني هاشم كانوا جميعاً يدينون بدين جدهم إبراهيم الحليل عليه السلام دين الايمان والتوحيد والاخلاص ، أما ما يظهر من معرفتها بمولودها ، وعلمها بمكانته ومنزلته فممنشأ ذلك اعتمادها على الكهنة والرهبان الذين كانوا يبشرون بهذا المولود ، وكان ابو طالب يدعو الله متوسلاً إليه بولیده فيقول :

أدعوك رب البيت والطواف بالولد المحبو بالعفاف

وانك لتلمس مدى عواطفه القياضة ، وأشواقه الحارة لهذا الشبل بقوله :

أطوف للآله حول البيت أدعوك بالرغبة محي الميت

بأن تريني الشبل قبل الموت غرّ نور يا عظيم الصوت

أجل لقد منّ الله على أبي طالب بأن يولد هذا المولود بأبرك يوم من أشرف شهر في أقدس بقعة ، فقد ولد يوم الجمعة الثالث عشر من شهر

(١) ص ٣ المجلد التاسع من البحار .

رجب داخل بيت الله الحرام^(١) فطبق نوره الأصقاع ، وعم كافة الأرجاء ،
وقد كان من فضل الله على هذا المولود أن جعل ولادته في بيتته إشعاراً
برفعته ، فان ولادته في البيت مزية من مزاياه الخاصة به ، تفرد بها على من
سواه ، فقد أجمع المؤرخون كافة على أن ليس في البيت مولود في جاهلية
أو اسلام غير علي عليه السلام ولله دره ودر والده أنجبته ، وفي ذلك يقول
الحميري :

ولدت في حرم الآله وأمنه	والبيت حيث فنأزه والمسجد
بيضاء طاهرة الثياب كريمة	طابت وطاب وليدها والمولد
في ليلة غابت نحوس نجومها	وبدامع القمر المنير الأسعد
ما لف في خرق القوابل مثله	إلا ابن آمنة النبي محمد

(١) المجلد الثاني من مروج الذهب للسمودي فقد ذكر ولادة الامام في البيت وارسلها ارسال المسلمات
فقال « وكان مولده في الكعبة » وذكر ذلك العلامة ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة
في معرفة الأئمة ص ١٤ ونص على انه لم يولد احد قبله فيه سواء وذكر ذلك ايضاً العلامة ابو
عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ في كتابه الجليل كفاية الطالب
ص ٢٦١ والعلامة الشبلنجي ص ٧٦ من كتابه نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار
والشريف ناج الدين محمد بن حمزة بن زهره الحسيني نقيب حلب في كتابه غاية الاختصار في
اخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ص ٩٧ وذكر ذلك ايضاً كمال الدين محمد بن طلحة
الشافعي ص ١١ من كتابه مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ، وتجد ذلك ايضاً ص ٧ من
تذكرة خواص الامة في معرفة الأئمة لمؤلفه العلامة يوسف سبط الشيخ الامام ابي فرج عبد
الرحمن الجوزي . والحلبي في سيرته المجلد الاول ص ١٦٥ والفاضل علي جلال الحسيني المجلد
الاول ص ١٦ والاستاذ العبقري العقاد في كتابه الجليل عبقريه الامام ص ٣٨ وذكر العلامة
الاوردي في رسالته المخطوطة (امير المؤمنين ومولده في الكعبة) انه نص على ولادته الحاكم
ابو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ في المستدرك المجلد الثالث ص ٤٨٣
طبع حيدر آباد ، ونص على ذلك ايضاً الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي في كتابه ازالة
الغفاء ، وكذلك العالم المعروف السيد محمود الآلوسي المفسر في شرح عينية الشاعر العبقري عبد
الباقي العمري ص ١٥ من المطبوع ، ومثل ذلك تجد النص في القصيدة المعروفة بالنفحة القدسية
لسراج الدين محمد بن الحسن القرشي التيمي المدني وهي قصيدة كبيرة تبلغ ١٤١١ بيتاً من
الشعر اهـ . اما كتب الشيعة فهي مجمعة على ذلك فراجع ما شئت منها ، وبالحملة فان ولادته
عليه السلام اصبحت من الشهرة بمكان لا يحتاج اثباتها الى بيان او برهان .

استقبل أبو طالب يوم الجمعة الأغر بالطلاقة والبشر ذلك لأنه ولد له فيه ذلك المولود السعيد الذي كان ينتظره بفارغ الصبر ، فهبت مسرعاً يهرول نحو البيت منادياً (أيها الناس ولد في الكعبة وليّ الله عزّ وجلّ^(١)) يواجه الناس بهذه البشارة السارة لأنه كان يعتقد أنّ علياً جاء للناس كافة ، ينشر العلم ، ويبث العدل . ويحقّ الحق ، ويزهق الباطل ، يطيع الله تعالى إذا عصاه الناس ، ويتبع أوامره ونواهيه إذا انصرفوا عنها ، يحبه وينصره ، ويبذل في سبيله كل غال ورخيص ، فهو في نظره وليّ الله حقاً ، وإذا كان ولياً لله فحري بأن تكون ولادته مدعاة للسرور ، وجدير بأن يكون هذا الجدل عاماً يشمل عامة الناس وخاصتهم ، ولعل ولادة الامام في البيت - الامر الذي لم يسبق مثله في التاريخ - كانت دليلاً قوياً تقرب إلى ذهن شيخ الأباطح عظمة علي ومحبه ونصرته لله .

(أيها الناس ولد في الكعبة وليّ الله) يقول ذلك أبو طالب كأنه كان يعتقد أن الناس جميعاً يستطلعون أخبار هذا الوليد ، وينتظرون قدومه ، أو انه لعلمه بعظمته يرى أنّ الجدير بهم أن يكونوا شركاءه في السرور فهو ينزلهم هذه المنزلة ثم يخاطبهم بمثل هذا الخطاب اللائق بمقام وليده الجديد .

سار يعدو نحو البيت ، وتبعه على الأثر الصادق الأمين صلى الله عليه وآله فدخل البيت وأخذ علياً فكبر في اذنيه ثم احتضنه وضمه الى صدره وسار به - ووراءه أبو طالب وفاطمة - حتى أوصله الكعبة الثانية بيت أبي طالب بيت المجد ، وندوة شيبة الحمد .

وقد شاء الله أن ينتقل هذا المولود من أصلاّب شائخة إلى أرحام مطهرة ، فانظر إلى رسول الله (ص) كيف يصفه عليه السلام فهذا جابر بن عبد الله^(٢) يحدثنا فيقول : « سألت رسول الله عن ميلاد علي بن أبي طالب . فقال قد سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح ، إن الله تبارك وتعالى خلق علياً

(٢) ص ٢٦٠ كفاية الطالب .

(١) ص ٢٦٠ من كتاب كفاية الطالب .

من نوري ، وخلقني من نوره ، وكلانا نور واحد ، ثم ان الله عز وجل نقلنا من صلب آدم في اصلاب طاهرة إلى أرحام زكية ، فما نقلت من صلب إلا ونقل علي معي فلم يزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة ، واستودع علياً خير رحم وهي فاطمة بنت أسد ، وإذا كان علي خير مولود بنص النبي الكريم ، وكان الوصي والنبي من نور واحد فما عسى الانسان أن يقول ؟؟ وليس ثمة متسع لقول ، ولا مجال لقائل .

أجل إنهما نور واحد تنقل في مختلف العصور من صلب إلى صلب حتى جاء دوره الأخير فانشطر شطرين ، شطراً في عبد الله ، وشطراً في أبي طالب ، فكان الشطر الأول للنبوة والرسالة ، وكان الشطر الثاني للوصاية والإمامة ، فما أعظم هذا النبي ، وما أجل هذا الوصي .

وليس من العجيب إذن على مثل هذا الوليد أن يبذر الله بذرتة في بقعته ، وأن يسارع الرسول في حملة إلى بيته ، فقد كان جديراً بأن يرى من الله عز وجل هذه العناية ، وحريراً بأن يشاهد من رسوله هذه الرعاية .

بلغ الناس خبر ولادته عليه السلام فتسابقوا إلى أبي طالب عميد الهاشميين ، يقدمون عليه زرافات ووحداً فرحين مستبشرين ، يهثونه بالميلاد السعيد ، وقد قابل عواطفهم الفياضة ، وشعورهم السامي بما عرف عنه من بشر وأخلاق ونبل ، وأولم على شرف ولده وليمة دعا لها أشراف البلاد وسراتها^(١) وكانت على جانب عظيم من الابهة والفخامة ، تليق بمقام الزعيم العظيم ، وتناسب وولادة شبلة الكريم .

وما فرغ هذا الجمع الحاشد من الدعوة حتى استأذنوا شيخ الأبطح في الدخول على علي فأذن لهم فدخلوا وكلهم يتطلعون إليه ، ويتسابقون شوقاً لمشاهدته ، ثم رجعوا وهم يرتلون آيات الحمد ذاكرين شاكرين .

(١) ص ٥ راجع هذه الصفحة من البحار (مجلد ٩) تجد تفصيل هذه الدعوة .

أما رسول الله (ص) فقد كان فرحه شديداً بميلاد ابن عمه وأخيه ،
وانه (ص) ليرى ان سنة ولادته سنة خير ورحمة ، « ولد لنا مولود يفتح
الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة » وكان من بوادى هذه الرحمة
أن أصبح الرسول (ص) يسمع الهتاف من الأحجار والأشجار ، وكشف
عن بصره فاذا به يشاهد أنواراً وأشخاصاً ، وما كان ليسمع أو يرى مثل
ذلك قبل هذا الميلاد السعيد الطافح بالمسرات والخيرات .

أجل كان ميلاده رحمة لهذه الامة ، فقد ولد ليكون للدين ناصراً
وولياً ، وللرسول أخاً ووصياً ، وللمسلمين كهفاً وإماماً ، يضيء لهم
السبيل ، ويهديهم الصراط المستقيم .

وكان لا بد لهذا المولود أن يولد في وقته ، وكان لا بد لهذا الكائن
الحي أن يوجد في زمانه وظرفه ، فبه اعز الدين ، وبحسامه أباد الظالمين ،
وأدب الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين .

فلولا أبو طالب وابنه لما رفع الدين شخصاً وقاماً
فهذا بمكة آوى وحامى وهذا بيثرت شام الحساما

ولد أمير المؤمنين (ع) قبل المبعث بعشر سنين على أشهر الأقوال ،
وبعد ميلاد النبي (ص) بثلاثين سنة ، وكان صلى الله عليه وآله قاب قوسين
أو أدنى من النبوة ، يوشك أن يرسل للبشرية عامة في دينه الجديد دين
السلام والاسلام .

ولا شك أن مثل هذا الدين الذي بدىء غريباً في نظر الناس يحتاج إلى
أعوان مخلصين ، وأتباع مجاهدين ، يقدون الرسول بأموالهم ، وأنفسهم
وأهليهم ، ويضحون في سبيل دينهم القويم كل ما لديهم ليستقيم أمره ،
ويضوع نشره وعند ذلك يجيء النصر والفتح ، ويدخل الناس في دين
الله أفواجا .

فمن ذلك المحبّ الناصر ؟؟ ومن ذلك السيف الباتر ؟؟ ومن ذلك القائد المجاهد ؟؟ ومن ذلك الذي يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ؟؟ ومن ذلك الذي سيؤازر النبي في عمله ؟؟ ويشاركه في مهمته ثم يخلفه على الأمة من بعده ؟ ذلك من غير شك هو وليد البيت علي بن أبي طالب فهو أسد الله ، وأسد رسوله ، وهو سيفهما المسلول ، وحسامهما المصقول ، وزوج الزهراء البتول ، وأبو الأئمة الطاهرين ، أعلام الورى ، وأئمة الهدى .

إذن لا بدّ لهذا الدين من علي ، ولا بدّ لرسول الله من هذا المجاهد الكمي ، يؤمن به إذا كفر الناس ، وينصره إذا عزّ الناصر ، ويقيه بمهجته إذا احتاج الرسول إلى المفاداة .



اَسْمَاؤُهُ

« انت الصديق الاكبر ، وانت الفاروق الذي يفرق بين الحق
والباطل ، وانت يعسوب الدين »

(الرسول)

أسماءه

كان أول اسم وضع له (حيدرة) وهو من أسماء الأسد ، وقد وقع اختيار والدته عليه ساعة ولادته ، ذلك لأنها قرأت في ملامح وليدها القوة والصلابة والفتوة ، فقد ولد قوي البنية ، صلب العضل ، شديد الأسر ، فهو إذن حري أن يكون حيدرة في قوته وشدة بأسه ، ولا عجب إذا كان كذلك فهو سبط أسد ، وشبل من أشبال بيضة البلد ، على أن هذا الاسم ليس بالغريب عن الخلق العربي فان فاطمة عربية قرشية ، والعرب منطوروون على حجب البسالة والبطولة ، فهي إذن تريد أن تطبع ولدها بطابع القوة ، وتمنحه لقباً من القاب الفتوة ، وكان هذا الاسم يملأ قلب فاطمة رضوان الله عليها لأنه اسم والدها الكريم ، فهو أسد بن هاشم بن عبد مناف ، فلا غرابة إذا ما سارعت إلى وضع هذا الاسم المحبوب لولدها العزيز الحبيب ، وقد ذكر الامام عليه السلام هذه التسمية مفتخراً بها عند مبارزته عمرو بن ود فقال :

أنا الذي سميتني امي حيدره كليث غابات شديد قسوره

أمّا أبو طالب فما كان ليرضي طموحه هذا الاسم لأنه كان يرى أن لولده شأنًا عظيمًا في المستقبل بين الرجال ، وان له تأريخاً ناصعاً ستخلده الاجيال ، فما هو الاسم الذي يختاره لشبله فيناسب عظمته ، ويليق بمقامه

المرجو له؟؟ هذا ما كان يفكر به شيخ الأبطح ، وهذا ما كان يهتم به الاهتمام كله .

وقد رأى أن يرجع أمر التسمية إلى الله عزّ وجلّ فإن الذي بذر بذرتة في بيته حري أن يرجع إليه في مثل تسميته ، وهذا ما حدى بأبي طالب أن يدخل الكعبة موجهاً إلى الله قوله الرقيق :

يا ربّ هذا الغسق الدجيّ والقمر المنبلج المضي
بيّن لنا من أمرك الخفي ماذا ترى في اسم ذا الصبي

وقد اهتم أن يسميه علياً ففعل ثم خرج من البيت مردداً قوله :

سميته بعليّ كي يدوم له عزّ العلوّ وفخر العزّ أدومه

وهذا الاسم هو المعروف به ، في الجاهلية والاسلام ، وهو ينطبق عليه أشد الانطباق فقد كان عليه السلام علياً في السماء والأرض ، يحمده الله في كتابه ، ويمجد النبي شخصه في سنته ، ويخلد التاريخ ذكره في صفحاته الناصعة.

كناه :

أما كناه فقد كان الناس يكتونه بأبي الحسن ، وأبي السبطين ، وكان الحسن عليه السلام يدعوه في حياة جده الرسول (ص) أبا الحسين ، ويدعوه الحسين أبا الحسن ويدعوان جدهما أباهما حتى إذا فجعا بفقده ، وروعا بمصيبته ورزيتة دعواه عليه السلام بأبيهما ، فهما سلام الله عليهما كانا يريان أن ليس في العالم أقرب إليهما من جدهما فهو الجدير أن يدعى بالأب ما دام في قيد الحياة ، وإن عواطف الاخوة الصادقة لتتجلى واضحة في دعوة كل منهما أباه باسم الآخر ، وليس من الغريب أن تجد في هذه الذرية الطاهرة . مثل هذه العواطف الفياضة الزاخرة ، فإن الحسين قد

غذاً بألبان النبوة ، وترعرعا في أحضان الإمامة ، ودرجا في مهبط الوحي والتزويل .

أما الرسول الكريم (ص) فقد كناه (بأبي الريحانتين) يريد الحسن والحسين عليهما السلام فقد روى الامام أحمد^(١) أن النبي (ص) قال لعلي ابن أبي طالب «سلام عليك يا أبا الريحانتين فعن قليل يذهب ركنك والله خليفتي عليك فلما قبض رسول الله (ص) قال علي : هذا أحد الركنتين ، فلما ماتت فاطمة رضي الله عنها قال : هذا الركن الآخر » وأنت إذا أمعنت النظر في قول الرسول (والله خليفتي عليك) عرفت مدى عواطفه الأخوية السامية تجاه أبي الريحانتين العباقتين ، فهو لا يريد أن يذهب إلاّ بعد أن يترك الله عز وجل خليفة على أخيه يرعاه برعايته ، ويكلّؤه بعنايته .

وكنّاه الرسول (ص) أيضاً بأبي تراب وقد اختلف في سبب هذه التسمية فذهب بعض إلى أن سببها انه صلى الله عليه وآله «مرّ به نائماً تسفي عليه الريح التراب فقال : قم يا أبا تراب الا أخبرك بأشقى الناس أجمعين ؟ عاقر الناقة ، والذي يضربك على هذا فيخضب هذه — يعني على رأسك فيخضب لحيتك بدمك^(٢) » ويروي البخاري أن رسول الله (ص) وجده في المسجد نائماً وقد ترب جنبه فجعل يمسح التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب . وقد ذكر ذلك صاحب كتاب الاسماع وذكر نحوه العلامة محب الدين الطبري في كتابه ذخائر العقبى^(٣) ويمكن الجمع بين الروايتين بأن نقول أن رسول الله (ص) كناه بها في أحد المكانين ثم ناداه بها في المكان الثاني بعد أن أصبحت من كناه المعروف بها .

(١) ص ٥٦ من كتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للعلامة محب الدين احمد بن عبد الله الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ هـ .

(٢) ص ٥٥ من كتاب امتاع الاسماع للمقرئزي .

(٣) ص ٥٧ .

ويذهب العلامة الاكبر الزعيم الجليل سماحة السيد محمد الصدر دام مجده الى رأي آخر فقد ضمنا مجلس بداره العامرة وجرى النقاش حول هذه المسألة ففضل بما يأتي قائلًا : « اني لا أرى ان ما ذكرتم من كلام المؤرخين والمحدثين سبباً وجيهاً لهذه الكنية والذي أرى انه (ص) يريد بقوله (أبو تراب) كناية عن كثرة عبادته وصلواته لأن المسلمين في السابق كانوا يسجدون على التراب وكان علي أمير المؤمنين (ع) معفر الجبين لكثرة ما يسجد فقله قم أبا تراب على حد قوله قم يا كثير العبادة » .

وهذا كلام وجيه جداً لأن المعروف عن أمير المؤمنين (ع) أن هذه الكنية كانت أحب الكنى إليه . كما ان المعروف ايضاً أن النبي (ص) كان كثيراً ما يدعو به ، ولا بد أن ذلك لميزة تستحق هذه العناية من الرسول ، وتناسب مع هذا الاحتفاء والاهتمام من شخص الامام بهذه الكنية ، ويؤيد هذا الرأي الذي يذهب إليه صاحب السماحة دام عزه^(١) ومجده ان العلامة ابن أبي الحديد ذكر ان رسول الله (ص) قال له « أجلس إنما أنت أبو تراب^(٢) » فجاء بأنما - وهي للحصر - ولا معنى لان يحصر فيه التراب وإنما حصر فيه صفة عالية كانت من مميزات الامام وهي العبادة فهذه الكنية بهذا المعنى وسام من النبي منحه شخص الوصي .

وللشاعر الشهير عبد الباقي العمري في هذه الكنية معنى مبتكر جميل فهو يجعل آدمًا ابنًا للتراب لأنه خلق منه ، ويجعل علياً أباه لأنه أبو تراب فاستمع إليه حيث يقول :

(١) ولد السيد الصدر ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٠٠ هـ الموافق ٢٠ تشرين الاول سنة ١٨٨٣ م وتوفي ٢١ شعبان سنة ١٣٧٥ م الموافق ٣ نيسان سنة ١٩٥٦ م منتصف يوم الاثنين مساء وقد عاش رحمه الله ٧٢ سنة و ١٥ شهراً و ١٣ يوماً .

ودفن في مقبرة والده الامام المرحوم السيد حسن الصدر الى جنب والده ، وجده الامام السيد

الهادي ، وعمه والذي السيد محمد حسين رحم الله الجميع برحمته الواسعة .

(٢) ص ٤ الجزء الاول من شرح النهج .

أنت ثاني الآباء في منتهى الدور وآباؤه تعدّ بنوه
خلق الله آدمًا من تراب فهو ابن له وأنت أبوه

وقد أحس خصوم الامام برفعة هذه الكنية ، وميزة صاحبها فأخذوا يموّهون على الناس بأن سبوه بها على المنابر مظهرين أنها منقصة له^(١) ولكن المسلمين المؤمنين يعرفون منزلة الامام ، ويقدرونه حق قدره ، ويعرفون الهدف السامي الذي تستهدفه هذه الكنية ، وحسبهم أن يروا الرسول يشهد له بأن أشقى الناس أجمعين عاقر الناقة والذي يضربه على رأسه فيخضب لحيته بدمه .

القابله :

إنّ للامام القاباً كثيرة تدلنا دلالة واضحة على ما له عليه السلام من منزلة سامية في نظر الله والرسول والناس ، فالنبي كان يرى علياً صديقاً يصدّقه في كل ما يقول ، وفاروقاً يفرق بين الحق والباطل لذلك تراه قد وضع له لقب الفاروق والصدّيق فقال له كما يحدث ذلك أبو ذر « أنت الصدّيق الأكبر ، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل ، وأنت يعسوب الدين^(٢) » وأصل يعسوب فحل النحل ثم اطلق على السيد والمعظم في قومه ، ويحدث الامام أحمد فيقول قال النبي « الصدّيقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يسن الذي قال (يا قوم اتبعوا المرسلين) ، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) ، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم^(٣) » ولما كان الامام افضل هؤلاء في نظره نراه يقول

(١) راجع ص ٤ من الجزء الاول لابن ابي الحديد تجده يصرح بذلك .

(٢) ص ٥٦ من كتاب ذخائر العقبى وص ٢٠٥ من كتاب نزهة المجالس ومنتخب النفائس للحافظ

عبد الرحمن الشافعي .

(٣) ص ٥٦ ذخائر العقبى .

له أنت الصديق الأكبر، وقد افتخر أبو الحسين بهذا اللقب فان معاذة بنت عبد الله العدوية تقول^(١) «سمعت علي بن أبي طالب على منبر رسول الله يقول أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم» وقد أطلق المسلمون لقب الصديق على أبي بكر لتصديقه خير الاسراء، ثم أطلقوا لقب الفاروق على عمر بن الخطاب فغلبا عليهما رضي الله عنهما حتى أصبحا من ألقابهما.

وكان النبي صلى الله عليه وآله يلقبه (بأمير المؤمنين) فقد قال له «أنت يعسوب الدين، والمال يعسوب الظلمة» وفي رواية أخرى يشير إليه عليه السلام «هذا يعسوب المؤمنين، وقائد الغر المحجلين» قال العلامة ابن أبي الحديد في شرح النهج^(٢) عند ذكره لهاتين الروايتين «واليعسوب ذكر النحل وأميرها روى هاتين الروايتين أبو عبد الله أحمد ابن حنبل الشيباني في المسند وفي كتابه فضائل الصحابة، ورواهما أبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء» ويحدث ابن عباس - وهو حبر الأمة - أن الرسول كان يقول «ما أنزل الله في القرآن آية يقول فيها يا أيها الذين آمنوا إلاّ وعلي رئيسها وأميرها»^(٣)، وهناك حديث صريح في هذا اللقب غير قابل للتأويل فان أنس بن مالك يقول من جملة حديث له انه (ص) قال له «يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين، قال أنس قلت اللهم اجعله رجلاً من الانصار وكنتمته إذ جاء علي فقال من هذا يا أنس فقلت علي فقام مستبشراً فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه، ويمسح عرق علي بوجهه قال علي يا رسول الله لقد رأيتك صنعت

(١) ص ٧٢ من كتاب (المعارف) لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ.

(٢) ص ٤ الجزء الاول.

(٣) ص ١٢٥ من ينابيع المودة وص ٥٤ من كفاية الطالب للعلامة الكنجي الشافعي وراجع ص

١٤ من تأريخ العلامة ابن قتيبة الامامة والسياسة تجد تصريح الامام بان أمير المؤمنين من القابه، وتجد اقرار الخليفة أبي بكر له على هذا الامر.

شيئاً ما صنعت بي من قبل قال : وما ينبغي وأنت تؤدي عني ، وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا بعدي^(١) » وهذا الحديث كما انه ينص على انه امير المؤمنين فكذلك ينص على انه خليفة لهم أيضاً لأن الذي يكون أميراً وسيداً وقائداً يجدر به أن يكون للمسلمين خليفةً وإماماً ، فان الامارة والسيادة والقيادة امور لا تتفق إلا مع اكبر شخصية اسلامية ، وهذه الشخصية هي التي تليق أن تبرع على دست الحكم مرتدية ابراد الخلافة العامة ، وقد ذكر الرسول (ص) في الحديث أموراً تنحصر الخلافة بالامام فان التأييد عن النبي ، وإسماع المسلمين صوته ، وتبين ما اختلفوا فيه من بعد وفاته صفات تلازم الامام ملازمة تامة لا تنفك عنه في حال ، وفي تعبير النبي عنه عليه السلام بخاتم الوصيين دلالة واضحة على هذه الخلافة التي تفهمها من هذا الحديث الشريف لأنه ليس المقصود بها الوصية على المال وإنما المقصود بها الوصية على المسلمين كما يوضحه قوله بعد ذلك (وأنت تؤدي عني ، وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا بعدي) .

وبقي هذا اللقب — أمير المؤمنين — للامام عليه السلام طيلة حياة الرسول يعرف به ، ويدعى به عند المخاطبة لا يشاركه فيه مشارك ، وقد استحسن هذا اللقب الخليفة عمر بن الخطاب وفضله على اللقب الذي كان يدعى به خليفة خليفة رسول الله (ص) وأمر أن يدعى به حياً بالاختصار فأصبح اللقب الرسمي لكل من ولي الخلافة من الخلفاء ولكنه بالرغم من جعله لقباً لكل خليفة فانه لا يتبادر الذهن إذا اطلق ولم يذكر اسم الخليفة إلا لعلي (ع) سواء أكان ذلك في المحاوراة أم في بطون الكتب^(٢) وقد وضع

(١) ص ٦٣ المجلد الاول من حلية الاولياء للحافظ ابي نعيم .

(٢) لقد نص على هذا اللقب ابن ابي الحديد في ص ٤ من الجزء الاول وابن الصباغ في فصوله ص ١٣٠ .

الرسول (ص) له أيضاً لقب الوصي^(١) ليعلم الناس انه الخليفة بعد النبي فقال - كما يحدث بذلك بريده - « لكل نبي وصي ووارث ، وان علياً وصيي ووارثي^(٢) » والتورث هنا محمول على ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « قال علي يا رسول الله ما أرث منك قال ما يرث النبيون بعضهم من بعض كتاب الله وسنة نبيه^(٣) » وقد ذكر الرسول الاعظم (ص) وصايته لأخيه ووزيره في موارد عديدة ، وسنتكلم عنها مفصلاً كما يقتضيه البحث العلمي فيما يأتي من فصول حياة الامام ، وسنذكر الشواهد الكثيرة على ذلك من الشعر والنثر بما لا يدع مجالاً لمشكك .

ومن القاب الامام ايضاً الولي وقد نشأ هذا اللقب من كتاب الله وسنة النبي ، فالله تعالى يقول - وقوله الحق - (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة وهم راكعون) وقد أجمع المفسرون على أن هذه الآية الكريمة نزلت في علي خاصة حينما تصدق راکعاً بخاتمه في الصلاة ، واستعرف التفصيل في مضانه من الكتاب .

أمّا ما ورد في السنة فقد صح عنه (ص) انه قال لعلي عليه السلام « أنت ولي كل مؤمن بعدي^(٤) » ، وقد تكرر اطلاق هذا اللقب عليه حتى أصبح الامام هو المتبادر إليه عند الاطلاق ، فالوليّ علي ، وهو ولي الناس بعد النبي .

ومن ألقابه الأمين وقد وضعه له النبي أيضاً فهذا الامام الثبت الحجة

(١) ذكر هذا اللقب صاحب تاج العروس قال في مادة الوصي ص ٢٩٢ من الجزء العاشر من التاج والوصي كغني لقب علي رضي الله عنه ، وابن أبي الحديد في شرح النهج ص ٤ من الجزء الاول .

(٢) ص ٧١ من كتاب ذخائر العقبى .

(٣) ص ٧١ من الذخائر .

(٤) ص ٢٨ الجزء الثالث من الاستيعاب لمؤلفه المحدث الكبير ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن

عبد الله بن عاصم المالكي المولود سنة ٣٦٣ المتوفي سنة ٤٦٣ .

النسائي يقول في خصائصه ان النبي قال لعلي « أما أنت يا علي أنت صفيني وأميني ^(١) » وقد شاء النبي أن يظهر للناس مدى ثقته به قولاً وفعللاً لذلك تراه عندما أراد الهجرة أمر ابن عمه أن يتخلف ليؤدي الأمانات المودعة عند النبي لأهلها يقول عليه السلام « لما خرج رسول الله (ص) إلى المدينة في الهجرة أمرني أن اقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس ولذا كان يسمى الأمين ^(٢) » فالنبي أمين الأمة التي تلقي إليه بنفائسها يركن إلى الامام عليه السلام . ولا يرى كفوءاً وأهلاً لأن يقوم باداء الأمانات إلى أهلها غيره ، فهو الصفّي الذي اختاره من بين أهله وصحبه ، وهو الأمين الذي وجدّه كفوءاً للقيام بأعبائه فان العبء الثقيل لا يقوم به إلاّ أهله ، وهكذا أصبح هذا اللقب الذي كان للنبي لقباً خاصاً بالوصي منحه إياه حيث كان موضع ثقته ، ومحل أسرارهِ في امته .

وكان يلقب بالهادي وقد اطلق عليه ذلك الله عزّ وجل في كتابه العزيز فقال « انما أنت منذر ولكل قوم هاد » وقال رسول الله « أنا المنذر وعلي الهادي ، وبك يا علي بهتدي المهتدون ^(٣) » .

ويلقب أيضاً بذي الأذن الواعي لقوله تعالى « وتعيها اذن واعية وقد خاطبه النبي (ص) عند نزول هذه الآية الشريفة قائلاً « سألت الله عزّ وجل أن يجعلها اذنك يا علي ، قال عليه السلام ، فما نسيت شيئاً بعد وما كان لي أن أنسى ^(٤) » .

(١) ص ٢٠ من خصائص النسائي وقد نص على هذا اللقب في ذخائر العقبى ص ٥٧ وعده من جملة القاب فقال وكان يلقب ببيضة البلد وبالأمين وبالشريف وبالهادي والمهتدي وذي الاذن الواعي .

(٢) ص ١٣ الجزء الثالث من تاريخ الواقدي.

(٣) ص ٢٣٢ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي وص ٩٩ ينابيع المودة فقد رواه بطرق عديدة وذكر من تعرض اليه من المفسرين والمحدثين فراجع .

(٤) ص ٤٠ كفاية الطالب وص ١٢٠ ينابيع المودة وقد ذكر طرقاً كثيرة لاثبات نزول هذه الآية في علي (ع) .

ويلقب أيضاً ببيضة البلد - وهو لقب من ألقاب أبيه - وبالمهتدي وبالشريف لأنه أول هاشمي ولده هاشم مرتين لم يشاركه في هذا إلا أخوته الأكارم ، ويلقب بجيدر^(١) والمرضى والأنزع البطين أما سبب تلقيبه بالمرضى فقد روي أن جبرائيل هبط إلى رسول الله (ص) فقال « يا محمد إن الله تبارك وتعالى قد ارتضى علياً لفاطمة ، وارتضى فاطمة لعلي^(٢) فكان هذا الحديث سبباً لهذا اللقب الشريف ، وقال ابن عباس « وكان علي يتبع في جميع أمره مرضاة الله ورسوله فلذلك سمي المرضى » ولا مانع من الجمع بينهما فقد ارتضاه النبي زوجاً لكريمته ، وارتضى أفعاله من بين أفعال أمته .

أما لقبه (الأنزع البطين) فلأنه عليه السلام كان ذا صلعة ليس في رأسه شعر إلا من خلفه ، وكان عظيم البطن ، وهاتان الصفتان قد كونتا له هذا اللقب فاذا قيل الأنزع أو الأنزع البطين تبادر إلى الذهن شخص الامام عليه السلام فهذا غباية بن ربعي يحدثنا فيقول « جاء رجل إلى ابن عباس فقال له أخبرني عن الأنزع البطين فقد اختلف الناس فيه فقال ابن عباس أيها الرجل والله لقد سألت عن رجل ما وطأ الحصى بعد رسول الله (ص) أفضل منه وأنه لأخو رسول الله وابن عمه ووصيه ، وخليفته على أمته ، وأنه الأنزع من الشرك ، بطين من العلم ، ولقد سمعت رسول الله يقول من أراد النجاة غداً فليأخذ بحجزة هذا الأنزع يعني علياً^(٣) .

وانك لترى من سؤال هذا السائل ، ومحاورة ابن عباس ، ومن حديث الرسول شياع هذا اللقب في الامام عليه السلام ، ولعلك تقرأ في قول حبر الامة (وأنه الأنزع من الشرك ، بطين من العلم) معاني العظمة التي يراها ابن عباس لأبي الحسين فهو رضوان الله عليه لا يريد أن يذكر هاتين

(١) قال ابن الصباغ في فصوله ص ١٣٠ وأما لقبه فالمرضى وجيدر وأمير المؤمنين والأنزع البطين.

(٢) راجع ص ١٣ تجد هذا وما بعده في الصفحة نفسها من المجلد التاسع من البحار .

(٣) الحجزة معقد الأزرار وهو كناية عن الاعتصام به .

الصفتين من شمائله إلاّ ويقرن معهما ظاهرتين من مميزاتة وخلالله ، فهو أنزع ولكته من الشرك ، بطين ولكته من العلم ، وقد اقتفى ابن عباس في هذا أثر الرسول فقد قال له من جملة حديث طويل « فابشر فانك الأنزع البطين ، منزوع من الشرك ، بطين من العلم » .

هذه أسماء أمير المؤمنين وكناهه والقباه كما يراها القارىء الكريم وهي كافية للدلالة على ما له عليه السلام من منزلة رفيعة عند الله والرسول والناس.



صُورَتُهُ

« من أراد أن ينظر الى ابراهيم في حلمه ، والى نوح في حكمه ، والى يوسف في جماله فليتنظر الى علي بن ابي طالب » .
(النبي)

لم يكن فن التصوير معروفاً في صدر الاسلام لنستجلي صورة الامام عليه السلام بريشة المصور الفنان ، ولكن هناك بعض الاقلام البارعة قد استطاعت أن تصف لنا بما اوتيت من قوة في البيان وقدرة في التصوير خلق علي الوسيم ، وخلقه الكريم فكنا حين نقرأ أوصافه كأننا قد شاهدناه ، ومتعنا النظر في عياه .

« كان عليه السلام ربعة من الرجال ، أدعج العينين عظيمهما ، حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر ، عظيم البطن إلى السمن ، عريض ما بين المنكبين ، لمنكبه مشاش كشاش السبع الضاري ، لا يبين عضده من ساعده قد ادمج ادماجاً ، شثن الكفين ، عظيم الكراديس ، أغيد كأن عنقه ابريق فضة ، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه ، كثير شعر اللحية ، وكان لا ينحضب وقد جاء عنه الخضاب ، والمشهور أنه كان أبيض اللحية ، وكان اذا مشى تكفاً ، شديد الساعد واليد ، وإذا مشى إلى الحرب هرول ، ثبت الجنان ، قوياً ما صارع أحداً إلا صرعه ، شجاعاً منصوراً عند من لاقاه (١) » .

(١) ص ٥٧ من كتاب ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى وقد قال في شرح هذه الصفات ربعة لا طويل ولا قصير ، والدعج شدة سواد العين مع سمها ، والأغيد المائل العنق ، والغيد النعومة ، وامرأة غيداء وغادة ناعمة ، والمشاش رؤوس العظام اللينة الواحدة مشاشة ، وادمج يقال ادمج الشيء في الشيء اذا ادخله فيه ، يريد والله العالم ان عظم عضده وساعده ليينها قد اندججا وهكذا صفة الأسد والضاري المرد الصيد وتكفاً تمايل في مشيته .

وقد وصف الامام عليه السلام ولده محمد بن الحنفية فقال « كان ربع القامة أزج الحاجبين ، أدعج العينين أنجل ، كأن وجهه القمر ليلة البدر حسناً وهو إلى السمرة ، أصلع له خفاف من خلفه كأنه اكليل ، وكان عنقه ابريق فضة ، وهو أرقب ، ضخم البطن ، أقرى الظهر ، عريض الصدر ، محض المتن ، شثن الكفين ، ضخم الكسور ، لا يبين عضده من ساعده قد ادجت ادماجاً ، عبل الذراعين ، عريض المنكبين ، عظيم المشاشين كمشاش السبع الضاري ، له لحية قد زانت صدره ، غليظ العضلات ، خمش الساقين ^(١) » هذه هي شمائله عليه السلام كما يصورها ابنه محمد وهو عالم مفعو ، ينطق عن عقل كبير ، ويفرغ عن حكمة عالية ، فهو حجة فيما يقول لا ينازعه في ذلك منازع ، ولا سيما ان محمداً شبل الوصي ، نشأ في بيته وتربى في حجره ، فهو إذن خير في صفاته وشمائله ، ومطلع على أطواره وسائر أحواله ، وقد سئل المغيرة عن الامام فقال : « كان عليه السلام على هيئة الاسد غليظاً منه ما استغلظ ، دقيقاً منه ما استدق » وإلى هذا الوصف أشار محمد في آخر كلامه فقال غليظ العضلات خمش الساقين أي أنه ضخم العضلات دقيق الساقين والمعروف عن الأسد انه كذلك .

وقد شاء عمرو بن العاص أن يتلاعب في أوصافه عليه السلام فلما كتبت أوصافه عن ثبيت الخادم أخذها عمرو فزم بأنفه وقطعها وكتب « إن أبا

(١) زج حاجبه دق في طول فهو أزج . ونجل الرجل وسعت عينه وحسنت فهو أنجل ، والصلع انحسار شعر مقدم الرأس ، والخفاف الطرة من الشعر حول رأس الاصلع ، والاكليل شبه عصاية تزين بالجوهر ، والارقب غليظ الرقبة ، والمخض الخالص ، ومثنا الظهر ما يكتنف الصلب عن يمين وشمال من لحم وعصب ، وقيل انه كناية عن الاستواء ، ومن اندماج الآخر بحيث لا تبين فيه المفاصل ويرى قطعة واحدة ، وأقرى الظهر أي طويله ، وشثن الكفين أي غليظهما ، والكسر الجزء من المنسو أو جزء من العظم مع ما عليه من اللحم وعبل الذراعين أي ضخم الذراعين فإن العبل الضخم من كل شيء .

تراب كان شديد الأدمة ، عظيم البطن ، خممش الساقين ونحو ذلك » وما كان عليه السلام اسمر ولا شديد السمرة وإنما كان ميل إليها كما ترى من صريح عبارة محمد بن الحنفية رضوان الله عليه ، وقد اوقع كلام عمرو بعض المؤرخين في هذا الخطأ فقلدوه من غير أن يلتفتوا إلى مغزى كلامه ، وإنك لتعرف الغرض من قطع تلك الصفات ووضع صفات منه في محلها انه يريد بذلك أن يخرج للناس صورة أبي الحسين كما يشتهي . وكما تملي عليه أهواؤه وأغراضه لهذا تراه يحاول اخفاء شمائله الحقيقية مستعيضاً عنها ببعض الاوصاف التي تشبع رغبته ، ومهما يكن من شيء فان ذلك لا يضره عليه السلام لأن الرجل في علومه وفضائله لا في قسماته وشمائله ، وهذا ما يشير إليه بقوله « قيمة كل امرئ ما بحسنة » على أنك قد عرفت أن الامام كان على جانب عظيم من الجمال الرائع ، وحسبه أن يشبه بالبدر الساطع ، ولدينا حديث نبوي يبرهن على هذا الجمال فاستمع إلى النبي كيف يقول « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي حِلْمِهِ ، وَإِلَى نُوحٍ فِي حُكْمِهِ ، وَإِلَى يُوسُفَ فِي جَمَالِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (١) » فالامام إذن كان بارعاً في الجمال ، لأن يوسف كان جميلاً بارعاً في الجمال ، وفي فتنة امرأة العزيز ، وتقطيع النساء أيديهن عند دخوله عليهن كما جاء في القرآن الكريم لأكبر دليل على هذا الجمال الفتان ، ولا شك ان الامام كان يضارعه في هذا الجمال ، وإلا لما شبه به لأنه صلى الله عليه وآله لا يبالغ في قول يقوله إذ أن المبالغة تستلزم الكذب وهو (ص) في كل أحواله وسائر أطواره (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) .

لم يذكر لنا التاريخ أن أمير المؤمنين كان شبيهاً بالنبي ولكننا إذا رجعنا

(١) ص ٩٤ من ذخائر العقوب .

إلى شمائلهما وجدناهما يشتركان في كثير من الصفات الخلقية ، فقد كان كل منهما أزج الحاجبين ، أدعج العينين ، كث اللحية ، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة ، بادناً ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، شثن الكفين والقدمين ، عبل الذراعين ، يمشي كل منهما تكفؤاً .

هذه صفات بارزة في كل من النبيّ والوصيّ ، وهي غاية ما يطلب للرجل من صفات القوة والجمال ، أما صفات علي (ع) الفارقة فهي صلح في رأسه ، وكبر في بطنه ، ودقة في ساقيه ، وقد شاء الله ان تحمل هاتان الساقان الدقيقتان هذا الجبل الأشم ، والبحر المتلاطم الخضم ، لتظهر للناس عظمة هذا الجبل ، ومعجزة هذا البطل .



غُرُومُ النَّبِيِّ

« يا علي ان الله أمرني أن أدنّيك ، وأعلمك نصي » .
(الرسول الكريم)

استقبل علي عليه السلام هذه الحياة ، واستنشق نسيمها الفواح في دار والده أبي طالب شيخ الأباطح ، وهذه الدار تضم المجد من كل أطرافه فقد كانت تزدهر بانوار الصادق الأمين محمد (ص) ، وعميد الهاشميين بيضة البلد ، وأم الأشبال فاطمة بنت أسد .

وكان علي (ع) أثيراً عند هؤلاء جميعاً ، محفوقاً بعناية والديه ، مغموراً باللطاف أخيه وابن عمه ، فهو صلى الله عليه وآله يلي تربيته بنفسه يطعمه إذا جاع ، ويسقيه إذا ظمى ، ويهز مهده إذا هجع ، يناغيه في يقظته ويحمله بين صدره ونحره .

وقد أقام الصادق الأمين في دار عمه بعد ولادة الوصي ثلاث سنين وكان علي طيلة هذه المدة الشغل الشاغل له في الليل والنهار مقدماً تربيته على كافة حاجاته ، وسائر مهماته ، وقد قدر للنبي (ص) أن ينتقل بعد زواجه بأم المؤمنين خديجة إلى داره الجديدة ، ولكن لم يمنعه هذا الانتقال من العناية بالامام ، والتردد كثيراً إلى داره الأولى التي رضع فيها أفوايق الأبوة ، وقرأ في معالمها معاني المجد والفتوة .

وكان الرسول الأعظم في كل زيارته يحوط أخاه بعنايته ، ويشمله بعواطفه والطفه ، وذلك لشدة شغفه بهذا الناشيء الذي يعلق عليه الآمال ويرى أن له مستقبلاً زاهراً بين الرجال .

وهو صلى الله وآله ينتظر له المستقبل الباهر ، ويعدّ له عدته وكان الرسول (ص) يرى أنه لا بد له أن يصطفي علياً ويضمّه إليه ليستفرغ الوسع في تهذيبه وتثقيفه ، وإعداده للخلافة العامة التي سيتبوأ أريكتها ، ويعلو منصتها بعد وفاة النبي ، ولكنه (ص) كان ينتظر الفرصة السانحة لضم علي إليه ، وقد سنحت بعد سنوات ثلاث من انتقال الرسول إلى داره المستقلة الجديدة ، وذلك أن قريشاً قد أصابتها أزمة شديدة خانقة ضاق لها صدرها ، الأمر الذي دفع النبي أن يكلم عمه العباس في أن يساهما معا أبا طالب فيخففا من عبئه الثقيل الذي لا يحمل في مثل ظروف كهذه ، يحدثنا المؤرخ الشهير الطبري في تأريخه فيقول : « كان من نعمة الله سبحانه على علي بن أبي طالب أن قريشاً أصابتها أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله (ص) للعباس - وكان أيسر بني هاشم - يا عباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة فانطلق لنخفف عنه من عياله آخذاً من بنيه واحداً ، وتأخذ واحداً فنكفيهما عنه فقال العباس نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهم إن تركتما عقيلاً فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله (ص) علياً فضمّه إليه وأخذ العباس جعفرأ فضمّه إليه فلم يزل علي مع رسول الله (ص) حتى بعثه الله نبياً ^(١) » وهكذا كانت هذه السنة سنة جذب ومحل على الناس ولكنها كانت سنة خصب وخير وبركة على الامام عليه السلام فقد هيأت له هذا الجو الصالح من التربية الصحيحة ، ومهدت له السبيل لأن يرتضع أفوايق العلم ، ويحتسي كؤوسه المترعة من ينبوعه الفياض الطافح بالعلم النبوي الغزير المستمد من الله عز وجل ، فقد أدّب الله محمداً فأحسن تأديبه كما

(١) ص ٥٧ المجلد الثالث من تأريخ الطبري وص ٢٢ من تأريخ ابن الاثير الجزء الثاني وفي ص ١٦٢ وص ١٦٣ من سيرة العلامة ابن هشام الجزء الاول .

حدث عن نفسه بقوله « أدبني ربّي فأحسن تأديبي » وأدّب محمد علياً فأحسن تأديبه أيضاً ، فكان محمد غرس الله علمه من علمه ، وأدّب به بأدبه ، وكان علي غرس النبي علمه من علمه ، وأدّب به بأدبه فزكا من ذلك الغرسان ، وتفاوح المحمدان ، وطاب العليان ، وقد اتحد علمهما ، والتقت ثقافتهما فكان من هذا المزاج أن نخرج كل من النبي والوصي ، فكان الأول للنبوّة والثاني للإمامة .

وإذا أردت أن تعرف هذه التربية الصالحة ، وأردت أن تقف على مدى عطف النبي (ص) على أخيه ووزيره فاستمع إلى بعض كلمات من خطبته المعروفة بالقاصعة فانك ستقرأ فيها حنان النبي ، وعظمة الوصي ، قال سلام الله عليه « وقد تعلمون موضعي من رسول الله (ص) بالقراية القرية ، والمنزلة الحصيفة ، وضعني في حجره وأنا وليد ، يضمني إلى صدره ، ويكفني فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرفه ، وكان يعضغ الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل ، ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل اثر امه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالاعتداء به ، ولقد كان يجاوز في كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة ، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزول الوحي عليه صلوات الله عليه ، فقلت يا رسول الله (ص) ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد آيس من عبادته انك تسمع ما أسمع ، وترى ما أرى ، إلا أنك لست بنبي ، ولكنك وزير ، وانك لعلّ خير ^(١) » وهذه كلمات بليغة تصوّر لنا نشأة الامام عليه السلام تصويراً دقيقاً ، وانك

(١) المجلد الثالث من شرح النج ص ٢٥٠ .

لتقرأ فيها معاني السمو والرفعة متجلية في هذه الشخصية المقدسة التي « ينحدر عنها السيل ، ولا يرقى إليها الطير » وأي شخصية أعظم من هذه الشخصية التي ترى ما يرى النبي ، وتسمع ما يسمع ، وهل ثمة منزلة فوق هذه المنزلة ؟؟

إن هذه الكلمة البليغة تصور لنا نشأة الامام في دورين ، دور الطفل الوليد ، ودور الطفل اليافع ، وقد كان سلام الله عليه في كلا الدورين موضع عناية الرسول ، ومحلاً لرعايته ، يجذب عليه كما يجذب الوالد الشفيق على ولده البار ، يؤثره على نفسه ويقدم راحته على راحته ، فعلي - وهو وليد - كان في حجر رسول الله (ص) يضمه إلى صدره يكتفه فراشه ، ويمسح جسده ، ويشمه عرفه ، ويمضغ الشيء ثم يلقمه إياه فهذا الحسين ابن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام يقول : « سمعت زيدا أبي عليه السلام يقول كان رسول الله (ص) يمضغ اللحم والتمر حتى تلين ويجعلهما في فم علي عليه السلام وهو صغير في حجره ^(١) » وهذا أقصى البر ومنتهاى الحنان ، ولا شك أن الانسان كلما عظم وكبر عظمت عواطفه ، ودق احساسه وشعوره ، ومَن أعظم من النبي في عواطفه وإحساسه ، وفي كل ظاهرة من ظواهره ؟؟

أجل إن العطف على الوصي كان واضحاً يعرفه كل من صحب النبي فهذا الفضل بن عباس رحمه الله يقول « سألت أبي عن ولد رسول الله (ص) المذكور أيهم كان رسول الله له أشد حبا فقال علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت له سألتك عن بنيه فقال انه كان أحب اليه من بنيه جميعاً وأرأف ، ما رأيناه زايلاً ^(٢) يوماً من الدهر منذ كان طفلاً إلا أن يكون في سفر لخديجة ، وما رأينا أباً أبر بابن منه لعلي ، ولا ابناً أطوع لأب من

(١) ص ٢٥١ المجلد الثالث من شرح النهج .

(٢) أي فارقه .

علي له (١) « هذا كلام العباس رحمه الله والعباس عم النبي (ص) فاذا قال قولاً فانما يقول الحق ، وينطق بالصدق ، وهو جد خبير بأحوال النبي وأطواره ، وبنشأة الوصي وأخباره ، وأنت ترى أن السؤال كان عن أولاد الرسول (ص) فكان جواب العباس أن علياً كان أحب ولده إليه ، وما كان علي ابنه ، وإنما كان ابن عمه ولكن العباس قد نزل منزلة الابن الحقيقي ثم حكم له بأنه أحب إليه من بنيه جميعاً ، وهذه منزلة لم تكن لغير الامام عليه السلام ، وإلى هذا أشار في صدر كلامه السابق « وقد علمت موضعي من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة » نعم كان رسول الله (ص) أبر الناس بعلي ، وكان علي أطوع الخلق إلى النبي ، وهكذا تمثلت الابوة الصادقة ، والبنوة الصالحة ، بالنبي والوصي ، فكانت الأولى المثل الأعلى للآباء ، وكانت الثانية المثل الصالح للابناء .

وما كان حب علي لإخيه وابن عمه بأقل من حب الرسول له ، فهذا جبير بن مطعم (٢) يقول « قال أبي مطعم بن عدي لنا ونحن صبيان بمكة ألا ترون حب هذا الغلام يعني علياً لمحمد واتباعه له دون أبيه ، واللات والعزى لوددت أنه ابني بفتيان بني نوفل جميعاً » ، وإذا كان محمد (ص) يفضل علياً على أولاده كان من الطبيعي لعلي أن يفضل رسول الله على والديه متبعاً له لإتباع الفصيل أثر أمه ، ومن أجدر بالامام من تقدير العواطف ، واكبار الفضل والعوارف ، وقد قدر مطعم بن عدي هذا الحب فتمنى أن يكون علي ابنه بفتيان بني نوفل جميعاً كما ترى من حديثه وصريح كلامه .

ولقد كان عليه السلام في الدور الثاني - دور الطفل اليافع - يرافق الرسول صلى الله عليه وآله في سفره وحضره ، يقيم أنتى اقام ، ويرتحل أنتى ارتحل ، ويتبعه لإتباع الفصيل أثر أمه ، لا يفارقه في ليل أو نهار ، وقد

(١) شرح النهج المجلد الثالث ص ١٥١ .

(٢) ص ٢٥١ و ص ٢٥٢ من شرح النهج المجلد الثالث .

كان في هذا الدور يرفع رسول الله (ص) له في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمره بالاعتداء به ، وذلك لأنه يرى فيه الاستعداد والكفاءة لأن يتلقى أوامره ، ويتفهم أسرارهم ، وكان يقربه إليه ، ويدنيه من نفسه ليعلمه من علمه ، ويؤدبه بأدبه ، وكانت أذن علي (ع) واعية ، تعي ما يقول الرسول (ص) ، وتحفظ ما يلقي إليه من معقول ومنقول وقد قال له صلى الله عليه وآله « يا علي إن الله أمرني أن أدنيك واعلمك لتعي وانزلت هذه الآية (وتعيها اذن واعية) فانت اذن واعية لعلمي ^(١) وإذا كان علي (ع) اذناً واعية لعلم النبي بنص القرآن الكريم ، وشهادة النبي العظيم ، وقد لازمه ليله ونهاره ، وهو في كل يوم يرفع له من أخلاقه وعلمه علماً فكيف يكون علم هذا الواعي الذي لا ينسى ، ولا ينبغي له أن ينسى ؟؟

أجل جدير بمثله أن يكون باب مدينة العلم — على حد تعبير النبي (ص)— « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأتها من بابها ^(٢) » وحري بأن يخاطبه الرسول قائلاً « ليهنك العلم أبا الحسن ، لقد شربت العلم شرباً ، ونهلته نهلاً ^(٣) » ، وستتكم إن شاء الله مفصلاً عن مكانته العلمية في الحلقة الرابعة من حياة الامام .

لم يكن اختيار النبي لعلي من طريق الصدفة ، وإنما أصطفاه لأن الله عز وجل قد اختاره له فهذا العلامة ابن أبي الحديد ينقل لنا عن أحمد بن يحيى البلاذري وعلي بن الحسن الاصفهاني ^(٤) كيفية الازمة التي أصابت قريشاً ويذكر أن العباس أخذ طالباً وحمزة أخذ جعفرأ ، ومحمداً أخذ علياً وأنه قال لهم قد اخترت من اختاره الله لي عليكم علياً ، فعلي (ع) إذن

(١) ص ٦٧ من كتاب حلية الاولياء وطبقات الاصفياء وص ٤٠ من كفاية الطالب وزاد فيه ان الامام قال فما نسيت شيئاً بعد وما كان لي ان انسى .

(٢) ص ٧٧ ذخائر العقبى وص ٣٨ الجزء الثالث من الاستيعاب .

(٣) ص ٦٥ المجلد الاول من حلية الاولياء .

(٤) ص ٥ من شرح النهج المجلد الاول .

قد اختاره الله لرسوله من بين إخوته لحاجة الامة إلى تهذيبه وتثقيفه ، وليس في اخوته - على عظيم منزلتهم - من يستطيع أن يكون علياً في علمه وحكمه ، وعدله وقضائه ، وفي سائر خلاله ، وانك لتدرك أثر هذه التربية في كل نواحي الامام ، فهو صورة طبق الاصل عن مربيه ، يمثله في علمه وفضله ، وحكمه وعدله ، وفي كافة أحواله وأطواره .

وحسب هذا الناشيء الكريم أن بذر الله بذرتة في بيته ، ثم طفق الرسول العظيم يتعهد هذه البذرة بنفسه ، ويمدّها من قوته ، ويسقيها من ينبوعه ، حتى زكت تربتها ، واهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج ، وكان منها النتاج الصالح الذي يفيض بالخير والبركة ، ويطفح بالعطف والرحمة ، ويعبق بالعلم والحكمة ، يقول الحق وينطق بالصدق ، وهو كما قال « واني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم » ، سيماهم سيما الصديقين وكلامهم كلام الابرار ، عمّار الليل ، ومنار النهار ، متمسكون بجبل القرآن ، يحيتون سنن الله ، وسنن رسوله لا يستكبرون ، ولا يعلون ، ولا يغفلون ، ولا يفسدون ، قلوبهم في الجنان ، وأجسادهم في العمل ،

هذا علي غرس النبي ، نشأ في بيته ، وترعرع في حجره ، واهتدى بهديه ، واستضاء بأنواره ، وكان من هذه النشأة المباركة أن أصبح علم الهدى ، ومنار التقى وإمام الورى .

ريب طه حبيب الله انت ومن كان المرابي له طه فقد برعا



السَّابِقُ إِلَى الْإِسْلَامِ

« يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً ، وأنت أول المسلمين
اسلاماً ، وأنت مني بمنزلة هرون من موسى » .
(النبي العظيم)

كان الرسول صلى الله عليه وآله يجاور في حراء من كل سنة شهراً
— وحراء جبل يبعد عن شمال مكة فرسخين — وكان في أعلى الجبل غار
يصلح للعبادة والتحنث ، وقد ذكر هذا الجبل شيخ الأبطح فقال :

ونور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراق ليرقى في حراء ونازل

وكان صلى الله عليه وآله يختار من السنة شهر رمضان المبارك يقضيه
بالصلاة والتسك والعبادة ، بعيداً عن الناس ، مترفعاً عن عاداتهم التي
يراهها لا تلتئم مع الشرف والمروعة والدين ، وكم كان يضيق صدره الرحب
عندما يشاهد جمود الناس لله الذي أنعم عليهم بنعمه السابغة التي لا تعدّ
ولا تحصى ، إنه (ص) يتقرب إلى الله زلفى ، ويرى قومه يتقربون إلى
اللات والعزى ، وهي لا تضر ولا تنفع ، ولا تمنع ولا تدفع ، وإنما هي
أحجار جامدة لا تعي ولا تسمع ، صنعها الإنسان الجاحد ثم اتخذها رباً
دون الواحد .

نعم كان الصادق الأمين في حاجة ماسة لأن يعزل هذا الكون المائج
بالكفر والطغيان إلى محل بعيد عن الناس ، قريب من الله بناجي فيه ربه ،
ويشكو إليه همه وكربه .

ويرافقه في هذا الغار أخوه وابن عمه علي عليه السلام فهو تلميذه الذي
اصطفاه لنفسه ، وارتضاه لصحبته ، ويحدثنا الامام عن هذه الصحبة

فيقول : « ولقد كان يجاور في كل سنة بجرآء فأراه ولا يراه غيري » وكان الرسول الأعظم يكتفي من الكون بهذا الناشئ الذي يتبعه اتباع الفصيل اثر امه وما كان على وجه الأرض في ذلك الحين غير هذا الفتى يرى رآيه ، ويتعبد عبادته ويسير على صراطه المستقيم .

إنّ الله تعالى منّ على الصادق الأمين بالنبوة في شهر رمضان ، وفي غار حراء ، ففي هذا الغار انبثق النور ، وسطع الهدى ، وفيه هتف جبريل بالآيات البينات (إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم) وفي وسط ذلك الجبل سمع الرسول صوتاً يقول : « يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل » .

بعث الله محمداً (ص) بالرسالة الى البشرية عامة ، وقد أمره تعالى أن ينذر قومه ، ويعدّهم بعذاب الله الأليم ، لما هم عليه من جحود ونكران ، وكفر وطغيان ، وحثه على أن يحدّثهم بنعمة ربه - وهي النبوة - التي شرفه الله بها ، وجعلها خاصة به دون غيره من سراة قريش ، فطفق يحدث بذلك من كان يعتمد عليه من أهله خاصة ، يقول العلامة ابن هشام في سيرته ^(١) « فجعل رسول الله (ص) يذكر ما أنعم الله عليه وعلى العباد سراً إلى من يطمئن إليه من أهله » وذلك انه (ص) لم يؤمر بأن يصدع بالرسالة ولذا تراه (ص) يسرّ إلى من يثق به ، ويرى فيه الصلاح والرشاد ، وإنّا لنفهم من عبارة ابن هشام أن دعوته السريّة كانت منحصرة بالأهل مقتصرة عليهم ، وهكذا القول في الدعوة الثانية فإن الله عزّ وجلّ لما أمر رسوله أن يصدع بالرسالة أمره أن يبدأ بعشيرته كما هو صريح قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) وستعرف هذا مفصلاً ، وإذا كانت الدعوة في السر والعلانية اقتضت على الأهل بأمر من الله

(١) ص ١٦٢ من الجزء الاول ونقل ذلك المؤرخ الشهير الطبري في المجلد الثاني من تاريخه ص ٥٢ وابن الاثير في ص ١٩ من تاريخه الكامل الجزء الثاني .

فليس من المتصور أن يسبق إلى الاسلام غير هاشمي لأن الدعوة لا تشمل الغير إلاّ بعد الانتهاء من دعوة الأقارب ، فغير الهاشميين إذن متأخرون في الدعوة ، والمتأخر لا يكون متقدماً ، ولا سيما إذا كان الهاشمي قد سمع الدعوة ، وأجاب داعي الله .

وكان أول مَنْ دعاه الرسول إلى الاسلام عليّ بن أبي طالب ، وخديجة أم المؤمنين فقد أسلما وآمنا ، وصدقاً برسالته قبل الناس كافة لأنهما في بيته وأقرب الناس إليه ، وأعرفهم بمنزلته ومكانته ، وآرائه ومبادئه ، لذلك كانا ينتظران أن يبعث ليكونا أول من أسلم وأول من آمن ، وأول من صلى فيحوزا بذلك شرف السبق (والسابقون السابقون أولئك المقربون) .

وهكذا كان بيت النبي يشعّ بأنوار الرسالة ، ويسطع بالایمان والهداية ، ويفيض بالعلم والدين والحكمة ، وقد اجتمع الاسلام فيه كله فكان علي عن الرجال وكانت خديجة عن النساء ، فهذا الامام - وقد ترعرع في هذا البيت - يحدثنا عنه فيقول : « ولم يجمع بيت يومئذٍ واحد في الاسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وأنا ثالثهما » وهذا محمد بن عبيد المحاربي يؤيد ذلك فيروي مسلسلاً عن عفيف قائلًا : « جئت في الجاهلية إلى مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب قال فلما طلعت الشمس ، وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه ، قال فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فخرّ الشاب ساجداً فسجداً معه فقلت يا عباس أمر عظيم ، فقال أمر عظيم ، أتدري من هذا؟؟ فقلت لا ، قال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي ، أتدري من هذا معه ، قلت لا ، قال هذا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن أخي ، أتدري من هذه المرأة التي خلفهما؟؟ قلت لا ، قال هذه خديجة بنت خويلد

زوجة ابن أخي ، وهذا حدثني ان ربك رب السماء أمرهم بهذا الذي تراهم عليه ، وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة^(١) » وهذا الحديث صريح بانحصار المسلمين بعلي وخديجة لأن العباس أقسم صادقاً ليس على وجه الأرض كلها غير هؤلاء الثلاثة ، والاسلام كان جديد العهد ، فليس من العسير على العباس إحصاء المسلمين ، ومعرفتهم بأسمائهم وأشخاصهم لو كان ثمة من يعتنق هذا الدين غير هؤلاء ، وهي شهادة قيمة تعرفنا بمن آمن ، ومن سبق إلى الاسلام ، والعباس ثقة عدل فهو حجة فيما يقول ، ولا سيما فيما يعود إلى النبي (ص) فقد عرف أخباره ، واستكشف أحواله وأطواره .

وهكذا كان الاسلام يركع ويسجد ويقوم بركوع هؤلاء وسجودهم وقيامهم ، وكان ينتقل من بيت الى بيت كلما انتقل هؤلاء من بيت الرسول إلى بيت الله الحرام ، وليس بالعجيب من عفيف أن يرى ما رأى عظيماً ، فأبي أمر أعظم من هذا الخشوع والخضوع المتجليين في السجود والركوع ، انه حدث عظيم لا عهد للبيت بمثله ، ولا علم للناس بمثل هذه العبادة التي تتجلى فيها عظمة الخالق ، وتصاغر المخلوق .

وقد مَنَّ الله على عفيف بالاسلام فتمنى لو كان رابعاً ، ولكن ربك قد شاء أن لا يفوز بهذا الفضل غير بيت النبي فأكرم زيدا مولى الرسول (ص) بالاسلام فكان رابعهم ، يقول ابن هشام في سيرته « قال ابن إسحق ثم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس

(١) ص ٥٦ الطبري المجلد الثاني وذكره ابن الاثير في الجزء الثاني من تاريخه الكامل ص ٢٢ وزاد فيه قال عفيف ليتني كنت رابعاً وص ٣٣ من كتاب الاستيعاب وفي ص ٢٥ الجزء الثاني من كتاب البداية والنهاية في التاريخ لمعاد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الشامي وفي ص ٥٩ من ذخائر العقبى وفي ص ٤٩ من كفاية الطالب للكنجي الشافعي وص ٣ من خصائص امير المؤمنين للامام النسائي .

الكلبي مولى رسول الله (ص) وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب^(١) » ويقول العلامة تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي « وأما علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي فلم يشرك بالله قط ، إن الله تعالى أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمه سيد المرسلين محمد (ص) فعندما أتى رسول الله الرحي وأخبر خديجة رضي الله عنها وصدقت كانت هي وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة حب^(٢) رسول الله (ص) يصلون معه وكان (ص) يخرج إلى الكعبة أول النهار فيصلّي صلوة الضحى وكانت صلاة لا تنكرها قريش وكان إذا صلى في سائر اليوم بعد ذلك قعد علي أو زيد رضي الله عنهما يرصدانه^(٣) » .

ويقول المؤرخ الشهير اليعقوبي في تأريخه « وكان أول من أسلم خديجة بنت خويلد من النساء وعلي بن أبي طالب من الرجال ، ثم زيد بن حارثة ثم أبوذر^(٤) » وذكر انه روي عن عمرو بن عبسة السلمي انه قال « أتيت رسول الله أول ما بعث وبلغني أمره فقلت صف لي أمرك فوصف لي أمره وما بعثه الله به فقلت هل يتبعك على هذا أحد قال نعم امرأة وصبي وعبد ، يريد خديجة بنت خويلد ، وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة اهـ . »

وباسلام زيد انحصر الاسلام في بيت الرسول ، وعم سائر أفراد الرجال والنساء والعبيد ، فما كان في البيت إلا المؤمن بالله والمصدق برسوله ، وقد صرح بهذه الحقيقة في العصر الحاضر الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) فقال من جملة حديثه عن اسلام الامام « وكذلك كان علي أول رجل اسلم ، ومن بعده أسلم زيد بن حارثة مولى

(١) ص ١٦٤ الجزء الاول .

(٢) حب مصدر . المحبوب والجمع إحياب وحيان .

(٣) ص ١٦ الجزء الاول من كتاب امتناع الاسماع .

(٤) ص ١٧ الجزء الثاني .

النبي ، وبذلك بقي الاسلام محصوراً في بيت محمد ، فيه وفي زوجه وابن عمه ومولاه ، وظل يفكر كيف يدعو قريشاً إليه وهو يعلم ما هي عليه من شدة البأس وبالغ التعلق بعبادة آبائهم وأصنامهم^(١) « وهذا كلام وجيه للغاية ، حري بباحث فاضل كالدكتور أن يصل إليه ، وقد صرح بمثل ذلك من المتقدمين ابن كثير فقال « الظاهر ان أهل بيته آمنوا قبل كل أحد^(٢) » ، وحسبنا دليلاً على أسبقية الامام في الايمان والاسلام ما قدمناه من هذه الروايات ، ولكننا تمحيصاً للحقائق سنتوسع في البحث لنزيل كل شك يخامر النفوس ، قال ابن الاثير في تأريخه ، « فقال قوم أول ذكر آمن علي ، روي عن علي عليه السلام انه قال (أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الاكبر لا يقوها بعدي الا كاذب مفتر ، صليت مع رسول الله (ص) قبل الناس بسبع سنين) وقال ابن عباس أول من صلى علي ، وقال جابر ابن عبد الله بعث النبي يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء ، وقال زيد بن أرقم أول من أسلم مع النبي علي^(٣) » وحكى مثل ذلك العلامة السيوطي في كتابه الخلفاء امراء المؤمنين قائلاً « قال ابن عباس وانس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة انه أول من أسلم - أي علي - ونقل بعضهم الاجماع عليه^(٤) » وروى العلامة محب الدين الطبري في كتابه الجليل ذخائر العقبى^(٥) انه أول من أسلم روى ذلك عن زيد بن أرقم وابن عباس ، وروى عن سلمان انه قال (أول هذه الأمة وروداً على نبيها الخوض اولها إسلاماً علي بن أبي طالب) وروى عن ابن عباس انه قال لعلي اربع خصال ليست لأحد غيره وذكر منها انه اول عربي وعجمي صلى مع النبي ، وروى مثل

(١) ص ١٠٢ حياة محمد (ص) = الطبعة الأولى .

(٢) ص ٢٤ من كتاب الخلفاء امراء المؤمنين للسيوطي .

(٣) ص ٢٢ الجزء الثاني .

(٤) ص ١١٢ .

(٥) ص ٥٨ .

ذلك عن انس ، وكذلك عن رافع وعفيف ، وروى في الينابيع^(١) تقدم علي في الايمان والاسلام بطرق عديدة عن انس وحبه العرني وابي ايوب الأنصاري ، وابن عباس ، وابي رافع مولى النبي ، وزيد بن ارقم وسلمان الفارسي وعفيف وابن مسعود وعروة وجابر بن عبد الله ، وقد روى الطبري في تأريخه^(٢) ان اول ذكر آمن برسول الله (ص) وصلى معه ، وصدق بما جاء من عند الله علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد عدد من قال ذلك من الصحابة وعقد له فصلاً مطولاً يجدر بالباحث ان يرجع إليه .

وأنت ترى مما تقدم أن سبق علي في إسلامه وإيمانه من الامور الواضحة التي لا مجال للشك فيها لأنه رأي كبار الصحابة ، ورأي الباحثين والمؤرخين ، وكان هذا الأمر معروفاً ومتسماً عليه من الناس جميعاً يذكرونه في كل مناسبة تقتضي ذلك ، فهذا خزيمة بن ثابت الأنصاري — وهو ذو الشهادتين — يقول للامام عليه السلام حين بويع بالخلافة « يا أمير المؤمنين ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك ، ولا كان المنقلب إلاً إليك ، ولئن صدقنا أنفسنا فيك لأنت أقدم الناس إيماناً ، وأعلم الناس بالله ، وأولى المؤمنين برسول الله (ص) لك ما لهم ، وليس لهم ما لك اهـ^(٣) » وهذا عبد الرحمن بن جعل الجمحي يقول حين البيعة من جملة أبيات له^(٤) :

أبا حسن فارضوا به وتمسكوا فليس لمن فيه يرى العيب منطقاً
علي وصي المصطفى وابن عمه وأول من صلى لدي العرش واتقى

(١) ص ٦٠ .

(٢) ص ٥٥ المجلد الثاني .

(٣) ص ١٥٥ الجزء الثاني من تأريخ اليعقوبي .

(٤) ص ٤٨ من كتاب كفاية الطالب للكنجي الشافعي وهو يرى تقدم الامام في الاسلام وعقد لذلك فصلاً .

ويقول الفضل بن عباس من قصيدة له :

وكان ولي الأمر بعد محمد علي وفي كل المواطن صاحبه
وصي رسول الله حقاً وصهره وأول من صلى وما ذم جانبه

ومثل ذلك في الشعر والنثر كثير لا يتسع المجال لذكره .

ونحن إذا رجعنا إلى الستة النبوية المقدسة وجدنا كثيراً من الأحاديث وردت عن النبي الكريم تشهد للامام بالسبق إلى الاسلام ، والتقدم في مضامير الايمان فهذا الخليفة عمر بن الخطاب (ص) يقول ^(١) (كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة إذ ضرب رسول الله (ص) منكب علي ابن أبي طالب فقال (يا علي أنت أول المؤمنين ايماناً ، وأنت أول المسلمين إسلاماً ، وأنت مني بمنزلة هرون من موسى) وعى أبي ذر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي « أنت أول من آمن بي وصدق » ويحدث خبر الامة ابن عباس عن الرسول فيقول « السباق ثلاثة سبق بن يوشع بن نون إلى موسى ، وصاحب يسن إلى عيسى ، وعلي إلى النبي » وبروي سلمان رضي الله عنه عن النبي (ص) انه قال « أول هذه الامة وروداً عليّ الحوض أولها إسلاماً علي بن أبي طالب ^(٢) » وكان عمر بن الخطاب (ص) يقول كفوا عن ذكر علي بن أبي طالب إلاّ بخير فاني سمعت رسول الله (ص) يقول في علي ثلاث خصال وددت أن لي واحدة منهن أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس ثم يسوق الحديث الذي سبق ذكره ^(٣) .

وأنت ترى أن النبي (ص) قد نص على أن امير المؤمنين أولهم إسلاماً

(١) راجع ص ٥٨ من ذخائر العقبي تجدد هذه الأحاديث الثلاثة .

(٢) ص ٢٧ الجزء الثالث من كتاب الاستيعاب وقد روى سبق علي الى الاسلام عن سلمان وابي ذر والمقداد وحياب وجابر وابي سعيد الخدري وزيد بن ارقم وغيرهم .

(٣) ص ١٣٥ من كتاب الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي .

وأقدمهم إيماناً بعبارات بليغة لا تقبل التأويل ، وترى أيضاً انه لا يكتفي بذكر هذه الأسبقية حتى يعلن للناس منزلته ، ويبين لهم مكانته وانه منه بمنزلة هرون من موسى ، وحسبك أن تجد صحابياً كبيراً كعمر يذكر هذه الخصال ، ويشيد بها متمنياً واحدة منها .

وهناك روايات عن الرسول تدلنا على انه أول من صلى كما انه أول من آمن وسبق إلى الاسلام ، فهذا ابن عباس^(١) يقول قال رسول الله (ص) « أول من صلى معي علي بن أبي طالب » وقد صلى علي مع النبي قبل الناس بسبع سنين كما يفهم ذلك من حديث أبي أيوب الأنصاري فانه يقول قال رسول الله (ص) « إن الملائكة صلت علي وعلى علي سبع سنين قبل أن يسلم بشر^(٢) » وإنما صلت عليهم لصلاتهم وقد فسر ذلك حديث آخر ورد عنه (ص) ورواه أبو أيوب أيضاً قال : قال رسول الله (ص) « صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين لأننا كنا نصلي ليس أحد غيرنا يصلي » وروى نظير ذلك عنه ابن عباس وأنس بن مالك .

وهذه الروايات عنه (ص) تؤيد ما ورد عن الامام عليه السلام من أنه أسبق الناس إلى الإيمان أو الصلاة سبع سنين قال عليه السلام « أنا عبد الله ، وأنا أخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، ولقد صليت قبل الناس بسبع سنين^(٣) » ويروي الامام النسائي في خصائصه^(٤) انه قال « أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب ، آمنت قبل الناس بسبع سنين » وروى صلاته سبع سنين ابن الاثير كما سبق ذكره ، وكان كثيراً ما يقول (ع) وهو على المنبر^(٥) « اللهم لا أعرف لك عبداً

(١) ص ٦٢ ينابيع المودة .

(٢) ص ٦٢ الينابيع .

(٣) ص ٦٠ من ذخائر العقبي .

(٤) ص ٣ من الخصائص .

(٥) راجع ص ٣ من خصائص النسائي نجد نظير ذلك .

من هذه الأمة عبّدتك قبلي غير نبيك ، لقد صليت قبل أن يصلي الناس « وإن رجلاً قد آمن بالله وأسلم ، وصدّق وصليّ مع الرسول الأعظم قبل الناس بسبع لحدير أن يكون الصديق الأكبر ، وأي فضل أعظم من هذا الفضل ، يؤمن به وقد كفر الناس ، ويصدّق برسوله وقد كذّبوه ، ويصلي معه وهم عن صلاتهم ساهون .

أمّا صلاته عليه السلام قبل الناس بسبع سنين فلأنه كان ابن ست حينما كفله النبي (ص) وابن ثلاث عشرة حينما أنذر الرسول عشيرته الأقربين ، وبين هذين الزمانين سبع سنوات كان الوصي خلالها يتعبّد بعبادة الرسول ويصلي بصلاته كما هو صريح أحاديثه (ص) التي مرّ عليك شيء منها ، وما كان الناس في ذلك الحين يقيمون للصلاة وزناً ولا يعرفون لها لفظاً ولا معنى .

فتقدم الامام في الاسلام إذن من الامور الواضحة لمن رجع إلى السنة النبوية ، وإلى أقوال الصحابة والتابعين فإن الجميع اوشكوا أن يجمعوا على ذلك ، وهناك رأي حكاه ابن الاثير بنحو من التضعيف فقال « وقيل أول من أسلم أبو بكر (ض) قال الشعبي سألت ابن عباس عن أول من أسلم فقال أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاهما وأعدلهما بعد النبي وأوفاهما بما فعلا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس قدماً صدّق الرسلا

وقال عمرو بن عنبسة أتيت رسول الله (ص) بعكاظ فقلت يا رسول الله من تبعك على هذا الامر قال تبغي عليه حر وعبد ، ابو بكر وبلال ، فأسلمت عند ذلك فلقد رأيتني ربع الاسلام لم يسلم قبلي إلاّ النبي وابو بكر وبلال هـ (١) « هذا كل ما يحتاج به أصحاب هذا الرأي ، وكل ما

(١) ص ٢٢ و ٢٣ من تاريخ ابن الاثير الجزء الثاني .

يروونه في هذا المقام وهو لا ينهض امام ما عرفت من الروايات الوافرة التي صرحت بتقدم الامام علي كل من اعتنق دين الاسلام ، أما رواية الشعبي فانها لا تتفق مع ما علم من رأي ابن عباس فان المؤرخين وكافة المحدثين ذكروا ان ابن عباس من القائلين بأسبقية الامام وقد روى ذلك عن النبي وحدث به الناس كما تقدم ذكره .

وقد ذكر العلامة المحدث الكبير ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب^(١) هذه الابيات في ترجمة ابي بكر ثم روى عن ابن عباس في ترجمة علي ما يدل على انه أول القوم إسلاماً ، وقد أحس بتناقض هاتين الروايتين فحمل استشهاد ابن عباس في الابيات على أمر يرفع هذا التناقض وذلك بأن يكون المقصود ان أبا بكر لم يكن أسبق في الحقيقة والواقع ليحصل التناقض بل أسبق من حيث انه أول من أظهر اسلامه ، ولكنه حمل بعيد لأن ابن عباس كان يعلم تقدم علي في الاسلام ظاهراً وواقعاً ولذلك كان يقول - كما يرويه ابن عبد البر نفسه - « لعلني اربع خصال ليست لأحد غيره هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله الحديث^(٢) » وطبيعي لابن عباس أن يعلم هذا التقدم فان أباه العباس هو الذي حدث عفيفاً بالحديث المشهور المتقدم عنه ، وهو الذي حصر الاسلام بالنبي وخديجة وعلي قائلاً « وأيم الله ما أعلم على ظهر الارض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة » وغير متصور أن يحدث عفيفاً بهذا الحدث العظيم ثم يكتمه عن ولده حبر الامة في حين انه يرغب في نشره واذاعته فالاستشهاد بهذه الابيات اذن - ان صح - فهو محمول عندي على أن يكون المقصود به ان أبا بكر أول بالنسبة إلى الصحابة باستثناء بيت الرسول لأن تقدم خديجة وعلي (ع) وزيد مولى النبي من الامور الواضحة التي لا تحتاج إلى برهان .

(١) ص ٢٨ الجزء الثالث .

(٢) ص ٢٧ الجزء الثالث من الاستيعاب .

فهذه الرواية لا تعارض الروايات الكثيرة التي وردت عن ابن عباس في تقدم الامام عليه السلام ولا سيما إذا علمنا ان الشعبي نفسه يروي هذا التقدم أيضاً كما حكاه العلامة ابن أبي الحديد في شرح النهج قال «على انه قد روي عن الشعبي خلاف ذلك من حديث أبي بكر الهذلي وداود ابن أبي هند الشعبي قال : قال رسول الله (ص) لعلي (ع) هذا اول من آمن بي وصدقني وصلى معي^(١)» .

ولا بد لنا من اسقاط هاتين الروايتين لتعارضهما ، واذا اسقطناهما فلنا في الروايات الكثيرة التي تصرح بتقدم الامام خير حجة ودليل .

واما رواية عمرو بن عنبسة - إن صحت - فالمقصود بها تقدم ابي بكر وبلال على الناس مع صرف النظر عن اسلام خديجة وعلي وزيد، على ان الذي يظهر لي ان الرواية خالية من التصريح باسم الحر والعبد ، وان هذا التصريح انما جاء كتفسير من الراوي حسبما تبادر إلى ذهنه ، ويؤيد ذلك ان العلامة ابن أبي الحديد يحكي لنا في شرح النهج عن كتاب نقض العثمانية للبحاث الكبير العلامة ابي جعفر الاسكاني هذه الرواية خالية من التصريح باسم الحر والعبد قال «عن عمرو بن عنبسة قال اتيت النبي صلى الله عليه وآله بعكاظ فقلت من بايعك على هذا الأمر قال بايعني حر وعبد فلقد رأيتني يومئذ وأنا رابع الاسلام^(٢)» فيمكن - والحالة هذه - ان يكون المقصود بالحر والعبد علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة لأنهما مع خديجة عليها السلام في الرعي الأول ممن سبق إلى الاسلام وأما ما روي عن أبي ذر فلا وجه له فان قوله لم يسلم قبلي الخ ... ظاهر في الحصر حيث لم

(١) ص ٢٥٦ المجلد الثالث .

(٢) ص ٢٥٤ وقد ذكر المؤرخ الكبير اليعقوبي في ص ١٧ الجزء الثاني من تأريخه رواية عن عمرو ابن عنبسة تؤيد ما ذكرناه قال «اتيت رسول الله (ص) اول ما بعث وبلغني امره فقلت صف لي امرك فوصف لي امره وما بعث الله به فقلت هل يتبعك على هذا احد قال نعم امرأة وصبي وعبد يريد خديجة بنت خويلد وعلي بن ابي طالب وزيد بن حارثة اهـ .

يستثنى من المستثنى منه غير من ذكر ، وهذا يخالف ما أجمعت عليه الامة من أن السيدة خديجة عليها السلام تقدمت الناس إلى الاسلام ، على أنك قد عرفت ان أبا ذر قد روى انه سمع النبي يقول لعلي « أنت أول من آمن بي وصدق وإذا كان قد سمع قول الرسول (ص) فكيف يرى خلاف ما يقول؟؟ وهو يعتنق دينه ، ويسير على نهجه القويم .

ومهما يكن من شيء فان ما ذكروه لا يكون حجة على ما ادعوه ، وقد عرفت انه لا يتنافى مع الروايات الصريحة الناطقة بتقدم الامام في مضامير الايمان .

كان الامام (ع) يرى تقدمه على أبي بكر (ص) في الاسلام فهذا سليمان أبو فاطمة ينقل عن معاذة بنت عبد الله العدوية أنها قالت^(١) سمعت علي ابن أبي طالب على منبر رسول الله (ص) يقول « أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر » ، وما كان إسلام أبي بكر بعد إسلام علي ليحصل الشك في أيهما السابق فقد عرفت تقدم زيد عليه كما نص على ذلك ابن هشام وغيره من أصحاب السير ، بل وتقدم أبي ذر في رأي كثيرين ، يقول العلامة السيوطي في كتابه (امراء المؤمنين) نقلاً عن ابن عساكر انه قال محمد بن سعد بن أبي وقاص لأبيه سعد « أكان أبو بكر الصديق أولكم إسلاماً؟؟ قال لا ولكنه أسلم قبله أكثر من خمسة^(٢) » ونقل هذا القول المؤرخ الشهير الطبري في تاريخه^(٣) انه قال له ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ، وأظن انه أراد خمسة ولكن جاء الخطأ في الطبع ، ومهما يكن من شيء فان ذلك صريح بعدم أسبقيته ، وان هناك أكثر من خمسة تقدموه الى الاسلام وسعد بن أبي وقاص صحابي خبير لا يلقي الكلام على عواهنه .

(١) ص ٧٣ من كتاب المعارف لابن قتيبة الدينوري .

(٢) ص ٢٤ من (كتاب امراء المؤمنين) .

(٣) ص ٦٠ من المجلد الثاني .

وروي مرفوعاً عن عمرو مولى عفره قال سئل محمد بن كعب القرطبي عن أول من أسلم أعلي أم أبو بكر قال سبحانه الله علي أولهما إسلاماً^(١) .

أما سن الإمام حين إسلامه فقد اختلف فيه فقيل ابن ثلاث عشرة سنة ، وقيل ابن اثني عشرة سنة ، وقيل ابن خمس عشرة سنة ، وقيل ابن ست عشرة سنة وقيل ابن عشر ، وقيل ابن ثمان ، وكان يرى الراي الأول ابن عمر (ض) فانه يقول «أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن ثلاث عشرة سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين» حكى هذه الأقوال العلامة ابن عبد البر في استيعابه^(٢) نقلاً عن أبي عمر ، أما ابن إسحق فكان يقول أول ذكر آمن بالله ورسوله علي بن أبي طالب وهو يومئذ ابن عشر سنين ، وهذا عندي أصح الأقوال فان الإمام (ع) كان ابن عشر حين إسلامه ، وابن ثلاث عشرة سنة حين إعلان الرسول الدعوة ، وهو أشهر الأقوال .

وقد شاء بعض المنحرفين عن الإمام ان يقللوا من أهمية سبقه إلى الاسلام فقالوا انه صغير السن فلا يقاس باسلام غيره ممن أسلم وهو كبير السن كامل التجارب ، وإذا كان صغيراً فلا يحوز الأولوية والأسبقية في الايمان ، حيث ان الظفر بقصب السبق إنما يكون فرعاً عن جواز الحكم عليه ، أما الجواب على هذه المسألة فانا نتركه للخليفة المأمون العباسي فهو يتكفل ببيانه والاستدلال عليه .

أمر المأمون يحيى بن اكنم - وهو قاضي القضاة - أن يحضر له عدة من الفقهاء ، كل فرد منهم فقيه يفقه ما يقال إليه ويحسن الجواب ، وقد فعل يحيى ما أمره به فصحب معه اربعين عالماً متضلماً في العلم والفقه والكلام ، وقد دارت بينهم وبين المأمون مسائل علمية ومباحث كلامية ، تدل على علم الخليفة العباسي ، وبعد نظره ، وسعة اطلاعه ، وقوة جدله ،

(١) ص ٢٨ الجزء الثالث من الاستيعاب .

(٢) ص ٣٠ الجزء الثالث .

ونحن نقتصر على كلامه معهم فيما يخص إسلام الامام .

يقول يحيى - وقد وجه كلامه إلى العلماء - إن أمير المؤمنين أراد مناظرته في مذهبه الذي هو عليه ، والذي يدين الله به فأجاب العلماء ليفعل أمير المؤمنين وفقه الله ، قال يحيى أمير المؤمنين يدين الله على أن علي بن أبي طالب خير خلفاء الله بعد رسول الله وأولى الناس بالخلافة ، فقال إسحق - وهو أحد العلماء - يا أمير المؤمنين إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين ، فقال المأمون من جملة كلام له « يا إسحق أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله ؟؟ قلت - والقائل إسحق - الاخلاص بالشهادة قال أليس سبق إلى الاسلام ؟؟ قلت نعم ، قال اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول (والسابقون السابقون أولئك المقربون) إنما عني من سبق إلى الاسلام ، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الاسلام ؟؟ قلت يا أمير المؤمنين إن علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم ، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم ، قال أخبرني أيهما أسلم قبل ؟؟ ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال ، قلت علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة فقال نعم فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم لا يخلو من أن يكون رسول الله (ص) دعاه إلى الاسلام أو يكون إلهاماً من الله ؟ قال فأطرقت فقال لي يا إسحق لا تقل إلهاماً فتقدمه على رسول الله (ص) لأن رسول الله لم يعرف الاسلام حتى أتاه جبريل عن الله تعالى ، قلت أجل دعاه رسول الله إلى الاسلام قال يا إسحق فهو لا يخلو رسول الله (ص) حين دعاه إلى الاسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه ؟؟ قال فاطرقت ، قال يا إسحق لا تنسب إلى رسول الله التكلف فإن الله يقول (وما أنا من المتكلفين) قلت أجل يا أمير المؤمنين بل دعاه بأمر الله قال فهل من صفة الجبار جلّ جلاله أن يكلف رسوله دعاء من لا يجوز عليه حكم ؟ قلت أعوذ بالله قال افتراه في قياس قولك يا إسحق إن علياً أسلم

صبيّاً لا يجوز عليه الحكم قد كلف رسول الله (ص) من دعاء الصبيان ما لا يطيقون ، فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ، ولا يجوز عليهم حكم الرسول عليه السلام ، أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول الله ؟؟ قلت أعوذ بالله قال يا إسحق فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله (ص) علياً على هذا الخلق أبانة بها منهم ليعرفوا فضله ، ولو كان الله أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً ؟ قلت بلى قال فهل بلغك ان الرسول (ص) دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرايته لثلاثاً تقول ان علياً ابن عمه ؟؟ قلت لا أعلم ولا أدري فعل أو لم يفعل ، قال يا إسحق أرأيت ما لم تدري ولم تعلمه هل تسأل عنه ؟؟ قلت لا ، قال فدع ما قد وضعه الله عنا وعنك ^(١) « وهذا كلام جيد للغاية يعرفنا منزلة المأمون العلمية ، وقوته في الجدل والمناقشة ، وهذه المحاور تدل على علم غزير ، وفضل عظيم ، واطلاع واسع يجدر بالباحثين أن يرجعوا إليها .

أجل إن دعوة الرسول لعلي ، وابتدائه به دليل أقوى دليل ، وبرهان أسطع برهان على أن الوصي أفضل الناس بنظر الله والنبي لذلك إبتدأه بدعوته قبل الشيوخ والكهول من عشيرته الأقربين ، وما دعا غيره من الفتيان ، وليس هذا إلاّ لما ذكره المأمون (لفضيلة فضل بها رسول الله (ص) علياً على هذا الخلق أبانة بها منهم ليعرفوا فضله) .

أما سبب إسلامه فقد ذكر بعض المؤرخين « انه دخل على النبي (ص) ومعه خديجة رضي الله عنها وهما يصليان سواء فقال ما هذا ؟؟ فقال رسول الله دين الله الذي اصطفاه لنفسه ، وبعث به رسوله فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته ، والكفر باللات والعزى ، فقال له علي هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمراً حتى أحدث أباً طالب ،

(١) ص ٢٨٥ الجزء الثالث من العقد الفريد المطبوع في مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٣ هـ و ١٩٣٥ م .

وكره رسول الله (ص) أن يفشي سره قبل أن يستعلن أمره فقال له إن لم تسلم فاكم هذا ، فمكث علي ليلته ثم إن الله تعالى هداه إلى الاسلام فأصبح غادياً إلى رسول الله فأسلم على يديه ^(١) .

ونستطيع أن نجزم بعدم صحة ذلك حيث أن الامام لم يكن ليخفي عليه أمر النبي قبل البعثة وهو الذي يقول «كنت أسمع الصوت ، وأبصر الضوء سنين سبعا» ورسول الله صلى الله عليه وآله حينئذ صامت ما أذن له في الانذار والتبليغ» وهو الذي صلى قبل الناس سبع سنين كما حدث به عن نفسه ، وصرح بذلك المحدثون فيما تقدم من الروايات المتواترة ، وإذا كان علي يرى النبي ولا يراه غيره ويصلي معه سبع سنين فكيف يقول له هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم؟؟ وكيف يقول فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب؟؟ وهو معروف باطاعته للنبي وانقطاعه إليه حتى ان جبير بن مطعم قال لأولاده كما تقدم في فصل - غرس النبي - «ألا ترون حب هذا الغلام - يعني علياً - لمحمد واتباعه له دون أبيه» على أن الامام لم يكن ليتدين بدين سابق قبل الاسلام ليصعب عليه مفارقة ذلك الدين .

والغريب أن يذكرنا أن النبي صلى الله عليه وآله أمره أن يكتم هذا الأمر إن لم يسلم كأنه كان يخشى منه أن يفشي سره قبل أن يستعلن أمره ، إنه لم يقدمه على شيوخ قريش وكهولها إلا ليعلن للملأ هذه الثقة وكيف يدعو صبيها لم يعجم عوده ، ولم يعرف كنهه ، ولم يخبر أمره ، أيدعوه ليحدث الناس فيفشي سره والنبي لا يزال في الدور الأول من أدوار الدعوة تلك الدعوة التي لم يأمر الله الاعلان بها إلا بعد مرور ثلاث سنين على بعثة الرسول (ص) فدعوته سرّاً لا تتفق مع دعوته لعلّي إلا مع معرفته

(١) ص ١٠٤ من السير للسيد احمد زيني بن دحلان .

بالامام ، واعتقاده التام بكمال عقله ، واخلاصه ونصحه لله وللرسول وللدین الجدید .

ونحن إذا رجعنا إلى تاریخ النبی (ص) نجد هذه الثقة تتجلی باجلی مظاهرها في كل دور من أدوار حياة الوصي ، وما تربيته له في حجره ، واهتمامه بتعليمه وتثقيفه إلاّ دليل على هذه الثقة وكان الرسول الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم يعلن للناس ذلك آمراً لهم أن يسمعوا لأنبياءه ويطيعوا ، وكان الوصي يبرهن في كل أعماله أنه كفؤ كريم لأن يكون محلاً لعنايته وموضعاً لخليل رعايته .



وَزِيرٌ

« إن هذا أخي ووصيي ، ووزيري »
« وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا »
(سيد المرسلين)

عرفت مما سبق أن دعوة النبي الكريم كانت سرّاً ثلاث سنين لا يظهرها إلا لمن كان يثق به من أهل بيته ، وقد أمر الله نبيه بعد هذه السنوات أن يصدع بما يؤمر وأن يبدأ بعشيرته الأقربين (وأنذر عشيرتك الأقربين ، وانخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون) .

أمره أن يبدأ بعشيرته لأن الأقربين أولى بالمعروف ، ولأن عشيرته كان لها المنزلة السامية ، والمقام الرفيع في الدنيا العربية ، فإذا اتبعته ، وصدقت أقواله ، واعتنقت دينه اعترز الاسلام بها وانتصر المسلمون ، وكانت خير عون له (ص) على تحقيق أهدافه ، ونشر مبادئه ،

جاءه أمر الله أن ينذر عشيرته الاقربين فاغتم لذلك الرسول ، وحزن حزناً عظيماً ، وضاق بالأمر ذرعاً فاعتزل في بيته ، وجلس فيه كالمریض فسارعن عمّاته ليعدنه ، ويرون ما حلّ به ، وقد استفسرن منه عن صحته فاجاب « ما اشتكيت شيئاً ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فقلن له فادعهم ولا تدع أبا لهب فيهم فانه غير مجيبك^(١) » وما كان الرسول العظيم (ص) ليجهل أمر أبي لهب وشدة تعصبه ، ولكن أمر الله - وأمره مطاع - يشمل له لأنه من عشيرته الأقربين فلا بدّ إذن من

(١) ص ٢٣ الجزء الثاني من تاريخ ابن الاثير .

دعوته في زمرة من يدعو من عشيرته وأقاربه .

يقول العلامة ابن الأثير في تاريخه « ودعاهم (ص) فحضروا ومعهم نفر من بني عبد المطلب بن عبد مناف فكانوا خمسة وأربعين رجلاً فبادره أبو لهب وقال هؤلاء هم عمومك وبنو عمك فتكلم ودع الصبابة ، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وإن أحق من أخذك فحبسك بنو أبيك ، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أسير عليهم من أن يشب بك بطون قريش ، وتمدهم العرب فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشر مما جئتهم به فسكت رسول الله (ص) ولم يتكلم في ذلك المجلس ، ثم دعاهم ثانية وقال : « الحمد لله أحمدته واستعينه . واؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثم قال إن الرائد لا يكذب أهله ، والله الذي لا إله إلا هو إنني رسول الله إليكم خاصة . وإلى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، وإنها الجنة أبدأ والنار أبدأ ، فقال أبو طالب ما أحب إلينا معاونتك ، وأقبلنا لنصيحتك ، وأشد تصديقنا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم غير أني أسرعهم إلى ما نحب فامض لما أمرت به فوالله لا أزال احوطك وأمنعك غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب ، فقال أبو لهب هذه والله السوء خذوها على يديه قبل أن يأخذ غيركم ، فقال أبو طالب والله لئمنعه ما بقينا^(١) . »

وأنت ترى البون الشاسع بين الكلامين ، فكلام أبي لهب كله تهديد ووعيد ، وكله تثبيت لعزم النبي الأمر الذي الجأ الرسول إلى اتخاذ الصمت في ذلك المجلس ، أما كلام شيخ الأبطح رضوان الله عليه فقد كان مشجعاً له (ص) غاية التشجيع ، وهو طافح بالعطف والحنان ، والحب والإخلاص ، والنجدة والشهامة ، إنه يقبل نصيحته ، ويصدق حديثه ، ويسارع إلى

(١) ص ٢٤ الجزء الثاني من تاريخ ابن الأثير .

ما يُحِبُّ ، ثم هو فوق ذلك يحوطه ويمنعه ، ويذب عنه ما بقي في الحياة ، ويطلب منه أن يمضي لما أمر به ، وما أمر إلاّ بالإسلام دين الله الذي ارتضاه لعباده ، والذي جاء به الرسول مبشراً ونذيراً .

وإذا تدبر القارئ الكريم كلمات أبي طالب ، وعرف الهدف الذي تستهدفه جزم من غير شك ان الحملة التي تقول (غير ان نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب) ليست من كلامه في شيء ، وإنما هي من وضع الرواة ، فان الذي يقول أمض لما أمرت به ، ويقول له غير اني أسرعهم إلى ما تحب لا يفوه بمثل هذه العبارة أبداً ، إذ أنها لا تلتئم مع تصديقه لحديثه ، كما انها تتنافى كل المناقاة مع المسارعة إلى ما يحب وهذا ظاهر لمن عرف أساليب الكلام .

ويحدثنا العلامتان الطبري في تأريخه^(١) وابن الأثير في كامله^(٢) عن ابن عباس عن الامام علي عليه السلام قال « لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) وأنذر عشيرتك الأقربين دعاني رسول الله (ص) فقال لي يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً ، وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما اكره فصمت عليه حتى جاءني جبريل فقال يا محمد إنك إلاّ تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعاً من طعام ، واجعل عليه رجل شاة ، واملاً لنا عُسّاً^(٣) من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى اكلمهم وابلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه أبو طالب وحَمْزة والعباس وأبو لهب ، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعت تناول

(١) ص ٦٢ من الجزء الثاني .

(٢) ص ٢٤ من الجزء الثاني .

(٣) العس القدح او الاناء الكبير .

رسول الله (ص) حذية من اللحم^(١) فشققها باسنانه ثم القاها في نواحي الصفحة ثم قال خذوا بسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة ، وما أرى إلا موضع أيديهم ، وأيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل منهم ليأكل ما قدمت بجمعهم ، ثم قال اسق القوم فجثتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا منه جميعاً ، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله (ص) أن يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام فقال : لقدماً سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله (ص) فقال الغد يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن اكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلي قال ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فاكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ثم قال اسقهم فجثتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً ثم تكلم رسول الله (ص) فقال يا بني عبد المطلب اني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بافضل مما قد جثتكم به ، اني قد جثتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يوازرني على هذا الامر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم قال فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت واني لأحدثهم سناً ، وأرمصهم^(٢) عينا وأعظمهم بطناً ، وأخمشهم ساقاً أنا يا نبي الله اكون وزيرك عليه فأخذ برقيتي ثم قال إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا ، قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(٣) .

(١) حذية من اللحم اي قطعة من اللحم .

(٢) الرمص وسخ ابيض في مجرى الدمع من العين ، والذي يظهر أنه عليه السلام كان ارمد العين حين الصورة .

(٣) ذكر هذا الحديث بهذا التفصيل ايضاً العلامة علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي في السيرة الحلبية ص ٣٢٢ من الجزء الاول وقال ان النبي قال لعلي (فانت اخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي) =

وإننا لنلمس من هذا الحديث عظمة الوصي ، ومكانته السامية من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأنت ترى ان الرسول الأعظم يشكو إلى أخيه هَمَّه وما نزل به ، ذاكراً له ما أنزل الله عليه من إنذار عشيرته الأقربين وما وعده جبريل من العذاب إن لم يفعل ما أمره به ، ولم يكن سن الإمام يومئذ يزيد على الثالثة عشرة ، ولكنه مع هذا السن يخلد النبي إليه بثقته ، ويقبل عليه في حديثه ، ويطلعه على دقائق سره ، ثم يؤكد هذه الثقة طلبه منه أن يجمع له بني عبد المطلب على طعام يصنعه لهم ليبلغهم الرسول أمر الله ، وقد تكرر هذا الطلب في الدعوة الأولى والثانية ، وفي ذلك من الاعتماد على اخلاص الإمام ، والثقة به وبحكمته ما لا يخفى على القارئ الكريم ، وإن ندبه لهذه المهمة — وفي عشيرته مَنْ هو اكبر منه سناً وأعظم منزلة وشأناً يومئذٍ — لأكبر دليل على هذه الثقة المتبادلة بين النبي والوصي .

وقد تجلت هذه الثقة بان جعل علياً أخاه ووزيره في حياته ، واتخذ

= (من بعدي) وذكره المؤرخ الثبت ابو الفداء في الجزء الاول من تأريخه ص ١١٦ ونقله العلامة الجليل ابو جعفر الاسكافي المعتزلي في كتابه نقض العُتْبَانِيَّة كما في ص ٢٦٣ المجلد الثالث من شرح النهج ، وفي ص ١١٥ من سيرة احمد زين الدين دحلان المطبوعة مستقلة وفي ص ١٩٥ من السيرة ايضاً المطبوعة على هامش السيرة الخلبية وفي ص ٢٥٥ المجلد الثالث من شرح النهج ، واخرجه الامام احمد بن حنبل ص ١١١ وص ١٥٩ الجزء الاول من مسنده ، واخرج في ص ٣٣١ منه حديثاً عن حبر الامة عبد الله بن عباس يتضمن هذا النص في عشر خصائص عددها للامام ، واخرجه النسائي ايضاً عن ابن عباس ص ٦ من الخصائص واخرج حديث الدار المتقدم في منتخب الكنز المطبوع بهامش مسند احمد ص ٤١ الى ص ٤٣ وتجده ايضاً في ص ٨٩ من كتاب كفاية الطالب في مناقب امير المؤمنين علي بن ابي طالب واورد هذا الحديث الاستاذ الدكتور محمد حسين هيكل في ملحق جريدة (السياسة) عدد ٢٧٥١ الصادر في ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٥٠ هـ في العمود الثاني من الصفحة الخامسة ونقله مفصلاً في العمود الرابع ص ٦ من ملحق عدد ٢٧٨٥ من السياسة نقله عن كل من مسلم في صحيحه واحمد في مسنده وعبد الله بن احمد في زيادات المسند ، وابن حجر الهيتمي في جمع الفوائد ، وابن قتيبة في عيون الأخبار ، واحمد بن عبد ربه في العقد الفريد ، وعمرو بن بحر الجاحظ في رسالته عن بني هاشم ، وعن ابي اسحق الثعلبي في تفسيره اه .

وصياً وخليفة على الامة من بعد وفاته ، كما هو صريح قوله « إن هذا اخي ووصيي ، وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا » .

فانظروا إلى هذا الشاب الذي جاء قومه بنجر الدنيا والآخرة كيف يعقد البيعة لهذا الغلام في أول يوم من أيام الاسلام ، وكيف يتكاتف الاخوان ، ويشتركان في بعث الامة العربية ، ويتعاونان على إرجاع مجدها الغابر وعزها الدائر .

إن النبي العربي الذي واجه قومه بهذا الدين الجديد يناشدهم ان يؤازروه جميعاً على هذا الأمر العظيم الذي يحتاج إلى كثير من العناية والمعونة ، ولكن القوم يحجمون خائفين ، يخشون أن تثب به بطون قريش ، وتمدهم العرب ، وليس لهم بالعرب قاطبة طاقة ، أما علي الفتي اليافع - وهو أصغر القوم سناً - فلا يخيفه هذا الأمر ، لذلك نراه يقول (أنا يا نبي الله اكون وزيرك عليه) يقول ذلك بلغة المطمئن المؤمن غير ملتفت إلى احجامهم ، ولا منتظر لكلامهم ، وقد قابل الرسول (ص) هذه المؤازرة بالقبول ، فأخذ برقبة أخيه وأكد لبني أبيه أن علياً اخوه ووصيه وخليفته فليسمعوا له وليطيعوا ، مقدماً هذا الفتي على عشيرته وفيهم مثل شيخ الأبطح والحمزة والعباس وشيوخ قريش وسراتها .

يفوز هذا الناشئ بالسبق إلى المؤازرة ، ويحظى من النبي العظيم (ص) بهذه المنزلة السامية وهو في فجر حياته ، ومقبل عمره ، وما ذلك إلا لأنه كفؤ كريم لمثل هذه الثقة ، وأهل لهذا المنصب الرفيع الذي أعده الله له .

يصبح هذا الفتي - وهو في سن الصبي - وزيراً مسؤولاً يؤازر الرسول في أمره ، ويشاطره في مهمته ، ويشاركه في أفكاره وخططه ، وفي كل ما يعود للامة الاسلامية من خير وسعادة وخلود .

قد يذهب الى ذهن البعض أن الامام لم يفز بالوصية والخلافة العامة

إلاّ لأنه أظهر استعداداً للموازرة دون غيره ممن أحجم عنها ، وهذا احتمال قد يبدو وجيهاً لأول نظرة ، ولكن الحق انه احتمال في غاية الضعف لأن الرسول (ص) حكيم عظيم لا تصدر أعماله إلاّ عن حكمة عالية ، وتدبر وتبصر في الامور وعواقبها ، فالنبي (ص) لا يتخذ للوزارة طفلاً صغيراً لا يفقه الحياة ، ولا يعرف المسؤولية لأن العبء الثقيل لا يقوم به إلاّ نبي أو وصي نبي ، وهذا ما يجعلنا نعتقد كل الاعتقاد أن علياً كان انساناً فوق الانسان ، وبشراً فوق البشر ، فإن الانسان - حسب العادة - لا يكون بهذه المنزلة وهو في سن الفتى الصغير ، ويدلنا أيضاً على أن الوصي انسان يعده الله للوصاية ، كما أن النبي انسان يعده الله للنبوّة ، وهما يوم ولدا مهياًّ لهذين المنصبين الروحانيين الرفيعين .

كانت دعوة النبي إلى النبوّة والامامة في وقت واحد ، ومجلس واحد ، لأن الاسلام إنما يقوم بهما . والايمان إنما يتم بالتمسك والاعتصام بحبلهما ولا شك أن الله عز وجل هو الذي أمر النبي (ص) باسناد الخلافة إلى الوصي ذلك لأن الله تعالى تقدست أسماؤه قد أمر رسوله أن يصدع بما يؤمر ، وقد صدع بذلك فبيّن لهم منزلة أخيه ليعرفوا حقه ، وليعلموا انه الخليفة بعده فلا يختلف الناس فيه .

والغريب أن تختلف الامة بعد وفاة النبي فتتنقسم إلى فرقتين ، فرقة تقول بوجود النص على الامام ، وفرقة تقول بان النبي لم ينص وإنما ترك الامة بعده تختار من تشاء في حين أنها تقرّأ مثل هذا النص الواضح ، وأي نص أوضح من أن يقول انه وزيره ، ووصيه وخليفته ، وهل توجد في معاجم اللغة العربية عبارة أدل على المقصود وأوضح في الدلالة على الخلافة من وزير ووصي وخليفة ليأتي بها النبي وتفهم منها الخلافة !!!

أجل نص الرسول الأعظم عليه بالخلافة ولم يكن الدافع على ذلك استعداد الوصي للموازرة لأن هذا لا يكفي في استحقاق الخلافة العامة ،

ولو ان اظهر الاستعداد هو الدافع للرسول العظيم إلى اتخاذ ذلك الموقف تجاه أمير المؤمنين عليه السلام لكان شيخ الأبطح أحق بالأمر فقد أظهر استعداده لموازنة النبي وأقسم ان يمنعه ويحوطه ما بقي كما تقدم ذلك في إحدى الدعوات التي دعاهم اليها النبي (ص) .

ولكن الرسول لم يقل لقومه (ان هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا) في حين ان اسناد الخلافة إلى مثله لم يكن من المستبعد في نظر قریش لأنه الزعيم المقدم والسيد المطاع ، ولو فعل ذلك لما استهزأ قومه به كما فعلوا في خلافة ابنه ، ولكن النبي الكريم (ص) مع علمه بهذا الاستهزاء ، واعتقاده باستعظامهم لهذا الأمر مضى لما يؤمر به ونص على خلافة ابن عمه غير ملتفت لما يحوطه من إستبعاد وإستهزاء ، ولعله صلى الله عليه وآله إنما ضاق ذرعاً بالأمر وصمت عليه لتكليف الله تعالى له ان ينص على خلافة علي (ع) في بدء الدعوة ، وفجر الاسلام ، وكان يعلم (ص) أنه إن فاتحهم بهذا الأمر سيواجه منهم ما يكره ، ويؤيد ما ذهبنا إليه ان الرسول (ص) لم يذكر في هذه الدعوة أصلاً من اصول الدين ، ولا فرعاً من فروعه غير النص على خلافة ابن عمه مما يشعر بان هذه الدعوة إنما عقدت لهذه الغاية خاصة ، ولو ان النبي (ص) كان في فسحة من امره لما نص على خلافة الوصي في بدء الدعوة لأن الدين الاسلامي بدئ غريباً ، وهو لا يزال في اول ادوار بزوجه فمن الصعب جداً ان يفاجأهم بأمر يستغربونه ويرونه مستحيلاً ، ولكن الله عز وجل أراد عز شأنه أن يعلم الناس ان الدين قوامه النبوة والامامة ، فاذا عرف المسلم النبي وجب ان يعرف وصيه والقائم بالأمر بعده ، ولا يمنع من ابداء ذلك إستهزاء المستهزئين وضحك الضاحكين فإنهم إن استهزؤا بالوصي فقد استهزؤا بنفس النبي ، واستهزؤا من كان قبلهم بالنبين أجمعين .

ويهون الخطب على النبي (ص) علمه بأن الوصي سيقضي على استهزاء

المستهزئين بما سيظهر لهم من علم غزير ، ورأي صائب ، وجهاد في سبيل الله متواصل الأمر الذي يضطرهم للاقرار بعظمته طائعين أو كارهين .

كان الرسول الكريم صلى الله عليه وآله يرى علياً وزيره قبل أن ينذر عشيرته ، وقبل أن يدعو أحداً الى الاسلام ، انه يراه وصيه في أول لحظة نزل الوحي عليه كما تدل على ذلك كلمته البليغة التي مرت في نشأته فقد قال عليه السلام « أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزول الوحي عليه صلوات الله عليه فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد آيس من عبادته . انك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا إنك لست بنبي ولكنك وزير ، وانك لعلي خير » وكان الامام حينئذ ابن عشر سنوات ، ولكنه مع ذلك نراه صلى الله عليه وآله يخاطبه بتلك الكلمات التي يخاطب المثل بها مثيله والند نده إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى أي لا فرق بيني وبينك فيما تسمع وترى ، وهذه منزلة لا تكون إلا لنبي لذلك استثنى النبوة لثلاثيهم انه مثله في كل شيء ثم استدرك فثبت له الوزارة ، وأكد له انه على خير (ولكنك وزير ، وإنك لعلي خير) وليست الوزارة إلا عبارة عن الخلافة العامة .

فعلي وزير النبي (ص) في أول ساعة نزل الوحي عليه كما حدثه بذلك الرسول ولا شك ان حادثاً عظيماً كهذا لا يجوز إغفاله وكتمه عن والد بار كأبي طالب رضوان الله عليه ، ويدلنا على معرفته بهذا الأمر احجامة مع من أحجم عن المؤازرة حينما طلب النبي ذلك من قومه في الدعوة التي أقامها لهم علي عليه السلام ، أحجم عن هذه المؤازرة حينئذ في الوقت الذي أبدى استعداداً لمعونة النبي (ص) ببيان رائع طافح بالنجدة والشهامة في مجلس آخر حضره هؤلاء جميعاً قبل اقامة هذه الدعوة ، فاحجامة إذن في هذه المأدبة دليل على انه عرف من هذه المؤازرة مؤازرة خاصة يستحق

بها الخلافة العامة ، وهي إنما تكون بنص من الله تعالى وقد سبق النص على خلافة الامام ووزارته حين نزول الوحي عليه (ص) ، وإلا فان شيخ الأبطح كان بالاضافة لمؤازرته كافلاً وحامياً ، وناصرأ ومدافعأ طيلة حياته كما يتضح ذلك لكل من رجع إلى تأريخه وتاريخ النبي الكريم (ص) ، والرسول إنما طلب المؤازرة على نحو العموم ليظهر فضل علي في إقدامه وإحجامهم فقد كان (ص) على علم من انه لا يسارع إلى هذه المؤازرة الخاصة إلا علي الذي عرف كنهه وعجم عوده ، ذلك الفنى اللامع الكمي الذي يسارع إلى اقتحام كل عقبة كئود تعترض سير الرسول ، وتقف حجر عثرة في سبيل مبادئه ، ونشر آرائه .

وقد فهم أمير المؤمنين عليه السلام مما تقدم من قول النبي صلى الله عليه وآله أنه خليفته ووارث سلطانه ، فهذا ربيعة بن ناجد يروي : ان رجلاً قال لعلي (ع) يا أمير المؤمنين بم ورثت ابن عمك دون عمك ؟؟ فقال علي هاؤم ثلاثة مرات حتى اشرأب الناس ونشروا آذانهم ثم قال « جمع رسول الله (ص) أو دعا رسول الله بني عبد المطلب منهم رهطه كلهم يأكل الخدعة ، ويشرب الفسرق^(١) قال فصنع لهم مدأ من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس ، قال ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس ولم يشربوا قال ثم قال يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم بخاصة ، وإلى الناس بعامة وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم فأياكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي ، فلم يقم إليه أحد ، فقمتم إليه وكنت أصغر القوم قال فقال أجلس ، قال ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي أجلس حتى كان في الثالثة

(١) الخدع من البهائم ما قبل الشئ والجمع جذاع وجذعان بضم الجيم وكسرهما والاثني جذعه والجمع جذعات والفرق مكيال بالمدينة يسع ثلاثة اصوع او ستة عشر رطلا او اربعة ارباع. والتمر قرح صغير ، وقيل اصغر الانداح والجمع غار وأغار .

فضرب بيده على يدي ، قال فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي ^(١) .
والغريب أن نجد ابن خلدون في تأريخه ^(٢) يذكر هذه الدعوة - دعوة
علي لبني عبد المطلب ثم لا يزيد على قوله « فجمع بني عبد المطلب
وهم يومئذ أربعون على طعام صنعه لهم علي بن أبي طالب بأمره - أي
بأمر الرسول - ودعاهم إلى الاسلام ، ورغبهم وحذرهم وسمعوا كلامه
وافترقوا » وابن خلدون متأخر عن المؤرخين الشهيرين الطبري وابن الأثير ،
فهو إنما يأخذ عنهما ويستمد من تأريخهما ، ولكن شاءت ميوله وعواطفه
أن يخزل الحديث هذا الاختزال المخل ، والأغرب من ذلك أن نجد أيضاً
اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي يذكر في كتابه (البداية والنهاية في
التأريخ) هذه الدعوة مفصلاً كما ذكرها المؤرخان الطبري وابن الأثير
غير أنه يضع مكان الكلمتين وصيي وخليفتي قوله كذا وكذا فيقول قال
الرسول « فأياكم يوأزرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا
قال فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت وأنا أحدثهم سناً وأرمصهم عيناً ،
وأعظمهم بطناً وأنمشهم ساقاً أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ
برقبتي فقال إن هذا أخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا قال فقام القوم
بضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لأبنك وتطيع ^(٣) »
وفي ذلك من الاجحاف وكتمان الحق ما لا يحتاج إلى تعليق ، وإننا لنعذر
هؤلاء بعض العذر فان الظروف المكتنفة بهم قد تلجؤهم إلى اتخاذ مثل
هذه الخطوة ، ولكن ما بال كتاب هذا العصر - وهم بعيدون كل البعد
عن تلك الظروف - يقتفون أثر اولئك ، وليس ثمة حاجة إلى التنكب
عن الطريق فهذا الدكتور هيكل يقول في كتابه (حياة محمد) عند ذكره

(١) ص ٦٣ وص ٦٤ من تأريخ الطبري الجزء الثاني وص ١٨ من خصائص الامام النسائي المتوفى
سنة ٨٣٠٣ .

(٢) ص ٧ الجزء الثاني من تأريخ ابن خلدون .

(٣) ص ٢٨ الجزء الثالث من كتاب (البداية والنهاية في التأريخ) .

لهذه الدعوة « دعاهم محمد في الغداة كرة أخرى فلما طعموا قال لهم ما أعلم انساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به ، قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه فأياكم يوأزني على هذا الامر وأن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم ؟؟ فاعرضوا عنه وهموا بتركه لكن علياً نهض وما يزال صبيّاً دون الحلم وقال أنا يا رسول الله عونك أنا حرب علي من حاربت فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضهم ، وجعل نظرهم ينتقل من أبي طالب إلى ابنه ثم انصرفوا مستهزئين^(١) » وأنت ترى ان الاستاذ هيكلم لم يذكر قول الرسول - بعد أن أظهر علي موازرتة - (إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم) كما انه يظهر من العبارة التي نقلها ان ضحكهم واستهزاءهم إنما نشأ من نهوض علي وقوله له أنا حرب علي من حاربت في حين ان المؤرخين قاطبة ذكروا انهم إنما ضحكوا لقول الرسول مخاطباً قومه (اسمعوا له وأطيعوا) كما يفهم ذلك واضحاً من العبارة الأخيرة (فقاموا يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع) وهذه خصوصيات بارزة في هذا الحديث لا ينبغي للباحث إغفالها وهي تدل دلالة واضحة على منزلة الوصي الرفيعة في نظر النبي صلى الله عليه وآله ، كما انها هي المهمة من حديث الدار لأنها نص على خلافته ووصايته على الامة من بعده ، وليس للدكتور أي عذر في حذف هذه المميزات البارزة التي بينها النبي لقومه لاطلاعه على هذا الحديث مفصلاً في كثير من المصادر الموثوقة ، والغريب أنه قد أشار إليها على نحو التفصيل في ملحق السياسة قبل طبع كتابه (حياة محمد) كما بينا ذلك في الهامش سابقاً عند انتهائنا من نقل حديث الدار فقد نقلها تفصيلاً في ملحق السياسة ثم ذكر الحديث في كتابه (حياة محمد) على هذا النحو من الاقتضاب مغفلاً هذه المصادر .

ولم يقتصر الدكتور على ذلك فقد حذف في الطبعة الثالثة قول النبي أيضاً (وأن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم) فجاء مبتور الصدر

(١) ص ١٠٤ من كتاب حياة محمد الطبعة الاولى .

والذيل كما يتضح لكل من رجع إلى هذه الطبعة ، أما الأسباب التي دفعت الدكتور الفاضل إلى ذلك فلا يعلمها إلا الله والدكتور والراسخون في العلم .

وما كنا نظن ان الدكتور يميل هذا الميل عن التأريخ وهو المعروف بعلمه وفضله وسعة اطلاعه ، وجدير بباحث مثله يتزعم الحركة الفكرية في مصر أن يكون قائداً أميناً للشباب يسير بهم على الطريق الواضح ، والمحنة البيضاء ، ويعلمهم ما جهلوه من تأريخ الأجداد والآباء بقلم نزيه وضمير حي ، يبرز الأشياء كما هي ويجلوها لهم صورة واضحة يحببها للنفوس الجائعة ، ولعل الدكتور المفضل يتدارك هذا الخطأ في طبعة أخرى ، ولولا ثقتنا به ، واعتمادنا على عظيم فضله لما وجهنا له هذا النقد البريء .

واخال أنني استطعت بما قدمت من الكلام أن اوقف القارئ الكريم على الأسرار التي تضمنها حديث الدار ، وليس هذا الحديث فحسب ينص على وزارة الوصي للنبي (ص) وإنما هناك أحاديث كثيرة واضحة الدلالة صحيحة السند تنص على هذه الوزارة أيضاً ، وتشيد بذكره عليه السلام ، فقد كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يذكر للناس فضل الامام في كل مناسبة ، ويبين لهم منزلته منه مؤكداً ذلك ومكرراً في شتى الأحوال ، وفي مختلف الظروف ، وكان (ص) بين حين وحين يترك للامة كلمة مدوية يخلدها التأريخ ، وتردها الأجيال ، وهي بمجرد تدل دلالة واضحة على ما للامام من منزلة سامية في نظر النبي (ص) كلما رواها التأريخ ، وسمعا الناس ، وتلاها التالون .

وكانت عواطف النبي القياضة التي كانت تظهر للناس بأمر من الله في حديثه ووصاياه تؤجج نار الحسد والشأن في قلوب المنافقين الذين كانوا يتربصون بعلي الدوائر ، ويبغون له الغوائل ، ولكن حب النبي (ص) وفضل الوصي (ع) كان كل ذلك يمنع هؤلاء من الغمز والطعن فيصمتون على مفض يتحينون الفرص ، وينتظرون الوقت الملائم للوثبة والوقية .

وقد حسب هؤلاء أن الفرصة قد سنحت لهم عندما أمر النبي (ص) علماً أن يخلقه على أهله في غزوة تبوك ، فاذاعوا أن الرسول الأعظم (ص) ما تركه إلا استثقلاً منه ، يقول العلامة أبو الفداء في تأريخه (١) « استخلف رسول الله (ص) على أهله علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه إلا استثقلاً له فلما سمع بذلك علي أخذ سلاحه ولحق بالنبي (ص) وخبره بما قال المنافقون فقال له النبي (ص) كذبوا وإنما خلفتك لما ورأيتي فأرجع فأخلفني في أهلي » أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . »

لم يكن الوصي ممن يشك في منزلته عند النبي (ص) وهو ذو المنزلة الرفيعة التي لا يجهلها أحد من المسلمين . ولكنه عليه السلام أراد أن يظهر كذب هؤلاء لثلاث يغتر البسطاء في أقوالهم ويخدعوا في أكاذيبهم لذلك تراه يلتحق به ويقص عليه ما أذاعوه فيجيبه (ص) (كذبوا وإنما خلفتك لما ورأيتي فأرجع فأخلفني في أهلي) ويدل هذا الجواب على عظيم ثقة الرسول به . وتتجلى هذه الثقة بوضوح في قوله له كما يرويه ابن عباس « إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي (٢) » .

أجل ان المصلحة الاسلامية العامة كانت تفرض بقاء علي عليه السلام لأن صيانة البلد الأمين ، ورعاية البيت الكريم أمران مهمان في نظر الرسول (ص) وهو يعلم جد العلم أنه لا يمكن أن يقوم بهذا العبء الثقيل غير الامام ، والامام هو البطل الكمي الذي يحمي الثغور ، ويرد عادية الدهور ، ويكبح جماح العدو إذا أراد سوءاً بالبلد والأهل ، أو المسلمين .

وبقطع النظر عن ذلك فهو امام يعلمهم الفقه ، ويهديهم السبيل ، ويرشدهم إلى ما فيه الصلاح من امور الدنيا والدين ، وإلى ذلك أشار (ص)

(١) ص ١٤٩ الجزء الاول .

(٢) ص ٩ من خصائص الامام السائي .

(انه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفة) لأنه عليه السلام إذا ذهب مع النبي فانه لا يخلفه في ذلك أحد إذ ليس في الصحابة - فيما نعلم - رجل مرعي الجانب كعلي (ع) يحمي الزمار ، ويرعى الجار ، ويخشى العدو سطوته ، وكان علم العدو ببسالة الامام وشدة بأسه عاملاً قوياً في إحجامه عن كل ما يكره الوصي ، فبقاؤه عليه السلام إذن مصلحة من مصالح الاسلام ، ولكن المنافقين أرادوا ان يستغلوا هذا التخلف فأشاعوا ما أشاعوا ، غير انهم أرادوا شيئاً وأراد الله شيئاً آخر ، فكان ما أراده الله ، وكان ارجافهم في الوصي (ع) هذا الارجاف سبباً في اظهار فضله عليه السلام ، فقد قال (ص) فيه (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) فأثبت له كل منزلة كانت له إلا النبوة ولو كانت ثمة منزلة لم تكن له لاستثناها النبي كما استثنى النبوة ومن المعلوم ان هرون كان خليفة عن أخيه يخلفه في قومه كما هو صريح قوله تعالى (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) فان موسى عليه السلام قد طلب خلافة أخيه من الله عز وجل فقال (واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري) فكان ما أراد كما يقرره قوله تعالى (قد اوتيت سوئلك يا موسى) فعلي اذن من محمد (ص) كهارون من موسى عليهما السلام وزير للنبي يشركه في أمره ويخلفه على امته كما يفهم ذلك من قوله له « انه لا ينبغي أن اذهب إلا وأنت خليفة » ولم يقتصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا التصريح في غزوة تبوك فقط بل قد تكرر منه في عدة موارد كما يتضح ذلك للباحث المتتبع فتارة تراه يتكئ على علي (ع) ضارباً بيده على منكبه وهو يقول « يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً ، وأولهم إسلاماً ، وأنت مني بمنزلة هرون من موسى » يقول ذلك بمحضر أبي بكر وعمر وأبي عبيدة كما تقدم ذلك منا روايته في فصل (السابق إلى الاسلام) ولم يكن المقام مقام خطابة ، ولا الموضوع

موضوع علي ولكن الرسول الكريم (ص) كان حريصاً على اظهار فضل الامام وقد رأى جماعة من اصحابه فأحب أن يعرفهم منزلته وأسبقيته ليحتل في انفسهم المقام اللائق به .

وتارة تراه يقول لام سليم « يا ام سليم إن علياً لحمه من لحمي ودمه من دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى ^(١) » وهو (ص) انما يتحدث بها الحديث لتحديث الناس بذلك ، فقد كانت ممن تعي الحديث وتفقهه وتحدث به ، وكانت على جانب عظيم من العقل والفضل والدين .

وهكذا نراه (ص) يصرح بهذه المنزلة عند مؤاخاته للمهاجرين خاصة . وفي المؤاخاة الثانية التي كانت بين المهاجرين والانصار فإنه (ص) كان في كلتا المرتين يختار علياً لنفسه ويقول له : انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي .

والاحاديث الصريحة بمنزلة الامام كثيرة يعرفها المتتبع ، ومن اراد الوقوف على ذلك تفصيلاً فليرجع الى كتاب المراجعات فانه لا غنى للباحث عن مطالعته والرجوع اليه ^(٢) .

(١) صفحة ٣١ من منتخب الكثر .

(٢) المراجعات كتاب من اجل الكتب قديماً وحديثاً ، يجد المطالع فيه ما يشاء من علم وادب وحكمة وفلسفة ، معبرهان ساطع ، وبيان رائع ، واطلاع واسع ، ويعد مؤلفه الامام السيد عبد الحسين شرف الدين من اكبر علماء الاسلام واشهرهم ، وهو من سدد بمؤلفاته وكتابات المذهب الجعفري واعل كلمته ، ورفع بين الامة منزلته ، وساحة السيد لا يبارى ولا يشق له غبار في المواضيع الكلامية والمباحث الاسلامية ، وتمتاز كتاباته بالحجة القوية ، والعلم الغزير ، والبيان البليغ المتعالي في الفصاحة واشراق الديباجة ، والمراجعات من هذا النوع آية الآيات ومعجزة المعجزات .

الإِمَامُ وَالهِجْرَةُ

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ »

(القرآن الكريم)

كان رسول الله صلى الله عليه وآله في حياة عمه أبي طالب في كهف
حصين من رعايته وحصن منيع من عنايته ، يمنعه ويذب عنه ، وينصره
بقلمه ولسانه وهو القائل له :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتى اوسد في التراب دفينا
ودعوتني وعلمتُ أنك صادق	ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد علمتُ بانه	من خير أديان البرية دينا

وقد علمت قريش من هذا الشعر الطافح بالايمان والعقيدة انه ليس
بقول شاعر يقول الشعر للخيال ، وإنما هو عقيدة راسخة يبرزها اللسان
بعد أن كانت حقيقة يقرّها الجنان ، وهذا ما حدا بقريش أن يتعاهدوا
ويتعاهدوا جميعاً على مقاطعة بني هاشم في صحيفة ظالمة غاشمة ،
ولكن قريشاً على تكاتفها واجتماعها على الوقية بالنبي فانها مع ذلك لن
تستطيع أن تصل بسوء إليه ما دام أبو طالب إلى جنبه يحوطه ويمنعه ويرعاه
ويذب عنه ، وأبو طالب كما تعلم مرعي الجانب لزعامته وجلالة قدره ،
ومكانته السامية في قومه .

ولكن سرعان ما فجع النبي (ص) بفقد عمه فحزن لذلك حزناً عظيماً
ولا سيما ان هذه المصيبة العظيمة والكارثة المؤلمة أصابته بعد فقد السيدة
خديجة بثلاثة أيام الأمر الذي جعله (ص) يطلق على ذلك العام (عام

الأحزان) وقد عبّر (ص) عن شعوره بهاتين المصيبتين الجليلتين بقوله الحزين (اجتمعت على هذه الامة في هذه الأيام مصيبتان لا أدري بايها أنا أشد جزعاً^(١)) فجعل مصابهما مصاباً عاماً يشمل الامة باجمعها ، وجدير بمثل أبي طالب وخديجة أن يكون مصابهما كذلك فقد خدما الامة الاسلامية والنبي الكريم خدمات جليلة ستبقى خالدة ما خلد الدهر .

نعم فقد النبي شريكة حياته التي كانت تشاطره همومه ، وتبذل الغالي والرخيص في سبيل راحته ، وفقد ذلك الأب العطوف الذي كان يحذب عليه في طفولته ، والذي كان يجاهد ويناضل في سبيل نشر دعوته واعلاء كلمته ، فسرّ هذا المصاب المنافقين واعتقدوا أن النبي الكريم سيضعف عزمه عن مواصلة جهوده إذ أنهم لا يرون له ناصراً غير أبي طالب وقد صرعه المنون ، وما دروا أن الله سينصر هذا الدين بعلي ذلك المجاهد المخلص الذي سيقهر عتاتهم ، ويجندل بحسامه أبطالهم .

أجل أصيب النبي بهذا الرزء الفادح فنشط المنافقون وبات عند ذلك المسلمون في خوف ووجل ، وطفق الكافرون يوجهون إليهم أنواعاً من الأذى ، وأشكالا من العذاب ، الأمر الذي ألجأ المسلمين أن يهجروا أوطانهم فرحين مستبشرين .

نعم فكّر المسلمون بالهجرة إلى يثرب لأن في يثرب مسلمين مثلهم عاهدوا النبي على « أن يمنعوه وأهله مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم ، وعلى أن يحاربوا معه الأسود والأحمر وأن ينصروه على القريب والبعيد وشرط صلى الله عليه وآله لهم الوفاء بذلك والجنة^(٢) » وهذه العصبة الصالحة قد أطلق عليها الرسول اسم (الأنصار) ذلك أنهم هم الذين آزره

(١) ص ٢٦١ الجزء الثاني من تاريخ اليعقوبي .

(٢) ص ٢٨ الجزء الثاني من تاريخ اليعقوبي .

على بث دعوته ، وأعانوه على نشر مبادئه ، والحق ان للانصار اليد البيضاء على هذا الدين الاسلامي الحنيف ، والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يدينون لهم بهذه اليد البيضاء المشكورة .

أذن الرسول لأصحابه أن يهاجروا إلى المدينة وأن يلحقوا باخوانهم الأنصار ، وقد قال لهم (إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها^(١)) فخرجوا أرسالاً^(٢) وأقام رسول الله (ص) بمكة ينتظر أن يأذن له ربه بالخروج .

هال قريشاً هذا الأمر ، وعلمت ان الرسول (ص) سيلتحق بصحبه ولا شك ان الاسلام سيتشر ويزدهر اذا هاجر (ص) الى المدينة ، فأخذ القوم يفكرون بسوء العاقبة اذا تمكن (ص) من الوصول الى دار هجرته ، تلك الدار التي سيجد فيها العزة والمنعة والنجدة .

أسرع القوم إلى (دار الندوة) — وهي دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها — يتشاورون في أمر رسول الله (ص) وكانت الندوة^(٣) مكتظة بالوجوه والأشراف من قريش وقد تكلموا في الأمر ملياً فذكروا عدة آراء كانت موضع انتقادهم ولكن رأياً واحداً قد أجمعوا عليه وهو رأي أبي جهل بن هشام فقد رأى أن يأخذوا من كل قبيلة فتي شاباً جليداً نسبياً وسيطاً فيهم ، ثم يعطى كل فتي سيفاً صارماً ثم يقبل الجميع على محمد ويضربونه ضربة رجل واحد ، وقد ذكر أنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً وإنما يرضون منهم بالعقل^(٤) وهو أمر سهل ، وهكذا قام

(١) ص ٩٧ المجلد الثاني من تاريخ الطبري .

(٢) الرسل الجامعة والقطيع من كل شيء ، والجمع أرسال .

(٣) راجع ص ٩٩ من المجلد الثاني الطبري .

(٤) العقل الديه ، وتعاقبوا دم القتل عقلوه بينهم اي اشتركوا في تأدية ديته .

الجميع وهم مجمعون على هذا الرأي وكانوا يعتقدون أن الامر سيتم لهم ،
وما حسبوا أن النبي يتصل بسبب قوي في السماء يطلعه على ما بيتوا ويخبره
بما اضمروا .

هبط جبرائيل عليه السلام وأطلع الرسول على ما عزم القوم عليه من
الغدر به ، وأخبره بأن الله عز وجل قد أذن له بالهجرة . ونهاه ان يرقد
في فراشه المعدّ لمناحه لثلا ينفذ القوم ما صمموا عليه من الواقعة به بتلك
الخطّة المدبرة .

جاءت الليلة المعهودة التي صممت فيها قريش أن تنفذ ما أبرمته في
دار الندوة فأقبل القوم وأحاطوا الدار يرصدون رسول الله متى يهجع
فيثبون عليه ، وهنا أخذ النبي (ص) يفكر في الامر ملياً أبقى وقد أمر
بالخروج ؟؟ ام يخرج وهؤلاء القوم يرصدونه اينما اتجه ، ويرمون بأبصارهم
اليه اينما حل ؟؟

انه لا بدّ له من الهجرة الى المدينة لأن الله قد أمره بذلك ولكن ما
السبيل اليها ؟؟

السبيل الى هذا الأمر أن يرقد في فراشه شخص يتشع برده ويضطجع
في مكانه ليوهم القوم أنّه لا يزال في الدار وأنّه نائم في محله كما هي
عادته في كل ليلة .

إنّه رأيٌ وجيه بل متعين في مثل هذا الظرف الحرج الذي حوصر فيه
رسول الله من قبل اعدائه ، ولكن من هو ذلك الرجل الذي يرمي بنفسه
في مثل هذا الممعان ؟؟ وهو يعلم أنّه لا محالة سيكون فريسة لرماحهم
وطعنة سائغة لسيوف قوم لم يجتمعوا في مثل هذا الليل البهيم إلاّ للغدر
والمكر وازهاق النفس .

ومن هو ذلك البطل العظيم الذي يضحي بحياته ليحيا الرسول ، ويشري
نفسه ابتغاء مرضاة الله !!!

ومَن هو ذلك المؤمن الذي يموت لتحميا العقيدة ، ويقتل ليردد اسم الله ، ويستشهد لينتشر الاسلام ، ويعلو الحق ، ويعمّ العدل ، ويكون الدين لله !!؟؟

ومَن هو ذلك الصابر المحتسب الذي يسارع للمبيت في محل النبي وهو يعلم أنّه سيكون رمسه ، ويتشع ذلك البرد الاخضر ، وهو يعتقد أنّ البرد سيصبح كفته !!؟؟

ومَن هو ذلك الرجل المخلص الذي يوطّن نفسه على ان يقتل فلا يطعن برمح ولا يضرب بسيف ، لانه ان دافع وناضل عرفوا الحيلة فيلحقوا بالنبي على الاثر .

ومَن هو ذلك الثقة الذي يخلد اليه النبي بثقته ويطلعه على امره وسره فلا يبوح بالسرّ إذا تيقن الخطر ، وأقبل عليه الموت !!

ومَن هو ذلك الصنديد الباسل الذي لا يفرّ من الموت وهو غير مكتوف الايدي ، ولا يدفع عن نفسه وله يدان ولا ينطق وله لسان !!؟؟

فكّر النبي (ص) في الامر فلم ير كفواً كريماً لهذا العبء الثقيل غير ابن عمه علي عليه السلام فقد عرفه رجلاً مخلصاً وثقة أميناً ، وبطلاً مقداماً ، فهو رجل الساعة وبطل الموقف ، لذلك أخبره بما صمم عليه القوم ، ثم امره ان يمضي لفراشه ويلتف ببرده الحضرمي ليروا انه لم يخرج ، يقول ابن سعد في طبقاته ، ^(١) ما نصه « وأمر علياً ان يبيت في مضجعه تلك الليلة فبات فيه علي وتغشى برداً احمر حضرمياً كان رسول (ص) ينام

(١) ص ١٥٣ الجزء الاول ، ومبيت الامام محل النبي امر مشهور لا يحتاج الى برهان فقد ذكره الطبري في ص ٩٩ من المجلد الثاني وابو الفداء في ص ١٢٦ الجزء الاول واليعقوبي ص ٢٩ من الجزء الثاني وابن الاثير ص ٤٢ الجزء الثاني وفي ص ٢٩١ الجزء الثاني من السيرة الهاشمية وفي ص ٢٩ الجزء الثاني من السيرة الحلبية .

فيه « وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله (ص) الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله (ص) وليس بمكة احد عنده شيء يخشى عليه إلاّ وضعه عند رسول الله (ص) لما يعرف من صدقه وامانته » .

اما علي فلم يكن منه بعد سماع حديث النبي إلا السمع والطاعة مظهراً استعداده لكل ذلك بعزم صارم ، وهمة شماء ، وقلب ملؤه الايمان .

خرج النبي لما اشتد الظلام واضطجع علي مكانه وقد رأى الرسول القوم وهم جلوس على الباب فأخذ حفنة من تراب وطفق يذريها على رؤوسهم وهو يقول (وجعلنا من بين ايديهم سداً ، ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) « ولم يبق منهم رجل إلا وضع على رأسه تراباً ثم انصرف إلى حيث اراد أن يذهب ، وقد اتاهم آت ممن لم يكن حاضراً فقال ما تنتظرون هنا فقالوا محمداً قال خيبكم الله ، إنه خرج عليكم ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته افما ترون ما بكم ؟ وهنا وضع كل واحد منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ، ولكنهم أخذوا ينظرون من شقوق الباب فيرون علياً متسجياً ببرد رسول الله (ص) فيقولون والله ان هذا لمحمد نأثم عليه برده ، ولم يزلوا كذلك حتى اصبحوا ^(١) ، « ولما اصبح الصباح دخلوا الدار ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه وآله ، فقام علي عليه السلام في وجوههم بعد أن أنهى مهتته من المبيت على فراش النبي (ص) فعرفوه وقالوا أين صاحبك قال : لا أدري أو رقيباً كنت عليه امرتموه بالخروج فخرج !؟ « فانتهروه وضربوه وأخرجوه الى المسجد فحبسوه ساعة ثم تركوه » لأنهم علموا إنما يحاولون عبثاً ، ويطلبون مستحيلاً فان مَن كان يحمل مثل هذا الاخلاص ، ومثل

(١) انظر ص ١٠٠ و ص ١٠١ من الطبري المجلد الثاني .

هذه التضحية النادرة في التاريخ لا يفشي لهم سرّاً قد ضحى نفسه في سبيل
كتمانهم ، لذلك تراهم قد أطلقوه وانصرفوا عنه يائسين .

وهكذا حفظ الله النبي (ص) بعلي فقد ارادوا قتله (ص) واعطاء
الدية إن هم فعلوا ذلك ، فدبّر الله مبيت الامام في فراش الرسول (ص)
فكان ما اراده الله عز وجل ، وقد نزل القرآن الكريم على النبي في ذلك
اليوم مخبراً بما دبّر القوم فقال (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو
يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فكان
مبيت الامام تدبيراً من الله الحكيم تجاه تدبير قريش الذي دبّروه ، وظنوا
أنهم قد أحكموه ، (يريدون ليطفثوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا
أن يتم نوره ولو كره المشركون) .

لقد ضرب علي (ع) في تضحيته هذه المثل الأعلى للناس ، فقد علّمهم
كيف تبذل النفوس العزيزة في سبيل الغايات الشريفة ، والمبادئ الحقة ،
إن علياً كان يعلم جد العلم أن محمداً (ص) خاتم الأنبياء ، وأن شريعته
خاتمة الشرائع ، وكان يعتقد أنه إذا قتل (ص) - وهو في فجر دعوته -
فإنما يطمس الدين ، ويححد الخالق ، ويمحق اسم الله ، ويعود الناس في
جاهلية عمياء ، ينسكعون في غياهب العمياء ، ويتخبطون في دياجير الجهالة
لم يهتدوا بنور العلم ، ولم يستضيئوا بمشكاة الايمان ، ولم يلجأوا إلى ركن
وثيق ، ولذلك رأى عليه السلام من واجبه الديني أن يضحي نفسه في سبيل
الدين الذي يحيا بحياة الرسول ويموت بمماته ، فالدين هو الهدف السامي
للنبي وهو الضالة المنشودة لأخيه الوصي يحييان ليحيا ، ويجاهدان لتكون
كلمة الله هي العليا ، ولهذه الغاية الشريفة ضحى النبي أخاه علياً وهو أعز
الناس عليه ، وأقربهم إليه منزلة وصحبة . ولولا هذا الغرض الشريف
لما قدّم النبي حياته على حياته ، فما كان ليختار حياة تقوم على فناء علي
وهو أخوه ووصيه وحليفته على الامة من بعده .

كان علي في موقفه تجاه النبي (ص) مثلاً أعلى للإنسانية الكاملة فقد عرف الناس معنى الأنخلاص ، وماهية التضحية ، وحقيقة الايمان ، وكان موقفه المشهود درساً بليغاً في كل ذلك ، وحسبه أن يخلد الله تعالى هذا الموقف الرائع في كتابه العزيز لإكباراً له فيقول (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) فإنّ المفسرين كافة أجمعوا على أنها نزلت في علي بمناسبة مبيته في فراش النبي (ص) ، وكان من اعجاب الله تعالى في هذا الموقف الكريم أن أوحى في تلك الليلة إلى جبريل وميكائيل « أني قضيت على أحكما بالموت فأيكما يواسي صاحبه ؟؟ فاختار الحياة كلاهما فأوحى الله إليهما هلاّ كنتما كعلي بن أبي طالب آخبت بينه وبين محمد وجعلت عمر أحدهما أكثر من الآخر فاختار علي الموت وآثر محمداً بالبقاء وقام في مضجعه ، إهبطا فاحفظاه من عدوه ، فهبط جبريل وميكائيل فقعدا أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجله يحرسانه من عدوه ، ويصرفان عنه الحجارة ، وجبريل يقول : بخ بخ لك يا ابن أبي طالب من مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سماوات^(١) » وناهيك بموقف يباهي به الله خيرة ملائكته ، والحق ان هذا الموقف لا يقفه إلاّ علي فليس في العالم البشري شخص واحد يقبل على الموت ، ولديه سبيل واسع للحياة ، وما أشبه هذا الموقف العظيم بموقف اسمعيل الكريم .

فقد قال ابراهيم لابنه اسمعيل عليهما السلام كما حكى ذلك القرآن (اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين) ولا اغالي إذا قلت ان موقف علي كان أشد حراجة من موقف إسمعيل لأن إسمعيل كان واقفاً أمام والد بار عطوف يتفجر حناناً ورحمة ، ووالد هذه صفته لا يتصور أن يقع منه القتل ، لذلك كان من الممكن العقلي أن يذهب إلى ظن إسمعيل أن أباه

(١) ص ٢٩ الجزء الثاني من تاريخ البغوي .

إنما يريد بقوله امتحانه في الطاعة لأمره ، دون ما يظهر من إيقاع الفعل ، ولا شك أن مثل هذا الاحتمال العقلاني يخفف من وجله ، ويدني إليه شبح السلامة والحياة ، على أنه من الممكن أيضاً إن لم يكن إبراهيم في موقف الممتحن وقد رأى ولده بين يديه مستعداً للموت أن يؤثر هذا المنظر الرهيب على هذا الوالد العطوف فيدعو الله متضرعاً إليه أن يصرف عن ولده القتل بأن يرى مناماً آخر ينسخ حكم ذلك المنام ، ولا شك أن الله عز وجل سيجيبه إلى ذلك فانه الرؤوف الرحيم ، وهكذا كان الأمر فقد اكتفى الله من إسماعيل بالطاعة ، ومن إبراهيم بالاقدام على الذبح ، واعتبر أن الرؤيا قد صدقت بذلك .

وأما علي فقد رمى بنفسه بين أحضان الأعداء وهو يعلم أنهم إنما جاءوا للفتك برسول الله ، وأنهم مصممون على أن يضربوه ضربة رجل واحد فاحتمال النجاة اذن ضعيف وضعيف جداً ، فهم إما أن يضربوه ظانين أنه رسول الله ، أو يقتلوه انتقاماً منه حيث كان سبباً لخلاص من سفته أحلامهم وعاب آلهتهم ، وفرق جماعتهم ، وهم يعرفون أيضاً حب النبي له ومنزلته منه فاذا قتلوه فانما يقتلون أخاه وابن عمه والرجل المخلص الذي يفديه بنفسه .

أجل أن ذلك أمر لا شك فيه ، ولكن الله عز شأنه لما رأى إخلاصه واطلع على عظيم بلائه أراد مكافأته على ذلك بأن أرسل له الملكين المقربين يحرسانه ويحفظانه من عدوه ، وهكذا حفظ الله محمداً بعلي ، وحفظ علياً لمحمد ، ينصره ويؤيده ، ويدود عنه ، فقد كان طوال حياته يداً وساعداً ، ومهنداً يرد به كيد الكائدين ، ويكبح به جماح كل عدو غاشم .

ليس من العجيب أن يقف علي هذا الموقف الكريم فهو أخو النبي وجدير بالأخ المخلص أن يفدي أخاه بنفسه ويقيه بمهجته ، وعلي وزير الرسول ، قد شد الله به ازره وأشركه في أمره ، فهو إذن شريك محمد

في بناء هذا الدين ، والباني حريص على أن يتم أسسه ويشيد بنيانه لذلك تراه قدّم نفسه بين يدي الرسول ليكون حجر الأساس لبناء هذا الدين القويم ، فالاسلام مدين بالفضل لعلي ، والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ليشكروا له هذه اليد البيضاء ، ويقدرّون له هذا الموقف الرائع ، وكم له من أياد مشكورة ، ومواقف مشهورة ، كلها تستدعي الاعجاب والاكبار .

لقد فرغ علي من مهمته الأولى - وهي مبيته في فراش النبي (ص) - وانصرف بكله للقيام برد الودائع التي أمره النبي بارجاعها إلى أصحابها وقد قام صارخاً بالأبطح ينادي ألاّ من كانت له أمانة عند النبي فليأت تُردّ إليه أمانته ، وقد أقبل عليه أصحاب الودائع فسلم إلى كل فرد منهم وديعته ، ثم انقلبوا جميعاً إلى أهلهم ذاكرين شاكرين .

وقد ساءت بشأ أن يقف علي هذا الموقف النبيل ، وعزّ عليهم أن يرجع ظافراً بأداء مهمته التي القيت على عاتقه فدفعوا عمر بن وائل الثقفي على أن يدّعي على الامام ثمانين مثقالاً من الذهب الأحمر وقد أجزلوا له العطاء وقالوا له نحن معشر قريش نشهد جميعاً على ما تدعي وتقول ، فأقبل على الامام وادّعى بالمبلغ فقام عليه السلام بفحص الأمانات جيداً فوجد كل أمانة كتب عليها اسم صاحبها ولم يكن بين الأمانات أثر لما ادّعاه عمر ، فنصحه الامام فلم يصغ للنصح وقال إنّ لي من يشهد بذلك وهو أبو جهل وعكرمة وعقبة بن أبي معيط وأبو سفيان وحنظلة فقال عليه السلام : مكيدة تعود علي من دبرها ، ثم طلب من الشهود أن يجلسوا في الكعبة وقال للمدعي في أي الأوقات دفعت أمانتك إلى رسول الله (ص) قال ضحوة نهار ، ثم استقدم الشهود الواحد بعد الآخر معيداً عليهم عين السؤال ، فاجاب كل واحد بما يناقض صاحبه ، فقال بعضهم

عند غروب الشمس ، وقال ثان عند وقوف الشمس في كبد السماء ، وقال ثالث وقت العصر ، وبعضهم ادعى انه (ص) أودعها في بيت فاطمة ، وبعضهم زعم انه تركها بين يديه إلى وقت إنصرافه ، وهكذا اختلفوا في الزمان والمكان ، فاقبل عليه السلام بوجهه إلى المدعي وقال له أراك قد اصفر لونك وتغيرت أحوالك قال أقول الحق ولا يصلح غادر ثم اعترف له بالأمر وأخبره بالمكيدة .

كانت قريش تعتقد انها ستفلاح بهذه المكيدة ، ولم تحسب انها ستجابه بمثل هذا الاسلوب من القضاء الذي لا عهد لها به ، فتفريق الشهود واستماع الشهادة على هذا النحو الذي قام به الامام أمر لم يكن يدور في الحسبان ، وهكذا برزت شخصية علي القضائية الأمر الذي جعل القوم يقولون الحق مرغمين .

أنهى علي عليه السلام مهمته الثانية ولبث في مكة ينتظر أمر الرسول في الهجرة ، وقد كتب له (ص) أن يقدم إليه بمن معه من أهله فخرج بالفواطم ماشياً بهن على قدميه يحوطهن بعنایتة ، ويرعاهن بجليل رعایتة ، باذلاً نفسه وراحته في سبيل راحتهم وسعادتهم ، حتى أوصلهن إلى رسول الله (ص) بكل رفق وعطف ، ودارت بينه وبين عتاة قريش في الطريق معركة حامية أسفرت عن نجاحه وخسارتهم ، فقد ردّ الله كيدهم في نحرهم ونخسروا خسراناً مبيناً .

هذا ما كان من أمر علي عليه السلام أيام الهجرة ، أما رسول الله (ص) فقد خرج تلك الليلة التي كانت ترصده قريش فيها إلى غار بثور فدخله هو وأبو بكر ومكثا فيه ثلاثة أيام حتى انقطعت أخبارهما ، وقد شاء الله أن يحفظ رسوله (ص) فأمر حمايتين وحشيتين أن تنزلا بباب الغار وأن تعششا فيه ففعلتا ذلك كما هو مفصل في الكتب التاريخية ، وقد

أقبل فتیان قریش من کل بطن رجل بسیوفهم وعصیهم علی الغار ، ظانین أن فیہ رسول اللہ ولكن سرعان ما رجعوا من حیث اتوا إذ أنهم استدلتوا بوجود الحمامتین الوحشیتین علی عدم سکنی أحد فی الغار ، وهكذا خرج الرسول مؤیداً برعاية اللہ متجهاً إلى یثرب وقد وصل إلى قبا فنزل علی کلثوم بن ہذیم أخی عمرو بن عوف (وقد راودوه علی الدخول إلى المدینة فقال ما أنا بداخلها حتی یقدم ابن عمی وابنتی یغنی علیاً وفاطمة^(١)) كأنه صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم کان یغزّ علیہ أن یشبق إلى الهجرة أحد غیر علی وفاطمة لذلك انتظرهما لیظفرا بهذا الفضل ، علی أنه (ص) کان شدید الشغف والکلف بہما فهو لا یرید أن یدخل بلداً ولا یراهما یتمتعان بالصحة ویرتديان ابراد السلامة .

بقي النبی (ص) فی انتظارهما حتی وصلا فقال (ص) « أدعوا لی علیاً قبل لا یقدر أن یمشی فأتاه (ص) واعتنقه وبکی رحمة لما یقدمیہ من الورم وتفل بیديه وأمرهما علی قدمیہ فلم یشتکهما بعد حتی قتل^(٢) » وهكذا دعت عواطف النبی الفیاضة أن یقف موقف المضمد والطیب من علی ، فقد أنساه أتعابه وأنصابه بعناقه الأخوی وبکائه الشجی ، ثم أفاض من ريقه المعسول علی جروحہ الدامیة فبرئت وكانت خیر بلسم لتلك الجروح ، فاي دموع أظہر من تلك الدموع ؟؟ وأي ید أکرم علی اللہ من تلك الید الکریمة المبارکة التي جعل اللہ بها الشفاء من کل داء ، وأي عناق أخوی یتمثل فیہ الحب الصادق أفضل من هذا العناق الذي کان بین محمد وعلی ، فقد تجلت عواطف النبی العظیم فی هذا الموقف الکریم بأجلی ما تتجلی فیہ عواطف الانسانیة السامیة ، هذه العواطف التي غمرت علیاً فی کل وقت وحين .

(١) ص ٣٨ من کتاب الفصول المهمة لابن الصباغ المالکی .

(٢) ص ٤٨ من کتاب امتاع الاسماع للمقریزی الجزء الاول .

وخلاصة القول أن يوم الهجرة كان أول مظهر من مظاهر الاسلام ،
فقد شاء الله أن تكون هذه الهجرة المباركة السبب الفعال في انتشار الدين ،
ونشر صفحة لامعة للاسلام والمسلمين ، وكذلك كان يوم الهجرة أيضاً
أول مظهر من مظاهر الامام علي عليه السلام فقد ظهرت فيه شخصيته ،
ونبه فيه اسمه ، وعرف المسلمون مدى اعتماد النبي عليه ، فقد فداه
بنفسه ، وأدّى عنه أماناته ، وسار إليه بأهله وكريمته ، الأمر الذي يدلنا
دلالة واضحة على أن النبي (ص) كان لا يرى كفواً لذلك كله غير علي ،
وكأنه يريد صلى الله عليه وآله بذلك أن يظهر للناس أن علياً كنفسه يأتّمه
على سره وعرضه ونفائس الناس ، وهذا أبلغ درس في إظهار شخصية
الامام ، وهو درس عملي تطبيقي يملّي على الأمة الاسلامية معنى التضحية
والأمانة والشهامة والاقدام ، وهذه قيل "من كثر من تأريخ علي الأغر ،
وهكذا شاء الله أن يقرن حياة علي بحياة الاسلام فيعلو ويظهر كلما علا
وظهر الاسلام .



أخ

« والذي بعثني بالحق نبياً ما اخترتك إلا لنفسى ، فأنت منى بمنزلة
هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعثى ، وأنت أخى ووارثى »
(الذي العظيم)

كان الأنصار والمهاجرون ينتظرون قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة أشد الانتظار ، وهم في كل يوم يخرجون لاستقباله يتحينون قدومه في أول النهار حتى إذا أحرقتهم الشمس بحرارتها رجعوا إلى منازلهم يائسين .

جاء يوم الاثنين من ربيع الأول فخرج الجمع الحاشد المستقبل على عادته ، ووقفوا جماعات هنا وهناك ينتظرون ويستطلعون أخبار الرسول ثم ما لبثوا حتى رجعوا أدراجهم كل إلى منزله .

رجعوا وإذا برجل من اليهود يصيح على أطم^(١) بأعلى صوته يا بني قيلة هذا صاحبكم قد جاء فيهرع الجميع زرافات ووحدانا يتسابقون شوقاً لمشاهدة الرسول ، متهافتين عليه ، متنازعين زمام ناقته كل يود أن يكون نزيله ، وقد علا التهليل والتكبير وبدأت علائم الفرح والسرور في الرجال والنساء والصبيان ، وما عرفت المدينة يوماً ضاحكاً مستبشراً سعيداً يشبه هذا اليوم فقد أعرب النساء والصبيان عن فرحهم بشعر رقيق يطفح بالعاطفة والبشر فاستمع إلى هذا المزج العذب من هذه الأصوات الندية :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

(١) الاطم الحصن والجمع آطام .

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وهكذا دخل النبي (ص) إلى المدينة بين هتاف الهاتفين ، وتهليل المكبرين وقد حل ضيفاً كريماً هو وابن عمه على كلثوم بن هذم أخي عمرو بن عوف^(١) ونزل أبو بكر بن أبي قحافة على خبيب بن أساف أخي بني الحارث بن الخزرج .

وقد رأى المهاجرون من حسن الوفادة والترحيب ما أنساهم أهلهم وديارهم ، وقد بلغ من أخوة الأنصار أن آثروا المهاجرين على أنفسهم ، وحسبك أن تجد القرآن الكريم يمتدح هذا الايثار فيقول (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة فيما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)

وقد أراد رسول الله (ص) أن يؤكد هذه الصلّات الودية بين المهاجرين والأنصار فأخى بينهم بعد أن آخى بين المهاجرين أنفسهم ليتكاتفوا ويتحدوا ، ويكونوا كالبنين المرصوصين يشدّ بعضهم بعضاً ، آخى بينهم على الحق والمواساة وأن يتوارثوا بعد الممات دون ذوي الأرحام ، وقد جعل هذا الارث بينهم ليحس كل فرد منهم بما يحس الأخ تجاه أخيه ، وقد توارث بعضهم بعضاً حتى إذا نزلت آية (واولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) انقطعت الموائمة المادية وبقيت الموائمة الاسلامية المعنوية ، التي ألقت قلوبهم وجمعت كلمتهم ، وجعلتهم يداً واحدة على من سواهم .

جمع الرسول أصحابه من مهاجرين وأنصار ثم قال لهم (تآخوا في الله أخوين أخوين) وقد اتخذ كل واحد من المهاجرين أنخاً له من الأنصار

(١) راجع ص ١٠٦ المجلد الثاني من تاريخ الطبري مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٥٧ - ١٩٣٩ .

كما أن الأنصار اتخذ كل واحد منهم أخاً من المهاجرين ، أما النبي الكريم فقد اختار علياً لأخوته ، واصطفاه من بين أصحابه فهذا ابن إسحق يقول (وأخى رسول الله (ص) بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا - ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - تأخوا في الله أخوين أخوين ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال هذا أخي فكان رسول الله (ص) سيد المرسلين ، وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين ^(١)) ويقول العلامة صاحب كتاب الاستيعاب «أخى رسول الله (ص) بين المهاجرين ثم أخى بين المهاجرين والأنصار، وقال في كل واحدة منهما لعلي : أنت أخي في الدنيا والآخرة ^(٢)» .

فأدوار المؤاخاة بين النبي والوصي ثلاثة ، فقد أخى النبي (ص) بينه وبين علي في أول يوم من أيام الاسلام كما عرفت من حديث الدار ، وكان علي ذلك الحين في مقتبل العمر وفي أول أدوار الحياة ، وإنما اصطفاه لما كان يعلم فيه من النبوغ والعبقرية وهو في ذلك السن المبكرة ، واختاره من بين أربعين رجلاً ليس فيهم غير الحسيب النسيب والعبقري اللبيب ، وهم جميعاً من خيرة قريش وصفوة بني عبد المطلب .

والدور الثاني والثالث للمؤاخاة يوم أخى بين المهاجرين أنفسهم ، ثم أخى بينهم وبين الأنصار ، فقد اختص علياً بأخوته في كلتا المرتين وميزة بهذه الاخوة على سائر أصحابه ، وفيهم من له المنزلة السامية والمكانة المرموقة والمقام المحمود والمآثر الغر من أخلص للاسلام ، وجاهد في سبيل الله والدين .

قد يذهب إلى ذهن البعض أن النبي إنما اتخذ علياً أخاً له لأنه فداه بنفسه

(١) ص ١٨ الجزء الثاني من سيرة ابن هشام .

(٢) ص ٣٥ الجزء الثالث من كتاب الاستيعاب في أسماء الاصحاب .

ووقاه بمهجته في ميته على فراشه يوم كادت له قريش وصممت أن تفتك به ، ولكننا نقول لهؤلاء ان النبي قد اختار علياً في أول فجر الاسلام ، وفي بدء الدعوة الاسلامية يوم لم تكن هجرة ولا مهاجرون ولا أنصار ، ولعل هذا الاختيار يومئذ كان أقوى دليل على نبوة هذا النبي الكريم فما اختاره في ذلك السن إلا لأنه كان يعلم بما كان وما يكون في مستقبل هذا الناشئ الذي أقام بحسامه الدين وأحكم منه البناء .

إن اختيار النبي لعلي حين المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار دليل أقوى دليل ، وبرهان أسطع برهان على أن النبي ليس له كفؤ غير علي وان علياً ليس له كفؤ غير النبي (ص) وإلا لاتخذ له أخاً من الأنصار واتخذ لعلي أخاً كذلك ، لأن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار هي أن يتخذ المهاجر أنصارياً والانصاري مهاجراً ، ومن المعلوم أن محمداً وعلياً كلاهما مهاجران فاذن لا بد لهما أن يتخذا شخصين من الأنصار يكونان أخوين لهما شأن بقية المهاجرين الذين كان لكل فرد منهم أخ من المهاجرين وأخ من الأنصار ، ولا سيما ان النبي كان يقول (لولا الهجرة لكنت من الأنصار^(١)) فالأنصار بما قدموا للنبي من إخلاص ونصرة كانوا يستحقون هذه الكلمة النبوية البليغة التي تدل على ما لهم من منزلة سامية في نفس النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

وهم يستحقون أن يتخذ النبي له ولأخيه علي أخوين من الأنصار لو كان للرسول سبيل إلى ذلك . ولكن الرسول لا يصدر إلا عن وحي ، والله يأبى أن يضع الرسول يده بغير يد علي ، هذه اليد التي عضدته وآزرته في أول يوم من أيام الاسلام ، حين ناشد أعمامه وبني عمومته أن يؤازروه على دعوته وقد أحجموا وما لبى نداءه غير علي عليه السلام .

(١) ص ٢١٠ الجزء الثاني من صحيح البخاري .

إنّ الله يأبى أن يضع الرسول يده بغير هذه اليد التي واسته أيام المحنة . ورافقه في الشدة ، وكانت مجناً واقياً تدفع عنه الأذى ، وتصرف كيد العدو الغاشم ، الذي يريد العدر به والوقية بمقدسات الاسلام والمثل العليا . نعم يأبى الله ذلك ، ويأبى الرسول أيضاً أن يعقد عقدة الأخاء بينه وبين غير علي ، ولم يجد منه إلاّ ما يزيد تلك الصلة . ويؤكد هاتيك الرابطة ، فقد أثبتت الأيام ودلت التجارب على أن علياً (ع) كان المثل الأعلى في الإخاء ، والفرد النادر في الولاء والوفاء ، والقدوة الصالحة في العزيمة والمضاء ، وهو هو في كل ظرف لا يجبن ولا يستخذي ، ولا يبالي إذا ما وقع على الموت أو وقع الموت عليه ، وهو هو جبل لا ترعزعه العواصف ، ولا تهزه القواصف ، وهو هو ثابت الجنان قوي الإيمان ، يمضي على بينة من أمره ، وعلى هدى ليس فيه زيغ ، ورشد ليس فيه ضلال ، وعلم ليس فيه جهل ، ويقين لا يشوبه شك ، لا يأبه للعالم إذا زويت عنه ما دام في سلامة من دينه ووضح من طريقه قد رضي الله عنه ، ورضي عنه الرسول .

ولو أن النبي (ص) كان قد اختار له أخاً من الأنصار حين المؤاخاة بينهم وبين المهاجرين لما كان ثمة مزية لاخوة علي (ع) فقد كان بوسع الباحث عندئذ أن يقول ان النبي قد اتخذ أخاً من الأنصار كما اتخذ أخاً من المهاجرين لا فرق في ذلك أبداً بين الاخوتين ولكن الرسول الذي يرى الفضل كل الفضل في علي أراد أن يحصر هذه المزية في المهاجرين ثم أراد أن يخصصها في أخيه علي لا يشاركه في هذه الاخوة مشارك ، ولا يستطيع أن ينازعه فيها منازع ، فجعلها اخوة عامة لا يخصصها مكان ، ولا يقيد بها زمان ، ولا يحدّها عصر ، ولا تفنى بفناء دهر ، وإنما هي رابطة قوية لا يفصم عراها الموت ، ولا يتغلب عليها الفناء ، بل تبقى حية

خالدة ما دام محمد وعلي حيين في الدنيا ، وما دام محمد وعلي خالدين في الآخرة (أنت أخي في الدنيا والآخرة) هذه الكلمة المدوية التي قالها النبي للوصي بمجمع من أصحابه ، وبمرأى ومسمع من أتباعه وأحبابه قالها كلمة ماثورة ، فخلدها التاريخ ولا يزال يردد صداها (أنت أخي في الدنيا والآخرة) إنه (ص) يختاره في الدنيا وفيها صفوة أصحابه والخيرة من أتباعه ، ويختاره في الآخرة وفيها الأنبياء والصدّيقون والأوصياء والصالحون والشهداء والمقربون ، ولكن النبي (ص) شاء في كل أوقاته وسائر مناسباته وحالاته أن يخصّ علياً بأخوته وأن لا يرضى بسواه .

ويحدثنا علي عليه السلام عن هذه المؤاخاة التي كانت بين المهاجرين والأنصار فيقول «أخي رسول الله بين الناس وتركني فقلت يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركني ؟ قال ولم تركتك إنما تركتك لنفسي ، أنت أخي وأنا أخوك ، فإن حاجتك أحد فقل اني عبد الله وأخي رسول الله لا يدعيها أحد بعدك إلاّ كذاب^(١) » ولا اخال أن المطالع يخفى عليه لطف هذا الاستفهام ، ولا عظيم هذا الاهتمام ، إنه يترك علياً ولكن يتركه ليدخره لنفسه ، ويختص به دون غيره ، وهو لا يكتفي بالجواب عن هذا الاستفهام حتى يقرنه بانما - وهي إدارة حصر - وحتى يتبعه بقوله الصريح بكذب من يدعي اخوة النبي غير علي ، فما السبب في هذا الأنحاء ، وما السبب في الاهتمام ببيان هذه الأخوة وتأكيدها في كل مورد ؟؟ .

إن الباحث إذا تجرد من عواطفه وأراد أن يقول الحق بحكم بضرر قاطع أن النبي (ص) لم يختار علياً إلاّ لأن فيه مميزات وصفات فرضت عليه أن يختار الوصي لأخوته وإلاّ فلماذا يختاره أولاً وثانياً وثالثاً ثم يجعل

(١) ص ٤٥ من كتاب منتخب كنز العمال الموضوع بهامش الجزء الخامس من مستند الإمام أحمد مؤلفه العلامة الشيخ علي المعروف بالمتقي الهندي .

الأخوة بينهما عامة في الدنيا والآخرة ، أكان هذا الفعل منه محاباة لأنه قريبه وابن عمه ٩٩ حاشا فما كان النبي ليحابي في دينه أو يسارع إلى هوى ، وإنما يختار من يختاره الله ، ويرضى بما يرضى به ، لا يرأى ولا يداجي ولا يجامل ، وإنما يقول الحق وينطق بالصدقة (لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى) ولو كان الدافع إلى الأخوة القرابة لكان أحق في ذلك عمه حمزة أسد الله وأسد رسوله وذو المكاة السامية عند الله والرسول والناس عامة ، فالقرابة إذن ليست مناطاً في هذه الأخوة فإن النبي ما كان ليندفع إلى أعماله كما يندفع الناس ، فهو لا يحب أمراً إلا الله ، ولا يكره أمراً إلا الله ، وهذا أمر بديهي لا يحتاج إلى بيان ، فإخوة علي إذن دليل على عظمته ، وبرهان ساطع على عظيم منزلته .

وما بالنّا نتكلف البيان تكلفاً ونذهب إلى الدليل تعسفاً وهذا النبي العظيم يلقي علينا برائع بيانه ما يوضح الحق ، ويرفع الشك ، ويزيح الستار ، يحدثنا الامام أحمد في مسنده^(١) عن زيد بن أبي أوفى انه قال « لما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه فقال علي يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم توأخ بيني وبين واحد منهم فقال والذي بعثني بالحق نبياً ما أخرتك إلاّ لنفسى فانت مني بمنزلة هرون من موسى إلاّ أنه لا نبيّ بعدي ، وأنت أخي ووارثي ثم تلا : اخواناً على سرر متقابلين . المتحابون في الله ينظر بعضهم إلى بعض » وأنت ترى من هذا الحديث أنّ هذه الأخوة كانت لله ، وأنه إنما اصطفاها بها لأنه منه بمنزلة هرون من موسى ، ومنزلة هرون معروفة فقد كان وزيره وشريكه في امره ، فعلي إذن له هذه المنزلة المقررة التي كانت لهارون ، وليس هناك فرق بين الأخوين إلاّ في مسألة النبوة فقد كان هرون متصفاً بها كما كان موسى ، أما علي فقد كان وصياً وليس بنبي ولذلك عمد الرسول إلى استثناء النبوة من عموم

(١) ص ٥٦ من الإنابيع .

المنزلة لثلاثيهم الناس دخولها كما بينا ذلك في فصل (وزير) .

وأنت ترى أن النبي (ص) حريص جد الحرص على أن يشبهه علياً دائماً بهارون ليثبت للناس وصايته ووزارته ، وليست هذه المؤاخاة وتوكيدها إلا ليزداد هذا الشبه ، وليضيف إلى صفات علي صفة كانت لهارون بحكم النسب ، ولعلي بحكم المؤاخاة التي عقدها النبي بينه وبين أخيه الوصي ، لذلك ترى أن النبي لا ينفك عن اخوة علي أبداً ، كما أن موسى لا ينفك عن اخوة أخيه أبداً ، ونحن إذا رجعنا إلى السنة النبوية المقدسة نفهم جيداً أنها كانت بأمر من الله عز وجل وقد خطت وليس هناك سماوات ولا أرض ، يقول رسول الله (ص) - وهو الصادق الأمين - « ليلة أسرى بي رأيت مكتوباً على باب الجنة : لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أخو رسول الله : قبل أن يخلق السموات والأرض بالفني عام (١) » وكان الله عز وجل إنما أمر أن يكتب ذلك على باب الجنة ليقرأه كل موفق للدخول إلى ذلك المقام الكريم ، فأبي اهتمام أعظم من هذا الاهتمام وأي عظيم يصل إلى هذا العظيم ، وقد خلّد الله اسمه قبل أن يخلق الأنعام ، وقبل أن يصور السموات والأرض بالفني عام ، أنها العظمة التي ليس فوقها عظمة ، والعبقريّة السامية التي ليست فوقها عبقرية ، هذه العظمة التي سمت بصاحبها إلى الملكوت ، وحلّقت به حيث لا يلحقه لاحق ، ولا يسبقه إلى ذلك سابق ، انه العظيم الخالد الذي يحدث عنه الرسول فيقول « ليلة أسرى بي أتيت على ربّي عز وجل فأوحى إليّ في علي بثلاث انه سيد المسلمين ، وولي المتقين ، وقائد الغر المحجلين (٢) » فهل هناك

(١) ص ٣٥ من كتاب منتخب كنز العمال .

(٢) ص ٣٤ من منتخب الكثر أيضاً .

عظمة فوق هذه العظمة ؟؟ انه سيد يسود المسلمين ، وولي يلي أمر المتقين ،
وقائد يقود الغر المحجلين ، وهكذا يجب أن يكون أخو النبي سيداً وولياً
وقائداً ، يسود المسلمين بعلمه ، ويلي أمرهم بحكمته ويقودهم إلى الخير
والصلاح بالرأي الصائب والحسام الغالب ، وهو البطل الخالد الذي يحدثنا
عنه نبي الله فيقول « رأيت ليلة أسري بي مثباً على ساق العرش اني أنا
الله لا إله غيري خلقت جنة عدن بيدي ، محمد صفوتي من خلقي ،
أيّدته بعلي ، نصرته بعلي^(١) » هذا هو الفتح الأكبر الذي يسجله الله
لعلي أن أيّد محمداً ونصره بالوصي ، وهكذا شاء الله أن يجتمع في مكان
واحد هذان الاسمان ، وهكذا شاء أيضاً أن يكونا المثل الأعلى للانسان
والقدوة الصالحة مدى الزمان ، هذه هي العظمة الصحيحة التي يملئها الله ،
ويروبها النبي ، ويضوع بنشرها التاريخ فتفيض من دنيا الوصي على دنيانا
أرجاً ونوراً ، وعدلاً وعبراً .

ها هو الرسول يقول « يا علي أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي وتخصم
بسبع ، ولا يحاجك فيها أحد من قريش ، أنت أولهم إيماناً بالله ، وأوفاهم
بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدهم في الرعية ،
وأبصرهم بالقضية ، وأعظمهم عند الله مزية^(٢) » أليس هذا عظيماً
يتضاءل أمامه العظماء ؟ .

أليس هذا البيان الرائع من قول النبي (ص) يدلنا دلالة واضحة على
أنّ أخاه ليس له ندّ يضارعه ؟؟ وانه تفرد بهذه الصفات ، وامتاز على
غيره بهذه الهبات التي طبع عليها ؟؟ أليس قوله هذا صريحاً في أنّ هذه
المزايا السبع تفرد بها ، فلا يشاركه فيها أحد من الصحابة ؟؟ أليس
معنى قوله (يا علي أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي) انه شريكه في كل

(١) ص ٣٥ من كتاب منتخب كنز العمال .

(٢) ص ٣٤ من منتخب الكنز .

صفة من صفاته إلا النبوة إذ لو كانت ثمة صفات لا يتصف بها علي
لذكرها له النبي وخصصه بها كما ذكر النبوة، نعم هذا الحديث واضح
باسلوبه البليغ وديباجته المشرقة، وهو يدلنا على مكان العظمة في علي
ومنزلة الرفيعة في نظر النبي (ص).

لقد عرف عمر - وهو الصحابي النابه - مكان العظمة من علي في
هذا الحديث وأكبره أيما إكبار فقد روى حبر الامة عبد الله بن عباس
عن عمر بن الخطاب نحوه من هذا الحديث فانه (رض) كان يقول « كفوا
عن ذكر علي بن أبي طالب فلقد رأيت من رسول الله (ص) فيه خصالاً
لئن تكون لي واحدة منهن في آل الخطاب أحب إلي مما طلعت عليه
الشمس : كنت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة في نفر من أصحاب رسول
الله (ص) فانتهيت إلى باب ام سلمة وعلي قائم على الباب فقلنا أردنا
رسول الله (ص) فقال يخرج إليكم فخرج رسول الله (ص) فثرنا إليه
فاتكأ على علي بن أبي طالب ثم ضرب يده على منكبيه ثم قال مخلصم
أنت أول المؤمنين إيماناً ، وأعلمهم بأيام الله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقسمهم
بالسوية ، وأرأفهم بالرعية ، وأعظمهم رزية ، وأنت عاصدي وغاسلي
ودافني ، والمتقدم إلى كل شدة وكربة ، ولن ترجع بعدي كافراً ،
وأنت تتقدمني بلواء الحمد ، وتذود عن حوضي » ثم قال ابن عباس بعد
روايته الحديث (ولقد فاز علي بصهر رسول الله (ص) ، وبسطة في
العشيرة ، وبذل للماعون ، وعلم بالتزليل ، وفقه بالتأويل ، ونيل
للاقران^(١)) .

ونحن إذا تلونا هذا الحديث فانما نقرأ عظمة علي عليه السلام ونقرأ
أيضاً من رواية عمر له عظمة الانصاف في عمر ، فإن عمر - وهو خليفة

(١) ص ٤٥ منتخب الكثر .

المسلمين - قد لا تساعد ظروفه أن يواجه الناس بمثل هذه الحقائق ، ولكن نفسه تأبى أن يذكر علي بسوء وله هذه المزايا الكثر والصفات الغر لذلك نراه (رض) يأمرهم أن يكفوا عنه لحصال يتمنى واحدة منها ، وهي أحب إليه مما طلعت عليه الشمس .

ونحن نرى ان ابا بكر (رض) كان يرى لعل هذه المنزلة ايضاً فقد رآه مرة فقال « مَنْ سرّه ان ينظر إلى اعظم الناس منزلة من رسول الله (ص) واقربه قرابة ، وافضله دالة ، واعظمه غني عن نبيه فليتنظر إلى هذا ^(١) » ولنا الآن في صدد بيان عظمة امير المؤمنين عليه السلام لأننا سنعتقد لذلك فصلاً خاصاً نستعرض الكلام فيه وإنما عرضنا هذا العرض المختصر ليعرف المطالع ان النبي لم يتخرّ علماً لأخوته إلا لمزيتة ، وعظيم منزلته عند الله تعالى .

وكان عليه السلام يفخر بهذه الأخوة وكم مرة سمع علي على منبر الكوفة أيام خلافته يقول « انا عبد الله واخو رسول الله لا يقولها احد غيري إلا كذاب ^(٢) » وإنما كان يفخر بها لأنها تشعر بمنزلته وامتيازه عند الله ورسوله ولذلك تراه يذكر هذه الأخوة مستدلاً بها على احقيته بالخلافة فهذا العلامة صاحب كتاب الاستيعاب يحدثنا فيقول « لما احتضر عمر جعلها شورى بين علي وعثمان ، وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد فقال لهم علي انشدكم الله هل فيكم احد آخى رسول الله (ص) بينه وبين نفسه إذ آخى بين المسلمين غيري قالوا اللهم لا ^(٣) » وانت ترى انه عليه السلام كان يرى نفسه احق بالخلافة من هؤلاء المرشحين لاتخاذ النبي له اخاً ، لذلك ينشدهم الله ان يعترفوا بهذا الأمر ، ولو لم يكن (ع)

(١) ص ٤٤ من منتخب الكنز .

(٢) ص ٣٥ الجزء الثالث من الاستيعاب .

(٣) ص ٣٥ الجزء الثالث من الاستيعاب .

يرى في هذه الاخوة منزلة عظيمة لما استدل بها في مثل هذا المقام ، ولكن
في وسع هؤلاء بعد اعترافهم بها ان يناقشوه في مفهومها او مدلولها ،
ولكنهم كيف يناقشون في ذلك وقد سمعوا هذه الاخوة من النبي (ص)
وفهموا معنى قوله له حيث يقول (وانت مني بمنزلة هرون من موسى
إلاّ انه لا نبي بعدي) فقد كانوا فصحاء يعرفون الكلام ويفهمون
اساليبه ، ولما كانت هذه الأخوة ترمز إلى الامامة والخلافة نجده صلى
الله عليه وآله وسلم لا يترك فرصة إلاّ ويؤكدّها ، ويشير إلى كذب
مَن يدّعيها ، وهكذا ترى الامام عليه السلام فانه لا يزال في كل مناسبة
وفي كل محفل يذكر هذه الأخوة باعجاب ، مفتخراً بها على سائر
الاصحاب :

لولا علي لم يكن احد باخوة لمحمد يصل



خليل

« إن خليلي ووزير وخليفتي ، وخير من أترك بعدي ، يقضي
ديني ، وينجز مواعيدي علي بن أبي طالب »
(الرسول الكريم)

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شديد الكلف بعلي عليه السلام ، فعلي في طفولته من أعز أهله وأولاده ، وهو في شبابه أحب إلى الرسول من كافة أتباعه وأصحابه ، فقد كان أعظم الناس منزلة ، وأفضلهم صحبة ، وأمسهم قرابة ، وأشدهم ملازمة ، وأحبهم إليه صلوات الله عليه ، وقد ذكر (ع) عند عائشة (رض) فقالت « ما رأيت رجلاً أحب إلى رسول الله منه ^(١) » وقد سئلت مرة أي الناس أحب إلى رسول الله (ص) ؟؟ قالت : فاطمة قيل من الرجال قالت زوجها ^(٢) .

وليس غريباً أن نجد السيدة عائشة ترى أن علياً أحب الرجال إلى الرسول (ص) فإنها كانت تشاهد من عواطف النبي الفياضة بالحب تجاهه ما يجعلها تعتقد هذا الاعتقاد ، على أنه صلى الله عليه وآله كان كثيراً ما يبوح لها بهذا الحب ، وكان كثيراً ما يعرفها منزلة أخيه منه ، آمراً لها أن تعرف حقه وأن تكرم مثواه ، فهذه معاذة الغفارية تقول : « دخلت على النبي (ص) في بيت عائشة وعلي خارج منه فسمعتة يقول يا عائشة إن هذا أحب الرجال إليّ وأكرمهم عليّ فاعرفي له حقه وأكرمي مثواه ^(٣) » .

(١) ص ٦٢ ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري .

(٢) ص ٦٢ من الذخائر .

(٣) ص ٦٢ من الذخائر .

ولعل النبي الكريم (ص) إنما كان يوصي السيدة عائشة (رض) بأن تعرف حق الامام لتكون مسلماً لمن سالم وحرباً لمن حارب ، وذلك لما كان يعلم (ص) من الأحداث المؤسفة التي ستمر بامته من بعده . وهذا أبو ذر يقرر ما قرره السيدة عائشة عند سؤاله عن أحب الناس إلى الرسول فقد جاء رجل إليه رضي الله عنه وهو في مسجد رسول الله (ص) فقال « يا أبا ذر ألا تخبرني بأحب الناس إليك فاني أعرف أن أحب الناس إليك أحبهم إلى رسول الله (ص) قال اي ورب الكعبة أحبهم إليّ أحبهم إلى رسول الله (ص) هو ذا الشيخ وأشار إلى علي (ع) ^(١) » وأبو ذر من خيرة أصحاب الرسول - وهو أصدق الناس لهجة بشهادة الصادق الأمين صلوات الله عليه - وهذا الثقة الثبت يحكم للسائل بضرر قاطع بعد القسم بالله عز وجل أن أحب الناس إليه أحبهم إلى الرسول هو علي (ع) وهذه شهادة صحابي خبير صحب الرسول ووعى عنه ما يقول .

وكان رسول الله (ص) يعنى عناية خاصة في أخيه علي (ع) وكان حُبّه له يتجلى بأجلى مظاهره في كل حالة من حالاته ، فهذا علي (ع) يدخل على رسول الله فيقوم إليه (ص) ويعانقه ثم يقبل ما بين عينيه ويجلسه عن يمينه فيقول له العباس عم النبي (ص) « يا رسول الله أتحب هذا ؟ » فقال رسول الله (ص) : يا عم والله أشد حباً له مني إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا ^(٢) » ولم يكن العباس ليجهل حب النبي للوصي ولكنه أراد من رسول الله أن يقرن عمله الودي بكلمة مأثورة يتناقلها الناس في حب الامام عليه السلام ليعرفوا له منزلته وحقه ، فقيام النبي للوصي (ع) وعناقه له وتقيله ما بين عينيه ، وإجلالته عن يمينه ، كلها أمور تدل على الحب والاحترام ، ولكنه حب صامت لا

(١) ص ٦٣ من الذخائر .

(٢) ص ٦٧ من الذخائر وفي ص ٢٥ من كتاب كفاية الطالب .

يفهمه إلاّ من كان حاضراً ذلك المجلس ، لذلك ترى عم النبي بوجه سؤاله إليه ليسمع منه ذلك الجواب الذي نقله العباس وحدث به الناس .

وما كان رسول الله (ص) ليقصر على مثل هذه المجالس الخاصة في إظهار حبه وعواطفه ، فها هو صلى الله عليه وآله يرسل إلى الأنصار معتمداً على محبتهم ونصرتهم فيأمرهم بالاعتصام بحبل الوصي والتمسك بحبه ، مبيّناً لهم أنهم إن أحبوه بحبه وأكرموه بكرامته لن يضلّوا بعد ذلك أبداً ، وذلك أنّ حبهم له يضطرهم أن يهتدوا بهديه ويسيروا على منواله ، وهو لا يسير بهم إلاّ على المحجة البيضاء والطريق السوي ، يقول الحسن عليه السلام (قال رسول الله أدعوا لي سيد العرب يعني علياً قالت عائشة أأنت سيد العرب ؟؟ فقال أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب ، فلما جاء ارسل إلى الأنصار فأتوه فقال لهم يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعده أبداً ، قالوا بلى يا رسول الله قال هذا علي فأحبوه بحبي ، وأكرموه بكرامتي ، فإنّ جبريل أخبرني بالذي قلت لكم^(١) » ويفهم من هذا الحديث أن اهتمام الله عز وجل باظهار حب علي (ع) ليس بأقل من اهتمام النبي (ص) ، كما انا نفهم منه أيضاً ان حبّ علي واجب على كل مسلم لأن أمر الرسول بحبه ناشيء عن أمر الله عز وجل ، على أنّه (ص) يتّين لنا أن حبّ أخيه سبب لأن لا يضلوا بعده أبداً ، وحرى بالمسلم أن يأتي بكل ما يعصمه من الضلالة ويقربه إلى الهدى .

وقد يقال ان الأمر هنا في الحب للندب فان الأمر كما يكون للوجوب يكون للندب أيضاً ، ونحن لا ننكر ان الأمر يكون للندب ، ولكن لا يصار إليه إذا كانت في المقام قرينة صارفة تعيّن الوجوب ، ولا شك ان قوله (ص) للأنصار (ألا أدلكم على ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعده أبداً)

(١) ص ٧٠ من الذخائر .

قرينة قوية على أن المقصود بالأمر بالحب هو الوجوب ، إذ لو لم يحصل هذا الحب حصل الضلال ، وهو أمر لا يجيزه الشارع ، ولو كان الأمر للندب لكان معنى ذلك انه يجوز حب علي وترك حبه ، لأن الندب يجوز فعله وتركه ، وقد عرفت أن ذلك أمر لا يصر إليه لأن ترك حبه موجب للضلال كما هو مفهوم (ما ان تمسكتم به لن تضلوا) وما بعد الضلال إلا الخسران المبين ، لذلك يتعين الوجوب في الأمر في هذا الحديث الشريف .

وقد شاء الرسول الأعظم أن يوجه وصية عامة في حب علي تشمل كل مسلم ومسلمة ، فهذا عمار بن ياسر رضوان الله عليه يقول قال رسول الله (ص) « اوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن ابي طالب من تولاه فقد تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله عز وجل ^(١) » وهذا أقصى ما يمكن من الحث على ولاية الوصي فقد جعل ولايته ولاية الرسول ، وولاية الرسول ولاية الله عز شأنه ، وهذا الحديث أيضاً يؤيد ما ذهبنا إليه من وجوب حبه عليه السلام لأن ولاية الله والرسول واجبة على كل مسلم ومسلمة فتكون ولاية علي واجبة بالتبع لأنها مترتبة على ولايتهما كما هو ظاهر منطوق الحديث .

وترى النبي (ص) أيضاً قد جعل بغض الامام مرتباً على بغض الله والرسول ، كما كان حبه مرتباً على حبهما بقوله « من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله ^(٢) » وكان صلوات الله عليه إذا عرف شخصاً يكرهه علياً أمره بحبه ونهاه عن بغضه ، فهذا بريدة رضي الله عنه يقول : انه كان يبغض علياً فقال له النبي (ص) « تبغض علياً؟؟ قال نعم قال لا تبغضه ، وان كنت تحبه فازدد له حباً ، قال فما كان أحد من الناس بعد رسول الله (ص)

(١) ص ٢٣ من كتاب كفاية الطالب للعلامة الكنجي الشافعي ص ٢٢ من منتخب الكثر .

(٢) ص ٧٤ من الصواعق المحرقة لابن حجر .

أحبّ إليّ من علي^(١) » وفي رواية انه قال له (ص) (لا تقع في علي فانه مني وأنا منه ، وهو وليكم بعدي^(٢)) وأنت ترى انه (ص) قد نهى برّيدة عن بغض الامام عليه السلام ثم طلب منه الزيادة في الحب إن كان يحب علياً ، فهو لا يكتفي بالحب القليل وإنما يطلب الحب الوافر المتزايد ، وقد واجهه بهذا الاسلوب ليعرفه منزلة علي منه فيندفع إلى حبه وولايته ، ويرتفع ما كان في نفسه من بغض وشنآن ، وأنت ترى في الرواية الثانية أنه جعل نفس علي نفسه فاذا وقع فيه فكأنه وقع في النبي (ص) وواضح ان المسلم لا يقدم على الوقعة بنبيّه وهو مؤمن به صحيح الايمان ، وتراه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكتف ببيان الاهتمام بحبه حتى أوقفه على انه (ع) هو الخليفة الذي يلي الامة من بعده ، وقد فهم برّيدة من قول النبي (وهو وليكم بعدي) ما كان ينبغي له ان يفهم لذلك تراه يقول (فما كان أحد من الناس بعد رسول الله (ص) أحب إليّ من علي) وجدّير بمن كان وليّ الأمر بعد الرسول أن يحتل في النفوس هذه المكانة الممتازة الرفيعة التي لا يحتلها سواه .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتألم أشد التألم إذا سمع شخصاً يشكو علياً فانه (ص) يسرّه ما يسر علياً ويؤذيه ما يؤذيه ، يقول عمرو بن شاش الأسلمي - وكان من أصحاب الحديبية - (قال خرجت مع علي إلى اليمن فجفاني في سفري حتى وجدت في نفسي عليه فلما قدمت اظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله (ص) فدخلت المسجد ذات غداة ورسول الله (ص) في ناس من اصحابه فلما رأني أبدّني عينيه - يقول حدد الى النظر - حتى اذا جلست قال يا عمرو والله لقد آذيتني ، قلت اعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله فقال بلى من آذى علياً فقد آذاني . ومن

(١) ص ٦٨ من الذخائر .

(٢) ص ٦٨ من الذخائر .

آذاني فقد آذى الله عز وجل^(١) » ويحدث ابوسعيد الخدري ان الناس شكوا عالياً فقام رسول الله (ص) فيهم خطيباً فقال « لا تشكوا علياً فوالله انه لأخيشن في ذات الله^(٢) » وانخرج الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين أن رسول الله (ص) قال (ما تريدون من علي ما تريدون من علي إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي^(٣)) وانا لنلمس من هذا التكرار غضب النبي العظيم على هؤلاء الناس الذين كانوا يحسدون علياً على ما اتاه الله من فضله ، وانا لنقرأ ايضاً في هذا الحديث عظمة الوصي ، ومنزلته الرفيعة في نظر النبي (ص) ، تلك المنزلة التي كانت تؤجج نار الحسد في قلوب المناوئين الذين كانوا منحرفين عن الامام اشد الانحراف .

وكان حب النبي لامته يدعو له لان يحث المسلمين على حب علي عليه السلام ذلك لأنه (ص) يرى أن حبه فرض على كل مسلم عرف الله والرسول ، وليس هذا الحب خاصاً بمن عاصر النبي او الوصي بل يشمل المسلم في كل عصر ، فاذا أحب المسلم علياً كانت خاتمة حياته خاتمة خير ومعادة مقرونة بالأمن والإيمان ، محفوفة بالاطمئنان يوم الفزع الاكبر ، واذا بغض انسان علياً كانت ميته ميتة جاهلية لن تنفعه حياته تلك ، لانها فقدت شرطاً اساسياً من شروط الاسلام وهو ولاية علي عليه السلام ، لذلك سيحاسبه الله حساباً عسيراً عن كل عمل صدر منه في اسلامه ، يقول ابن عباس : قال رسول الله (ص) « الا ارضيك يا علي انت اخي ووزيرني تقضي ديني ، وتتجز موعدي ، وتبرئ ذمتي ، فمن احبك في حياة مني فقد قضى نحبه ، ومن احبك في حياة منك بعدي ختم الله له بالامن

(١) ص ٦٥ من الذخائر .

(٢) ص ٧٤ من الصواعق وفي ص ٣٤ من منتخب الكثر .

(٣) ص ٧٤ الصواعق وفي ص ٣٠ من منتخب الكثر .

والايمان ، ومن احبك بعدي ولم يرك ختم الله له بالامن والايمان وآمنه
يوم الفرع ، ومن مات وهو يبغضك يا علي مات ميتة جاهلية بحاسبه الله
بما عمل في الاسلام^(١) » وهكذا نراه صلى الله عليه وآله وسلم يوجه كلمة
اخرى الى امته فيقول^(٢) « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي وَيَمُوتَ مَوْتِي ، وَيَسْكُنَ
جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَنِي رَبِّي فَلْيَتَوَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْرِجْكُمْ مِنْ
هُدًى وَلَمْ يَدْخُلْكُمْ فِي ضَلَالَةٍ » فرسول الله (ص) الذي يريد النجاة لامته
يرى ان تتمسك امته في حبل علي بن أبي طالب فانه هو الهادي الذي يهديها
الى سبيل الخير ويقودها الى الصراط المستقيم ، الصراط الذي يجعل الامة
تحيى حياة الرسول ، وتموت مماته وتسكن جنته .

وقد جعل النبي (ص) حب علي آية الايمان ، وبغضه آية النفاق فقال
(أيها الناس أوصيكم بحب أخي وابن عمي علي بن أبي طالب فانه لا يحبه
إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق^(٣)) ولذلك كان عليه السلام يقول « والذي
فلق الحبة ، وبرأ النسمة انه لعهد النبي (ص) انه لا يحبني إلا مؤمن ولا
يبغضني إلا منافق^(٤) » ، وكان جابر بن عبد الله يقول : (ما كنا نعرف
المنافقين إلا ببغضهم علياً^(٥) » وهكذا كان أصحاب الرسول (ص) جميعاً
يعرفون إيمان الانسان بحبه لعلي وتفاقه ببغضه له (ع) متخذين من قوله
(ص) قاعدة مطردة على الدوام في معرفة الناس وتمييز الأشخاص ، وقد
لا يفهم البعض السر في جعل حب علي علامة الايمان وبغضه إمارة
النفاق ، فلهؤلاء نقول : إن السبب واضح وذلك أن علياً عليه السلام
كان شديد الاخلاص لله وللرسول وللإسلام ، وهو يحب الله والرسول ،

(١) ص ٣٢ من منتخب الكثر .

(٢) ص ٣٢ من منتخب الكثر .

(٣) ص ٩١ من ذخائر العقبي .

(٤) ص ٩١ من الذخائر .

(٥) ص ٩١ من الذخائر .

ويحبه الله والرسول كذلك ، وقد شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله فأقام بحسامه الدين ، وحفظ بمبيته على القراش سيد المرسلين ، أضف إلى خدماته ومواقفه صفاته ومميزاته من علم وعدل وورع وشجاعة وفصاحة ، وغير ذلك من الخلال التي تحببه إلى الرجال ، هذه الصفات كلها محفزات لأن يحبه المسلم ، فإذا أحبه كان ذلك علامة لإيمانه ، وإذا بغضه مع اطلاعه على هذه الصفات والخدمات ، كان ذلك أدل دليل على ثقائه ، وإلاّ فلماذا يكرهه وكل ما فيه يستدعي الحب ، ويفرض الإعجاب والاكبار ؟؟.

فمواقف الإمام (ع) في سبيل تأييد الدين ، وخدماته الجلى للإسلام والمسلمين كل ذلك يحبه الى المسلم ، ويقربه الى المؤمن كما أن هذه المواقف تبعده عن المنافق ، وتبغضه إليه ، لأنها مواقف تعزّ الاسلام ، وترفع مكانة الدين ، والمنافق أبعد ما يكون عن هذا الاعزاز وهذه الرفعة ، فعلي إذن بعيد كل البعد عن قلب المنافق وقريب كل القرب إلى قلب المؤمن بالله ورسوله ، وجدير بالمؤمن أن يطبع قلبه على حب من كان أول القوم إسلاماً ، وأقدمهم إيماناً ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدلهم في الرعية ، وأبصرهم بالقضية ، وأعظمهم عند الله مزية .

ولم يكتف النبي (ص) باتخاذ حب علي علامة المؤمن حتى جعل هذا الحب عنواناً لصحيفته فقال (عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب^(١)) « وصحيفة المؤمن بيضاء ناصعة ، بيضاء بما فيها من أعمال صالحة تقربه إلى الله زلفى ، ومن خير هذه الأعمال في نظر النبي (ص) حبّ الرضي لذلك جعل هذا الحب عنوان الصحيفة ، والعنوان أول ما في الصفحة وأبرز ما فيها ، فحب علي إذن أول الأعمال ، وأبرز عمل حوته صحيفة المؤمن الطافحة بالخير وعمل البر .

وكان من اهتمام الله عز وجل بهذا الحب أن نصّ على وجوبه في

(١) ص ٧٥ الصواعق المحرقة .

كتابه العزيز ، جاعلاً مودة أهل البيت أجراً على أداء رسالة النبي (ص) فقال عز شأنه مخاطباً رسوله (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) وقد قال المسلمون يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟؟ قال علي وفاطمة وابناهما كما أخرجه أحمد في المناقب^(١) ، وروي عنه انه قال (ص) ان الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي ، واني سائلكم غداً عنهم^(٢) ، وبما ان المودة واجبة فسيأل الله عنها يوم القيامة ، كما يسأل عن سائر الواجبات الدينية ، وفي الآثار ما هو صريح في ذلك وقد روى أبو هريرة انه قال (ص) (والذي نفسي بيده لا يزول قدم عبد عن قدم يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله مم كسبه وفيم أنفقه ، وعن حبنا أهل البيت^(٣)) كما أخرجه جماعة منهم الترمذي رضوان الله عليه ويروي أبو سعيد الخدري عنه (ص) ان المقصود من قوله تعالى (وقيفوهم انهم مسؤولون) أي مسؤولون عن ولاية علي بن أبي طالب^(٤) وبرى الامام الصادق عليه السلام ان المقصود من قوله تعالى (ولتسألن يومئذ عن النعيم) أي عن ولاية علي عليه السلام وقد رأى البعض ان المقصود من النعيم هو الماء البارد وارتأى آخرون انه الطعام الطيب ، وقد ذكرت هذه الآراء عند الصادق عليه السلام فغضب وقال كما روى ذلك عنه الامام علي بن موسى (ع) عن أبيه عن الصادق سلام الله عليه (ان الله لا يسأل عباده عما تفضل عليهم به ، ولا يمن بذلك عليهم وهو مستقبح من المخلوقين ، فكيف يضاف إلى الخالق جلّت عظمته ما لا يرضى للمخلوقين ، ولكن النعيم حبنا أهل

(١) ص ٢٥ من الذخائر .

(٢) ص ٢٦ من الذخائر .

(٣) ص ١١٣ من ينابيع المودة وقد روى هذا التفسير جماعة من الصحابة بطرق عديدة ذكرها صاحب الينابيع .

(٤) ص ١١٢ من الينابيع .

البيت وموالاتنا ، يسأل الله عنه بعد التوحيد لله ونبوة رسوله (ص) ، لأن العبد إذا وافى بذلك ادّاه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول ، فالصادق (ع) يرى ان النعيم كناية عن ولاية علي (ع) لأن الولاية سبب موصل إلى النعيم الخالد ، ويشهد لهذا الرأي ما روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال « يا علي ان أول ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله (ص) ، وانك وليّ المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك ، فمن أقرّ بذلك وكان معتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له ^(١) ، فالمسلم الذي يعترف بالتوحيد لله وبالرسالة للنبي وبالولاية لعلي ، وقد جاء بالفروض الدينية - كان مصيره النعيم الذي لا يزول ، أما المسلم الذي قد صلى وصام ، وجاء بفرائض الاسلام لكنه لا يضمّر الحب للوصي فان مصير هذا إلى النار لأنه منافق كما هو صريح أحاديث النبي وقد قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار) فحب علي إذن نعيم ، وبغضه جحيم لا مبالغة في ذلك أبداً ، ولعل الرسول الأعظم (ص) إنما أطلق على هؤلاء المنحرفين اسم (المنافقين) ليدل الأمة على نفسياتهم ، وليعرفها الحكم الشرعي في حقهم المفهوم من كتاب الله العزيز الذي يتلونه ويرتلونه في كل حين ، وهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وإنّ هذا البيان الناصح في الحث على حبّ الوصي يدعو المسلم الكاره له أن يحبه والمحب له أن يزداد حباً كما عرفت من أمر بريدة رضوان الله عليه ، فانه كان لا يحب علياً لأنه لم يكن يعلم ان حبه واجب عليه ، وكان يحسب ان شأنه شأن بقية الصحابة وهو فرد منهم فانه لا يثاب الانسان على حبهم ، ولا يعاقب على بغضهم ، لذلك ترى بريدة لما أمره النبي بحبه علم من هذا الأمر الوجوب ، فاحبه حباً عظيماً حتى كان يقول ما كان أحد من الناس

(١) ص ١١٢ من الزينابيع .

بعد رسول الله أحب إليّ من علي ، ونرى أيضاً ان وضع لقب المنافق على المنحرفين يدعوهم ان لا يجهروا ببغض الوصي ، لأن إعلانهم ذلك يكون سبباً لمعرفة الناس نفاقهم ، وهم إنما يريدون أن يتظاهروا بالمظهر الديني الكاذب ليغروا البسطاء والمغفلين ، الذين يتخدعون بمظهرهم وظاهر حالهم ، وإذا كنتم المنافقون بغضهم لم يظهر في الأمة الإسلامية من يكره علياً ، وهذا ما يريده النبي فانه (ص) يريد من امته المحافظة على أداء الواجبات ، وعدم الاتيان بالمحرمات وترك الجهر بها ، لأن الجهر بالمحرم معصية ثانية يشجع الآخرين على انتهاك الحرمات ، فبغض علي اذن معصية والجهر بذلك معصية اخرى لأنها تدعو المنحرفين ان يتكثروا كتلة واحدة ويكونوا حرباً على الامام عليه السلام ، أما إذا كنتم المنافق بغضه لم ير له نصيراً فلا يحصل من هذا البغض ضرر في المصلحة الإسلامية ، وإنما يحصل الضرر الشخصي الذي ينشأ من هذا البغض فحسب ، وهذا أمر لا يحصل منه الضرر بالصالح الإسلامي العام .

وأظن اننا استطعنا أن نعرف مما تقدم ان علياً خليل الله ، وخبيل الرسول ، وخبيل المؤمنين ، فقد كان عليه السلام خليلاً لرسول الله خاصة ، وخليلاً للإسلام والمسلمين بصورة عامة ، وليس من الغريب أن يكون خليلاً للرسول وهو أحب الخلق إلى الله بعد رسوله فهذا انس ابن مالك يقول « قدّمت لرسول الله (ص) طيراً فسمى وأكل لقمة ثم قال اللهم اثني بأحب الخلق إليك وإليّ فأثنى علي فضرب الباب فقلت من أنت ؟ قال علي قلت إن رسول الله (ص) على حاجة ، ثم أكل لقمة وقال مثل الأولى ، فضرب علي فقلت من أنت ؟ قال علي قلت إن رسول الله (ص) على حاجة وقال مثل الأولى فضرب علي فقلت من أنت ؟ قال علي قلت إن رسول الله على حاجة ، ثم أكل لقمة وقال مثل ذلك فضرب علي ورفع صوته ، فقال رسول الله (ص) يا انس افتح

الباب قال فدخل فلما رآه النبي (ص) تبسم ثم قال الحمد لله الذي جعلك
فإني أدعو في كل لقمة أن يأتيني بأحب الخلق إليه وإليّ ، فكنت أنت ،
قال والذي بعثك اتني لأضرب الباب ثلاث مرّات ويردني انس ، قال
فقال رسول الله (ص) لم ردده؟؟ قلت كنت أحب معه رجلاً من
الأنصار فتبسم رسول الله (ص) وقال ما يلام الرجل على حب قومه^(١) ،
لم يكن النبي (ص) ليشك في أن علياً أحب الخلق إلى الله من بعده لأن علياً
كان أحب الناس إليه ، ولا يكون أحبّ إلى الرسول إلّا لأنه أحب الخلق
إلى الله ، أما أنه أحب إليه من سائر الناس فيدل على ذلك قوله له (الحمد
لله الذي جعلك فاني أدعو في كل لقمة أن يأتيني بأحب الخلق إليه وإليّ
فكنت أنت) فهو يحمد الله ويشكره على مجيء علي وما هذا الحمد إلّا
لأنه قد أتاه بأحب الخلق إليه ، فهو يشكر الله على موافقة ما يحب لما يحبه
الله ، نعم كان الرسول (ص) يعلم ان علياً أحب الخلق إلى الله ، ولكنه
يريد أن يثبت للناس ذلك بأمر محسوس يلمسونه ليعرفوا منزلة علي من
الله والنبي ، فدعا الله أن يأتيه بأحب الخلق إليه ليأكل معه من هذا الطائر
المشوي فجاء بعد الدعاء علي عليه السلام يطرق الباب أولاً وثانياً
وثالثاً ورابعاً وفي كل ذلك يردّه انس لثلاث يفوز علي بهذه المنزلة العظيمة
من الله والرسول ، وأبى الله أن يرجع علي وقد دعا الرسول ربه أن يأتيه
بأحب الخلق إليه ، لأن رجوعه ومجيء غيره أمر متعذر بعد جعل رسول
الله (ص) قدوم القادم عليه إمارة على أنه أحب الخلق إلى الله والرسول .

وإذا كان الوصي أحب الخلق إلى الله والرسول بنص هذا الحديث
المتواتر المستفيض فهل يتخذ النبي خليلاً غير علي؟؟ لا : إن اتخذه غير
علي ترجيح من غير مرجح وهو أمر يستحيل على النبي صلى الله عليه

(١) ص ٦١ من الذخائر .

وآله وسلم ، ويستبعد من سائر العقلاء فضلاً عن الأنبياء الذين لا تصدر أعمالهم إلا عن وحي وحكمة .

فعلي إذن هو خليل الرسول لا يشاركه في ذلك مشارك ، فهذه السيدة عائشة تقول (قال رسول الله (ص) لما حضرته الوفاة أدعوا لي حبيبي ، فدعوا له أبا بكر فنظر إليه ثم وضع رأسه فقال ادعوا لي حبيبي ، فدعوا له عمر فلما نظر إليه وضع رأسه ، ثم قال ادعوا لي حبيبي ، فدعوا علياً فلما رآه أدخله معه في الثوب الذي كان عليه فلم يزل يحتضنه حتى قبض^(١) ، وأنت ترى انه أطلق لفظ الحبيب وأراد به علياً عليه السلام وهو أبلغ في المحبة من أن يقول ادعوا لي حبيبي علياً لأن رسول الله (ص) كان يحب كثيراً من الصحابة لما كان يرى فيهم من المزايا التي تستدعي حبه لهم ، ولكن لم يكن فيهم من إذا أطلق عليه لفظ حبيبي وهو يعنيه غير علي عليه السلام ، فهو الحبيب المطلق الذي يتبادر الذهن إليه حين الإطلاق ، ورسول الله (ص) حين يطلق لفظ الحبيب يعلم أن نساءه يفهمن المقصود به شخص علي ، ولذلك وجه إليهن دعوته معبراً عنه بهذا اللفظ ، ولا يطلب منهن دعوة الوصي بلفظ حبيبي وهو يعلم أنهن لا يفهمن قصده إذ أن ذلك يفوت الغرض المقصود ، على انه لا يتناسب مع بلاغة النبي أن يوجه لفظاً مبهماً لا يفهم إلاً بإيضاح وشرح ، وقد عرفت مما تقدم ما يدل على أنهن يفهمن ذلك فانه صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر عائشة بأن علياً أحب الرجال إليه ، كما هو صريح حديث معاذة الغفارية وقد علمنا أن السيدة عائشة نفسها كانت تجيب حينما تُسأل عن أحب الناس إلى النبي تقول علي أحب الناس إلى النبي من الرجال ، ولا شك أن السيدة حفصة كانت تعلم علم عائشة لأن رسول الله لا يخفي عليها مثل هذا الأمر الذي أطلع عليه عائشة وأوضحه لسائر المسلمين في مختلف الظروف والمناسبات .

(١) ص ٧٢ من ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى لمحب الدين شيخ الشافعية .

وأما دعوة السيدتين لأبي بكر وعمر فلأن أبا بكر والد عائشة وعمر والد حفصة ، وهما يريدان الخير لأبويهما ويأملان لهما المنزلة السامية من رسول الله (ص) وإذا كان الرجل لا يلام على حبّ قومه على حد تعبير رسول الله (ص) فأحرى بالفتاة أن لا تلام على حب أبيها .

ولو كان الرسول (ص) يجامل كما يجامل سائر الناس لكان بوسعهم أن يكلف أبا بكر عندما دعي على لسانه ببعض مصالحه ، ولكن بما لا شك فيه أنه ليس من الممكن أن يصدر عنه ذلك في مثل هذا المقام لأن هذا يستدعي أن يقرّ عائشة وحفصة على فهمهما من لفظ الحبيب ، وهو أمر لم يقصده بل يتنافى مع الحقيقة ونفس الأمر ، لأن لعلي منزلة لم تكن لأحد من الخلق فقد كان أحب الناس إلى الرسول بصريح قول السيدة عائشة ، وأعظمهم منزلة منه كما عرفت من قول أبي بكر في الفصل السابق ، وإذا كان علي أحبهم إليه وأعظمهم منزلة لديه ، فكيف يتظاهر في إقرار السيدتين على فهمهما وقد فوتا عليه أخاه وحبيبه وابن عمه وصهره ووزيره وهو بأشد الحاجة إليه ، ولا سيما قد دنا الرحيل وأوشك أن يودّع الحياة ، لذلك تراه صلى الله عليه وآله وسلم كان يكتفي بعدم إقرارهما بوضع رأسه مشيراً بذلك إلى أنه لم يعنهما في قوله لنسائه ادعوا لي حبيبي ، والاشارة في مثل هذا المقام أبلغ من التصريح لأنها ترمز إلى أنهما لم يصيبا الهدف ، في الوقت الذي لم يجرح شعورهما برفضه بصريح القول لمن دعوه على لسانه .

وقد برهن صلى الله عليه وآله على حبه لعلي في دعوته قولاً وفعلاً فان إدخاله في الثوب ، واحتضانه حتى قبض دليل أقوى دليل على عطفه العظيم ، وحبه الصميم ، وانه (ص) ليختضن علياً المرة الثانية ، فقد احتضنه وليداً أول ما واجه الحياة ، والآن يحتضنه وزيراً والرسول يستقبل الممات، وقد همس في المرة الأولى بأذنيه باسم الله الكريم وفي المرة الثانية أودعه سرّ الله العظيم .

وهذه ام سلمة رضي الله عنها ترى ان علياً أقرب الناس عهداً برسول الله (ص) فاصنع إلى حديثها لتعلم منزلته من النبي ولتعرف كيف كان (ص) يساره ويناجيه في آخر لحظة من لحظات الحياة تقول : (والذي أحلف أن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله (ص) قالت : عدنا رسول الله (ص) غداة بعد غداة يقول جاء علي؟؟ وأظنه كان بعثه في حاجة فجاء بعد فظننت أن له حاجة فخرجنا من البيت ، قعدنا عند الباب فكنت من أدناهم إلى الباب ، فأكب عليه علي فجعل يساره ويناجيه ثم قبض (ص) يومه ذاك فكان من أقرب الناس به عهداً ، أخرجه الامام أحمد^(١) » ومن هنا نعلم ان علياً كان خليلاً لرسول الله (ص) إذ أن من أظهر معاني الخليل هو الحبيب نقل في لسان العرب عن الزجاج انه قال « الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل وقوله عز وجل واتخذ الله ابراهيم خليلاً أي أحبه محبة تامة لا خلل فيها » وإذا كان الخليل هو الحبيب فقد اتضح اتخاذ النبي لعلي خليلاً له إذ ان حديث السيدة عائشة وكل ما تقدم يدل على ذلك ، على أننا لو أردنا أن نحمد على اللفظ لرأينا في الآثار ما يدل على أنه (ص) اتخذ خليلاً بلفظ خليل فقد روي مرفوعاً عن عطية انه قال (مرض النبي (ص) المرض الذي توفي فيه وكان عنده حفصة وعائشة فقال لهما ارسلاني خيلي ، فأرسلنا إلى أبي بكر فجاء فسلم ، ودخل فجلس ولم يكن للنبي حاجة ، ثم قام فخرج ثم نظر إليهما ثم قال ارسلاني خيلي ، فأرسلنا إلى عمر ، فجاء فسلم ودخل ولم يكن للنبي حاجة ، فقام فخرج ثم نظر إليهما فقال ارسلاني خيلي ، فأرسلنا إلى علي فجاء فسلم فلما جلس أمرهما فقاما فقال يا علي أدع بصحيفة ودواة ، فأملئ

(١) ص ٧٢ من الأغائر .

وكتب علي وشهد جبريل ، ثم طويت الصحيفة ، فمن حدثكم انه يعلم ما في الصحيفة إلاّ الذي أملاها أو كتبها أو شهد فيها فلا تصدّقوه (١) ، وأنت ترى من هذا الحديث والحديث السابق أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يعتر عن الامام إلاّ بلفظ حبيبي وخليلي مما يدلنا على أنّ هذا التعبير كان متعارفاً صدوره من النبي (ص) وهو يريد بهذا الاطلاق اظهار منزلته عليه السلام للناس ، ليفهمهم في آخر لحظة من لحظات الحياة ، أنّه (ص) يحب علياً ، وأنّه يخصه بمناجاته وسره ، وأنّه الثقة الأمين الذي يأمره بكتابة صحيفة لا يعرف ما فيها إلاّ الله والرسول والوصي ، والأمين على الوحي جبرئيل ، وهذا آخر درس من النبي عليه على الامة في حب الوصي ، وهو درس كاف لأن يفهمها أن علياً وليّ أمرها وخير من تأتمنه على دينها وسرّها .

وهناك حديث آخر ينص على ان الامام كان خليلاً للنبي ، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « إن خليلي ووزيرني وخليفتي ، وخير من أترك بعدي ، يقضي ديني ، وينجز مواعيدي علي بن أبي طالب (٢) » وهذا الحديث صريح لا يقبل المناقشة أو التأويل ، فعلي خليله ووزيره ، وخليفته وخير من يترك بعده ، ولا شك ان النبي (ص) إنما اتخذ خليلاً لأنّه خير أصحابه ، ولذلك كان وزيره في حياته ، وخليفته على الامة بعد وفاته شأن هرون من موسى .

ونراه (ص) في هذا الحديث قد نص على الامام بالوصيتين الوصية على الدّين — وهي الوصية الخاصة — والوصية على المسلمين — وهي الوصية العامة — فإن من يقضي الدّين هو الوصي الخاص الذي يتركه الميت على

(١) ص ٣٦١ من اللّثالي المصنوعه للعلامة جلال الدين السيوطي فقد ذكر هذا الحديث ولم يظن به مع طعنه بكثير من الاحاديث التي يرى وضعها .

(٢) رواه انس عن النبي (ص) كما في ص ٢١٣ الجزء الثاني من محاضرات الراغب الاصفهاني.

تركته ، وانجاز مواعيد النبي لا تكون إلاّ من قبل الامام الذي يخلفه على امته ، فعلي يقضي دين النبي ، وعلي ينجز مواعيده ، وهو مؤتمن على كليهما ، ولا يختار الرسول لمثل هذه المهمة إلاّ الرجل الكفو في دينه وأمانته ، وعلمه وعقله ، وحكمه وعدله ، وفي كل صفة من صفاته ، لذلك تراه في هذا الحديث ينص على انه خليفته وخير من ترك بعده ليعلم الناس أنّه الخليفة ، وأنّه خليفة بنص النبي (ص) ، ولا يكون خليفة على الامة إلاّ من آزر النبي في حياته وأشركه في أمره ، لأنه (ص) هو الذي سبر غوره وعجم عوده ، ولذا تراه في هذا الحديث ينص على وزارته ليعلم انه هو الوزير في حياته وهو الخليفة على الامة بعد وفاته .

ويتضح مما تقدم أنّ علياً عليه السلام هو خليل الله ، و خليل الرسول ، و خليل المؤمنين ، و خليل الاسلام والدين .

إمام ولولا ، لا ، لقلنا بأنه نبيّ تلقى الحكم من خير حاكم



صَاحِبْ

« يا علي أنت أخي وصاحبي »
(خاتم النبیین)

(أنت أخي وصاحبي ^(١)) هكذا يخاطب النبي (ص) علياً في حوار يدور بينهما كما يحدث بذلك حبر الامة عبد الله بن عباس ، وعلي حري بهذا الخطاب ، وجدير بهذه المنزلة الحصيفة من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فهو ابن عمه ، وزوج كريمته ، وأبو ولده ، وصاحب لواثه ، وأول من آمن به ، والباذل نفسه في سبيله ، وهو كما قال عنه ابن عباس (لعلني أربع خصال ليست لأحد غيره ، هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله ، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف ، وهو الذي صبر معه يوم فرّ عنه غيره ، وهو الذي غسله وأدخله قبره ^(٢)) وهذه الخصال والمزايا التي ينفرد بها الوصي من بين أصحاب الرسول (ص) حرية أن تخلق له هذه المنزلة ، وتفرض له هذه المكانة فيختاره النبي صاحباً ، ويختص به أخاً ويقول له بمرأى من أصحابه ، ومسمع من أتباعه (أنت أخي وصاحبي) مسجلاً هذه الأخوة ، ومخلداً هذه الصحبة بهذه الكلمة القصيرة الجامعة .

إن أصحاب رسول الله (ص) كثيرون ، وإن كثيراً منهم من كان حبيباً قريباً إلى رسول الله ، ولكن ليس فيهم شخص واحد له مكانة علي ،

(١) ص ٣٥ الجزء الثالث من كتاب الاستيعاب .

(٢) ص ٨٦ من كتاب ذخائر العقبى .

ومنزلة السامية منه صلى الله عليه وآله وسلم ، وحسبنا دليلاً على ذلك اتخاذه أخاً فان علياً لم يكن أخ النبي من حيث النسب لأنه ابن عمه وصهره فهو إذن أخوه من حيث المنزلة ، وحسب هذه الصحبة متانة وتأكيداً أن وطد النبي أساسها ، وأحكم بنيانها بأخوته العامة التي عقدها بينه وبين علي في الدنيا والآخرة ، وقد كانت رابطة الأخوة وثيقة بين الرسول (ص) وأخيه لا تزيدها الأيام إلا إحكاماً ، ولا مر السنين والتجارب إلا إبراماً .

فعلي أخو رسول الله وصاحبه ، وخير الإخوان من كان أخاً وصاحباً ، وحسب هذه الصحبة ان تسمو فتصل إلى الاخوة ، وحسب هذه الأخوة أن تنمو فتكون أخوة وصحبة .

كان علي عليه السلام - وهو طفل بين صدر النبي ونحره - وكان - وهو شاب - بين أهله وولده يعلمه من علمه ويؤدبه بأدبه ، وكان - وهو رجل - صهراً له وأخاً يشدّ به أزره ويشركه في أمره ، وهو في كل حال صاحب النبي (ص) لم يفارقه في سفر ولا حضر ، يقيم معه أتى أقام ، ويرتحل معه أنى ارتحل ، يدخل على رسول الله في النهار ، ويدخل عليه في الليل ، ويدخل عليه في السحر ، فهذا جرير يروي عن عبد الله بن يحيى قال : (قال علي لي ساعة في السحر أدخل فيها علي رسول الله (ص) فان كان في صلاته سبّح ، وإن لم يكن في صلاته أذن لي ^(١)) وكان عليه السلام يقول أيضاً (كانت لي منزلة من رسول الله (ص) لم تكن لأحد من الخلائق ، فكنت آتبه كل سحر فأقول السلام عليك يا نبي الله فان تنحنع انصرفت إلى أهلي وإلا دخلت عليه ^(٢)) وان تخصيص ساعة في السحر يدخل فيها الوصي على رسول الله (ص) اضافة إلى ما يلزمه في النهار لأكبر دليل على عظيم منزلته من النبي (ص) ، ولم يكن لأحد من

(١) ص ٢٩ من خصائص علي للامام النسائي .

(٢) ص ٣٠ من الخصائص للنسائي .

أصحابه بعض هذه المنزلة فقد كان جل أصحابه ينتظرون خروجه إلى المسجد ليحضرُوا مجلسه ويسمعوا منه ، وما كان كل هؤلاء يسألون رسول الله ، يقول عليه السلام من جملة كلام له طويل في تمييز الأحاديث الصحيحة (وليس كل أصحاب رسول الله (ص) كان يسأله ويستفهمه حتى ان كانوا يحبون أن يجيء الاعرابي أو الطاريء فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا ، وكان لا يمر شيء من ذلك إلاّ سألت عنه وحفظته^(١)) على أن بعض أصحاب رسول الله ممن كان له منزلة السؤال قد يُعطى وقد يُمنع فإنّ أبا ذر - وهو من أصحابه المقربين - يحدثنا عنه أمير المؤمنين عليه السلام وقد سئل عنه فقال (وعى علماً وكان شحيحاً حريصاً ، شحيحاً على دينه ، حريصاً على العلم ، وكان يُكثر السؤال فيُعطى ويُمنع ، أما انه قد ملئ له في وعائه حتى امتلأ^(٢)) وكانت ميزة الامام (ع) انه اذا سأل أعطي ، وإذا سكت ابتدء ، قيل له حدثنا عنك يا أمير المؤمنين « قال مهلاً » نبي الله عن الزكية ، فقال قائل فان الله عز وجل يقول وأما بنعمة ربك فحدث ، قال فاني احدثكم بنعمة ربي كنت إذا سألت أعطيت وإذا سكت ابتدئت ، فبين الجوانح مني ملئ علماً جمّاً^(٣) » كان علي أطول أصحاب رسول الله (ص) صحبة فقد صحبه وهو وليد واستمرت هذه الصحبة إلى آخر لحظة من حياة النبي (ص) ، أما أصحابه فقد ابتدأت صحبتهم بعد إسلامهم واعترافهم له بالنبوة ، وعلي (ع) طيلة هذه المدة يلزم النبي ليله ونهاره ، يستطلع أحكام الله ويستلهم أسرارهِ ، وكان يسأل فيجيب ويسكت فيبتدؤه النبي ، لذلك كان عليه السلام آية من آيات الله ، وصورة ثانية عن رسول الله (ص) تطفح الحكمة على لسانه ، ويتفجر

(١) ص ٤٩٩ من الينايع .

(٢) ص ٤٩ من منتخب الكنز .

(٣) ص ٤٩ من منتخب الكنز .

العلم من ينابيعه ، ويشيع العدل والصدق في حكمه وسلطانه ، وكان بحق كما قال الرسول (ص) عنه (أعلم الناس بالله والناس ^(١)) فعلي إذن يمتاز في صحبته كما وكيفاً ، وكان لهذه الصحبة مع استعداد الفطري الأثر الكبير في تكوين شخصيته العلمية كما سنعرض لذلك مفصلاً في مضانه إن شاء الله تعالى .

نعم كان للوصي ميزة الكلام مع النبي (ص) فقد كان يكلمه في حالتي الرضا والغضب ، وما كان يجرأ أحد أن يكلمه إلاّ إذا عرف منه الرضا ، فهذه أم سلمة تقول (كان رسول الله (ص) إذا غضب لم يجرأ أحد أن يكلمه إلاّ علي ^(٢)) وما ذلك إلاّ لحب النبي له ، وعظيم منزلته منه ، فقد كان رسول الله (ص) برّاً عطوفاً شقيقاً رفيقاً بهذا الصاحب فهذا ابراهيم بن عبيد بن رفاعه بن رافع يروي عن أبيه عن جده فيقول : (أقبلنا من بدر ففقدنا رسول الله (ص) فنادت الرفاق بعضها بعضاً أفيكم رسول الله ؟ فوقفوا حتى جاء رسول الله (ص) ومعه علي بن أبي طالب فقالوا يا رسول الله فقدناك ، فقال إن أبا حسن وجد مغصاً في بطنه فتخلقت عليه ^(٣)) وقد بلغ الوجد بالنبي ما تحدثنا به أم عطية فقد قالت (بعث النبي (ص) جيشاً فيهم علي فسمعت رسول الله (ص) وهو رافع يديه يقول : اللهم لا تمنني حتى تريني علياً ^(٤)) فهو صلى الله عليه وآله وسلم يطلب من الله عز شأنه أن يمدّ في أجله ليرى علياً ، وهذا الدعاء كناية عن طلب السلامة لأنه إنما يريد أن يراه ليشهد صحته وسلامته ، وتدلنا هذه الكلمة على منزلة عظيمة لعلي في نفس النبي ، فكأنه صلى الله عليه وآله إنما يطلب الحياة ليراه ، فرؤية علي إذن هي الغاية من طلب الحياة . وهو (ص)

(١) ص ٣٣ من منتخب الكنز .

(٢) ص ٧٣ الصواعق المهرقة لابن حجر .

(٣) ص ٩٤ من ذخائر العقبي .

(٤) ص ٩٤ من ذخائر العقبي وقد أخرجه الامام الترمذي .

لا يبالي بعدئذٍ إذا ما دنا الموت ، ما دامت دعوته استجيبت برؤية علي أخيه ووزيره .

وقوله هذا أبلغ من أن يقول اللهم لا تمت علياً لأنه ليس في ذلك ما في قوله الأول من عظيم المنزلة ، على أنه (ص) يطلب السلامة لكل أصحابه المنتخبين وسائر جنوده المحاربين ، ولكن لا يطلب الحياة ليشاهدهم فان حياتهم في مشاهدته ، وعزهم ومجدهم في حياته ودوام ظله .

ونفهم من هذا الدعاء معنى آخر من معاني العطف فان علياً عليه السلام في حومة الوغى وبين مشتعلي الرماح والسيوف ، فهو أدنى إلى الخطر واحتمال التلف من النبي الذي هو في بيته لا يروعه مروع ، ولكننا مع ذلك نراه (ص) يقول : اللهم لا تمتني ، ولا يقول اللهم لا تمت علياً وما ذلك إلاً لأنه صلى الله عليه وآله وسلم يريد أن يبعد عن ذهنه خطر الموت المحدث بعلي ، فهو يريد أبداً أن يتصور علياً حياً لا يدنو إليه خطر ولا يقرب نحوه ضرر ، وهو يتمنى له على الدوام حياةً خالدةً ، تحقق عليها أعلام النصر ، وتلى بها آيات الظفر ، وهكذا يتمنى النبي حياته ليرى حياة علي ، ويبعد عنه شبح الموت ليبعد الموت عن الوصي .

وليس ذلك بالغريب من النبي (ص) فان في حياة علي حياة الدين وفي سلامته سلامة المسلمين .

وهناك مظهر آخر من مظاهر الحنان نقرؤه في حديث انس فانه يروي فيقول (ان النبي (ص) بعث علياً وبعث رجلاً خلفه وقال ادعه ولا ترعه من ورائه ^(١)) يقول ذلك النبي (ص) وهو يعلم جد العلم بسالة أخيه ورباطة جأشه ، ولكن حنانه الأخوي يأبى إلاً أن يظهر بهذا المظهر الجلي ، على انه درس بليغ يمليه النبي على الامة يعرفها فيه معنى الحنان ويفهمها كيف

(١) ص ٩٥ من ذخائر العقبي .

يجب أن يشيع الرفق في بني الانسان .

ويقول عليه السلام « مرضت فعادني رسول الله (ص) فدخل وأنا مضطجع فأتى إلى جنبي فسجاني بثوبه ، فلما رأيته قد ضعفت قام إلى المسجد يصلي ، فلما قضى صلاته جاء فرفع الثوب عني ، ثم قال قم يا علي فقد برئت ، فقممت فكأني ما اشتكيت ، فقال ما سألت ربي شيئاً إلا أعطاني ، وما سألت الله شيئاً إلا سألت لك ^(١) » ، وفي رواية « ما سألت الله لي شيئاً إلا سألت لك مثله ، ولا سألت الله شيئاً إلا أعطانيه غير انه قيل لي انه لا نبي بعدك » فقممت فكأني ما اشتكيت ^(٢) . وأنت تقرأ في هذا الحديث منتهى العطف وقصارى الحب ، فهو (ص) يدعو الله أن يعافي علياً فيقوم كأنه لم يشك مرضاً ، ثم يخبره بأنه ما سأل لنفسه شيئاً إلا سأل له مثله . وانه ما طلب أمراً إلا أعطاه الله إياه ، إلا ما كان من أمر النبوة فانه قد طلبها له فأخبر بأنه لا نبي بعده ، أي انه اخبر بأن شريعته خاتمة الشرائع ، وإذا كانت كذلك فلا يمكن أن يلبي طلبه ، فعدم تلبية طلبه لم يكن إلا لعدم النبوة من بعده ، وإلا لأعطاه الله ذلك فان الله عز وجل لا يرد له طلباً ، ونحن كما نقرأ في هذا الحديث حب النبي وعطفه ، فانا نقرأ فيه أيضاً عظمة الوصي ، ومنزلاته في نظره ، فهو صلى الله عليه وآله لا يطلب له النبوة إلا لأنه يراه كفوّاً لمثل هذا المنصب الالهي العظيم . فقد رأى فيه من المزايا والخلال ، ما يدفعه لأن يبتهل إلى الله عز اسمه أن يجعل أخاه علياً نبياً كما اجيب سؤل موسى في أخيه هرون ، ولكنه عز اسمه قد لبى طلبه بأن جعله وصياً ووزيراً له ، فقد هبط عليه جبريل وقال له « يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك علي منك بمنزلة هرون من

(١) ص ٤٣ من منتخب كنز العمال .

(٢) ص ٤٣ من منتخب الكثر .

موسى لكن لا نبي بعدك^(١) » يقول الله ذلك للنبي (ص) بعد أن قال - كما تروي ذلك أسما بنت عميس - « اللهم اني أقول كما قال أخي موسى واجعل لي وزيراً من أهلي أخي علياً أشدد به أزري ، وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ، ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً^(٢) » فالله عز وجل قد أشرك علياً في أمر رسول الله ولكن ليس على سبيل النبوة ، بل على سبيل الوصاية والوزارة ، لذلك كان (ص) يقول لعلي (أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) فيعطيه كل منزلة كانت له إلا النبوة كما فصلنا ذلك في الفصل الذي عقدناه لوزارة الامام عليه السلام .

ونرى النبي (ص) يحرص جد الحرص على أن يكون عليّ صاحبه في الآخرة كما هو صاحبه في الدنيا ، وهو يطلب له من الله في الآخرة من المميزات وصفات الكمال ما يطلب له في الدنيا قال (ص) « يا علي اني سألت ربي عز وجل فيك خمس خصال فأعطاني ، أما الأولى فاني سألت ربي أن تنشقّ عني الأرض ، وأنفض التراب عن رأسي وأنت معي فأعطاني ، وأما الثانية فسألته أن يوقفني عند كفة الميزان وأنت معي فأعطاني ، وأما الثالثة فسألته أن يجعلك حامل لوائي وهو لواء الله الأكبر عليه المفلحون الفائزون بالجنة فأعطاني ، وأما الرابعة فسألته ربي أن تسقي أمتي من حوضي فأعطاني ، وأما الخامسة فسألته ربي أن يجعلك قائد أمتي إلى الجنة فأعطاني فالحمد لله الذي منّ به عليّ^(٣) » .

وليس غريباً أن يسأل الرسول الأعظم ربه جل جلاله أن يكون علي معه عندما تنشق عنه الأرض ، وأن يقف معه عند كفة الميزان وهو صاحبه ورفيقه ووزيره وشريكه في أمره ، كما انه ليس بالعجيب أيضاً إذا ما رغب النبي

(١) ص ٦٤ من ذخائر العقبي .

(٢) ص ٦٣ من الذخائر وقد نقله عن الامام احمد في المناقب .

(٣) ص ٥١ مستغيب الكثر .

إلى الله في أن يكون علي الساقى على الحوض ، والقائد للامة إلى الجنة ،
والحامل للواء الله الأكبر ، وهو من نعلم ، صاحب لواء رسول الله في
كل زحف ، والقائد إلى الخير والهادي إلى سواء السبيل .

وكان يقول (ص) في علي خمس خصال لم يُعطاها نبي في أحد قبلي
أما الخصلة الاولى^(١) فإنه يقضي ديني ويواري عورتي ، وأما الثانية فإنه
الذائد على حوضي ، وأما الثالثة فإنه متكأ لي في طريق الحشر يوم القيامة ،
وأما الرابعة فإن لوأتي معه يوم القيامة وتحتة آدم وما ولد ، وأما الخامسة
فاني لا أخشى أن يكون زانياً بعد احصان ، ولا كافراً بعد إيمان^(٢) «
فعلي هو الساقى على الحوض ، وعلي هو الذائد عنه ، يسقي منه من أحبه
من المؤمنين ، ويزود عنه من يبغضه من المنافقين ، يقول أبو سعيد
الخدري : قال رسول الله (ص) « يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي
الجنة ، تزود بها المنافقين عن الحوض^(٣) » ويحق لعلي أن يزودهم عن
الحوض لأنهم (في الدرك الأسفل من الجحيم) كما هو صريح القرآن
الكريم ، وكما عهد الله إلى علي أمر الحوض فقد عهد إليه أيضاً أمر
الصراط ، قال أبو بكر رضي الله عنه : سمعت رسول الله يقول « لا
يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز^(٤) » فلنحول الجنة إذن
منوط بالوصي لأنه لا يدخل الجنة إلا من اجتاز الصراط ، ولا يجتاز
الصراط إلا من كتب له علي الجواز ، وهو لا يمنحه إلا لمن اعتصم
بجبله ، ولاقى الله بحبه وحب أهل بيته ، فقد قال رسول الله (ص) « لو
أن رجلاً صف بين الركن والمقام فصلى وصام ، ثم لقي الله مبغضاً لأهل

(١) ص ٥١ منتخب الكنز .

(٢) ص ٥١ منتخب الكنز .

(٣) ص ٩١ ذخائر العقبى .

(٤) ص ٧١ ذخائر العقبى .

بيت محمد دخل النار (١) .

هذا علي في النشأتين ، وهذه حياته في الدارين ما ترى وتشاهد من المنزلة السامية ، والمكانة الممتازة عند الله والرسول ، وهو في الآخرة كما هو في الدنيا أمير وسيد وقائد ، وهو صاحب لواء رسول الله وقد حدثنا عنه النبي (ص) فقال مخاطباً للامام من جملة حديث له (ثم ابشر إنك أول من يدعى بك لقرابتك مني وميزتك ، ومنزلتك عندي فيدفع إليك لوائي - وهو لواء الحمد - تسير به بين السماطين ، آدم وجميع خلق الله تعالى مستظلون بظل لوائي يوم القيامة ، فتسير باللواء ، الحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتى تقف بيني وبين ابراهيم في ظل العرش ، ثم تكسى حلة من الجنة ، ثم ينادي مناد تحت العرش نعم الأب أبوك ابراهيم ، ونعم الأخ أخوك علي ، أبشر يا علي انك تكسى إذا كسيت ، وتدعى إذا دعيت وتحيا إذا حييت (٢) . وهذا انتهى ما يتصور من العظمة ، إنه يدعى إذا دعي الرسول ، ويكسى إذا كسي ، ويحيا إذا حيي ، وهو يسير بلواء يستظل به آدم وما ولد من الأنبياء والصدّيقين ، والشهداء والصالحين ، وأعظم بها من منزلة ، وواضح ان من كانت هذه منزلته من الله والرسول فلا يحتاج إلى حساب ، لأن صحيفته ناصعة ، وأعماله كلها صالحة يقول له رسول الله « يا علي انك أول من يقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب (٣) » نعم يدخلها بغير حساب يده في يد رسول الله ، يسير معه أنتى سار ، ويقبم معه أنتى أقام ، ويدخل معه أينما دخل شأن الصاحب مع صاحبه ، والتحليل مع خليله ، والرفيق مع رفيقه ، يقول عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي (يا علي

(١) ص ١٨ ذخائر العقبى .

(٢) أخرجه احمد في المناقب كما في ص ٧٥ من ذخائر العقبى .

(٣) ص ٦١ من ذخائر العقبى .

يدك في يدي ، تدخل معي يوم القيامة حيث أدخل^(١) .

وكما كان علي (ع) حجة في الدنيا فكذلك نراه حجة في الآخرة يحدثنا انس بن مالك فيقول (كنت عند النبي (ص) فرأى علياً مقبلاً فقال : (يا انس قلت لبيك ، قال : هذا المقبل حجني على امتي يوم القيامة^(٢)) ومما تقدم يظهر لنا جلياً أنّ علياً صاحب رسول الله الحبيب إليه والقريب منه ، ويتضح للقارئ أيضاً أنّ له منزلة ليست لأحد من الناس سواء أكان ذلك في الدنيا أم في الآخرة .

وعلي عليه السلام مع علمه بمنزلته عند الله والرسول فإنه ما كان ليزداد إلاّ خشوعاً لله . وخضوعاً لرسوله ، يأمره فيأتمر ، وينهاه فينتهي ، وما كان يصنع شيئاً إلاّ إذا علم ان الله فيه رضى ، ولرسوله فيه رغبة ، وهو خشن في ذات الله لا تأخذه في الحق لومة لائم ، وهذا واضح لكل من درس تاريخ الامام عليه السلام ، وهو يمتاز في هذه النواحي عن كافة أصحاب النبي فإنّ كثيراً منهم من كان يحاور النبي ويراجعه ويعترض عليه ، كأنهم كانوا يرون أن امثال أوامره ونواهيه إنما يكون في الاوامر الشرعية فقط ، أما ما يتعلق في السياسة والامور الاجتماعية والشؤون العامة فانهم لا يرون وجوب الأخذ بأوامره ، وإنما يرجعون في مثل هذه الامور إلى أفكارهم ، وإلى ما تقتضيه المصلحة حسب أنظارهم ، وأمثلة ذلك كثيرة وكثيرة جداً فهذا أبو حفص عمر بن الخطاب (رض) ينكر صلح الحديبية أشد الانكار لأنه يرى أن في هذا الصلح دنية لا ينبغي السكوت عليها ، ويرى أن من الواجب أن يمضوا لا يلوون على شيء ما داموا على حق ، وما دام خصمهم على باطل ، وما دام قتلهم في الجنة وقتلى اولئك في النار .

(١) ص ٨٩ ذخائر العقبى .

(٢) ص ٧٧ من الذخائر .

أما رسول الله (ص) فقد أجرى الصلح لأنه كان يرى أن هذا الصلح سيكون سبباً لانتشار الاسلام ، ودخول جماعات كثيرة في صفوف المسلمين ، وهكذا كان الأمر ، وقد اعتبر القرآن الكريم هذا الصلح فتحاً في الاسلام فقال تعالى مخاطباً لرسوله (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) وقد ذكر البخاري^(١) وغيره هذه القضية فقال من جملة حديث جاء فيه إن عمر بن الخطاب قال : (فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ (ص) فَقُلْتُ أَلَسْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ؟؟ قَالَ بَلَى ، قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟؟ قَالَ بَلَى ، قُلْتُ فَلِمَ نَعْطِي الدُّنْيَا فِي دِينِنَا إِذْنٌ ؟؟ قَالَ (ص) إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ ، وَهُوَ نَاصِرِي ، قُلْتُ أَوْ لَيْسَ كُنْتُ تَحْدِثُنَا أَنَا سَنَأُيَ الْبَيْتِ فَنَطُوفُ بِهِ ؟؟ قَالَ بَلَى فَأَخْبِرْتِكَ أَنَا نَأْتِيهِ الْعَامَ ، قَالَ قُلْتُ لَا ، قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ) قَالَ فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟؟ قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟؟ قَالَ بَلَى ، قُلْتُ فَلِمَ نَعْطِي الدُّنْيَا فِي دِينِنَا إِذْنٌ ؟؟ قَالَ أَيْهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ (ص) وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ ، وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغُرْزِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، قُلْتُ أَلَيْسَ كَانَ يَحْدِثُنَا أَنَا سَنَأُيَ الْبَيْتِ وَنَطُوفُ بِهِ قَالَ بَلَى فَأَخْبِرْكُ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ قُلْتُ لَا ، قَالَ فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ ، قَالَ الزُّهْرِيُّ قَالَ عُمَرُ : فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا ، قَالَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِضْيَةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) لِأَصْحَابِهِ قَوْمُوا فَأَنْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا ، قَالَ فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟؟ أَخْرَجَ ثُمَّ لَا تَكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بَدَنَكَ ، وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ ، فَخَرَجَ فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ، نَحَرَ بَدَنَهُ ، وَدَعَا حَالِقَهُ

(١) ص ٨٤ الجزء الثاني من البخاري وقد ذكر ذلك مسلم في باب صلح الحديبية في الجزء الاول من صحيحه .

فحلقة ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يخلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً : الحديث^(١) ويحدث الحلبي في سيرته^(٢) أن عمر بن الخطاب جعل يردّ على رسول الله (ص) الكلام فقال له أبو عبيدة ابن الجراح ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله (ص) يقول ما يقول نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال الحلبي وقال رسول الله (ص) يومئذ يا عمر اني رضيت وتأبى؟؟ ونقل الحلبي وغيره ان عمر كان بعد ذلك يقول (ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي ، وأعتق مخافة كلامي الذي تكلمت به) والذي يظهر ان أبا حفص كان على شك من دخول المسلمين البيت ، لذلك تراه يستفسر عن هذا الأمر من رسول الله ، ثم يعيد الكرة فيستفسر مرة ثانية من أبي بكر بعد أن أجابه الرسول (ص) بأنه لم يقل له انهم يدخلونه هذا العام ، وانهم سيدخلونه بعد ذلك ويطوفون به ، الأمر الذي جعل أبا بكر أن يعيد عليه جواب رسول الله (ص) ثم يأمره بأن يتمسك باطاعة نبيه (ص) مقسماً له بأنه على الحق^(٣) ولكن عمر يحدثنا بعد سماعه لكلام الرسول وكلام أبي بكر انه عمل لذلك أعمالاً مما يدلنا على ان الغضب كان بالغاً أشده من عمر ، وذلك لأنه كان يرى ان هذا الصلح ليس من مصلحة الاسلام في شيء ، لذلك أخذ يعارض الرسول بمثل هذا الاسلوب ، ويظهر أن أكثرية الصحابة كانوا يرون رأي عمر في هذه المسألة ولذلك تراه لم يمثلوا أمره في خلق رؤوسهم ولا في نحر بدنه ، وكان يحمل بهم جميعاً أن يمثلوا الأمر ، وأن يعتقدوا - وإن لم تصل أفكارهم إلى سر الصلح - أن رسول الله ما دام رسول الله حقاً فانه

(١) وقد ذكر ذلك ايضاً الامام احمد في مسنده فراجع ص ٣٢٠ من الجزء الرابع .

(٢) ص ١٩ من الجزء الثالث .

(٣) وقد ذكر هذه المعارضة الامتاذ العقاد ص ٢٨٠ من كتابه عبقرية عمر وذكر ان ابا بكر قال لعمر الزم غرزك - اي رحلك - في حين أن الرواية كما ترى (فاستمسك بقرنه) اي بغرز رسول الله وغرزه طاعته ، ولا معنى لان يأمره بأن يتمسك براجلته وهذا واضح من سياق كلام أبي بكر .

لا يصدر إلاّ عن وحي يوحى ، وانه لا يختار إلاّ ما يختاره الله له ، وهو جلّ جلاله لا يختار إلاّ عز الاسلام ونصر الدين ، وإلى ذلك أشار الرسول بقوله لعمر « اني رسول الله ، لست أعصيه ، وهو ناصري » أي ان الله قد أمرني بالصلح فلا أعصيه بتركه ، ثم انه أخبرهم بأنه ناصره ، وإذا كان الله ناصره فليس هناك محذور في هذا الصلح ما دام النصر محققاً والفتح قريباً .

وقد حزن عمر (رض) كثيراً على ما صدر منه من أعمال تعرقل سير الصلح يومئذ فآخذ بعد ذلك يصوم ويصلي ويتصدق مخافة كلامه ومعارضته ، وكذلك ندم الجميع وطلق كل منهم يكاد يقتل الآخر هماً وغماً .

وقد لا تستغرب هذه المعارضة لأنهم كانوا جديدي العهد في الاسلام فلا يعرفون النبي حق معرفته .

أما علي عليه السلام فرأيه في المسألة رأي رسول الله ، فما رأى الرسول رأياً ، ولا قال قولاً إلاّ سارع علي (ع) إلى اتباعه والعمل بمقتضاه ، شأنه في كل أمر يراه الرسول ، وكان النبي (ص) يوم الحديبية - وكذا في سائر الأيام - يعتمد على أيمان علي وإخلاصه وشدة بأسه ، فهو (ص) يهدّد به وبصارمه جماعة المشركين ان لم ينتهوا عن غيهم ، فهذا علي (ع) يقول^(١) « لما كان يوم الحديبية خرج إلينا ناس من المشركين منهم سهيل بن عمرو وأناس من رؤساء المشركين فقالوا لرسول الله (ص) خرج إليك ناس من أبنائنا وأخواننا وأرقائنا وليس بهم فقه في الدين ، وإنما خرجوا فراراً من أموالنا وضياعنا فارددهم إلينا ، فان كان بهم فقه في الدين سنفقههم ، فقال النبي (ص) « يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين فقد امتحن الله قلبه على

(١) ص ٧٦ ذخائر العقبى .

الايمان ، فقالوا مَنْ هو يا رسول الله؟؟ وقال أبو بكر مَنْ هو يا رسول الله؟؟ وقال عمر مَنْ هو يا رسول الله؟؟ قال هو خاضف النعل وكان أعطى علياً نعله يخضفها « ويروي الامام أحمد في مسنده (١) » أنه جاء النبي اناس من قريش قالوا يا محمد إنا جيرانك وحلفاؤك، وإنّ ناساً من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبة في الدين ، ولا في الفقه إنما فرّوا من ضياعنا وأموالنا ، فارددهم إلينا ، فقال لأبي بكر ما تقول؟؟ قال صدقوا إنهم جيرانك ، قال فتغيّر وجه النبي ، ثم قال لعمر ما تقول؟؟ قال صدقوا إنهم بلجيرانك وحلفاؤك ، فتغيّر وجه النبي الخ « والذي يظهر منه انه صلى الله عليه وآله كان قصده من هذا السؤال أن يردّ طلب قريش فلا يرجع إليها مَنْ خرج إليهم من أبنائها واخوانها وأرقائها ، ولكنه في الوقت نفسه كان يرغب أن يبدي هذا الرأي مَنْ كان معه من أصحابه ليري قريشاً أنّ هذا أمر يراه الجميع ، فلا يلام بعدئذ فيما إذا جابههم بالرد ، لذلك تراه ابتداءً أبا بكر بالسؤال فكان جوابه مخالفاً لرغبته (ص) ولذلك تغير وجهه وهو لا يتغير إلاّ إذا غضب ، وأعاد السؤال نفسه على عمر فأجاب بما أجاب به أبو بكر من أنهم جيرانه وحلفاؤه ، وكان (ص) يظن أن عمر سوف لا يجيب بجواب أبي بكر بعد ظهور الغضب على وجهه (ص) من جوابه ، وإلاّ فإن إعادة السؤال مع العلم انه سيجيب بنفس الجواب يخالف الغرض الذي يستهدفه النبي من اللقاء السؤال على أصحابه ، ولم يكن الدافع للشيخين (رض) إلى هذا الجواب جبهما للمشرّكين أو تقديم مصلحتهم على مصلحة الرسول ، وإنما قالا ذلك ليتوددا إليهم فيأمنّا شرهم ومكرهم . فان المسلمين كانوا مستضعفين وكانوا لا يزالون ينحشون سطوة الكافرين ، على أنّهما يعتقدان ان رسول الله لا يصدّه عن رأيه أحد ، وهذا ما جعلهما بمضيان في إبداء رأيهما بصورة

(١) ص ١٥٥ الجزء الاول من مسند الامام احمد المطبوع على هامشه منتخب كثر المال .

تستجلب عطف هؤلاء المشركين .

وقد كان البعض يرى ان الضرورة قد تدفعه إلى ارتكاب ما هو فوق ذلك فهذا حاطب بن بلتعنه — كما يحدثنا بذلك البخاري —^(١) يرسل صحيفته إلى المشركين فيقول له رسول الله (ص) « ما حملك على ما صنعت ؟ قال : أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع بها عن أهلي ومالي ، وليس من أصحابك أحد إلا له هناك من قومه ممن يدفع الله به عن أهله وماله ، فقال رسول الله (ص) صدقت لا تقولوا له إلا خيراً ، فقال عمر قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني فلاضرب عنقه » وقد عذره الرسول (ص) لما أبان له السبب . واستكشف من كلامه الصدق فحكم بصدقه . ثم نهي أصحابه أن يقولوا له إلا خيراً ، ولكن عمر قد استعظم الأمر ورأى ان ذلك خيانة منه لله وللرسول وللمؤمنين ، ولذلك تراه يطلب من الرسول أن يأذن له بضرب عنقه ، وقد أنساه استعظامه لهذا الأمر قول نبيه لهم « لا تقولوا له إلا خيراً » .

ومما يدل على أن كثيراً من أصحابه (ص) لم يكونوا متقيدين بأوامر الرسول ونواهيه ما يحدثنا به انس^(٢) قال (كان في عهد رسول الله رجل يعجبنا تعبده واجتهاده ، وقد ذكر ذلك لرسول الله (ص) باسمه فلم يعرفه ، فوصفناه بصفته فلم يعرفه ، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل ، قلنا هو هذا ، قال انكم لتخبروني عن رجل إن في وجهه لسفعة من الشيطان ، فاقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم ، فقال له رسول الله (ص) انشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحد أفضل مني ؟؟

(١) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين من الجزء الرابع من صحيحه

(٢) ذكر سيدنا في كتابه الجليل الفصول المهمة ص ١٠٨ ان هذا الحديث ذكره ابو يعلى في مسنده (كما في ترجمة ذي الندية من اصابة ابن حجر) وأخرجه الحافظ محمد بن موسى الشيرازي في كتابه الذي استخرجه من تفاسير يعقوب بن سفيان وجماعة كثيرون عدد اسماءهم فراجع وذكر نحواً منه الامام احمد في الجزء الثالث من مسنده ص ١٥ .

أو خير ؟ في قال اللهم نعم ثم دخل يصلي ، فقال رسول الله (ص) مَنْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ ؟؟ فقال أبو بكر أنا ، فدخل عليه فوجده يصلي ، فقال سبحان الله أقتل رجلاً يصلي ، فخرج فقال رسول الله (ص) ما فعلت ؟؟ قال كرهت أن أقتله وهو يصلي وأنت قد نهيت عن قتل المصلين ، قال مَنْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ ؟؟ قال عمر أنا فدخل فوجده واضعاً جبهته فقال عمر — أبو بكر افضل مني — فخرج فقال له النبي (ص) مهيم ، قال وجدته واضعاً جبهته فكرهت أن أقتله ، فقال مَنْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ ؟؟ فقال علي أنا فقال (ص) أنت إن أدركته ، فدخل عليه فوجده قد خرج ، فرجع إلى رسول الله (ص) فقال مهيم قال وجدته قد خرج قال لو قتل ما اختلف من أمي رجلاً .

وأنت ترى أن أبا بكر وأبا حفص رضي الله عنهما لم يقتلا الرجل في الوقت الذي أمرهما النبي في ذلك لأنهما قد وجداه يصلي وهما يكرهان قتل المصلين .

أما الامام فقد مضى لينفذ أمر الرسول (ص) وقد قال له (ص) « أنت ان أدركته » فحكم لعل قبل أن يمضي بانه سيقتل الرجل إن أدركه لأنه يعلم (ص) علم اليقين ان أبا الحسن لا يخالف له امرأ ، فاذا ادرك الرجل فتك به لا محالة ، غير مغتر بصلاته ، ولا مخدوع بركوعه وسجوده ، وكيف لا يقتله وقد امره الرسول بذلك . ولا يأمره (ص) إلا لأن هذا الرجل منافق يبطن خلاف ما يظهر من الخشوع والخضوع لله عز اسمه ، وأدل دليل على هذا النفاق عدم سلامه واعتقاده في نفسه انه أفضل القوم ، وفيهم رسول الله (ص) سيد المرسلين ، وأفضل الناس أجمعين .

وإن اعتقاده هذا كاف للحكم بمروقه من الدين ، ولعل الرسول الكريم إنما سأله عما دار في نفسه ليظهر حقيقته لأصحابه ، فاذا أمرهم بقتله أقدموا على ذلك وهم على علم من خروجه ومروقه .

وليس من العجيب أن يقدم الامام على قتل هذا المارق امثالاً لأمر

الرسول ، وهو الذي قد شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، ووقف حياته على خدمة الاسلام ، وإنّ الذي لا يتوقف عن التفرير بنفسه امثالاً لأمر الرسول كيف يتوقف في قتل مارق حكم النبي بقتله وقتل قومه ، وقد وصفهم الرسول (ص) فقال « يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شر البرية ^(١) » .

وهناك موارد كثيرة لعدم تعبد كثير من الصحابة بنصوص رسول الله يعرفها المتبعون ^(٢) وكان الامام عليه السلام ينقاد إلى أوامر الرسول وينفذها كما تلقى إليه ، فهو في كل حال يسمع أمره ويخضع له ، وينتهي عما نهاه عنه ، يرضى بما يرضى الله به ورسوله ، يحب ما يحب ، ويكره ما يكره ، فإذا أمر الرسول أمراً فلا يرى الامام سبيلاً غير الامثال ، وإذا نهى عن شيء فلا يرى عليه السلام سبيلاً غير الاجتناب ، سواء أكان ذلك في الامور الشرعية أم غيرها لأنه صلى الله عليه وآله رسول الله ، فأمره ونهيه مستمدان من الله عز وجل ، والله والرسول لا يأمران بشيء إلاّ لأن فيه مصلحة تفرض هذا الأمر ، ولا ينهيان عن شيء إلاّ لأن فيه مفسدة تستدعي هذا النهي ، والرسول (ص) لا يصدر إلاّ

(١) ص ١٥ الجزء الثالث من مسند الامام احمد .

(٢) من اراد التوسع في البحث فليرجع الى الفصل الثامن من كتاب (الفصول المهمة في تأليف الامة) لمؤلفه علامة جبل عامل الاكبر الامام السيد عبد الحسين شرف الدين صاحب المراجعات وغيرها من المؤلفات الجليلة الخالدة ، والفصول صرخة حق ضمنها السيد آراءه الاصلاحية التي تجمع الكلمة ، وتجعل الامة الاسلامية امة متكاتفه متحدة ، فجدير بالباجئين ، وبالشباب الاسلامي الحر المتشبع بالروح الدينية ان يرجعوا جميعاً الى هذه الفصول المحتمة ، ليقتبسوا من فوائدها ، ويتهجروا نهجها ، ويسيروا على صراطها المستقيم ، وقد طبع الكتاب مرات عديدة فكان منهل الوارد ، وكعبة القاصد وبغية العالم والباحث ، فنع الله الامة بعلم السيد وقله .

عن وحي سواء أكان ذلك في الدين أم السياسة أم الاجتماع ، فهو (ص) في كل أحواله وسائر أطواره ، (لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى) ، وكان الامام يعلم ذلك علم اليقين ، لهذا كان رهن إشارته وطوع بنائه ، وقد رزقه الله إيماناً قوياً يفرض عليه هذه الطاعة ، ومنحه عقلاً كبيراً يدرك فيه أسرار تلك الأوامر ، وحكم هاتيك النواهي ، ووهبه اذناً واعية تفهم ما يقوله النبي ، وتعي احكامه ، وكان يستفسر منه (ص) عن كل أمر لا يعلم رأيه فيه فاذا أوضح الرسول (ص) له الأمر انقاد إليه علي بكله ، وأخذ ينفذه كما يريد (ص) من غير زيادة ، ولا نقصان مدعناً له ، مؤمناً بأن ما يقوله الرسول (ص) وحي لا يعتريه شك فلا يقبل النقد ولا الرد ، فعن أبي هريرة قال : قال عمر ان النبي (ص) « قال : لأدفعن اللواء غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ، يفتح الله به ، قال عمر ما تمنيت الإمرة إلاّ يومئذ ، فلما كان الغد تطاولت لها فقال يا علي قم إذ هب فقاتل ولا تلتفت ، حتى يفتح الله عليك ، فلما قفى كره أن يلتفت ، فقال يا رسول الله علام اقاتلهم؟؟ قال حتى يقولوا لا إله إلاّ الله ، فاذا قالوها حرمت دماؤهم وأموالهم^(١) » وأنت تستطيع أن تعرف من هذا الحديث مدى اطاعته عليه السلام للنبي (ص) فهو يستفسر منه علام يقاتلهم لينفذ أمر الرسول على منهاجه الذي ينتهجه له ، شأن الجندي المخلص الذي يمثل الأمر على النحو الملقى إليه ، وترى انه حين قفى كره ان يلتفت لأن رسول الله (ص) قد نهاه عن أن يلتفت حتى يفتح الله عليه ، مع انه يعلم (ع) ان هذا النهي إنما وجه إليه حين الحرب ، ولكنه (ع) حين قفى فرض انه قد شرع في تنفيذ أمر الرسول فلا ينبغي له أن يلتفت وقد نهاه الرسول عن الالتفات ، وهاهو (ص) نراه في حديث آخر أيضاً يستوقف علماً ثم ينهاه عن أن يلتفت حتى يأتي إليه ، فعن أبي رافع

(١) ص ٣٦ من منتخب الكنز .

« بعث النبي (ص) علياً إلى اليمن يعقد له لواءً فلما مضى قال يا أبا رافع الحقه ولا تدع من خلفه ، وليقف ولا يلتفت حتى أجيأه ، فأتاه فأوصاه بأشياء ، الحديث (١) »

ولعل الحكمة في نهي النبي علياً عن الالتفات هي ان يتضح للناس حبّ علي للنبي ، واطاعته له فيعرفوا من ذلك علو منزلته ومدى حبه وإخلاصه ، فينساقوا إلى الخدمة الإسلامية راغبين ممثلين ، يحذون في ذلك حذو الامام عليه السلام .

وحسبك دليلاً على إطاعة علي (ع) مبيته على فراش النبي فقد اضطجع في فراشه وتسجى بيرده الأخضر امتثالاً لأمره صلى الله عليه وآله كما عرفت بما لا مزيد عليه فيما سبق ، وكان باستطاعته أن يعتذر إلى رسول الله (ص) لو كان يتأول كما يتأول غيره ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعو رسول الله (ص) لأن يذهب إلى قريش ويبلغهم أن النبي (ص) قد جاء معتمراً لا يريد حرباً ، وأنهم لا يدعونه إلى خطة يسألونه فيها صلة الرحم إلا أعطاهم إياها ، ولكن أبا حفص قد اعتذر إلى الرسول (ص) خشية على نفسه ، فهذا العلامة ابن الأثير يقول في كامله : « فدعا رسول الله (ص) عمر ليرسله فقال ليس بمكة من بني عدي من يمنعني ، وقد علمت قريش عداوتي لها وأخاف على نفسي ، فارسل عثمان فهو أعز بها مني (٢) » وفرق واضح بين الطرفين فان علياً حينما بات على فراش النبي (ص) قد غرر بنفسه لأنه حلّ في وسط عدو غاشم ، وقريش باجمعتها إنما تجمعت حول دار النبي لتفتك به ، وتكيد كيدها بخططها المدبّرة ، أما أبو حفص فانه رسول سلام يبشرهم برفع الحرب ودنو السلم بصلح عام للطرفين ، فاحتمال الضرر إذن بعيد

(١) ص ٣٦ نفس المصدر .

(٢) ص ٨٣ من الجزء الثاني .

في مثل هذا المقام ، ولا سيما أن العادة عندهم قد جرت في أن لا يقتل الرسول ، لأنه إنما يبلغ رسالة غيره ، وهو لا يتحمل اعباء تلك الرسالة وإنما يلقي كل ذلك على عاتق صاحبها إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، ولكنه مع ذلك قد خشي على نفسه فقبل النبي عذره وأرسل عثمان بن عفان فلم يصب بأذى .

ومما تقدم يظهر لنا أن الصحابة كانوا يختلفون في وجهة النظر نحو أوامر النبي ونواهيه ، فمنهم من كان يرى أنها نص يجب اتباعه ، وأنه لا مجال للاجتهاد في مقابل النص ، وسيرة الامام تدل على أنه كان في مقدمة من يرى هذا الرأي ، ومنهم من كان يرى أن الاجتهاد يجوز فيما يأمرهم النبي به من الامور الاجتماعية والسياسية وما شاكل ذلك ، وهذا ما نراه في سيرة بعض الصحابة ، والمجتهد قد يصيب ، وقد يخطئ . وان اصاب فله أجر ، وان أخطأ فله عذر .

وليس غريباً أن نجد الامام يؤازر النبي هذه المؤازرة ما دام قد اتخذته صلى الله عليه وآله وزيراً له ، يشدّ به ازره ويشركه في أمره ، ويحمل عنه أعباءه ، شأن الأخ المخلص لأخيه ، والوزير الناصح في وزارته ، فعلي إذن أخو رسول الله ووزيره وخليله وصاحبه ، يصحبه في الشدة والرخاء ، ويدود عنه وينصره إذا ادلهم الخطب وعمّ البلاء ، ولهذه المزايا ترى النبي (ص) يصطفي علماً لنفسه ، ويقدمه على سائر أصحابه ، ويخصّه بكل ما يعود إليه ، فهو وصيه على امته ، وهو منجز مواعيده وقاضي دينه ، وهو مغسله ومكفنه ودافنه ، والذائد عن حوضه ، وحامل لوائه ، يخص بذلك كله علماً ، ليفهم الامة ان علماً أحق الناس به حياً وميتاً ، وهذا جبريل عليه السلام امين الله على وحيه يرى لعلي هذا الحق ، يقول علي عليه السلام « دخلت على رسول الله (ص) وهو مريض فاذا رأسه في حجر رجل أحسن ما رأيت من الخلق والنبي (ص) نائم ، فلما

دخلت عليه قال ادن إلى ابن عمك فأنت أحق به مني ، فدنوت منهما فقام الرجل وجلس مكانه ، فقال النبي (ص) فهل تدري من الرجل؟؟ قلت لا ، فقال النبي (ص) ذاك جبريل يحدثني حين خفت عني وجعي فنمت ورأسي في حجره^(١) « ونرى النبي (ص) في حديث آخر يصرح أيضاً بأن لعلي هذا الحق ، فعن حذيفة قال (كان علي أسند رسول الله (ص) إلى ظهره فقلت لعلي هلمّ اراو حك ، فقال رسول الله هو أحق به^(٢)) .

ونرى انه (ص) كان يخصه حتى في خصف نعليه ، وهو إذ يخصه بذلك نراه يشيد بذكره ، ويعلي من شأنه لثلاث يرجف بعلي المرجفون فيتخذوا من خصفه النعل طريقاً للطعن به وبمنزلته لدى النبي (ص) ، فهذا أبو سعيد الخدري يقول (سمعت رسول الله يقول إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قانت علي تنزيله ، قال أبو بكر أنا هو يا رسول الله؟؟ قال لا ، ولكن خاصف النعل في الحجرة ، وكان اعطى علياً نعله بخصفها^(٣)) وقد تقدم قول النبي لقريش لتنتهن أو ليبعن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين ، وعرفت أيضاً انه عندما سئل من هذا الذي تهدد به قريشاً ، قال هو خاصف النعل وكان قد اعطى علياً نعله بخصفها .

وإذا أحاط القارئ الكريم خبراً بكل ما قدمناه له علم أن علياً هو صاحب الرسول في الشدة والرخاء ، ورفيقه إذا ادلهم الخطب وعمّ البلاء ، لا يفارقه في ليل أو نهار ، ولا يفرق عنه في الآخرة ولا الاولى . وإنّ ولي الأمر بعد محمد وصي رسول الله حقاً وصنوه علي وفي كل المواطن صاحبه وأول من صلى وما ذمّ جانبه

(١) ص ٩٤ ذخائر العقبى .

(٢) ص ٩٥ ذخائر العقبى .

(٣) ص ٧٦ ذخائر العقبى .

صهـر

« يا فاطمة أما علمت أن الله عز وجل أطلع على أهل الأرض ، فاختار
منهم أباك فبشته نبياً ، ثم أطلع الثانية فاختار بملك ، فأوحى الي فأنكحته
واتخذته وصياً » .

(سيد المرسلين)

في بيت النبي الكريم صلى الله عليه وآله نشأ فتى وفتاة كان هذا الفتى - وهو فتى - خير ما عرف الرجال علماً وشجاعة وفضلاً ، وكانت هذه الفتاة - وهي في فجر حياتها - خير ما عرفت النساء علماً وأدباً ونبلاً وقد شبَّا في هذا البيت والوحي يملأ آذانهما ، والحكمة تطفح على لسانهما ، فنهلا من العلم ما شاءا ، وقطعا أشواطاً من الفضل كما يريدان ، وكما يريد لهما الرسول الأعظم الذي كان يتفقداهما بنفسه ، ويعلمهما من علمه ، ويؤدبهما بأدبه ، وكان من حظهما العظيم أن يكون النبي الكريم هو الأب والحاضن والمؤدب ، فتغذيا بلبانه ، وترعرعا بحنانه ، وقويت نفوسهما بإيمانه ، وصبَّ لهما في انائهما كل ما كان لدى الصادق الأمين من علم وأسرار وحكمة .

هذا الفتى ، وهذه الفتاة هما علي وفاطمة ، وهما اللذان تخرجان من مدرسة النبي (ص) فكانا خير مثال لبني الانسان في الصفات الكاملة ، والمزايا الفاضلة ، والانسانية المهيبة ، وكان من الطبيعي لمن له استعدادهما ولمن تأدب بأدبهما ، وحظي بمثل ما حظيا من عطف النبي واهتمامه أن يكون ممتازاً ينحدر عنه السيل ، ولا يرقى إليه الطير .

بلغت الزهراء عليها السلام الخامسة عشرة من سنها^(١) فتسابق كبار

(١) وقيل بنت عشر .

أصحاب الرسول (ص) يخطبون منه ابنته وبضعتة ، وكل فرد منهم يريد القرب من الرسول الأعظم ليحوز الفخر والسؤدد ، وليظفر بالمجد الموبد وكان أبو بكر أول من عرض إلى خطبة الزهراء عليها السلام فردّه الصادق الأمين ردّاً جميلاً مقنعاً قائلاً « يا أبا بكر لم ينزل القضاء بعد^(١) » وقد سمع بالأمر عمر فتقدم إلى النبي الكريم بما تقدم إليه رفيقه وصاحبه فأعاد عليه الجواب نفسه ، وعندئذ ذهب أبو بكر وأبو حفص إلى عبد الرحمن بن عوف يطلبان منه الخطبة وقالاه « أنت أكثر قریش مالاً فلو أتيت رسول الله (ص) فخطبت فاطمة زادك الله مالاً إلى مالك ، وشرفاً إلى شرفك ، فأتى النبي (ص) فقال يا رسول الله زوجتي فاطمة فأعرض عنه رسول الله فأتاهما فقال قد نزل بي مثل الذي نزل بكما^(٢) » وهنا فهما ان رسول الله لا يطلب مالاً وإنما يطلب علماً وفضلاً ، فمن هو ذلك الرجل الذي يتصف بصفات تميزه على غيره ، ونجعله كفواً لأن يكون صهراً للرسول ، وبعلاً للزهراء البتول؟؟ هذا ما كان يفكر به الشيخان المحترمان لذلك كانا يرغبان رغبة ملحة في معرفة تلك الشخصية العظيمة ، القريبة من الله والحبيبة إلى رسوله (ص) ، فتوجها إلى علي عليه السلام لأنهما يعرفان منزلته الرفيعة عند الله والرسول ، وقالاه « قد عرفنا قرابتك من رسول الله وقدمك في الاسلام ، فلو أتيت رسول الله فخطبت إليه فاطمة لزدك الله فضلاً إلى فضلك ، وشرفاً إلى شرفك^(٣) » وقال غيرهما من أصحاب الرسول كما روى ذلك انس بن مالك لعلي « لو خطبت إلى النبي لخليق أن يزوجهكما^(٤) » ويحدثنا ابن عباس فيقول

(١) ص ٣٠ من ذخائر العقبي .

(٢) ص ١٦٦ من كتاب كفاية الطالب للعلامة الكنجي الشافعي .

(٣) ص ١٦٦ من كفاية الطالب .

(٤) ص ٣٠ من ذخائر العقبي .

« كانت فاطمة بنت رسول الله (ص) تُذكر فلا يذكرها أحد لرسول الله إلاّ أعرض عنه ، فقال سعد بن معاذ الأنصاري لعلي عليه السلام : إني والله ما أرى رسول الله يريد بها غيرك^(١) » ومن هنا نعلم أنّ الكلمة قد أجمعت على أنّ الرجل المنتظر لمثل هذا الزواج هو علي عليه السلام ، ولماذا لا يكون هو ذلك الرجل ؟؟ وهو أقرب أصحاب رسول الله إليه ، وأسبقهم إلى الاسلام ، وأقدمهم في الايمان ، وأعلمهم بالسنة ، وأكبرهم تضحية . وأشدهم إخلاصاً لله وللرسول وللدّين .

ومن كانت هذه صفاته فهو جد قريب من أذهان الناس عندما تعرض الأسماء ، وتستعرض الشخصيات الكبيرة التي تطمح بهذا القرآن .

واجتماع الأصحاب على أن يخطب المرتضى الزهراء يدلنا دلالة واضحة على أنّ له منزلة في نفوسهم ، وفي نفس النبي لم تكن لواحد منهم ، ولا سيما إذا علمنا ان هذا الطلب جاء بعد رفض النبي لطلبهم واعراضه عنهم .

تقدم الوصي إلى النبي (ص) وجلس بين يديه وقد أحجم فلا يستطيع الكلام ، فسأله الرسول حاجته فسكت ، وليس من عادته السكوت ، ولا الاحجام ، فعرف (ص) انه جاء يخطب الزهراء ، وانه قد منعه عن التكلم الحياء ، فأعاد (ص) عليه السؤال « فقال ما حاجة علي ؟؟ قال : يا رسول الله ذكرت فاطمة بنت رسول الله ، فقال مرحباً واهلاً^(٢) » وخرج سلام الله عليه على اولئك الرهط من الأنصار وكانوا ينتظرونه فقالوا ما وراءك ؟؟ فأخبرهم الخبر ، فقالوا يكفيك من رسول الله أحدهما أعطاك الرحب ، وأعطاك الأهل .

وقد فهم الناس من جواب النبي (ص) لعلي أنّ الوحي قد نزل ،

(١) ص ١٦٨ من كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

(٢) ص ٣٣ ذخائر العقبى .

وان الله قد اختار علياً زوجاً للزهراء ، وباتوا جميعاً ينتظرون إعلان الرسول لهذا الأمر .

أرسل الرسول (ص) على النخبة الممتازة من أصحابه من مهاجرين وأنصار ، فلما التأم الجمع قال صلى الله عليه وآله « الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع بسلطانه ، المرهوب من عذابه وسطوته ، النافذ أمره في سمائه وأرضه ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وميزهم بأحكامه ، وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بنبيه ، إن الله تبارك اسمه ، وتعالى عظمته ، جعل المصاهرة نسباً لاحقاً ، وأمرأ مفترضاً ، أوشج به الأرحام وألزم الأنام ، فقال عز من قائل (وهو الذي خاق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهرأ وكان ربك قديراً) فأمر الله يجري إلى قضائه ، وقضاؤه يجري إلى قدره ، ولكل قضاء قدر ، ولكل قدر أجل ، ولكل أجل كتاب ، يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ، ثم ان الله تعالى أمرني أن ازوج فاطمه بنت خديجة من علي بن أبي طالب ، فاشهدوا اني زوجتكم على أربعمئة مثقال فضة إن رضي بذلك علي بن أبي طالب ، ثم دعا بطبق من بسر فوضعت بين أيدينا ثم قال انتهبوا فانتهبنا » هكذا يحدث انس ابن مالك ، ويقول أيضاً فبينما نحن ننتهب إذ دخل علي رضي الله عنه على النبي فتبسم النبي (ص) في وجهه ثم قال إن الله قد أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمئة مثقال فضة إن رضيت بذلك ، فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله ، فقال الرسول جمع الله شملكما ، وأسعد جدكما ، وبارك عليكما ، واخرج منكما كثيراً طيباً^(١) .

تناقل الناس هذه الخطبة البليغة ، وكانت حديث الأندية والمجالس ، وما أنكر الناس شيئاً من هذا الأمر ، لأنه أمر طبيعي في أنظارهم ، وقد

(١) ص ٣٠ و ص ٣١ من ذخائر العقبي .

كانوا يتوقعونه ، وينتظرون امر الله به ، فعلي أول من أسلم ، وعلي أول من صلى ، وعلي أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، وليس حديث الهجرة ومبيته على فراش النبي ببعيد ، فإنّ هذا الزواج وقع بعد الهجرة بشهرين^(١) والله - لا محالة - سيختار للزهراء من أصحاب رسول الله من كان يتصف بهذه الصفات البارزة التي اختص بها علي ، وكان هذا الوحي من الله العلي العظيم أكبر مكافأة له (ع) على موقفه في مبيته على الفراش الذي حفظ به النبي ، وحفظ بحفظه الاسلام ، دين الله الذي أرسل فيه النبي مبشراً ونذيراً .

نعم كان هذا الوحي أكبر مكافأة للامام عليه السلام لأنه نص واضح على أن علياً أفضل الناس بعد النبي ، فإنّ الله عز وجل لا يختار علياً إلاّ لأنه ممتاز في كل صفاته ومميزاته ، وإلاّ لكان اختياره ترجيحاً من غير مرجح ، وهو عز شأنه منزّه عنه ، فأصطفاه إياه اعلان لفضله واعلاء لاسمه . ولذلك ترى أن بعض الشائين طفقوا يذيعون بين الناس هنا وهناك أن الوحي لم ينزل . وأنّ محمداً (ص) هو الذي اختار علياً لهذا الزواج . يحدثنا العلامة اليعقوبي في تأريخه فيقول : « ثم زوجها - أي فاطمة - رسول الله من علي بعد قدومه بشهرين ، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها إلى رسول الله (ص) فلما زوجها علياً قالوا في ذلك ، فقال رسول الله (ص) ما أنا زوجته ولكن الله زوجّه^(٢) » وما أنكر هؤلاء الوحي إلاّ لأنهم يعتقدون أن الاعتراف به موجب لاعلان فضل علي ، وتقديمه على سائر الأصحاب ، ولكن انكارهم هذا لم يجد لهم نقعاً ، بل أفاد الوصي لأن الرسول اضطر لأن يوضح الأمر ويعلنه للمسلمين ، فانجلى الحق وعرف الناس الهدف الشخصي الذي يرمي هؤلاء إليه .

نعم إنّ نزول الوحي عليه (ص) ، وأمر الله له بزواج الزهراء من

(١) ص ٣١ من الجزء الثاني من تأريخ اليعقوبي .

(٢) ص ٣١ الجزء الثاني وفي ص ١٦٤ من كفاية الطالب وقد ذكر ذلك بصورة مفصلة فراجع .

أخيه ، دليل أقوى دليل على عظيم شخصية الامام ، وإنّ انتظار الرسول الوحي في زواج كريمة دليل أيضاً على منزلتها وعظيم شخصيتها ، لأنه لم يعهد منه صلى الله عليه وآله أن ينتظر وحيّاً في زواج غيرها من بناته ، وما هذا إلاّ لأن الزهراء ليست كغيرها من النساء .

وبصرف النظر عما لها من المميزات التي جعلتها سيدة نساء العالمين بنص النبي الكريم ، فإننا لا نشك أنّ الرسول الأعظم كان يعلم أنّ ذريته ستحصر في هذه البضعة الطاهرة ، فهو إذن ينتظر من الله الزوج الصالح ، الذي يجدر بأن تكون الذرية الطيبة في صلبه ، وقد اختار الله لذلك عليّاً حبّاً له وتقديراً لجهوده ، يقول رسول الله (ص) للعباس وقد سأله أتنبأ عليّاً ؟؟ « يا عم والله أشد حبّاً له مني » ، إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وجعل ذريتي في صلب هذا^(١) .

باع الوصي درعه بـ ٤٨٠ مثقالاً من الفضة وقد وضعها في حجر النبي فقبض (ص) منها قبضة وقال لبلال ابتع لنا بها طيباً ، وأمرهم أن يجهزوها ، فجعّل لها سريراً مشروطاً ووسادةً من أديم حشوها ليف وقربة^(٢) وكساء خيبري ومخضب ، وقد أولم عليه السلام وليمة دعا إليها المهاجرين والأنصار ، وتحدثنا أسماء عن هذه الوليمة فتقول (أولم علي على فاطمة فما كان وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته^(٣)) ويقول جابر (حضرنا عرس علي وفاطمة فما رأيت عرساً كان أطيب منه ، حشونا البيت طيباً وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا) .

وقد زفت الزهراء (ع) إلى بيت علي (ع) ومعها نساء النبي (ص) وفضليات نساء المهاجرين والأنصار ، وقد ازدحم البيت بالزائرات

(١) ص ٦٧ ذخائر العقبى .

(٢) راجع ص ٣٢ من خصائص أمير المؤمنين للنسائي وص ٢٨ من ذخائر العقبى وص ١٦٩ من كفاية الطالب للكنجي - والاديم الجلد المدبوغ - والمخضب وهاء لفعل الثياب أو خضبها .

(٣) راجع ص ٣٣ وص ٣٤ من ذخائر العقبى .

والوافدات ، وعلا التكبير والتهليل ، وطفى السرور ، وبدأت علام
الفرح على كل من حضر ذلك المشهد الكريم ، والحفل المهيّب .

وبينما النسوة في فرجهن واستبشارهن وهزجهن ، إذ بالنبي الكريم
يقبل على البيت بطلعته المباركة - بعد أن فرغ من صلوة العشاء - فيقول
مستفهماً أها هنا أخي ؟؟ فتقول أم أيمن أخوك وقد زوجته ابتك ؟؟ فيجيبها
(ص) نعم انه أخي في المنزلة والمواخاة ، فلا يمتنع عليّ تزويجي إياه
ابنتي ^(١) .

دخل (ص) البيت فأمر فاطمة أن تأتبه بالماء ، فقامت إليه تعثر في
ثوبها من الحياء ، وقد أتته بقعب فيه ماء ، فأخذه صلى الله عليه وآله
ومجّ فيه ، ثم قال لها تقدمي ، فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها
وقال : اللهم اني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، ثم قال أدبري
فأدبرت فصبّ بين كتفيها ، وقال : اللهم اني أعيدها بك وذريتها من
الشيطان الرجيم ، ثم قال رسول الله (ص) اتتوني بماء ، قال علي فعلمت
الذي يريد فقامت فملأت القعب ماء وأتيته به ، وأخذه فمجّ فيه وصنع بي
كما صنع بفاطمة ، ودعا لي كما دعا لها .

وهنا قبل أن ينصرف الرسول (ص) من البيت اراد (ص) أن يعرف
الزهراء منزلة ابن عمها لتكون قريرة العين بهذا الزوج السعيد ، ولتقوم
بمحقوقه الزوجية التي يجب على المرأة القيام بها ، ولا سيما بعد أن تعرف
مقامه الرفيع في نظر النبي المستمد من الله عز وجل ، وهاهو (ص) نراه
مرة يخبرها بأن علياً أحب أهله إليه فيقول « أنكحتك أحب أهل بيتي
إلي ^(٢) » ومرة يقول لها « يا ابنتي والله ما أردت أن أزوّجك إلاّ خير

(١) ص ٢٥١ من السيرة الدحلانية وص ٢٨ من ذخائر العقبى وص ٣٢ من خصائص أمير المؤمنين
للنسائي وص ٨٤ من صواعق ابن حجر وغير ذلك من المصادر التي يعرفها المتبحر .

(٢) ص ٣١ من منتخب الكنز .

أهلي (١) « وأراد أن يزيد لها معرفة بمنزلة ابن عمها فقال لها « زوّجتك سيداً في الدنيا والآخرة ، وإنه لأول أصحابي إسلاماً ، وأكثرهم علماً ، وأعظمهم حِلماً (٢) » وإذا كان علي سيداً في الدارين ، وكان أكثر أصحابه علماً وحِلماً وأسبقهم إلى الإسلام فلا شك أنه خيرهم لأنه من السابقين ، والسابقون السابقون أولئك المقربون ، فعلي إذن خير أهله وخير أصحابه جميعاً ، وهو خيرهم في كل صفاته وسائر مميزاته ، لذلك كان مختاراً عند الله ومصطفى عند الرسول لمثل هذا الزواج الذي له مقامه ومنزله عند الله تعالى شأنه .

وهناك حديث نبوي يشيد بفضل علي أعظم الاشادة ، ويعرف الزهراء أنّ بعلمها امام مفترض الطاعة لأنه وصي بوحى من الله عز وجل ، يقول (ص) مخاطباً للزهراء « أما علمت أنّ الله عز وجل اطلع على أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبياً ، ثم اطلع الثانية فاختار بعلك فأوحى إليّ فألحكته ، واتخذته وصياً (٣) وهذا واضح الدلالة على أنّ علياً (ع) بعد النبي صفوة خلقه ، وخيرة عباده ، لذلك اصطفاه للوصاية ، وخصّه بالولاية ، وأوحى إلى نبيه أن يتخذه وصياً على أُمته ، وبعلاً لبضعته . هكذا يعرف النبي الزهراء بشخصية ابن عمه ومنزله ، لتزداد حباً له ، ولتعرف حقه كما يجب أن تعرفه ، فتوطد بذلك الروابط الودية ، وتتأكد بهذا العلاقات الزوجية ، ويسود الزوجين جو مفعم بالود والإخلاص وروح التفاهم .

ثم التفت النبي (ص) إلى أخيه علي وقال له « هذه بنتي فمن أكرمها

(١) ص ٣٢ خصائص النسائي .

(٢) ص ٣٦ الجزء الثالث من كتاب الاستيعاب وفي حديث آخر أقدم امتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حِلماً كما في ص ٣١ من منتخب الكنتز .

(٣) ص ٣١ من منتخب الكنتز وص ١٦٢ من كفاية الطالب مع بعض التفاوت في التعبير .

فقد أكرمني ، ومن أمانها فقد أهانني ^(١) » ودعا لهما بأن يبارك الله لهما ،
وان يرزقهما ذرية صالحة طيبة ، ثم ودّعهما وانصرف مسروراً ، لأنه
أصاب لها خير أهل ، وزوجها أفضل بعل .

وزارهما (ص) عند الصباح فسلم عليهما واستأذنهما بالدخول فدخل
ثم قال لعلي كيف وجدت أهلك؟؟ فقال نعم العون على طاعة الله ؛ وسأل
فاطمة ، فقالت خير بعل يا أبتاه ، فرفع الرسول كفيه بالدعاء وقال :
اللهم اجمع شملهما وألف بين قلوبهما ، واجعلهما وذريتهما من ورثة
الجنة ، وارزقهما ذرية طيبة طاهرة مباركة ، واجعل في ذريتهما
البركة ، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك .

وقد أحس علي عليه السلام بنشوة الغبطة في هذا الزواج ، وعلم منه
مكانته من النبي (ص) لذلك قال يا رسول الله « أهي أحب إليك أم أنا؟؟
قال (ص) هي أحب إليّ منك ، وأنت أعز عليّ منها ^(٢) » فالزهراء
أحبّ لأن عاطفة الأبوة تدعو إلى ذلك ، فهي أحب إليه من هذه الناحية ،
والوصي أعز عند النبي لأن فيه من المميزات والمؤهلات ما يستدعي ان
يكون أعزّ لديه . وقد جمع الرسول في هذه الكلمة الجامعة بين حبهما ،
وجعلهما يغتبطان معاً بعطفه وحنانه ، ويعتزان بابوته ، ويرضيان بمثل
هذا الحكم العادل .

وأود قبل أن أنهي البحث أن أشير إلى أنّ هذا الزواج كان درساً
بليغاً ، يحثّ الامة على أن لا تغلو في مهورها ، وأن لا تهتم كل الاهتمام
في البهجة التي تكلف الانسان باهضاً ، فتزيد في همه وتثقل كاهله ،
نعم القى عليهم هذا الدرس ليعم الزواج في الناس فيكثر النسل ، وتعزّز
من وراء ذلك الامة ، ويشتد ازرها ، وتعلو كلمتها ، وأي عظيم لا يقدم

(١) ص ١٦٧ من كفاية الطالب .

(٢) ص ٣٩ من منتخب كنز العمال .

على زواج ابنته بمهر ضئيل إذا تقدم لها كفاء كريم، بعد أن رأى الزهراء - وهي بضعة سيد الأنبياء - تزوج بمثل هذا المهر القليل ، وعلى مثل هذا الجهاز المتواضع ، ويشير في هذا أيضاً إلى أن الكفاءة في العلم والتقوى مقدمة على الكفاءة في المال ، لذلك تراه (ص) قد ردّ الكثير من أصحابه ممن هم أكثر مالاً من ابن عمه عليه السلام .

ولكن هذا الزواج المتواضع في الأرض ، كان جد عظيم في السماء ، فيها هو صلى الله عليه وآله وسلم يتحدث مرة إلى علي ، ومرة أخرى إلى الزهراء ، يخبرهما عن اهتمام الله عزّ شأنه في هذا الزواج ، وافتخار الملائكة بما نزل عليهم من الدرّ والحلل بهذه المناسبة ، يقول انس بن مالك : « بينما رسول الله (ص) في المسجد إذ قال لعلي هذا جبريل يخبرني أنّ الله زوجك فاطمة وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك ، وأوحى إلى شجرة طوبى أن انثرى عليهم الدرّ والياقوت ، فنثرت عليهم الدرّ والياقوت ، فابتدرت إليه الحور العين يلتقطن في أطباق الدرّ والياقوت ، فهم يتهادونه بينهم إلى يوم القيامة^(١) » وهذا عبد الله رضي الله عنه يقول : « ان رسول الله قال لفاطمة حين وجهها الى علي إنّ الله أمرني أن أزوّجك من علي ، وأمر الملائكة أن يصطفوا صفوفاً في الجنة ، ثم أمر شجر الجنان أن تحمل الحلى والحلل ، ثم أمر جبريل فنصب في الجنة منبراً ، ثم صعد جبريل واختطب فلما فرغ نثر عليهم من ذلك ، فمن أخذ أحسن أو أكثر من صاحبه افتخر به إلى يوم القيامة ، يكفيك يا بنية هذا^(٢) وهناك أحاديث كثيرة من هذا النوع حدث النبي بها أصحابه ليعلموا منزلة فاطمة وعلي عند الله عز وجل .

(١) ص ٣٢ ذخائر العقبى .

(٢) ص ٣٢ من ذخائر العقبى وقد طفحت كتب الفريقين بهذا المضمون ولا نعهد ان كتب السير قد عرضت الى مثل ذلك في غير هذا الزواج ، وهذا من خصائص علي والزهراء التي تدل هل مقامها الرفيع عند الله عز شأنه .

وكان بوسع النبي (ص) أن يملأ بيت علي بتلك الدرر والياقوت ،
ويكسو كريمته من تلك الحلى والحلل التي أنعم الله بها على ملائكته وسكان
سماواته ، ولكنه (ص) شاء أن يزهد أهله في الدنيا ، وشاء أن يعلم الناس
كيف يزوجون بناتهم ، وكيف يختارون الأكفاء لهم إذا شاءوا زواج
فتياتهم ، وهكذا كان النبي (ص) دائماً وأبداً المثل الصالح للمسلمين
يحتذون حذوه ، ويقتدون بسيرته ، ويهتدون بهداه .

وهكذا شاء الله أيضاً أن يتخذ النبي علياً صهراً ، كما اتخذ أخاً
ووزيراً .

أخوه إذا عدّ الفخار وصهره فلا مثله أخ ولا مثله صهر
وشدّ به أزر النبي محمد كما شدّ من موسى بهارونه الأزر

بطولة ابن مخمرة في رواياته المفتعلة :

لقد روى المسور بن مخمرة روايات عديدة مفتعلة تشير الى أن الامام
عليه السلام كان بصدد الخطبة والزواج في عهد النبي (ص) وفي حياة الزهراء
عليها السلام وهي ظاهرة الوضع لأول نظرة من حيث السند والدلالة .

وقد اطلعت عليها يوم كنت مشغولاً بتأليف الكتاب فمررت بها مر
الكرام لانها في الواقع من لغو الكلام .

ولكنني وجدت بعد نشر (حياة امير المؤمنين) بعض الباحثين الموالين
للإمام قد التبس عليهم الامر فاعتمدوا على هذه الروايات بدون أن يبحثوا
عن بطلها لذلك رأيت من الواجب تزيفها لئلاً يستمر الباحثون في هذه
الثقة العمياء التي لا يدعمها دليل ، وها نحن نذكر الروايات أولاً ثم نعلق
عليها بما يملية علينا الحق والوجدان .

١- عن المسور بن مخرمة انه سمع رسول الله (ص) على المنبر وهو يقول : « إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي ابن أبي طالب ، فلا آذن ، ثم لا آذن ، ثم لا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ، وينكح ابنتهم ، فإنما ابنتي بضعة مني يرييني ما رابها ، ويؤذييني ما آذاها » أخرجه الشيخان والترمذي وصححه ، وقال البخاري عن المسور أن النبي (ص) قال : « إن فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني » .

٢- وعن المسور ايضاً قال سمعت رسول الله (ص) يخطب على منبره هذا - وانا يومئذ محتلم - فقال إن فاطمة مني وانا اتخوف أن تفتن في دينها ، قال ثم ذكر صهرأ له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته اياه فأحسن ، قال : حدثني فصدقتي ، ووعدني فأوفاني ، واني لست احرم حلالاً ، ولا احل حراماً ، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ، وبنت عدو الله في مكان واحد ابداً » .

٣- وعن المسور أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل وعنده فاطمة بنت النبي (ص) فلما سمعت بذلك فاطمة اتت النبي (ص) فقالت له إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك ، وهذا علي ناكح ابنة ابي جهل ، قال المسور فقام النبي (ص) فسمعه حين تشهد ثم قال : اما بعد فاني انكحت ابا العاص ابن الربيع فحدثني فصدقتي ، وإن فاطمة بضعة مني وإنما اكره أن تفتنوها ، وانه والله لا تجتمع بنت رسول الله (ص) وبنت عدو الله عند رجل واحد ابداً » قال فترك علي الخطبة ، أخرجهما الشيخان وابو حاتم .

٤- وعن المسور بن مخرمة انه بعث اليه - اي الامام بعث الى ابن مخرمة - حسن بن حسن يخطب ابنته فقال له فلتأني في العتمه فلقيه ، فحمد المسور الله عز وجل ، واثني عليه وقال : اما بعد فما من نسب وسبب ، ولا

صهر أحب إليّ من نسبكم وصهركم ولكن رسول الله (ص) قال : « فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ، ويسطني ما يسطها ، وأنّ الأنساب يوم القيامة تنقطع الا نسي وسبي وصهري ، وعندك ابنته ، ولو زوجتك لقبضها ذلك ، فانطلق عاذراً له ، اخرجته احمد في المناقب » (١) .

الواقع أنّ هذا الكلام المفتعل الذي زوره المسور لا يصدر عن رسول الله (ص) ، كما أن الاقدام على الخطبة من الامام امر مستحيل لا يمكن تصويره والزهرءاء في قيد الحياة .

فعلي نفس رسول الله (ص) كما هو صريح آية المباهلة ، فهل يعرض الرسول العظيم - وهو ذو الخلق الكريم - بأخيه اذ يذكر غيره بالصدق ، والوفاء بالوعد وقد قال له كما يروي ذلك عمر بن الخطاب وابن عباس وغيرهما من الاصحاب « يا علي أخصمك بالنبوة ولا نبوة بعدي ، وتخصم بسبع ، ولا يحاجك فيها احد من قريش ، أنت أولهم ايماناً بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعلمهم في الرعية وأبصرهم بالقضية ، واعظمهم عند الله مزية » .

فهل الذي كان اوفى الصحابة بعهد الله يكذب في الوفاء بوعد رسول الله في امر يعود الى بضعته وهي اقرب الناس الى نفسه !!!

وكيف يكون الامام أقومهم بأمر الله ، واعظمهم عند الله مزية وهو لا يتورع - وحاشاه - عن الكذب ، وخيانة العهد !!!

وهل يحتاج الامام اكثر من الاشارة لو فرضنا - وفرض المحال ليس من المحال - انه عليه السلام كان بصدد الخطبة !!!

ولم يكتب المسور بما نقل عن الامام من رغبته بالزواج من هنا وهناك حتى جاء دور المسور نفسه فافترض أن الامام اراد من المسور ابنته ، وأنّ

(١) ذكرت هذه الاحاديث ص ٣٧ من ذخائر العقبى .

ابن مخرمة وعظه وذكره في الحديث المشهور « فاطمة بضعة مني » فرجع عن الخطبة عاذراً، وهذا من رزايا الاسلام فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ويتضح من الرواية الرابعة ومن قوله « وعندك ابنته ، ولو زوجتك لقبضها ذلك » ان الخطبة لابنته كانت في حياة الزهراء كما هو واضح .
ومن المعلوم ان عمر ابن مخرمة كان عند وفاة الرسول ابن ثمان سنين كما سيتضح بعد قليل من ملخص حياته .

وان الزهراء عاشت بعد ابيها ستة اشهر على اشهر الروايات فيكون عمر بطل الروايات المغوار ثمان سنين وستة أشهر فمضى تزوج المسور ومضى ولدت له بنت وقد خطبها الامام !!؟؟

لا شك ان ابن مخرمة لم يتحدث عن هذه الخطبة في حياة الامام ، وانما تحدث عنها بعد سنين وسنين في وقت قد ضاع الحساب على الناس ، وما عرف ابن مخرمة ، أنا سنقف له بالمرصاد - بعون الله - بعد الف ومئات من السنين .

وقد تسور ابن مخرمة على قدسي مقام الزهراء عليها السلام اذ قال ناسباً الى النبي انه قال « إن فاطمة مني ، وانا اتخوف أن تفتن في دينها » وهذا واضح بأنه ليس مما يتفوه به النبي الكريم وهو القائل بأنها سيدة نساء العالمين ، ومن كانت بهذه المنزلة فكيف يتخوف عليها أن تفتن في دينها !!؟؟

ثم هناك شيء آخر بوضح لنا افتعال هذه الأقوال فان المسور يدعي أن الرسول كان يعلن هذه الأقوال على اعواد المنبر فلو صحت لتقاربا غيره ممن حضر ، مع العلم ان المسور قد انفرد بالنقل ، ولم تنقل عن غيره ممن كان منحرفاً عن الامام .

وترجمة حياة المسور تعطي ضوءاً كاشفاً عن بُعدِه عن الإمام وقربه من اعدائه مما يقرب الى الذهن وضع هذه الأقوال .

ونستخلص من ترجمته في (الاستيعاب) والاصابة عدة امور (١) :

١ - المسور ابن اخت عبد الرحمن بن عوف ، وانه لم يزل مع خاله هذا مقبلاً ومدبراً في امور الشورى ، وعبد الرحمن موقفه من الامام في الشورى معلوم وابن اخته على شاكلته .

٢ - « قبض النبي (ص) والمسور ابن ثمان سنين » وانه بعد الهجرة ولد بستين .

٣ - يقول في الاستيعاب : « وكان المسور لفضله ودينه وحسن رأيه تغشاه الخوارج وتعظمه ، وتنقل رأيه » .

٤ - ويقول في « (الاصابة) » وكان مع خاله عبد الرحمن بن عوف ليسالي الشورى وحفظ عنه اشياء ، ثم كان مع ابن الزبير فلما كان الحصار الاول اصابه حجر من حجارة المنجنيق فمات .

٥ - يقول في (الاصابة) : « وأخرج البغوي من طريق ام بكر بنت المسور عن ابيها يقول « مرّ بي يهودي والنبي (ص) يتوضأ وانا خلفه فرفع ثوبه فاذا خاتم النبوة في ظهره فقال لي اليهودي ارفع رداءه عن ظهره فذهبت افعل فنضح في وجهي كفاً من ماء » .

٦ - ويقول في (الاصابة) ومن طريق عثمان بن حكيم عن ابي امامة ابن سهل عن المسور اقبلت بحجر احمله ثقيل وعليّ ازار خفيف فأنحل فلم استطع ان أضع الحجر حتى بلغت به موضعه فقال لي النبي (ص) ارجع الى ثوبك فخذ ولا تمشوا عراة » .

(١) راجع ترجمته من (الاستيعاب في معرفة الاصحاب) لابن عبد البر النيري القرطبي ص ٤١٦ وهو على هامش الجزء الثالث من (الاصابة في تمييز الصحابة) لشهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني .
وراجع ترجمته ص ٤١٩ من (الاصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر المتوفى سنة ٨٨٥٢ .

فالمسور كان حين روايته لهذه الاحاديث صغير السن لا يتجاوز سنه ثمان سنين حين وفاة النبي ، وهو في هذا السن لا يعرف مواقع الكلام ، ويدل على قلة إدراكه مشيه عارياً بدون ازار كما هو يحدث عن نفسه ، وكذلك اقدمه على رفع ثوب رسول الله ممثلاً قول يهودي امره بذلك ، وقوله « فرفع ثوبه فاذا خاتم النبوة في ظهره » كذب صريح لأن خاتم النبوة على الكتف الايمن مما قام الاجماع عليه .

ثم قوله سمعت رسول الله يخطب على منبره هذا وانا يومئذ محتمل كذب آخر فإن سنه كان باتفاق المؤرخين ثمان سنين عند وفاة النبي فلا يمكن احتلامه في هذا السن .

وقد تأول بعضهم قوله - وانا محتمل - قال في (الاصابة) (سمعت النبي (ص) وانا محتمل يدل على انه ولد قبل الهجرة ولكنهم اطبقوا على انه ولد بعدها ، وقد تأول بعضهم أن قوله محتمل من الحلم بالكسر ، لا من الحلم بالضم ، يريد أنه كان عاقلاً ضابطاً لما يتحملة اه ، وهذا خطأ لأن لفظ محتمل لم يؤخذ من حليم وانما اخذ من احتلم كما هو واضح ، واحتلم معناه أدرك وبلغ مبالغ الرجال .

على أنه لو سلمنا انه اراد من قوله (محتمل) العقل والضبط فانا نقول إن ابداء سوائه ، واقدامه على رفع ثوب الرسول يدل على غباوته ، وضعف إدراكه ، وأنه لا يعي ما يقال له او يقول .

أضف الى ذلك أن سيرته توقفه موقف المتهم في كل ما يحدث أو يقول حول الامام عليه السلام ، فقد كان ملازماً لحاله عبد الرحمن كما عرفت ، ولازم بعده ابن الزبير ، وابن الزبير قد أثار على ابيه فحوّله من صديق للامام ملازم الى عدو مقاوم فما ظنك بالمسور وهو رفيقه وقريته .

ثم لازم الخوارج المسور ، تغشاه ، وتعمل بآرائه ، كما ترى من تصريح ابن عبد البر وهل تثق به إلاّ لهذه الأقوال التي تدل بوضوح على انحرافه عن

اهل البيت عليهم السلام ، فان هذه الأقوال التي زعمها كانت في الواقع خارجة كلها عن المعقول ، وهي مسيئة كل الاساءة للوصي والنبي والزهراء البتول ، صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

إن العقاد رحمه الله أول من تعرض لهذا الموضوع من المتأخرين فيما اعلم في كتابه (الزهراء) وقد صرح بأن الحياة الزوجية كانت بين الامام والزهراء لم تعرض لخلاف غير الذي اشار اليه من عزم الامام على خطبة بنت ابي جهل ، وقد أوضح بأن هذه الخطبة جاءت في روايات مختلفة .

واحتمل الاستاذ العقاد في اسبابها أنها « لعلها غضبة من غضبات عليّ على أنفة من أنفات فاطمة ، او لعلها نازعة من نوازع النفس البشرية لم يكن في الدين ما يأبأها ، وإن أبأها العرف في حالة المودة والصفاء^(١) »

وكان الحدير بالعقاد قبل ان يحمل الزهراء على الأنفة وقبل أن يحمل الامام على الغضب أن يرجع الى البطل الذي حاك هذه القصة في رواياتها المختلفة ليتضح له الواقع على حقيقته فأن أعيت به السبل رجع الى هذه الاسباب او غيرها كما شاء .

وكانت بنت الشاطيء الكاتبة المصرية الكبيرة قد تعرضت بعد العقاد لهذه الخطبة المزعومة في كتابها (بنات النبي) وأرسلت هذه الرواية ارسال المسلّمات ، وحررت في استعظام ذلك عدة صفحات ، كما انها عدت مساوئ ابي جهل « وما اقترف من آثام في اضطهاد الدعوة الاسلامية » وانه هو الذي رأى لقريش قبيل الهجرة أن تختار كل قبيلة منها فتى شاباً جلدأ نسبياً ثم يعطى سيفاً صارماً فيعمدوا جميعاً إلى محمد ويضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فيتفرق دمه في القبائل جميعاً^(٢) .

(١) ص ٤٤ (فاطمة الزهراء والفاطميون) للاستاذ العقاد .

(٢) ص ١٦٤ (بنات النبي) الدكتورة بنت الشاطيء ، وسار على هذا النسق الاستاذ توفيق ابو علم

في (اهل البيت) المطبوع سنة ١٩٧٠ .

ذكرت الكاتبة كل ذلك مستغربة اقدام الامام على هذه الخطبة من ابنة عدو الله، وكان على الباحثة الفاضلة قبل أن تسيء الظن بالامام أن تبحث عن الراوي ، ولو رجعت الى الاصابة والاستيعاب لفهمت بوضوح أن المسور قد تسور على مقام الامام ، وعلمت أنها رواية مزعومة لم يعرفها المؤرخون ولم يروها غير ابن مخرمة كما أوضحناه .

واعتقد ان بنت الشاطيء لا يخفى عليها أن الذي بات متوشحاً برد النبي فادياً الرسول بنفسه هو علي عليه السلام . ومن يفدي نفسه لا يقف من رسول الله (ص) وبضعته مثل هذا الموقف الذي اراد اعداء الامام ان يصفوه به . وكلي أمل أن تستدرك السيدة بنت الشاطيء الخطأ الذي وقعت فيه مؤمنة بمنطق ابن مخرمة الذي دفعه إليه انحرافه عن الامام ، تصلح ما علق في الأذهان من هذا الخطأ لتصل بقراءها الكرام إلى الأمن والإيمان وشاطيء السلام .

هدانا الله جميعاً الى طريق الحق والصواب فانه ارحم الراحمين .



بَيْتُ الْوَصِيِّ

« إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً »
(القرآن الكريم)

كان علي والزهراء (ع) يعيشان في بيت النبي (ص) كما يعيش الاخوان ، وقد شاء الله أن يتحد هذان النوران ، وان يرى البحرين يلتقيان ، ليخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، فكان ما أراد ، وتم ما أمر فاذا علي والزهراء الزوجان ، واذا الحسن والحسين الولدان .

انتقل علي والزهراء إلى بيتهما الجديد ، فانتقلت إليه الحياة الزوجية الهائلة السعيدة ، الطافحة بالصلاح والتقوى وحب الخير ، فكان علي باراً كل البرّ في الزهراء لأنه يعلم أنها بضعة النبي ، يريه ما رابها ، ويؤذيه ما يؤذيها^(١) وهو يعلم ان الله عز وجل يرضى لرضاها ، ويغضب لغضبها^(٢) ومن أولى بالوصي من مراعاة عطف الله ، وعواطف النبي .

وكانت الزهراء أيضاً بارة كل البرّ في ابن عمها ، وكانت مطوعة لأوامره ونواهيه ، لأنها تعلم أنه الوصي على هذه الأمة ، والمؤمن على أسرار الله وأحكامه بعد النبي صلى الله عليه وآله ، فهي إذاً ترى أن واجبها الديني يفرض عليها هذه الإطاعة ، ويحتم هذا الانقياد ، وكان علم كل واحد منهما بمنزلة الآخر يشيع هذا البرّ في البيت مشفوعاً بالاحترام المتبادل ، والاعجاب والاكبار .

(١) ص ٣٧ من ذخائر العقبي قال (ص) فاطمة بضعة مني يريني ما رابها ويؤذيني ما آذاها .

(٢) ص ٣٩ من ذخائر العقبي قال (ص) (يا فاطمة ان الله عز وجل يفضب لغضبك ويرضى لرضاك)

كان هذا البيت الحديد ملاصقاً لبيت النبي (ص) قريباً إليه كقرب الزهراء وعلي منه ، وبين هذين البيتين نوافذ يطل منها الرسول الكريم كلما اشتاق إلى بضعته وأخيه ، وبينهما أيضاً باب يدخل منه كلما أراد زيارتهما ، فهو يزورهما في الليل والنهار ، وفي كل وقت تأقت نفسه إلى رؤيتهما ، وهما أيضاً كذلك يتشرفان بمشاهدته في أي وقت شاءا في ليل أو نهار ، لا يحجزهما حاجز ، ولا يمنعهما من الدخول مانع ، فهم جميعاً على اتصال تام ، لا يشغل النبي عنهما شاغل ، ولا يؤخرهما عن الحضور إلى خدمته مؤخر ، وقد بلغ الأمر به (ص) انه إذا أراد السفر إلى مكان من الأمكنة كان (ص) آخر عهده بالزهراء ، وإذا آب من سفره كان أول ما يدخل عليها ، يقول ثوبان « كان رسول الله (ص) إذا سافر آخر عهده اتيان فاطمة ، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة ^(١) » ويقول أبو ثعلبة « كان رسول الله (ص) إذا قدم من غزو أو سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم أتى فاطمة ، ثم أتى أزواجه ^(٢) يفعل ذلك حباً لها ، وإعلاناً لفضلها وعظيم منزلتها .

وكما كان هذا البيت قريباً من بيت الرسول ، كذلك كان قريباً من بيت الله ، بل ليس في المسجد بيت غيره ، وكان الناس يفهمون من هذا القرب المنزلة السامية لعلي (ع) فقد سئل عبد الله بن عمر مرات عديدة عن الامام عليه السلام فاكتفى بالجواب أن قال « أما علي فهذا بيته من بيت رسول الله ، ولا أحدثك عنه بغيره ^(٣) » ومرة سئل عنه (ع) وعبد الله في المسجد فقال « ما في المسجد بيت غير بيته » وقال مرة ثالثة « لا أحدثك عنه ، ولكن انظر الى بيته من بيوت رسول الله ، فقال له السائل إني أبغضه ،

(١) أخرجه الامام احمد كما في ص ٣٧ من الذخائر .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) ص ٢٨ من خصائص النسائي .

قال به أبغضك الله ^(١) فابن عمر كان يرى أن الفضل كل الفضل لعلي في هذا القرب من بيت الله وبيت الرسول ، فهو ليس بحاجة لأن يستعرض له فضائله - وهي كثيرٌ في نظر ابن عمر - لأنه يرى أن هذا القرب رمز واضح يشير إلى فضل الوصي ومنزلته السامية في نظر الله ونظر النبي ، ولا سيما إذا علم أن هذا القرب كان بأمر من الله لرسوله ، فعن الحرث ابن مالك قال : أتيت إلى مكة فلقيت سعد بن أبي وقاص فقلت له سمعت لعلي منقبة؟؟ قال : « كنا مع رسول الله (ص) في المسجد فروى فينا لسدّه ، ليخرج مَن في المسجد إلا آل رسول الله وآل علي ، قال فخرجنا ، فلما أصبح أتاه عمّه فقال يا رسول الله أخرجت أصحابك وأعمامك وأسكنت هذا الغلام ، فقال رسول الله (ص) ما أنا أمرت بإخراجكم ، ولا بإسكان هذا الغلام إن الله هو أمر به ^(٢) » ويقول ابن عباس : وسدّ أبواب المسجد غير باب علي ، فكان يدخل المسجد وهو جنب ليس له طريق غيره ^(٣) » فبيت علي إذن ممتاز في نظر الله والنبي ، وهما يريدان له القرب منهما ، ويؤثرانه بهذا الامتياز على غيره من الهاشميين ، والأنصار والمهاجرين ، إعلاناً لفضله ، وإشعاراً بعظيم منزلته .

فعليٌ جار لرسول الله ، حبيب إليه قريب منه ، وهو ضيف كريم في بيت الله يرعاه برعايته ، ويلحظه بعنايته .

وكان الله أراد القرب له دائماً ، فولد في البيت وعاش في البيت وصرع في البيت .. ولد في البيت ، وليس في البيت مولود سواه ، وعاش في المسجد وقد سدّ باب مَن عداه ، وصرع في المسجد ، وعلى شفّته اسم الله .

(١) ص ٢٨ من خصائص أمير المؤمنين للإمام النسائي المطبوع في مطبعة التقدم العلمية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ .

(٢) ص ١٣ من خصائص أمير المؤمنين .

(٣) ص ١٤ نفس المصدر .

استقبل الوصي والبتول حياتهما الجديدة بالبشر والرضى ، ومكثا ينتظران أن يعبق البيت ، ويزدهر بالذرية الطيبة الطاهرة من نسلهما المبارك .

جاءت السنة الثالثة من الهجرة ، وجاء الشهر المبارك شهر رمضان ، فاستعد النبي ، وكذلك الوصي والزهراء لاستقبال وليدهما المنتظر حتى إذا توسطت البتول شهر الله فاجأها المخاض ، وتحدثنا سودة بنت مسرح الكندية عن هذه الولادة فتقول « كنت فيمن حضر فاطمة حين ضربها المخاض ، فجاء النبي (ص) فقال كيف هي ؟؟ كيف ابنتي فديتها ؟؟ قلت أنها لتجهد يا رسول الله ، قال فاذا وضعت فلا تحدثني شيئاً حتى تؤذيني ، وفي لفظ فلا تسبقيني به بشيء ، قالت فوضعت فسررت ولففته في خرقة صفراء ، فجاء رسول الله (ص) فقال ما فعلت ابنتي فديتها ، وما حالها وكيف هي ؟؟ فقلت يا رسول الله وضعت وسررت ، وجعلته في خرقة صفراء ، قال لقد عصيتني ، قالت أعوذ بالله من معصية الله ، ومعصية رسوله ، سررت يا رسول الله ولم أجد من ذلك بداً ، قال اثني به فأتيته به فألقى عنه الخرقة الصفراء ، ولفه في خرقة بيضاء ، وتفل في فيه ، والبأه بريقه ، ثم قال ادعي لي علياً ، فدعوته فقال ما سميته يا علي ؟؟ قال سميته جعفرأ يا رسول الله ، قال لا ، ولكنه حسن ، وبعده حسين ، وأنت أبو الحسن والحسين (١) .

وتحدثنا أسماء بنت عميس بنظير ما تقدم ولكنها تقول : انه (ص) قال لعلي « أي شيء سميت ابني ؟؟ قال ما كنت لأسبقك بذلك ، فقال ولا أنا سابق ربي ، فهبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام ، ويقول لك علي منك بمنزلة هرون من موسى ، لكن لا نبي بعدك ، فسم ابنك هذا باسم ولد هرون ، فقال وما كان اسم ابن هرون

(١) ص ١٠٤ من منتخب كثر الهال .

يا جبريل ؟؟ قال شبراً فقال (ص) ان لساني عربي ، فقال سمه الحسن ففعل ، الحديث ^(١) . وهذه الرواية هي الأصح فان هناك روايات كثيرة تؤيدها وتدل عليها ، وعلى كل فان الروايات قد أجمعت على أن هذا الاسم كان بوحي من الله عز وجل مما يدلنا على اهتمام الله العظيم بهذا الوليد المجتبي .

ولد الزكي فكان ريحانة النبي (ص) وقرة عين الوصي ، ومهوى فؤاد الزهراء ، يحوطونه جميعاً برعايتهم ، ويفتدونه بأنفسهم ، ويفرغون كثيراً من عنايتهم ووقتهم في سبيل تهذيبه ، وتثقيفه الثقافة الالهية التي خصهم الله بها ، ومنحهم معرفة كنهها وسرها .

وما هي إلا ستة حتى عطر البيت بالريحانة العباقة (الحسين) ، عليه السلام فعم السرور والفرح في شعبان ، كما عم السرور من قبل ذاك في شهر رمضان ، وهكذا تعانق الاخوان في ستين متتابعين ، وشهرين متعاقبين فكانت النعمة مزدوجة عمت المسلمين ، وخص بها أهل البيت عليهم السلام .

وكان رسول الله (ص) شديد الشغف والكلف بهما ، وقد أعلن هذا الحب لله وللناس فقال « هذان ابناي ، وابنا ابنتي ، اللهم اني أحبهما فأحبهما ، وأحب من أحبهما ^(١) فهو يعلن أحبه أولاً ، ثم يطلب من الله عز وجل أن يشاركه في هذا الحب ، ولا يكتفي منه عز اسمه أن يحبهما فقط ، بل يرغب أن يحب من يحبهما ، وهذا أقصى ما يتصور من مراتب الحب ، وهو إذ يطلب هذا الأمر فإنك تراه أيضاً في حديث آخر يطلب منه تعالى أن يبغض من يبغضهما فيقول « اللهم اني أحبهما فأحبهما وأبغض من أبغضهما ^(٢) وكان يقول (ص) « الولد ريحانة ، وريحانتي

(٢) ص ١٠٦ منتخب الكنز .

(١) ص ١٢٠ من ذخائر العقبي .

(٢) ص ١٠٥ من منتخب الكنز .

الحسن والحسين^(١)) ويقول « وكيف لا أحبهما وهما ريحائتي من الدنيا أشمهما^(٢) » وكان يقول (ص) « مَنْ أَحَبَّ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحْبَبَنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي^(٣) » وأي مسلم صحيح الاسلام لا يحبهما بعد أن يعلم أن حبهما حب النبي ، وبغضهما بغضه ، ومن هنا يتضح أن حبهما فرض ، وبغضهما كفر لأنه (ص) قد رتب حبهما وبغضهما على حبه وبغضه ، وحكم كل منهما واضح في الشريعة الاسلامية الغراء .

وهناك حديث أكثر صراحة مما تقدم يصرح بأن مَنْ أحبهما في النعيم ، وأن مَنْ أبغضهما في الجحيم ، يحدث زيد بن أرقم أنه (ص) قال : « الحسن والحسين مَنْ أحبهما أحببته ، وَمَنْ أحببته أحبه الله ، وَمَنْ أحبه الله أدخله جنات النعيم وَمَنْ أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته ، وَمَنْ أبغضته أبغضه الله ، وَمَنْ أبغضه الله أدخله نار جهنم ، وله عذاب مقيم^(٤) » وليس هذا التخليد في العذاب إلا لخروج هذا المبغض من الاسلام ودخوله في الكفر ، وإلا فلا يستحق هذا النوع من العذاب الشديد .

ولما كان حب الحسنين فرضاً في الشرع الإسلامي نرى النبي (ص) يوجه إلى كل مَنْ أحبه من المسلمين هذا الأمر الصريح في وجوب حبهما فيقول : « مَنْ أَحْبَبَنِي فَلْيَحِبْ هَذَيْنِ ، يَعْنِي الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ^(٥) » .

وقد كان هذا الحب يتجلى بأجلى مظاهره طيلة حياته صلى الله عليه وآله ، فهذا عمر بن الخطاب (رض) يقول : « رأيت الحسن والحسين على عاتقي النبي (ص) فقلت نعم الفرس تحكما ، فقال النبي (ص) »

(١) ص ١٠٧ نفس المصدر .

(٢) ص ١٠٧ نفس المصدر .

(٣) ص ١٠٦ نفس المصدر .

(٤) ص ١٠٧ نفس المصدر .

(٥) ص ١٠٧ من منتخب كنز العمال .

ونعم الفارسان هما^(١)) وعن عبد الله بن شداد عن أبيه أن النبي (ص) « صلى فسجد فركبه الحسن ، فأطال السجود ، فقالوا يا رسول الله سجدت سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، وأنه يوحى إليك ، فقال كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته^(٢) » وعن أبي هريرة أنه قال : « رأيت رسول الله (ص) وهو آخذ بكفيه جميعاً — حسناً أو حسيناً — وقدماه على قدم رسول الله (ص) وهو يقول حزقه حزقه ، ترق عين بقه ، فترقى الغلام حتى يطلع قدميه على صدر رسول الله (ص) ثم قال له افتح فاك ، ثم قبله ، ثم قال اللهم أحبه فأني أحبه^(٣) » ويقول أبو هريرة ورأيت رسول الله (ص) يمصّ لسان الحسن كما يمصّ الرجل الثمرة^(٤) » وعن جابر قال : « كنا مع رسول الله (ص) فدعينا إلى طعام فاذا الحسين يلعب في الطريق مع صبيان ، فأسرع النبي (ص) أمام القوم ، ثم بسط يده فجعل حسين يفر ههنا وههنا فيضاحكه رسول الله (ص) حتى أخذه ، فجعل إحدى يديه في ذقنه ، والأخرى بين رأسه وأذنيه ، ثم اعتنقه وقبله ، ثم قال : حسين مني وأنا منه ، أحبّ الله من أحبّه ، الحسن والحسين سبطان من الأسباط^(٥) » ويقول جابر أيضاً : « دخلت على النبي (ص) وهو يمشي على أربع وعلى ظهره الحسن والحسين ، وهو يقول نعم الحمل جملكما ؛ ونعم العبدلان أنتما^(٦) » ويحدث أبو هريرة فيقول : « كان رسول الله (ص) يصلي صلاة العشاء . وكان الحسن والحسين يثبان على ظهره ، فلما صلى قال

(١) ص ١٠٧ من منتخب الكثر .

(٢) ص ١٠٢ نفس المصدر .

(٣) ص ١٠٣ نفس المصدر .

(٤) ص ١٠٣ نفس المصدر .

(٥) ص ١٠٩ نفس المصدر .

(٦) ص ١١٠ نفس المصدر .

أبو هريرة يا رسول الله ألا أذهب بهما إلى أمّهما؟؟ فقال رسول الله (ص) لا ، فبرقت بارقة فما زالا في ضوئها حتى دخلا إلى أمهما (١) ويقول أبو هريرة أيضاً « كان الحسن والحسين يثبان على ظهر رسول الله (ص) فيمسكهما بيده حتى يرفع صلبه ويقومان على الأرض ، فلما فرغ أجلسهما في حجره ثم قال إنّ ابني هذين ريحانتي من الدنيا (٢) » وهناك أحاديث كثيرة جداً تتجلى فيها عواطف النبي نحو ريحانته لا يتسع المجال لذكرها ، ونحن نكتفي بما ذكرناه للدلالة على هذه العواطف الفياضة التي كانت تبدو واضحة لكل من صحب النبي ، وهكذا عواطفه تفيض وتفيض نحو بضعمته وأخيه ، فقد كانت عواطفه في كل ذلك سامية كشخصه ، عظيمة كنفسه ، فهي تتناسب وشخصه العظيم ، وتتناسب كذلك مع هؤلاء النفر الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم من الدنس .

وليس منشأ هذا الحب قرابتهم إلى النبي ، لأن في أقربائه (ص) من يساويهم نسباً وحسباً ، ولكننا لم نره (ص) يصنع معهم ما كان يصنع مع هذين الريحانيتين ، فان عواطفه نحوهما ونحو أبويهما لا تشبهها عاطفة ، ولا يقاس بحبه لهم أي حب ، ولا شك أنّ هذه الميزة كانت لميزات في شخصياتهم تستدعي مثل هذه العواطف النبوية السامية ، وإلاّ فان النبي (ص) لا يحب عبثاً ، ولا يغالي في حبه كما يغالي الآباء ، وإنما يحبّ الانسان لأن فيه مزايا تؤذن بحب منبعث عن حب الله له .

أجل كان بيت الوصي ممتازاً بكل معنى الكلمة ، فهو ممتاز من حيث المكان كما عرفت ، وهو ممتاز من حيث السكان كذلك ، فهو يضم بين جدران الزهراء والوصي ، والحسن والحسين سلام الله عليهم ، وهم جميعاً سادة المسلمين بنظر النبي الكريم ، فعلي (سيد المسلمين ، وولي

(١) ص ١١٠ نفس المصدر .

(٢) ص ١١٠ نفس المصدر .

المتقين ، وقائد الغر المحجلين^(١) وفاطمة سيدة نساء هذه الامة ،
وسيدة نساء العالمين^(٢) والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة^(٣) .
هولاء هم عترة النبي وأهل بيته الذين عناهم الله تعالى في محكم كتابه
إذ قال (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيراً) فعن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله (ص) قال : « نزلت

(١) ص ٧٠ من ذخائر العقبي .

(٢) ص ٣٤ من خصائص امير المؤمنين للنسائي روى عن عائشة انها قالت : اقبلت فاطمة رضي الله
عنها تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله (ص) فقال النبي مرحباً بابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه
أو عن شماله ، ثم أسر اليها حديثاً فبكت ، ثم انه أسر اليها حديثاً فضحكت ، فقلت لها ما رأيت
مثل اليوم فرحاً أقرب من حزن ، وسألها عما قال ، فقالت ما كنت لافشي سر رسول الله (ص) ،
حتى اذا قبض سألها فقالت انه أسر إلي فقال : إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة
مرة ، وانه عارضني به العام مرتين ، وما أراني إلا قد حضر أجلي ، وأنتك اول اهل بيتي لحوقاً بي
ونعم السلف انا لك ، قالت فبكيت لذلك ، ثم قال أما يرضيك أن تكوني سيدة نساء هذه الامة
او نساء المؤمنين قالت فضحكت ، وفي ص ٣٥ من الخصائص عن عائشة ايضاً سألت الحديث
ثم قالت : سيدة نساء هذه الامة وسيدة نساء العالمين ، وقد ذكر النسائي هذا الحديث بطرق عديدة
فراجع ، وهذا الحديث مشهور ذكره كل من عرض الى فضائل الزهراء فراجع ص ٤٠ من ذخائر
العقبي وص ٣٤٠ من الجزء الثاني من صحيح مسلم المطبوع بدار الكتب العربية سنة ١٣٢٧ هـ
فقد ذكره من عدة طرق وص ١١٤ من الصواعق المحرقة لابن حجر وص ٢٨٢ من الجزء السادس
من مسند الامام احمد ، الى غير ذلك مما ذكره المؤرخون والمحدثون ، ومن اراد الاستفاضة في
الموضوع فليرجع الى (الكلمة الغراء) للامام المجتهد الاكبر السيد عبد الحسين شرف الدين فانها
خير ما كتب عن سيدة النساء ، وهي كلمة بليغة جداً لا يستغني الباحث الملتقى عن الرجوع
اليها ، (والكلمة الغراء) كثيرها من مؤلفاته الممتعة التي افادت البحوث الاسلامية مسادة
علمية لا تنضب .

(٣) ص ١١٢ من الصواعق المحرقة اخرج الترمذي عن حذيفة ان رسول الله (ص) قال : ان هذا ملك
لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة ، استأذن ربه ان يسلم علي ويبشرني ان فاطمة سيدة نساء أهل
الجنة ، وان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وفي ص ١٢٩ من ذخائر العقبي عن حذيفة
ايضاً أنه قال (ص) بعد ذكره لهذا الحديث وابوها افضل منها ، وعن ابن عمر نحوه الا انه قال
وابوها خير منها ، وإنما قال (ص) ذلك لثلاث يتوهم ان الحسن والحسين افضل من ابيهما ، فنص
على افضليته ليعلم ان علياً غير مشمول بسيادتهما لانه افضل منهما .

هذه الآية على رسول الله في بيت ام سلمة ، فدعا النبي (ص) فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء ، وعلي خلف ظهره ، ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً . قالت ام سلمة وأنا معهم يا رسول الله؟؟ قال أنت على مكانك ، وأنت على خير ، وعن ام سلمة ان رسول الله (ص) قال لفاطمة اثني بزوجه وابنيك ، فجاءت بهم واكفأ عليهم كساء فديكياً ثم وضع يده عليهم ، ثم قال : اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد ، قالت ام سلمة فرفعت الكساء لأدخل معهم ف جذب به رسول الله ، وقال إنك على خير^(١) وفي رواية (أنت على خير أنت من أزواج النبي) .

« وتروي ام سلمة أيضاً فتقول : بينما رسول الله (ص) في بيته يوماً إذ قالت الخادم ان علياً وفاطمة بالسدة ، فقال لي قومي فتنحي عن أهل بيتي ، قالت فقممت فتنحيت في البيت قريباً ، فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران ، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره وقبلهما واعتنق علياً باحدى يديه وفاطمة بالآخرى وقبل فاطمة وقبل علياً فأغدق عليهم خميصة سوداء ، ثم قال : اللهم إليك لا إلى النار ، أنا وأهل بيتي ، الحديث^(٢) » ويروى عن السيدة عائشة أنها قالت : « خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ثم قال « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً »^(٣) » وأنت إذ تقرأ هذه الروايات تفهم جد الفهم أن النبي (ص)

(١) ص ٢١ من ذخائر العقبي فقد ذكر الحديث الاول والثاني وعدة احاديث في هذا الباب ، وقد قال ابن حجر في صواعقه ص ٥٨ أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين .
(٢) ص ٢٢ ذخائر العقبي - السدة الباب ، واغدق ارسل ، والخميصة ثوب اسود من صوف او خز
(٣) ص ٢٣١ من صحيح مسلم الجزء الثاني .
والجمع غنائص .

كان شديد الحرص على أن يعلم الأمة الإسلامية علماً لا يقبل الشك أن المقصود من آية التطهير حصرها بعلي وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم ، لذلك تراه صلى الله عليه وآله يجللهم بكسائه أولاً ، ثم يضع يديه عليهم ثانياً ، ثم يشير إليهم مؤكداً وقائلاً : اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد ، ويزيد النبي في توضيح هذا الأمر بأن يلفهم جميعاً بكسائه الخيري - كما تحدث أم سلمة - آخذاً بطرفي الكساء ، مشيراً بيده اليمنى إلى السماء ، قائلاً اللهم أهل بيتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، مكرراً ذلك ثلاثاً^(١) » ولذلك تراه صلى الله عليه وآله يحتذب الكساء من يد أم سلمة فلا يدعها تدخل معهم ، آمراً إياها أن تبقى على مكانها مفهماً لها أنها ليست من أهل البيت ، وإنما هي من أزواجه « أنت على خير أنت من أزواج النبي » وقد أفهمها بأنها على خير لتطمئن أولاً ولتعلم أنها مع شهادة الرسول بأنها على خير ولكنه لا يجوز أن تجل بهذا الكساء ، لأن الله قد عني أهل البيت وليست زوجاته - على جلالة قدرهن - من أهله ، وقد قيل لزيد بن أرقم من أهل بيته نساؤه؟؟ قال : « لا ، وأيم الله ، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها^(٢) » وقد صرح الرسول الأعظم فقال : « أنزلت هذه الآية في خمسة في ، وفي علي وفي الحسن والحسين وفاطمة^(٣) » ولتأكيد هذه الآية وتوطيدها في أذهان المسلمين كان الرسول يقرأ هذه الآية كلما مرّ بباب فاطمة ، فعن انس بن مالك أن رسول الله (ص) كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر فيقول الصلاة يا أهل البيت ويقرأ الآية ، كما أخرجه الامام

(١) ص ٢٢ من ذخائر العقبي .

(٢) أخرجه مسلم في باب فضائل علي من صحيحه .

(٣) ص ٨٥ الصواعق المحرقة لابن حجر .

أحمد^(١) » وعن أبي الحمراء قال : « صحبت رسول الله (ص) تسعة أشهر فكان إذا أصبح أتى على باب علي وفاطمة وهو يقول يرحمكم الله (إنما يريد الله ...)^(٢) » .

وهذه الآية صريحة كل الصراحة بعصمتهم سلام الله عليهم لأنهم مطهرون من كل دنس ، منزهون عن كل رجس ، فلا يقتربون ذنباً ، ولا يأتون عملاً مزرئياً ، وإنما هم دائماً وأبداً أئمة بررة ، يهدون بالحق وبه يعدلون .

ولما كانوا بهذه المنزلة عند الله عز وجل نرى الرسول يقول بعد نزول آية التطهير « أنا حرب لمن حاربهم ، وسليم لمن سالمهم ، وعدو لمن عاداهم^(٣) » فيظهر رسول الله السلام لكل من سالمهم ويعلم الحرب على من حاربهم ، لأن من حاربهم فقد حارب الله ، ومن حارب الله فلا يستحق رحمة ولا شفقة ، فالرسول - وهو نبي الرحمة - يكون حرباً وإلباً على هؤلاء لأنهم جديرون - وهم أعداء آل البيت - بأن يقطع العلاقات الودية ما بينه وبينهم ، وأن ينذرهم بمثل هذه الحرب التي تؤذن بغضب من الله والرسول .

وهذا البيت الطاهر الذي طهره الله في محكم كتابه ، كان على جانب عظيم من الشفقة والحنان ، فقد كان أهل البيت هذا يعطفون جد العطف على الفقراء والمعوزين ، يرأفون بهم ، ويقدمونهم على أنفسهم ، ويبذلون لهم ما بأيديهم ولو كان بهم خصاصة ، ولعل قصة النذر التي خلدها الله في كتابه بسورة الدهر هي أروع ما حكاه التأريخ البشري من حنان الإنسان . يحدثنا الزمخشري في كشفه عن ابن عباس أنه قال : « إن الحسن والحسين

(١) ص ٢٥٩ الجزء الثالث من مسنده ، وص ٨٦ من الصواعق المحرقة .

(٢) ص ٢٥ ذخائر العقبى .

(٣) ص ٨٥ من الصواعق المحرقة .

مرضاً فعادهما رسول الله (ص) في ناس معه ، فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت علي ولديك ، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئتا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام ، فشفا وما معهم شيء ، فاستقرض علي من شمعون الخبيري اليهودي ثلاثة اصوع من شعير فطحنته فاطمة واختبزته خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد ، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة ، فأثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً ، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه ، ووقف عليهم اسير في الثالث ففعلوا مثل ذلك ، فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين وأقبلوا على رسول الله (ص) فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفرأخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم ، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها ، وغارت عيناها فساءه ذلك ، فنزل جبرائيل عليه السلام وقال خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة^(١) .

ومن تلى آيات الأبرار التي جاءت بحقهم بمناسبة هذا الايثار أكبرهم أيما اكبار فاستمع لما يقوله عز وجل في هذه العترة الطاهرة كيف يصفهم ويصف عظمتهم يوم العطش الأكبر الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، فيقول قاصداً علياً وفاطمة والحسن والحسين (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ، ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ، إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا ، وجزاهم بما صبروا جنة

(١) ص ٢٣٩ المجلد الثالث .

وحريرا ، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا ،
ودانية عليهم ظلالها ، وذلت قطوفها تذليلا ، ويطاف عليهم بآنية من
فضة وأكواب كانت قواريرا ، قوارير من فضة قدّروها تقديرا ، ويسقون
فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسيلا ، ويطوف عليهم
ولدان مغلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ، وإذا رأيت ثم رأيت
نعيماً وملكاً كبيراً ، عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق ، وحلّوا أساور
من فضة ، وسقاهم ربهم شراباً طهورا ، إن هذا كان لكم جزاءً وكان
سعيكم مشكورا .

لم يكن إكبار الله عز وجل لهذا العطاء من حيث الكمّ فليس عطاء
خمسة أقراص في كل يوم بالشيء الكثير ، وإنما أكبر ذلك تقدست
أسمائه من حيث الكيف فإنّ بذل ما عندهم وهم صيام ثلاثة أيام
يستدعي هذا الإكبار ، لأنّ معنى ذلك أنّهم قد آثروا المسكين واليتيم
والأسير على أنفسهم في أخرج الأوقات ، وأشد الساعات ، وكان بإمكانهم
أن يعطوا المسكين أو اليتيم أو الأسير رغيفاً واحداً ، أو انهم يعطون أربعة
أقراص ويتركون لأنفسهم قرصاً واحداً يسدّون به رمقهم ، ولكنهم
سلام الله عليهم يحسون بالايثار جميعاً ، ومعنى ايثارهم أن يدفعوا جميعاً
كل ما لديهم ، ثم انك ترى ان هذا الشعور الواحد لم يتغير في الأيام الثلاثة
فهم يحدبون ويعطفون على المسكين في اليوم الأول ، واليتيم في اليوم الثاني ،
والأسير في اليوم الثالث ، على حد سواء لم يضعف الجوع هذا
الشعور ، ولا الحاجة الملحة إلى الأكل ، فهم في يومهم الثالث كيومهم
الأول في شعورهم وإحساسهم تجاه الفقراء والمعوزين ، فهم يرتعشون
من الجوع وتلتصق بطونهم بظهورهم ، طاوين ثلاثاً ، مؤثرين على أنفسهم
المسكين واليتيم والأسير ، راضين بذلك مستبشرين ، لا يريدون بذلك
جزاءً ولا شكورا ، وإنما يطعمونهم لوجه الله ، وهذا أقصى ما يتصور من
مظاهر البرّ والإحسان ، لذلك كانوا الأبرار الذين وصفهم الله في هذه

الآيات البيّنات التي تدلّ على فضل عظيم، ومنزلة عند الله ليس فوقها
منزلة .

هذا بيت الوصي كما يراه الله والنبي ، ولا إخال أن بيتاً في الاسلام
حوى من المجد والعظمة ما حواه بيت الامام ، وحسبه عزّاً وفخراً أن
يكون آل هذا البيت أهلاً للرسول ليس له آل غيرهم فقد كانت زوجاته
في بيته ولكن لم يكن من أهله كما عرفت ، ولذلك كان صلى الله عليه
وآله إذا غزا أو سافر بدأ بالمسجد أولاً ، ثم أتى بيت علي ثانياً ، ثم انقلب
بعد إلى زوجاته ، فسلامٌ على محمد في الليل والنهار ، وسلامٌ على آل
البيت الأطهار ، وتحياته تغنّي وتروح عليهم كلما ذكر الأبرار .

مَنْ يباريهم وفي الشمس معنىً مجهدٌ متعب لِمَنْ باراها



نفس

« فمن حاجك فيه من بعد ما جاهدك من العلم فقل
تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ،
وأنفسنا وأنفسكم ثم نبيها فتجعل لعنة الله على
الكاذبين » .

(كتاب الله العظيم)

كان علي عليه السلام - كما عرفت - حبيب النبي وخليفه ، وأمينه وصفيه ، ووزيره ووصيه ، وصهره وأخاه ، وكان فوق ذلك كله نفس النبي لا ندعي ذلك ادعاءً ، ولا نبالغ في هذا القول أي مبالغة ، وإنما هو حقيقة راهنة ، يقررها الله في محكم كتابه ، ويذيعها للناس في آية المباهلة ليقرأها كل مسلم ، وليفهمها كل مؤمن فيقول - وقوله الحق - (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فدعا الرسول - كما يحدث بذلك مسلم والترمذي - علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال اللهم هؤلاء أهلي ^(١) » وقد روى الرازي في تفسيره الكبير ^(٢) ان النبي (ص) « خرج عليه مرط ^(٣) من شعر أسود وقد احتضن الحسين ، وأخذ بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعلي خلفها وهو يقول إذا دعوت فأمتنوا ، فقال أسقف نجران يا معشر النصاري إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لأزاله بها ، فلا تباهلوهم فتهلكوا ، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني الى يوم القيامة . » بهذا النفر القليل من عترته الطاهرة باهل النبي نصارى نجران فبهلهم ، ورجعوا

(١) ص ٢٥ من ذخائر العقبي .

(٢) ص ٤٨٨ الجزء الثاني من تفسيره (مفاتيح الغيب) .

(٣) المرط كساء من صوف أو خز أو غيره .

مأخوذين بروحانيتهم ، معتقدين الهلاك والدمار إذا هم مضوا في المباهاة .
تقدّم النبي الكريم إلى النصارى بريحانيته العباقتين الحسن والحسين ،
غير مقتصر على أحدهما ، لأن لكل منهما منزلة ومكانته ، فلا يمثل
أحدهما الآخر وإنما هما نظيران وندان ، فدعوة أحدهما دون الآخر
ترجيح بلا مرجح ، لذلك تراه قد دعاها معاً ممثلاً بهما الأبناء ، ولو
كان في الأمة الاسلامية من يساويهما لدعاه كما دعاها ، ولما لم يكن
في النساء من يقاس في بضعته الزهراء ، نرى الرسول الأعظم يستغني
بوجودها عن وجود غيرها ، فكأنه (ص) إذ دعاها دعا النساء جمعاء ،
لأنها أم الأئمة ، وسيدة نساء هذه الأمة .

أمّا عليّ فقد دعاه الرسول ليمثل بنفسه نفس النبي ، لأنه وصيه
وخليفته وولي عهده ، فهو باستطاعته أن يمثله ويقوم مقامه ، لذلك كان
علي بنص القرآن نفس النبي ، وكان النبي نفس الوصي ، ليس في ذلك
شك لأحد من الناس ، ولو وجد في المسلمين نظير للإمام لضمّه إليه
ودعاه معه كما صنع في الحسن والحسين ، فالإقتصار عليه دليل أقوى دليل
وبرهان أسطع برهان على أنه ليس في أمة النبي من يكون نفسه غير علي .
وقد فهم الإمام من هذه الآية عظيم منزلته ، فاحتج بها على أحقيته
بالخلافة قال الداقرطي « إنّ عليّاً يوم الشورى احتج على أهلها فقال لهم :
أنشدكم بالله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله (ص) في الرحم مني ،
ومن جعله (ص) نفسه ، وأبناءه أبناءه ، ونسائه نسائه غيري ؟؟ قالوا :
اللهم لا^(١) » .

وأنت ترى أنهم اعترفوا له بأن الله جعل نفس النبي نفس الوصي
في آية المباهاة ، كما أنهم أقرّوه على فهمه منها أحقيته بالخلافة ، ولو أن

(١) ص ٩٣ من كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر .

هناك مجالاً للجدال والمناقشة في شيء مما ذكر ، لناقشوه الحساب ، لأنّ المقام مقام مناظرة ومفاخرة استعرض فيه الامام كلّ ما له من ميزات تؤهله لتنصب إمامة المسلمين .

فعلي نفس النبي بإجماع المفسرين ، وشهادة الصحابة والتابعين ، وهذه منزلة تستدعي الاعجاب والاكبار ، لأنها صريحة كل الصراحة بأنّ علياً الشخصية الممتازة بعد النبي ، لا يتقدمها عند الله متقدم ، ولا يعارضها معارض ، فهي الحرية بولاية العهد ، والجديرة بقيادة المسلمين ورعايتهم .

لم يأمر الله نبيه أن يدعو علياً ليكون ممثلاً عن المسلمين ، ولو أراد ذلك لقال ورجالنا ورجالكم ، كما قال ونساءنا ونساءكم ، وهي منزلة ليست بالقليلة ، فأنها تدل على أنّ الامام الفرد الكامل في الرجال ، نعم لم يدعه بذلك ، وإنما دعاه بصفته نفس النبي ، وليس فوق ذلك من منزلة ، فان النبي (ص) سيد المرسلين وخاتم النبيين ، ولا يكون نفسه إلاّ من كان فيه صفاته ومميزاته ، فأنت لا تقول زيد أسد إلاّ إذا كان زيد بالغاً درجة عظيمة من القوة تسوغ ذلك أن تجعله أسداً ، فعلي إذن لا يكون نفس الرسول إلاّ إذا كان فيه من الخلال ما يقرب هذا الحمل ، لأننا عندما نقول إنه نفسه لا نقصد بذلك أنّه نفسه حقيقة وفي نفس الأمر فإنّ اتحاد النفسين من الامور المستحيلة ، فهو إذن نفسه من حيث المزايا والآثار المترتبة عليه ، وهذا هو الذي يريده الله في قوله وأنفسنا وأنفسكم ، ولذلك ترى الوصي يحتج بهذه الآية — كما عرفت — على أهل الشورى مستدلاً بها على أحقيته بالخلافة .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مختلف الظروف وشتى المناسبات يبيّن للناس أنّ علياً منه كنفسه ، يريد بذلك أن يؤكد هذه الآية الكريمة في الأذهان ، فلا يشك فيها بعد ذلك إنسان ، كما هي عادته في كل أمر

يريد توطيده وإحكامه ، فها هو (ص) يقول لوفد ثقيف حين جاؤه لتسلمن أو لأبعثن عليكم رجلاً مني ، أو قال مثل نفسي ، فليضربن أعناقكم ، وليسين ذراريكم ، وليأخذن أموالكم . قال عمر : فوالله ما تمنيت الامارة إلا يومئذ ، فجعلت أنصب صدري رجاء أن يقول هو هذا ، قال فالتفت إلى علي فأخذ بيده ، وقال هو هذا هو هذا^(١) ، وعن زيد بن نفع قال قال رسول الله (ص) ليستهن بنو ريعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفي ، يمضي فيهم أمري ، يقتل المقاتلة ، ويسبي الذرية ، قال فقال أبو ذر فما راعني إلا برد كف عمر في حجري من خلقي فقال من تراه يعني ؟ قلت ما يعنيك ، ولكن يعني خاصف النعل ، يعني علياً كما قد خرجة الامام أحمد في المناقب^(٢) « وأنت ترى أن النبي (ص) إنما يغفل الاسم أولاً مستعملاً هذا الأسلوب من الحوار ، لينبه الاسماع ، ويلفت الأنظار فيستشرف من يستشرف ويتمنى كل فرد من أصحاب الرسول أن يكون هو ذلك الشخص الكريم ، الذي ينكل في أعداء النبي (ص) ممضياً فيهم أمره .

وهناك موارد كثيرة نصّ فيها على أن علياً منه ، وأنه من علي ، مما يدلّ على أنهما كالنفس الواحدة ، فهذا عمران بن حصين يقول : « بعث رسول الله (ص) سرية واستعمل عليها علياً قال فمضى على السرية فأصاب جارية فأنكروا عليه ، وتعاهد أربعة من أصحاب النبي (ص) وقالوا إذا لقينا رسول الله (ص) أخبرناه بما صنع علي ، فقال عمران وكان المسلمون إذا قدموا من سفر بدأوا برسول الله (ص) وسلموا عليه ، ثم انصرفوا إلى رحالهم ، فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله (ص) ، فقام أحد الأربعة فقال : يا رسول الله ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا

(١) ص ١٦٤ من الرياض النضرة في مناقب العشرة وص ٦٤ من ذخائر العقبي .

(٢) ص ١٦٤ من الرياض النضرة .

وكذا فأعرض عنه ، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته فأعرض عنه ، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه ، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا ، فأقبل إليه رسول الله (ص) والغضب يعرف في وجهه ، فقال ما تريدون من عليّ ثلاثاً إنَّ عليّاً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي^(١) » أخرجه الترمذي وقال حسن وأبو حاتم ، وأخرجه الإمام أحمد وقال فيه : فأقبل إلى الرابع وقد تغير وجهه فقال دعوا عليّاً دعوا عليّاً ، علي مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي .

وهكذا تراه (ص) يقول لبريدة من جملة حديث معه « لا تقع في علي فانه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي^(٢) » ويقول أبو رافع لما قتل علي أصحاب الألوبة يوم أحد قال جبريل يا رسول الله إنَّ هذه لهي المواساة ، فقال له النبي (ص) إنَّه مني وأنا منه ، فقال جبريل وأنا منكما يا رسول الله^(٣) .

وقال رسول الله مرة لأم سلمة — كما يحدث بذلك عبد الله بن عباس — « يا أم سلمة علي مني وأنا من علي ، لحمه من لحمي ، ودمه من دمي ، وهو مني بمنزلة هرون من موسى ، يا أم سلمة اسمعي واشهدي ، هذا علي سيد المسلمين^(٤) » إلى غير ذلك من الأحاديث المستفيضة التي تنص على أن الوصي نفس النبي .

(١) ص ١٧١ من الرياض النضرة .

(٢) ص ١٧١ من الرياض النضرة وص ٦٨ من ذخائر العقبي .

(٣) ص ١٧٢ من الرياض النضرة وص ١٤٣ من كتاب كفاية الطالب للعلامة الكنجي الشافعي وفي ص ٥٥ من كتاب ينابيع المودة .

(٤) ص ٥٥ من ينابيع المودة .

مُمَيَّزَاتُ

« علي بن ابي كنفسي ، طاعته طاعتي ، ومعصيته
معصيتي » .

(الصادق الامين)

وإذا كان الوصي نفس النبي (ص) ، كان لا محالة شريكه في صفاته ومميزاته ، وإلا لما جاز أن يكون نفسه ، نعم كان شريكه في كل مميزاته إلا ما علم بالبداهة والضرورة استثناءه ، كالنبوة والأفضلية فإنه لا يشاركه فيهما لأنه لا نبي بعده ، ولأن النبي أفضل من علي بالضرورة من عقائد الاسلام ، وكوجوب صلاة الليل ، وجواز الجمع بين تسع نسوة في زمن واحد مما هو من خواص النبي ، أما فيما عدا هذه الامور فانهما يلتقيان معاً ، ويسيران جنباً الى جنب ، فهو نظيره في النسب فقد كانا من شجرة واحدة (نبت في حرم ، وبسقت في كرم) نتاجها النبوة والرسالة ، وثمرتها الوصاية والامامة .

ونظيره في العصمة فهما معاً مطهران من الدنس منزهان عن الرجس بحكم آية التطهير الصريحة في هذه العصمة (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) .

ونظيره في ولاية الامة التي نلتوها في قوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله ، والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) ومعنى ذلك أن الله أولى بكم من انفسكم ، ورسوله كذلك أولى بكم من انفسكم بدليل قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم) ، فرسول الله شريك مع الله في هذه الولاية كما هو صريح هذه الآية ، وعلي شريك معهما كما يقتضيه العطف ووحدة السياق ، فقد أشار إليه بإيتاء الزكاة في

الركوع ليعلم بأن المقصود بالمؤمنين الذين لهم هذه الولاية إنما هم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راکعون، وقد اتفقت الكلمة على أن المقصود بالمؤمنين هو علي حينما تصدّق بخاتمه في الصلاة، فثبت له إذاً من فروض الولاية ما ثبت لله ولرسوله على كافة خلقه، ولما كانت له هذه الولاية كان من الضروري وجوب طاعته، وحرمة معصيته، لأنه الاسام المفترض الطاعة، وقد قال رسول الله (ص) «علي مني كنفي طاعته طاعتي، ومعصيته معصيتي»^(١) وقد فرض له هذه الطاعة في أول يوم من أيام الاسلام - كما عرفت من حديث الدار - فقد اتخذ الرسول أنخاً، ونصبه على الناس خليفة ووصياً ثم قال لهم (فاسمعوا له وأطيعوا) وقد عرضنا لذلك مفصلاً في فصل وزارته فليراجع.

وهو نظيره في وجوب محبته وحرمة بغضه، وكفر من سبّه، فقد قالت أم سلمة أشهد أني سمعت رسول الله (ص) يقول «مَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ أَحْبَبَنِي، وَمَنْ أَحْبَبَنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيّاً فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ»^(٢) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أشهد بالله لسمعت من رسول الله (ص) يقول «مَنْ سَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ سَبَّنِي، وَمَنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ اللَّهَ، وَمَنْ سَبَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَكْبَهَ اللَّهَ عَلَى مَنْخَرِيهِ»^(٣) وهكذا شهدت أم سلمة بما شهد به ابن عباس كما خرّجه الامام أحمد:

«وعن ابن عباس انه مرّ بعدما حُجِبَ بصره بمجلس من مجالس

-
- (١) ص ٥٥ من ينابيع المودة، وفي ص ٦٦ ذخائر العقبى عن أبي ذر الغفاري ان رسول الله (ص) قال لعلي «من أطاعك فقد أطاعني، ومن أطاعني أطاع الله ومن عصاك فقد عصاني» وخرجه الامام ابو بكر الاسماعيلي في معجمه، وخرجه الحنبل في زاد فيه ومن عصاني فقد عصي الله.
- (٢) ص ٦٥ من الذخائر و ص ١٦٦ من الرياض النضرة.
- (٣) ص ٦٦ من ذخائر العقبى.

قريش وهم يسبون علياً ، فقال لقائده ما سمعت هؤلاء يقولون ؟؟ قال سبوا علياً ، قال فردني إليهم فردّه ، قال أيكم السابّ الله ؟؟ قالوا سبحان الله من سبّ الله فقد أشرك ، قال أيكم السابّ لرسول الله (ص) ؟ قالوا سبحان الله من سبّ رسول الله فقد كفر ، قال فأيكم السابّ لعلي ؟؟ قالوا أمّا هذا فقد كان ، قال فأنا أشهد بالله لسمعت رسول الله (ص) يقول : « من سبّ علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ، ومن سب الله عز وجل أكبه الله على منخره الحديث ^(١) » .

وهو نظيره في الأداء والتبليغ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « علي مني وأنا منه فلا يؤدي عني إلاّ أنا أو علي ^(٢) » ولما أرسل النبي أبا بكر ليقرأ براءة على أهل مكة ، أوحى الله إليه أن يرجعه ويرسل علياً ليقوم مقام النبي في الأداء ، فقد روى (ع) عنه (ص) انه « بعث ببراءة إلى أهل مكة مع أبي بكر ثم أتبعه بعلي فقال له خذ الكتاب فامض به إلى أهل مكة قال فلحقته فأخذت الكتاب منه فانصرف أبو بكر وهو كئيب ، فقال لرسول الله (ص) أنزل فيّ شيء ؟؟ قال لا ، إلاّ أني أمرت أن أبلغه أنا أو رجل من أهل بيتي ^(٣) » وفي رواية عبد الله بن عمر انه (ص) (ص) قال لأبي بكر « لا : جبريل جاءني فقال لن يؤدي عنك إلاّ أنت أو رجل منك ^(٤) » فعلي إذن هو نفس النبي كما أوحى الله ذلك إلى نبيه على لسان جبريل فقد قال للرسول لا يؤدي عنك إلاّ أنت أو رجل منك ، فأرسل الرسول علياً لأنه منه ، أرسله بهذه الآيات التي حوت وعيـداً وتهديداً للمشركين ، وهو اسلوب صاخب لا يواجه به المشركين ، إلاّ

(١) ص ١٦٦ من الرياض النضرة في مناقب العشرة للإمام محب الدين الطبري الشافعي .

(٢) ص ٢٠ من خصائص النسائي .

(٣) ص ٢٠ من خصائص النسائي .

(٤) ص ٦٩ من ذخائر العقبي وص ١٧٤ من الرياض النضرة في مناقب العشرة .

النبي أو مَنْ يقوم مقامه ، لذلك نراه (ص) يدعو أبا بكر بعد إرساله قائلاً له - كما يحدث به أنس - « لا ينبغي أن يبلغ هذا إلاّ رجل من أهلي ، فدعا علياً فأعطاه إياها^(١) » ، لأنه هو الذي يليق بأن يقف موقف النبي ، موجهاً إلى المشركين هذه الزواجر التي تضمنتها هذه الآيات الصريحة ببراءة الله والرسول من المشركين ، الذين نقضوا عهدهم ونظاهروا على المسلمين ، فقد أمر الله المؤمنين إذا انسلخت الأشهر الحرم أن ينكّلوا بالكافرين ، وأن يقتلوهم حيث وجدوهم .

والرسول حين يرسل علياً لا يرسله لأنه من أهله فقط ، ولو كان ذلك هو السبب لأرسل صنو أبيه العباس ، فانه أقرب إلى الرسول من علي ، وهو بقطع النظر عن هذا القرب له المكاة السامية ، والمنزلة المرموقة عند الناس ، فعدم إرساله إذاً في هذه المهمة يدلنا على أن السبب شيء فوق القرابة لذلك أرسل علياً وقال : « علي مني وأنا منه ، فلا يؤدي عني إلاّ أنا أو علي » فحصر التأدية به وبعلي ، لا يشاركهما في التبليغ مشارك ، ولا يجوز أن يقوم هذا المقام العباس لأنه ليس كنفس النبي ، ولو كان كنفسه لكان شريكاً في الدعوة حين مباهلة نصارى نجران التي كان فيها علي نفس النبي باتفاق المسلمين .

فالتبليغ إذن خاص بالنبي ، لا يشاركه فيه من أهله وصحبه غير علي عليه السلام ، لأنه منه ، ولذلك أرسله بهذه السورة على ناقته الجداء ، فكان كلّ مَنْ سمع رغوته اعتقد أنّ عليها رسول الله ، لأنها ناقته الخاصة لا يركبها أحد غيره ، وقد حدث جابر قائلاً : « إنّ النبي حين رجع من عمر الجعرانة بعث أبا بكر على الحج فأقبلنا معه حتّى إذا كنا بالعرج - منزل بطريق مكة - فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف

(١) ص ٢٠ من خصائص النسائي .

ظهره ، فوقف عن التكبير فقال هذه رغبة ناقة رسول الله (ص) الجداء ، لقد بدا لرسول الله (ص) في الحج ، فلعله أن يكون رسول الله (ص) فنصلي معه ، فاذا علي رضي الله عنه عليها ، الحديث (١) .
ويحدث ابن عباس فيقول : « فبينما أبو بكر في الطريق إذ سمع رغاء ناقة رسول الله (ص) القصوى فخرج أبو بكر فرعاً فظن أنه رسول الله (ص) ، فاذا علي ، فدفع إليه كتاب رسول الله (ص) وأمر صلى الله عليه وآله وسلم علياً أن ينادي بهذه الكلمات ، فنادى ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك ، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، ولا يحجّن بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن ، الحديث (٢) » فالوصي مرسل لتلاوة براءة ، ولتبليغ الكلمات ، وهذا يدل على مقام عظيم عند الله عز وجل لأن الإرسال كان بوحى منه تعالى ، وهو مقدمة تمهيدية ترمز للخلافة العامة ، فإن الذي يؤدي الآيات ، ويبلغ الأحكام في عهد النبي ، حري أن يؤديها بعد وفاته ، ويبلغها كما هي ، ولا سيما إذا عرفنا ان الرسول قد خصّه بهذا الوسام ، وان الله عز وجل هو الذي رشّحه لهذا المقام .

وهو نظيره في ابقاء بابه ، فقد أمر النبي (ص) بسد أبواب أصحابه إلا باب علي ، فعن زيد بن أرقم قال : « كان لنفر من أصحاب رسول الله (ص) أبواب شائعة في المسجد ، فقال رسول الله سدوا الأبواب إلا باب علي ، فتكلم بذلك الناس فقام رسول الله فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فاني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي ، وقال فيه قائلكم ، والله ما سدّدته ولا فتحتة ولكن امرت فاتبعته (٣) » وكان

(١) ص ٢٠ من خصائص الامام النسائي .

(٢) ص ٨٩ من ينابيع المودة وقد نقله عن الترمذي .

(٣) ص ١٢ من خصائص النسائي وقد اخرج الامام احمد كما في ص ٨٧ من الينابيع وص ٧٧ من ذخائر العقبى .

ابن عباس يقول : « وسند أبواب المسجد غير باب علي رضي الله عنه فكان يدخل المسجد وهو جنب ، وهو طريقه ليس له طريق غيره ^(١) ، فكان يحل له ما يحل لرسول الله وقد قال له : « يا علي لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك ^(٢) » فسد أبواب الصحابة كان بأمر من الله ، كما ان ابقاء باب علي كان بأمر الله أيضاً ، وما ذلك إلا لميزة في شخص علي عليه السلام اقتضت هذا التخصيص ، وقد كان في أصحاب النبي (ص) من له المنزلة السامية في نفسه ولكن الله عز وجل أراد إظهار فضل علي ، وأراد أن يعرف الناس منزلته وشخصيته فخصه بهذا الأمر الذي لا يشاركه فيه أحد سوى أخيه الرسول ، وكان مثلهما في أمة النبي مثل موسى وهرون ، وقد كان الرسول يقول « إن الله أوحى إلى نبيه موسى أن ابن لي مسجداً طاهراً ، لا يسكنه إلا موسى وهرون ، وإن الله أوحى إلي أن ابن مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنا وأخي علي ^(٣) » وهذا التخصيص لم يكن إلا لأن علياً كان أخ النبي ووصيه ووزيره كما كان هرون أخا لموسى يشد أزره ، ويشركه في أمره ، وإلى هذا أشار الرسول (ص) في خطابه البليغ ، وقد رواه حذيفة بن أسد الغفاري فقال : « إن النبي (ص) قام خطيباً قال ان رجالاً يجدون في أنفسهم شيئاً ان أسكنت علياً في المسجد وأخرجتهم ، والله ما أخرجتهم وأسكنته ، بل الله أخرجهم وأسكنه ، إن الله عز وجل أوحى إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً ، واجعلوا بيوتكم قبلة ، وأقيموا الصلاة ، ثم أمر موسى أن لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه ، ولا يدخله جنب إلا هرون وذريته ، وإن علياً مني بمنزلة هرون من موسى ، وهو أخي ولا

(١) ص ١٤ من خصائص النسائي .

(٢) ص ٧٧ من ذخائر العقبي .

(٣) ص ٨٧ من ينابيع المودة وقد ذكر جماعة من الصحابة رواوا هذا الحديث كحذيفة وسعد والبراء ، وابن عباس ، وابن عمر وغيرهم .

يحلّ لأحد أن ينكح فيه النساء إلاّ علي وذريته^(١) .

والذي يدل على أن هذه الميزة إنما كانت كالدليل على خلافته ، انا نرى الوصي يحلّ له ما يحلّ للنبي ، من نكح النساء ، في المسجد والدخول جنباً إليه ، وهذا حكم خاص بالنبي ومَن يقوم مقامه ، فجوازه بالنسبة إلى علي وحرمة بالنسبة إلى غيره من المسلمين دليل أقوى دليل على انه ليس واحداً منهم وإنما هو امامهم وألاّ لشملة الحكم الذي شملهم ، فحرمة الشيء معناه وجوب الاجتناب عنه ، وجوازه معناه يجوز فعله وتركه ، وإذاً فما معنى أن يكون الموضوع الواحد حراماً بالنسبة إلى شخص ، وحلالاً بالنسبة إلى شخص آخر ؟؟ لا شك ان الحل لهذه المسألة أن يكون المني النجس بالنسبة إلى سائر الأفراد طاهراً بالنسبة إلى النبي والوصي ، وإلاّ لما جاز أن ينكحها في المسجد وأن يلبثا به مجنين ، وكان الله تعالى أراد بهذا الحكم أن يعلن للناس انهما طاهران من الدنس ، مطهران من كل نجس كما يدل على الأول آية التطهير ، ويدل على الثاني هذا التصريح القائل بانه يحل لعلي ما يحل للنبي .

وقد اكبر عمر بن الخطاب (رض) هذه الخصلة في علي وجعلها ثانية الخصال التي كان يتمناها ، فحدث الناس قائلاً : لقد اوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم ، زوجه رسول الله (ص) ابنته وولدت له ، وسد الأبواب إلا بابه في المسجد ، وأعطاه الراية يوم حنين^(٢) ، وما تمنى ابن الخطاب هذه الخصال إلاّ لأنها تدل على عظيم فضل علي عند الله والنبي ، ولذلك ترى الامام عليه السلام يذيع هذه الفضيلة ويحتج بها على أهل الشورى ، فقد روى

(١) ص ٨٨ من الينايع .

(٢) ص ٧٧ من ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى .

أبو ذر وأبو الطفيل « ان علياً احتج على أهل الشورى بسد الأبواب إلا باب علي^(١) » وما كان ليحتج في ذلك - وهو العالم بأساليب الكلام - إلا لأنه يصلح دليلاً على امامته ، وبرهاناً على عظيم منزلته .

وهو نظيره في العدّ فإنّ كف عليّ ككف النبي في العدّ سواء ، فعن حبشي بن جنادة يقول : « كنت جالساً عند أبي بكر فقال من كانت له عدة عند رسول الله (ص) ؟؟ فقال رجل فقال يا خليفة رسول الله وعدني بثلاث حثيات من تمر قال فقال أرسلوا إلى علي ، فقال يا أبا الحسن إنّ هذا يزعم أنّ رسول الله (ص) وعده بثلاث حثيات من تمر فاحشها له قال فحشها ، قال أبو بكر عدوها فوجدوا في كل حثية ستين ثمرة لا تزيد واحدة على الأخرى ، فقال أبو بكر : صدق الله ورسوله قال لي رسول الله (ص) ليلة الهجرة ونحن خارجون من الغار نريد المدينة يا أبا بكر كفي وكف علي في العدّ سواء^(٢) » والغرض من هذا الحديث اظهار فضل علي لأبي بكر ، لأن الكف - وهي لا تعي ولا تبصر - إذا كانت مفطورة على العدل لا تخطيء في العدّ فأحرى بصاحبها - وهو الامام البارّ - أن يعدل في الرعية ، وان يقسم بينهم بالسوية ، ولعل المناسبة التي دعت النبي أن يفضي بهذا الحديث إلى أبي بكر هي مبيت الوصي على الفراش ، فإنّ الاقدام على المبيت في مثل تلك الظروف الخطرة يستدعي الاعجاب والاكبار ، ويفرض التحدث بإيادي علي وفضائله .

وهو نظيره في اقامة النبي له مقامه في نحر بدنه وإشراكه في هديه كما سنفصل ذلك فيما يأتي من فصول الكتاب الى غير ما هنالك من مميزات يعرفها المنتبعون كان علي فيها شريكاً للنبي ، ولا شك أنّ هذه المميزات كانت كلها ترمز إلى علي بالوصاية ، وتشير إليه بالإمامة ،

(١) ص ٨٧ من ينابيع المودة .

(٢) ص ١٦٥ الجزء الثاني من الرياض النضرة في مناقب العشرة .

وكانت أيضاً مقدمات تمهيدية تعدّه للزعامة الدينية، وترشّحه للخلافة العامة، وهي بمجردهما تدل دلالة واضحة على انه الوصي بعد النبي .

وإذا كان الإمام ليس بوصي فلماذا كان حبه إيماناً، وبغضه نفاقاً، وسبّه كفرّاً، وطاعته واجبة، ومعصيته محرّمة؟؟ مع أنّ هذه أمور لا تجري في حق غيره من أصحاب الرسول، وإنما هي مميزات تخصّ النبي بها علماً ليعرف المسلمون أنّه وزيره ووصيه، وهذا شأن الملوك الذين يجعلون لولي العهد مميزات في المملكة تشير إلى ولايتهم، وتعدّهم للملوكية في المستقبل، وكان النبي (ص) طوال حياته يسير مع علي هذه السيرة، يرفعه إلى كل منزلة سامية دونها كل منزلة .

فالمسلمون ان جهلوا النص على علي بالخلافة فإنّهم لا يجهلون أنّه الخليفة إذا رجعوا إلى هذه المميزات التي ميّز الله بها علياً على سائر المسلمين، ولو أراد المسلمون أن يختاروا لهم إماماً يأمنون به ويأتمرون بأمره، وبحشوا عن مميزات الامام لأجلأهم البحث إلى القول بأن علياً هو الوصي بعد النبي .



مجاهد

« لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يجب
الله ورسوله ، وبجبه الله ورسوله ، ليس بفرار » .

(النبي الكريم)

كان أصحاب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وما ملكت أيديهم ، وكانوا يختلفون في ذلك حسب اختلاف إيمانهم وقوة جنابهم ، ولا يعرف تأريخ الاسلام بطلا مجاهداً مخلصاً يضحي نفسه في سبيل الله والدين مثل الامام عليه السلام ، فقد جاهد وناضل طوال حياته بقلبه ولسانه ، وقلمه وبيانه ، وسيفه وسنانه ، فتارة يمتشق الحسام ، واخرى يؤثر القلم والبيان ، وهو في كلا الحالين - سلمه وحرره - لا ينظر إلا للمصلحة الاسلامية ، فاذا اقتضت المصلحة الحرب خاض غمارها ، وأسعر نارها ، واقتحم المعركة بقلب ثابت ، وعزم صارم ، ونفس مطمئنة ، تسترخص الحياة ، وتستعذب ورد المنون ، وإذا كانت المصلحة في جانب السليم أغمد سيفه ، واكتفى بالدعوة إلى الحق بلسانه الفصيح ، وقلمه البليغ ، وبيانه الرائع ، فهو ربّ السيف والقلم ، وهما طوع لإرادته ، ورهن لإشارته ، يتقدم بهما إلى الناس كلما دعت الحاجة .

وهو ممتاز في كل أنواع الجهاد لا يدرك شأوه ، ولا يشق غباره ، وله السبق في الجهاد كماً وكيفاً - على حدّ تعبير المنطقيين - فالمجاهدون من المسلمين قد يختلفون في أنواع الجهاد ومراتبه ، فمنهم من يجاهد بلسانه ولا يستطيع النزال ، ومنهم من يجاهد بسنانه ولا يستطيع البيان ، أمّا من يقوى على الامرين ، ويجاهد جهاد الأبطال فيهما فليس ذلك إلاّ علي عليه السلام ، على أنا لا نعرف مجاهداً في الاسلام حضر المشاهد

والمواقف كلها غير الامام (ع) ، فقد كان في الصف الأول من المجاهدين في المعارك كلها ، يذبّ عن الدين بحسامه الغالب ، ورأيه الصائب ، وكان في هذا الجهاد منذ نعومة اظفاره الى آخر لحظة من لحظات حياته ، وهو في كل مواقفه مخلص شديداً للإخلاص يؤمن بالله : ويخلص للرسول ، ويجاهد في سبيل الدين .

بدأ الوصي جهاده في سبيل الله والدين بقلبه ولسانه وهو ابن عشر سنين ، مكتفياً بذلك يوم كان الاسلام في بدء دعوته ، وفجر نهضته لم يؤذن للمسلمين بالجهاد ، ونحن نزين كتابنا هذا بكلام الامام عن معجزة الشجرة لتعرف منها كيف كان الوصي - وهو في سن الغلام - يصدق النبي (ص) ويؤيد دعوته بقلب مؤمن ، ولسان صادق ، وضمير حي طافح بالحب والاخلاص .

يقول عليه السلام : « ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدْعِهِ آبَاؤُكَ ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عِلْمَنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عِلْمَنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَا تَسْأَلُونِ ، قَالُوا تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلَعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ ؟؟ قَالُوا نَعَمْ ، قَالَ فَاِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيضُونَ إِلَى خَيْرٍ ، وَإِنِّي فَيَكُم مَن يَطْرَحُ فِي الْقَلْبِ ، وَمَن يَحْزَبُ الْأَحْزَابَ ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلَعِي بِعُرُوقِكَ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيِ بَازْنِ اللَّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ ، وَقَصَفَ كَقَصْفِ أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَرْفُوفَةً ، وَأَلْقَتْ بِغَصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكَبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَمَّا

نظر القوم الى ذلك قالوا علواً واستكباراً فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً فكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه وآله . فقالوا كفراً وعتواً فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان ، فأمره صلى الله عليه وآله فرجع فقلت أنا : لا إله إلاّ الله إني أول مؤمن بك يا رسول الله ، وأول من أقرّ بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك ، وإجلالاً لكلمتك ، فقال القوم كلهم بل ساحر كذاب عجيب السحر ، خفيف فيه ، وهل يصدّك في أمرك إلاّ مثل هذا (يعنوني) إلى آخر كلامه ^(١) عليه السلام .

فالوصي - وهو في سن الصبي - يقرّ الله بالوحدانية ، وللرسول بالنبوة ، مكبراً دعوته ، مؤيداً كلمته ، يعرف منه ما يجهلون ، ويؤمن فيه بكل ما يحدون .

ونستطيع من هذه المعجزة أن نعرف عظمة النبي ، وعظمة الايمان في الوصي ، وهذه الشجرة كما أشارت إلى نبوة النبي بالقاء غصنها الأعلى عليه (ص) فقد أشارت أيضاً إلى وصاية علي (ع) بالقاء بعض أغصانها على منكبه ، وإلاّ فلماذا لم تلق ببعض أغصانها على غير الامام ممن حضر ذلك المجلس !!!

أجل ان هذا الرمز كان مقصوداً من غير شك فإنّ الذي اقتلع الشجرة بعروقها ، وجعل لها دويّاً شديداً ، وقصفاً كقصف أجنحة الطير هو الذي جعلها أيضاً تلقي على الرسول الكريم بغصنها الأعلى ، وبيعض أغصانها على منكب الوصي .

وعلى مثل هذا الايمان القوي سار الامام يؤيد كلمة الله ، وينصر رسوله بكل ما اوتي من بيان، وقوة ايمان ، وقد دعاه ايمانه وشدة اخلاصه

(١) ص ٢٥٥ و ص ٢٥٦ المجلد الثالث من شرح النهج .

للدين وللرسول أن يضطجع مكانه ويلتف ببرده مستسهلاً الموت ،
ومستعذباً ورد المنون غير متردد في الإقدام على مثل هذا الأمر طريقة
عين أبداً .

يقول المأمون الخليفة العباسي من جملة كلامه في احتجاجه على
الفقهاء ، « إن الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر علياً بالنوم على فراشه
وأن يقي رسول الله (ص) بنفسه ، فأمره رسول الله (ص) بذلك فبكى
علي رضي الله عنه فقال له رسول الله (ص) ما يبكيك يا علي أجزعاً من
الموت ؟؟ قال لا ، والذي بعثك بالحق يا رسول الله ولكن خوفاً عليك ،
أفتسلم يا رسول الله ؟؟ قال : نعم ، قال : سمعاً وطاعة وطيبة نفسي
بالفداء لك يا رسول الله ، ثم اتى مضجعه واضطجع وتسجى بثوبه^(١) . »

فعلي لا يخشى الموت ولا يبكي جزعاً منه ، ولكنه يبكي خوفاً
على رسول الله (ص) ولذلك تراه بعد العلم بسلامة الرسول بمضي إلى
محل النبي (ص) هادئاً مطمئناً ، طيب النفس بهذا الفداء ، وكان هذا
الموقف أول موقف ظهرت فيه شخصية الامام ، ولمع فيه اسمه وعلا
بين الناس ذكره ، وكان موقفاً مشرفاً يدل على اخلاص وتضحية وإيمان
عظيم ، وقد فهم القوم الذين جاءوا للفتك برسول الله هذه التضحية فقالوا
له « فلا نراك إلا مغروراً بنفسك منذ ليلتنا^(٢) » وقد رأت هذه العصبية -
من إقدامه على التضحية - انه لا قبيل لها به .

ورأت قسوراً لو اعترضته	الحنّ والانس في وغى أفناها
مدّ كف الردى فلو لم تكفكف	عنه آثار غيها لمحاها
نظرت نظرة إليه فلاقت	قدرة الله لا يردّ قضاها
فتولّت عنه وللرعب فيها	فلّك دائر على أعضاها

(١) ص ٢٩٠ الجزء الثالث من العقد الفريد للعلامة شهاب الدين احمد المعروف بابن عبد ربه .

(٢) ص ٢٩٠ نفس المصدر .

وقد قرأ الناس من هذا الموقف صحيفة الامام في عالم البطولة والنضال
فعرفوا انه البطل الخالد الذي سيخلد التاريخ ذكره ، ويردد الدهر اسمه
ماكر الجديدان وأضاء النيران .

لبث الامام رديحاً من الزمن ينتظر أن يأذن الله للمسلمين بالجهاد
ليمتشق حسامه يردّ به كيد الكائدين ، ويكبح به جماح كل عدو متألبٍ
ظالم ، وقد أذن الله للمسلمين بالقتال بعد أن رأى ما حلّ بهم من ظلم
وعسف (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)
فهبّ المسلمون وفي مقدمتهم الامام يجاهدون في سبيل الله بأموالهم
وأ أنفسهم ليحفظوا دين الله ، ويرفعوا كلمة الاسلام ، وليحرزوا النصر
المبين .

وقد أحرز الامام السبق في المواقف كلها ، وأصبح المثل الأعلى
لكل مقارع ومناضل ، وحسبه أن هتف باسمه في السماء .

لا فتى إلاّ علي لا سيف إلاّ ذو الفقار

وها نحن نستعرض هذه المواقف على سبيل الاختصار مقتصرين على
ما يخص الامام من هذه المشاهد ، ولعلها تكون درساً وعبرة للأجيال ،
تفهمهم معنى البطولة والتضحية ، وتعرفهم حقيقة الاصلاح ومدى التفاني
في سبيل النفع العام ، فان تأريخ الامام الناصع مليء بأروع صفحات البطولة
وأصدق آيات النصيح والارشاد .

موقفه في بدر :

لبث النبي صلى الله عليه وآله ثمانية عشر شهراً في المدينة يبث دعوته ،
وينشر كلمة الله بالتي هي أحسن ، وكان الرسول طوال هذه المدة ينتظر
أمر الله في الجهاد حتى أذن لهم بذلك ، ثم أمرهم بعد الإذن أن يقاتلوا
الكافرين الذين يعتدون عليهم فقال تعالى في كتابه العزيز (وقاتلوا في

سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقتموهم ، وأخرجوهم حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) فأمر الله تعالى نبيه أن يجاهد ويدافع عن نفسه من يعتدي عليهم من الكافرين ، ولذا كان جهاد النبي أولاً متحصراً في محاربة قريش لأنها هي التي أخرجته وحاربته خاصة ، ولم يتوسع الرسول في خطة الدفاع إلا بعد أن اشترك المشركون من غير قريش في حرب النبي فعندئذ أصبح الجهاد عاماً حسبما أمر الله رسوله بقوله (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) .

وقد رأى النبي (ص) أن يبدأ قريشاً - قبل أن يستحر الزاع والخصام بينهما - بحرب لا تتعدى الناحية المالية ، وذلك بأن يصادر أموالها بما يرسل إليها من سرية إثر سرية ، وكان هذا النوع من السير يؤذن قريشاً بوقوع حرب لا محالة ، فقد كانت قريش تعتقد أن هذا من النبي كمقدمة تمهيدية للدخول إلى حرب طاحنة ، والنبي يعلم أيضاً أن قريشاً سوف لا تستسيغ ذلك ، ولا تهضم هذا الأمر .

علم المسلمون أن أبا سفيان بن حرب قادم من الشام بأموال وافرة لقريش ، فأمر الرسول المسلمين أن يخرجوا وقال لهم « فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها » أما أبو سفيان فقد خالف الطريق فنجا ، وهبت قريش - بعد أن جاءها الصريخ بالخبر - مسرعة نافرة متأهبة لقتال الرسول (ص) على أكمل ما تكون من عدد وعدة ، وقد أقبل (ص) على الناس وقال « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها^(١) » ولما رآها

(١) ص ١٤٢ الجزء الثاني من تاريخ الطبري .

تصوب من العقنقل - وهو الكثيب الذي منه جاؤا إلى الوادي - قال
(ص) « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب
رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم فأحْنهم الغداة ^(١) » .

هذه الموقعة أول موقعة حمي الوطيس واستحر النضال بها بين
المسلمين والكافرين ، وهي الحد الفاصل بين الكفر والاسلام ، فالنجاح
المستمر لمن كانت له الغلبة فيها ، لذلك نرى أن قريشاً قد أفلتت
كبدها مقدمة على ذلك بكل ما تستطيعه من حول وطول ، وقد رأت
قريش أن المسلمين إذا نجحوا انتشر الاسلام في الجزيرة العربية ، وكثر
المعتنقون للدين الاسلامي ، لذلك قد صممت أن تقضي على جميع المسلمين
بما تظهر لهم من عدد وعدة لا قبل للمسلمين بهما ، وكان المسلمون
جميعاً حاضرين وهم يبلغون ثلاث مائة أو يزيدون قليلاً فاذا قضت
عليهم فانما تقضي على الاسلام ولذلك تراه صلى الله عليه وآله كان يقول
« اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن نهلك هذه العصابة من أهل الإسلام
لا تعبد في الأرض ^(٢) » فالتبي (ص) يرى أن العصابة المسلمة إذا هلكت
لا يعبد الله بعد ذلك لأن الدين الاسلامي كان في فجر نهضته ، وبدء
دعوته فاذا أصيب بمثل هذه الصدمة العظيمة من قتل جميع معتنقيه تحامى
الناس بعد ذلك الدخول فيه خوفاً على انفسهم ، أما إذا انتصرت هذه
العصابة - وهي قليلة في العدد والعدة - فلا مانع من أن ينتشر الاسلام
ويزدهر ، وأن يدخل الناس في دين الله أفواجا ، فالنصر إذن لا بد أن
يتحقق في هذه المعركة ، لينتصر الدين فيعبد الله في الأرض ، وقد استجاب
الله استغاثة المسلمين بأن أمدّهم بألف من الملائكة مردفين قال تعالى
(اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين)

(١) ص ١٤٥ من الطبري المجلد الثاني .

(٢) ص ١٤٩ الطبري المجلد الثاني .

وقد كانت حالة المسلمين تستدعي أن يمدّهم الله في ذلك لقلّتهم ولأن كثيراً منهم قدم على الحرب غير راغب فيها كما يفهم من قوله تعالى (وإذا يعدّكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) فظّلوا يقدّمون العير على النفير ، ويفضلون المال على منازلة الرجال ، ولكن المقداد رضوان الله عليه واجه النبي بكلمة قد أثلجت صدره ، وأودعت في المسلمين حماسة وحرارة قال له : « أبشر يا رسول الله ، فوالله لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى (إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) لكن والذي بعثك بالحق لنكونن من بين يديك ، ومن خلفك ، وعن يمينك وعن شمالك أو يفتح الله لك^(١) ، ثم قال رسول الله (ص) أشيروا علي أيها الناس - يريد بذلك الانصار - فقال له سعد بن معاذ لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال أجل ، قال سعد « فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسير بنا على بركة الله^(٢)) فسرّ النبي ذلك وقال « سيروا على بركة الله أبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم » فمضى المسلمون عندئذ بعزم ثابت ، يحدثون أنفسهم بالنصر والظفر ، يقدمهم أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد كان صاحب راية رسول الله (ص) ، يقول حبر الامة ابن عباس رضوان الله عليه « كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً . وكان الانصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً » وكان صاحب راية رسول الله (ص) علي

(١) ص ١٤٠ المجلد الثاني من تاريخ الطبري .

(٢) ص ١٤١ المجلد الثاني من الطبري وفي الصفحة تجد كلمة الرسول سيروا على بركة الله الخ .

ابن أبي طالب عليه السلام^(١) « فالامام يحمل راية الرسول وفي المسلمين مثل حمزة أسد الله ، وأسد رسوله ، والبطل الباسل المعروف بالقوة وشدة البأس ، وقد أظهر الامام يوم بدر من معجزات البطولة ما جعله جديراً في نظر المسلمين بحمل راية النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

برز إلى المسلمين عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة ، وابنه الوليد ، فخرج إليهم فتية من الأنصار فامتنعوا عن مبارزتهم بعد أن عرفوهم ، وقالوا لرسول الله أخرج لنا اكفاءنا من قومنا فدعا النبي حمزة وعلياً ، وعبيدة ابن الحارث وأمرهم بالمبارزة فبرزوا ، وانتسبوا لهم فقالوا اكفاء كرام فبارز علي عليه السلام الوليد فلم يمهله أن قتله ، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة فلم يمهله أن قتله ، وبارز عبيدة عتبة بن ربيعة فاختلفت بينهما ضربتان قطعت إحداها فخذ عبيدة فاستنقذه أمير المؤمنين بضربة بدر بها شيبة فقتله ، وشركه في ذلك حمزة رضي الله عنه ، وكان قتل هؤلاء الثلاثة من إمارات النصر للمسلمين ، فان قتلهم على قوتهم ومكانتهم السامية في قومهم جعل المسلمين يستبشرون ، منتظرين للكافرين ضربة قاسية تقضي على كل ما لديهم من جاه وعز وسلطان .

وقد أوردى الامام عليه السلام في هذه المعركة أبطالاً لهم منزلتهم في الهيئة الاجتماعية ، ولهم مقامهم الرفيع في حومة الوغى ، وميادين البطولة ، فقد أوردى العاص بن سعد ، وهو بطل يتحاماها الأبطال ، وكان طعيمة ابن عدي بن نوفل — وهو من رؤوس أهل الضلال — طعمة لسيف الامام فقد شجره بالرمح وقال له « والله لا نخاصمنا في الله بعد اليوم أبداً^(٢) » وقتل الامام أيضاً نوفل بن خويلد ، وكان من أشد الناس عداوة للرسول ،

(١) ص ١٣٨ المجلد الثاني من الطبري .

(٢) ص ٣٣٩ المجلد الثالث من شرح النهج .

وهو من الأبطال المعدودين ، وكان الرسول (ص) يقول « اللهم اكفني نوفل بن العدوية » وكان (ص) يتسائل عنه ليعلم هل هو حي أم ميت فقال (ص) مرة « مَنْ له علم بنوفل بن خويلد » فأجابه الامام أنا قتلته فكبر رسول الله (ص) وقال الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه .

وَقُتِلَ أَيْضاً بِسَيْفِ الْإِمَامِ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَعَقِيلُ بْنُ الْأَسْوَدِ ،
وَالْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ ، وَالنَّضَرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ، وَعَمِيرُ بْنُ عَثْمَانَ
ابْنِ كَعْبٍ ، وَعَثْمَانُ وَمَالِكُ ابْنَيْ عُبَيْدِ اللَّهِ أَخَوَا طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَمَسْعُودُ
ابْنِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَقَيْسُ بْنُ الْفَاكِهَةِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَحَدِيفَةُ بْنُ أَبِي
حَدِيفَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَأَبُو قَيْسِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ،
وَعَمْرُو بْنُ أَبِي مَخْزُومٍ ، وَأَبُو الْمُنْذِرِ بْنُ أَبِي رِفَاعَةَ ، وَمَنْبَةُ بْنُ الْحُجَّاجِ
السَّهْمِيِّ ، وَالْعَاصِمُ بْنُ مَنْبَةَ ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ كَلْدَةَ ، وَأَبُو الْعَاصِمِ بْنُ قَيْسِ
ابْنِ عَدِيٍّ ، وَمَعْوِيَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِمِ ، وَلَوْذَانَ بْنِ رِبِيعَةَ ، وَعَبْدُ
اللَّهِ ابْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ أَبِي رِفَاعَةَ ، وَمَسْعُودُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، وَحَاجِبُ بْنُ
السَّائِبِ ، وَآوُسُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ لَوْذَانَ ، وَزَيْدُ بْنُ مَلِيصٍ ، وَعَاصِمُ بْنُ أَبِي
عَوْفٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ حَلِيفُ بَنِي عَامِرٍ ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ الْقَيْسِ ،
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَمِيلٍ بْنُ زَهِيرٍ بْنُ الْحَارِثِ ، وَالسَّائِبُ بْنُ مَالِكٍ ، وَأَبُو الْحَكَمِ
ابْنُ الْأَخْنَسِ ، وَهَشَامُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ^(١) وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّنْ اشْتَرَكَ فِي قَتْلِهِمْ
سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَهَنَّاكَ أَشْخَاصَ آخَرُونَ اخْتَلَفَ فِي قَتْلِهِمْ فَبَعْضُهُمْ
يَرَى أَنَّ الْإِمَامَ هُوَ الَّذِي فَتَكَ بِهِمْ ، وَبَعْضُ يَرَى أَنَّ غَيْرَهُ قَامَ بِقَتْلِهِمْ ،
وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَلِإِنَّ الْكَلِمَةَ اتَّفَقَتْ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ قَامَ بِقَتْلِ النِّصْفِ
أَوْ أَكْثَرٍ ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَالْمُسْلِمُونَ قَامُوا بِالشَّطْرِ الْآخَرِ ، وَهَذَا مِمَّا لَا
يُمْكِنُ الْخِلَافُ فِيهِ ، فَإِنَّ الْمَقْتُولِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَبْلُغُونَ السَّبْعِينَ وَلَكِنْ

(١) راجع ص ٣٥٧ وص ٣٥٨ من المجلد الثالث من النهج تجده يفصل أسماء المقتولين ، وكذلك راجع ص ٣٥ من كتاب الارشاد للإمام الشيخ المفيد .

المعروف منهم باسمائهم وأشخاصهم وأسماء القاتلين لهم اثنان وخمسون رجلاً ، قتل الامام منهم اربعة وعشرين رجلاً على اقل الروايات ، فهو إذن قتل ما يقرب من شطر المقتولين على هذا التقدير .

فالفضل اذن يعود في احراز هذا النصر الى علي عليه السلام ، فقد كانت مواقفه الحربية العظيمة أكبر سبب مساعد لِعِزِّ الاسلام ، ودحض الشرك ، وإذلال المشركين ، فلولا علي لما رفع للاسلام عمود ، ولولا حسامه لما اخضر له عود ، فبحسامه اباد الكافرين ، وبه حفظ الدين ، ولولاه لما عبد الله ، فإن المسلمين كانوا قليلين لا قبيل لهم بالكافرين فإذا قتلوا طغى الكفر ، ومحى الاسلام ، وقد قال النبي (ص) ، « إن تهلك هذه العصاة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض » لذلك أنجز الله وعد النبي بان ايد الدين بصارم الوصي ، وما هي الا ساعات حتى هزم الجمع وولوا الدبر ، وكفى الله المؤمنين القتال بعلي ، وبالملائكة ، وبالنخبة الصالحة من صحابته الابرار .

والغريب ان يُمثّل الإمام هذا الدور من البطولة ، وهو أول عهده في الحرب ، فيصل في البداية الى ما وصل غيره في النهاية ، وكأنه خلق ليكون ربّ حراب ، كما كان إمام محراب .

اسد الله ما رأت مقلته	نار حرب تشبّ الا اصطلاها
كيف يخشى الذي له ملكوت الأ	من والنصر كله عقباها
والي الحشر رنة السيف منه	ملاً الخافقين رجع صداها

موقفه في أحد :

رجع المشركون الى مكة فوجدوا العير التي قدم بها ابو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة ، فتقدم أشراف قريش الى ابي سفيان قائلين : نحن طيبو انفس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشاً الى محمد ، فقال لهم وقد طابت انفس قريش بذلك ؟؟ قالوا نعم ، فقال لهم انا اول

من اجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معي فانا والله الموتور والثائر ، وعند ذلك باعوا العير فصارت ذهباً ، وكانت الف بعير ، والمال خمسين الف دينار ، فسَلَّم إلى أهل العير رؤوس أموالهم ، وأخرجوا ارباحهم ، وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً ، وفيهم نزلت (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) .

وكان من الطبيعي لقريش أن تفكر في مثل هذا الأمر ، وان تبذل كل ما لديها من مال ورجال في سبيل اعلاء كلمتها ، وفي سبيل ارجاع ما فات منها في بدر من عز ورفعة ، ومجد ومنعة ، وقد ارتأت تحقيقاً لأهدافها أن تضم قريش إليها من تعرف من العرب ، وأن تصحب معها الظعن ، وقد أبان صفوان بن امية ترجيح هذا الأمر فقال « أخرجوا بالظعن فانا أول من فعل ، فانه اقمن أن يحفظكم ، ويذكرنكم قتلي بدر ، فإن العهد حديث ، ونحن قوم موتورون مستميتون ، لا نريد أن نرجع إلى ديارنا حتى ندرك ثارنا أو نموت دونه » .

وهناك أرسلوا رسلهم يسرون في العرب يدعونهم إلى نصرهم ، وحرب المسلمين معهم ، فالتبوا العرب وجمعوا ، وبلغوا ثقيفاً فأرغبوا فخرجوا جميعاً وهم ثلاثة آلاف رجل ، فيهم سبعمائة دارع ، ومعهم مائتا فرس ، وثلاثة آلاف بعير ، وكان الظعن خمس عشرة امرأة .

علم العباس عم النبي رضي الله عنه بخروج قريش فكتب كتاباً وختمه ، واستأجر رجلاً من بني غفار ، وشرط عليه أن يسير ثلاثاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره قائلاً : « ان قريشاً قد اجتمعت للمسير إليك ، فما كنت صانعاً إذا دخلوا بك فاصنعه ، وقد وجهوا وهم ثلاثة آلاف ، وقادوا مائتي فرس ، وفيهم سبعمائة دارع ، وثلاثة آلاف بعير ، وقد أوعبوا من السلاح » .

أخبر الرسول أصحابه ، وسألهم رأيهم في الخروج من المدينة لحرب

قريش فاختلفوا في ذلك فرأي^١ يرجح البقاء في المدينة ، وهو رأي أكابر الصحابة من مهاجرين وأنصار ، فقد قال له عبد الله بن أبيّ يا رسول الله كنا نقاتل في الجاهلية في هذه المدينة ، ونجعل النساء والذراري في هذه الصياصي^(١) ، ونجعل معهم الحجارة ، والله لربما مكث الولدان شهراً ينقلون الحجارة أعداداً لعدونا ، ونشبك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية ، وترمي المرأة والصبي من فوق الصياصي والآطام ونقاتل بأسيفنا في السكك ، يا رسول الله ان مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط ، وما خرجنا إلى عدو قط منها إلاّ أصاب منا ، وما دخل علينا قط إلاّ أصبناه ، فدعهم يا رسول الله فانهم إن أقاموا أقاموا بشر محبس ، وإن رجعوا رجعوا خاسرين مغلوبين لم ينالوا خيراً .

ورأي^٢ يرجح الخروج من المدينة وهو رأي الأحداث الذين لم يشهدوا بدرأ ، فقد طلبوا من الرسول الكريم الخروج إلى عدوهم راغبين في الشهادة ، متمنين لقاء العدو ، وكان على هذا الرأي من كبار الأصحاب حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ، وسعد بن عباد ، والنعمان ابن مالك بن ثعلبة وغيرهم من الأوس والخزرج وقالوا : « إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا انا كرهنا الخروج إليهم جبناً عن لقاءهم فيكون هذا جرأة منهم علينا ، وقد كنت يوم بدر في ثلثمائة رجل فظفر الله بهم ، ونحن اليوم بشر كثير ، وكنا نتمنى هذا اليوم ، وندعو الله به فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا هذه » وقال حمزة عليه السلام والذي أنزل عليه الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارجاً من المدينة » وكان النبي (ص) يرجح الرأي الأول فقد قال (ص) لأصحابه « أمكثوا في المدينة واحملوا النساء والذراري في الآطام فان دخل علينا قاتلناهم في الأزقه ، فنحن أعلم بها منهم » .

(١) الصياصي جمع صيصة وهي الحصن .

ولما رجع النبي العظيم هذا الرأي لرؤيا رآها في منامه ، فقد رأى كأنه في درع حصينة ، وكأن سيفه ذا الفقار قد انقسم من عند ظبته^(١) وكان بقرأ تذبج ، وكأنه مردف كبشاً ، وقد أولها صلى الله عليه وآله فقال « أما الدرع الحصينة فالمدينة » وأما انفصام سيفي فمصبية في نفسي وأما البقر المذبج فقتل في اصحابي ، وأما اني مردف كبشاً فكبش انكتبه يقتله الله ان شاء الله ، وما زالوا يتكلمون في هذا الأمر ، ويرجعون الخروج حتى أجابهم الرسول إلى ذلك فدخل البيت والناس ينتظرون خروجه فجاءهم سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير فقالا لهم قلم لرسول الله ما قلم ، واستكرهتوه على الخروج ، والأمر يتنزل عليه من السماء فرددوا الأمر إليه ، فما أمركم فافعلوه ، وما رأيتم فيه هوى أو أدباً فاطيعوه ، فبينما القوم على ذلك من الأمر ، بعضهم يقول القول ما قال سعد ، وبعضهم يرجع الشخوص من المدينة ، والبعض للخروج كاره إذ خرج رسول الله (ص) لابساً لامته ودرعه ، متقلداً سيفه فندم من كان مصراً على الخروج ، وقال هؤلاء « ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك ، وما كان لنا أن نستكرهك ، والأمر إلى الله ثم إليك » فقال صلى الله عليه وآله « دعوتكم إلى هذا الحديث فابيتم ، ولا ينبغي لني إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه » ثم قال لهم « انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ، أمضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم » فمضى على اسم الله وسار المسلمون وراءه فعقد ثلاثة الوية ، ولواء للاوس دفعه إلى أسيد بن حضير ، ولواء للخزرج دفعه إلى الحباب بن المنذر بن الجموح ، ولواء للمهجرين - وهو لواء رسول الله (ص) - دفعه إلى أخيه ووصيه علي بن أبي طالب ، واللواء لا يدفع إلا للرجل النابه في قومه^٢ المعروف بينهم بالبسالة والبطولة ، وقد أثبت الامام في وقعة بدر أنه البطل العظيم الذي لا يهاب الأبطال ، ولا يعرف الموت ، وقد

(١) الظبة حد السيف أو السنان ونحوهما .

قتل من الكافرين - وهو واحد - شطر المقتولين ، وقتل الشطر الآخر المسلمون والملائكة - وهم ثلاثة آلاف - وإذا كان الامام يقابل هؤلاء جميعاً في قوته وشدة بأسه ، فحري بأن يحمل لواء رسول الله (ص) في بدر ، وأحد وفي المشاهد كلها .

تقدم الرسول صلى الله عليه وآله ووقف في المسلمين خطيباً فذكرهم الله وأوصاهم بطاعته ، والتناهي عن محارمه ، وأمرهم بالجد والنشاط ' والصبر على الجهاد ، وأبان لهم مغبة الاختلاف والتنازع ، وأن الله تعالى لا يحب الاختلاف ، ولا يعطي عليه النصر والظفر ' وقال لهم فيما قال « إن المؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر الجسد » ثم توجه (ص) الى الرماة وقال لهم « احموا لنا ظهورنا فإننا نخاف أن نوثى من ورائنا ، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وإن رأيتمونا تقتل فلا تعينونا ، ولا تدفعوا عنا ، اللهم إني اشهدك عليهم ، ارشقوا خيلهم بالنبل فإن الخيل لا تقدم على النبل » ومن هنا نعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم علم اليقين ما ستؤول اليه حالة المسلمين من الفشل والخذلان لذلك تراه قد أبدى للمسلمين رأيه بعدم الخروج من المدينة ' وأمرهم بعد الاذن من الخروج أن يلزموا مكانهم ، وأن لا يبرحوا منه ' حتى في حالي نصر المسلمين ، او قتلهم ، فهو لا يطلب منهم إلا أن يحموا ظهورهم فحسب لأنه (ص) يخشى عليهم ان يوثوا من ورائهم وهم غافلون .

أخذ الرماة يحمون ظهور المسلمين ، ويرشقون خيل المشركين بالنبل حتى ولوا هاربين . وقال بعض المسلمين « والله لقد رمقت نبلنا يومئذ فما رأيت سهماً واحداً مما يرمى به خيلهم يقع في الارض أما في فرس أو في رجل » وقد دنا القوم بعضهم من بعض وقدموا طلحة بن ابي طلحة صاحب لوائهم ، وصفوا صفوفهم ، وأقاموا النساء خلف الرجال يضربن

بين أكتافهم بالاكبار^(١) والدفوف ، وهند وصواحبها يحرضن الرجال ،
ويذكرن من أصيب ببدر وينشدن :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
ان تقتلوا نعانق او تدبروا نفارق
فراق غير وامق

برز طلحة بن ابي طلحة - وهو كبش الكتيبة - وصاح من يبارز
فقال له الامام عليه السلام هل لك في مبارزتي ؟؟ قال نعم فبرز ا بين
الصفير والرسول (ص) جالس تحت الراية عليه درعان ومغفر وبيضته
فالتقيا فضربه الامام ضربة على رأسه بالسيف فلق فيه هامته ، ومضى
السيف الى أن انتهى إلى لحيته فوقع وانصرف عنه الامام فقيل له هلا
ذفت^(٢) عليه ؟؟ قال إنه لما صرع استقباني بعورته فعطفتني عليه الرحم
وقد علمت أن الله سيقته هو كبش الكتيبة فهو عليه السلام يستحي أن
يقتل شخصاً يستقبله بعورته ، وهو لا يتركه إلا لأنه يعلم أن الله سيقته
فإن النبي (ص) قد رأى في منامه أنه وردف كبشاً ، وفسره بقتل كبش
الكتيبة طلحة ، وقد سر الرسول (ص) بقتله سروراً عظيماً ، وكبر
تكبيراً عالياً ، وكبر كذلك المسلمون ، وأدى هذا إلى حماس عظيم في
المسلمين فشدوا على كتائب المشركين فجعلوا يضربون وجوههم حتى
انتفضت صفوفهم ، ثم حمل لواء المشركين بعد طلحة أخوه عثمان
وارتجز قائلاً :

إن على رب اللواء حقاً أن يخضب الصعدة أو يندقا
فتقدم باللواء والنسوة خلفه يحرضن ويضربن بالدفوف فحمل عليه

(١) الاكبار جمع كبر وهو الطبل .

(٢) أي هلا أجهزت عليه .

الامام عليه السلام فقتله ، ثم حمل اللواء أخوهما أبو سعيد ابن طلحة
فقمن النسوة ينشطنه ، ويقلن خلفه :

ضرباً بني عبد الدار ضرباً حماسة الادبار

ضرباً يصل بالثار

فما أمهله الامام حتي قتله فأدلع لسانه إدلاع الكلب ، ثم تتابع على
حملة من بعد هؤلاء مسافع بن أبي طلحة ، والحارث بن طلحة بن أبي
طلحة ، وكلاب بن طلحة بن أبي طلحة ، والجلاس بن طلحة بن أبي طلحة ،
وارطاة بن شرحبيل ، وشريح بن قارط ، وصواب غلامهم فقد قتل
الامام هؤلاء جميعاً ، وكانوا من أشد الناس قوة وبأساً ، وكان غلامهم
صواب من أشدهم وطأة ، فقد قطعت يده اليمنى فاحتمل اللواء باليسرى ،
فقطعت اليسرى فاحتضن اللواء بذراعيه وعصديه وحنى عليه ظهره وقال :
يا بني عبد الدار هل اعتذرت ؟! فضربه الامام ضربة قاضية فسقط
صريعاً^(١) .

وظفق المسلمون يشاركون الامام في جهاده ونضاله فقاتلوا قتالاً
شديداً ، فكانت الهزيمة على المشركين ، وكان النصر للمسلمين ، فهرب
النساء مصعدات في الجبل ، ودخل المسلمون عسكر الكافرين يقتلون
وينهبون .

وقد غر الرماة هذا النصر ، فرغبوا في النهب والسلب غير ملتفتين
الى وصية النبي لهم بلزومهم مكانهم ، وعدم مفارقتهم له فقد قال لهم

(١) راجع ص ١٩٧ الجزء الثاني من الطبري وراجع ص ٦٣ من تاريخ ابن الاثير فانك تراها
يصرحان بان الذي قتل أصحاب الألوية هو الامام عليه السلام وقد ارسل الطبري ذلك ارسال
المسلمات فقال « لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية أبصر رسول الله سبحانه الى آخر
ما قال فراجع .

« قوموا على مصافكم هذا فاحموا ظهورنا ، فان رأيتمونا قد غشنا فلا تتركونا ، وان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا » ولكنهم مع الاسف الشديد لم يصفوا الى هذا النصيح وقد خطبهم أميرهم عبد الله بن جبير فحمد الله ، وأمرهم بطاعة رسوله وأن لا يخالف أمره فعصوه وأنطلقوا فلم يبق معه إلا نفر لا يبلغون العشرة ، منهم الحارث بن أنس بن رافع وقد قال لهم أذكروا عهد نبيكم اليكم ، وأطيعوا أميركم فأبوا وذهبوا الى عسكر المشركين ينتهبون ، وخلوا الجبل ولما نظر المشركون الى خلوا الجبل من الرماة كروا على المسلمين ، فدخلوا على قوم غارين آمنين فوضعوا فيهم السيوف وقتلوهم قتلاً ذريعاً ، فتفرق المسلمون في كل صوب وحذب والقوا ما انتهبوا ، وولوا الادبار ، وتركوا رسول الله فريسة بين ايدي الكافرين .

وقد اضطر الرسول الاعظم (ص) ان يباشر القتال بنفسه ، فرمى بالنبل حتى فئت نبله وانكسرت سية قوسه ، وكان صلى الله عليه وآله يستنجد بأخيه ووصيه فينجده ويقيه بنفسه ، يقول محمد بن حبيب في أماليه كما يروى ذلك العلامة ابن ابي الحديد « ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما فرّ معظم أصحابه عنه يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من بني كنانة ثم من بني عبد مناة بن كنانة فيها بنو سفيان ابن عوف وهم خالد بن سفيان ، وأبو الشعثاء بن سفيان ، وأبو الحمراء ابن سفيان ، وغراب بن سفيان فقال رسول الله (ص) يا علي اكفني هذه الكتيبة فحمل عليها وأنها لتقارب خمسين فارساً وهو عليه السلام راجل فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرق عنه ، ثم تجتمع عليه هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عوف الاربعة وتمام العشرة منها ممن لا يعرف بأسمائهم فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله يا محمد إن هذه المواساة لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وما يمنعه وهو مني وأنا منه فقال جبريل عليه السلام وانا منكما ، قال وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لا يرى شخص

الصارخ به يتادي مراراً : لا سيف إلا ذو الفقار . ولا فتى إلا علي ، فسئل رسول الله (ص) عنه فقال هذا جبرائيل^(١) « وحسبك دليلاً على عظمة موقف الوصي هذا التعجب من جبرائيل ، وبقية الملائكة المقربين ، فقد اكبروا هذا الموقف ، وقدروا هذه المواساة التي لم يعرف التاريخ لها نظيراً ، أما النبي الكريم فلم يستغرب من اخيه هذا الموقف لان الوصي والنبي كلاهما نفس واحدة . وليس من الغريب ان يثار الانسان لكرامته ، او يدافع الانسان عن نفسه ، وقد برهن الامام علي انه نفس الرسول بثباته أمامه ووقائه له بنفسه فقد بايع النبي على الموت ، وبايعه على ذلك نخبة من أصحابه دافعوا عنه دفاع المستميت كأبي دجانة رضي الله عنه والزبير وطلحة والحارث بن الصمة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ، ولكنهم قد فروا جميعاً ولم يثبت إلا الامام عليه السلام ، وقد قال حبر الامة عبد الله بن عباس « ان لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله (ص) ، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف ، وهو الذي صبر معه يوم فر عنه غيره يوم المهراس - وهو يوم أحد - وقد فرّ الناس ، وهو الذي غسله وأدخله قبره^(٢) ويقول زيد بن وهب من جملة حديث طويل « قلت لعبد الله بن مسعود انهزم الناس عن رسول الله (ص) إلا علي وأبو دجانة وسهل بن حنيف؟؟ فقال : انهزم الناس إلا علي بن ابي طالب وحده ، وثاب الى رسول الله (ص) نفر وكان اولهم عاصم بن ثابت ، وسهل بن حنيف ، وأبو دجانة ، ولحقهم طلحة بن عبيد الله ،

(١) ص ٣٧٢ المجلد الثالث من شرح النهج ، وخرجه الامام احمد في المناقب كما في ص ٦٨ من ذخائر العقبى .

(٢) ص ٨٦ ذخائر العقبى وص ٢٠٢ الجزء الثاني من الرياض النضرة في مناقب العشرة وهما من تأليف شيخ الشافعية الامام محب الدين الطبري .

قلت وأين كان أبو بكر وعمر ؟؟ قال كانا ممن تنحى قلت وأين كان عثمان قال جاء بعد ثلاث من الواقعة فقال له رسول الله (ص) « لقد ذهبت فيها عريضة ، قال فقلت له أين كنت أنت ؟؟ قال فيمن تنحى قلت له فمن حدثك بهذا ؟؟ قال عاصم بن ثابت ، وسهيل بن حنيف قال قلت له إنَّ ثبوت علي في ذلك المقام لعجيب . قال إن تعجب من ذلك فقد تعجبت منه الملائكة أما علمت إن جبرائيل (ع) قال في ذلك اليوم وهو يعرج به إلى السماء لا سيف إلاَّ ذو الفقار ولا فتى إلاَّ علي^(١) » وكان جديراً بجبرائيل أن لا يرى فتى كعلي . ولا سيف كذي الفقار ، بعد أن شاهد من الامام تلك المواقف العظيمة التي كانت سبباً لانقاذ رسول الله (ص) من الخطر المحدث به ، وما هو عليه السلام يصف بعض ما كان يعانيه في دفاعه عن الرسول فيقول « ولقد رأيتني وانفردت منهم يومئذ فرقة فيها عكرمة بن أبي جهل فدخلت وسطهم بالسيف فضربت به واشتملوا عليّ حتى افضيت إلى آخرهم ، ثم كررت فيهم الثانية حتى رجعت من حيث جئت ولكن الأجل استأخر ويقضي الله أمراً كان مفعولاً^(٢) » فدفاع الامام كان دفاع من حانت منيته ، ولكن الأجل استأخر بإذن الله ليكون الوصي سداً منيعاً ، يصد هجمات الكافرين الذين يريدون المكر والغدر برسول الله صلى الله عليه وآله ، فأمر المؤمنين عليه السلام هو الذي كان يفرق كل كتيبة تقصد الرسول بحسامه الباتر الذي يشتت شملهم ، ويفرق جماعتهم ، فالمواساة التي قام بها الوصي لم يقم بها أحد من المسلمين ، فان أبا دجانة وعاصم بن ثابت وسهيل بن حنيف على أنهم كانوا من أشدَّ اصحاب النبي دفاعاً وجهاداً ولكنهم لم يدافعوا دفاع الوصي ، ولم يستميتوا استماتة الولي ، ولذلك كان الاعجاب من الملائكة

(١) ص ٤٢ من الارشاد .

(٢) ص ٣٧٣ المجلد الثالث من شرح النهج للعلامة الجليل ابن أبي الحديد .

خاصاً بالامام عليه السلام الامر الذي حدا بجبرائيل ان يهتف في السماء ،
لا فتى إلاّ علي ، ولا سيف إلاّ ذو الفقار .

وهذا هو الموقف الثاني للامام الذي كان سبباً لاتقاذ خاتم الانبياء ،
فقد غرر بحياته في ميته على فراش النبي يوم هجرته ليحيا الرسول ،
وغرر في حياته ثانية في دفاعه هذا الدفاع المجيد يوم ثبت وفرّ أصحابه
عنه .

ونحن إن نظرنا إلى مَنْ قُتِل من الكافرين وجدنا الامام قتل منهم نصفاً
والمسلمون النصف الآخر كما صرح بذلك العلامة ابن أبي الحديد في شرح
النهج^(١) ولو أن الرماة لزموا مكانهم كما أمرهم الرسول الأعظم لكان
موقف المسلمين في أحد كوقفهم في بدر من حيث النصر والظفر ، ولكن
حب الدنيا جعلهم ينسون أمر الرسول طمعاً بالسبي والمال فتركوا أماكنهم
والتحقوا بالسالين والناهيين ، وهنا انعكس النصر إلى فشل بيّن من جراء
تنازعهم واختلاف كلمتهم فقتل منهم خلق كثير ، وقد أصيب المسلمون
بفقد أسد الله وأسود رسوله حمزة عليه السلام فتألم الرسول لذلك أشد
تألم ، وأمر النساء أن يبكينه ويندين عليه ، والغريب أن نجد هؤلاء قد
خالفوا أمر الرسول في حين أن أمر الرسول صريح لا يقبل التأويل فقد
أمرهم أن يلزموا مكانهم ، وان لا يشاركوهم في الغنائم إن رأوهم قد
غنموا شيئاً ، وان لا ينصروهم إن رأوهم قتل بين يدي الاعداء ، وهذا
أقصى ما يتصور بيانه في مثل هذا المقام ، فالذهاب إلى النهب والسلب
صريح بالمخالفة لأمر النبي (ص) وهذه المخالفة هي التي أدت الى ما منيت
به الأمة الاسلامية في وقعة أحد من هذه المأساة التي تجعل في القلب ألماً
مضاً ، وذكرى مؤلمة كلما تلاها التالون ، وعرض لذكرها الباحثون ،

(١) ص ٤٠١ المجلد الثالث من شرح النهج .

وكانت هذه المأساة خير درس وعبرة للمسلمين عرفتهم ما يترتب على مخالفة أوامر النبي العظيم من ذل وفشل ، ولقد صرف الله المسلمين عن المشركين ليتليهم ، وليعرفهم مغبة النزاع والتخاصم « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بأذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليتليكم ، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » .

فالله قد صدق المسلمين وعده ، وأراهم ما يحبون من قتل اصحاب ألوية الكافرين وظهور الذل على عسكرهم حينما كانت كلمة المسلمين واحدة ، وكان هدفهم النصر لا السلب .

ولو انهم اتبعوا أمر الرسول ، وثبتوا كما ثبت بعل البتول لكان النصر المبين ، والظفر الذي لا شك فيه ، فان الامام قد قتل أصحاب الألوية بأجمعهم كما صرح بذلك العلامتان الطبري وابن الأثر في تاريخيهما ، والعمدة في الجيش هم أصحاب الألوية فاذا قتلوا اندحر الجيش وبان الضعف فيه ، لذلك ترى الوصي كان يهتم الاهتمام كله في القضاء على اصحاب الألوية ، قضاء يجعل الرعب يسري في الجيش بأجمعه ، وأدل دلائل على ذلك هو الاندحار العظيم الذي مني به الكافرون ، وهذه الهزيمة الشنعاء التي عمت الجيش الكافر بعد قتل حملة اللواء .

لقد حاول الأعداء القضاء على الرسول الكريم ، فأنجاه الله منهم بلطف الله ورعايته ، وبعليّ أخيه ووصيه الذي كان يقيه بنفسه ، ومع ذلك فانه (ص) قد كسرت رباعيته ، وجرح وجهه الكريم ، وكسرت البيضة على رأسه ، وكان عليّ والزهراء في ذلك الظرف العصيب الى جنبه يواسيانه ويؤاسيان جراحه « فكانت فاطمة عليها السلام تغسل جرحه وعليّ يسكب الماء عليها بالمجن - الترس - فلما رأت فاطمة أن الماء

لا يزيد الدم إلاّ كثرة أخذت فاطمة قطعة حصير فأحرقتة فألصقته عليه
فاستمسك الدم^(١) « وهكذا كان الامام عليه السلام الدرع الحصين لرسول
الله يذب عنه بنفسه ، ويقيه بمهجته ، وقد أرى قريشاً من الضرب والظعن
ما يشيب له فود الرضيع .

قد أراها في ذلك اليوم ضرباً	لو رآه الشبان شابت لحاها
وكساها العار الدميم بطعن	من حلى الكبرياء قد عراها
يوم سالت سيل الرمال ولكن	هبّ فيها بسيفه فذراها
ذاك يوم جبريل أنشد فيه	مدحاً ذو العلي له أنشاها
لا فتى في الوجود إلاّ عليّ	ذاك شخص بمثله الله باها
ما حوى الخافقان إنس وجن	قصبات السبق التي قد حواها

موقفه في غزوة الأحزاب :

كان رسول الله قد أجلى بني النضير عن المدينة لنقضهم عهده . وقد
سبب ذلك حنقاً في نفوسهم ، فساروا إلى خير وخرج نفر من أشrafهم
ووجههم إلى مكة يؤلبون قريشاً ، ويدعونها إلى الخروج على رسول
الله (ص) وتعاهدوا جميعاً على قتال رسول الله (ص) ، وتجهزت قريش
وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف ، وعقدوا
اللواء في دار الندوة ، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس وألفاً وخمسمائة بعير
ووافتهم بنو ساهم بمر الظهران وهم سبعمائة ، وخرجت أيضاً معهم بنو
أسد ، وفزارة ، وأشجع ، وبنو مرة فكان جميع القوم الذين وافوا
الحنديق من القبائل عشرة آلاف ، وقد أطلق على الجميع الأحزاب لتحزبهم
على قتال الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد دعا عليهم

(١) ص ٩٠ الطبقات لابن سعد من الجزء الثالث طبع مصر سنة ١٣٥٨ هـ .

الرسول فقال « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، أهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » وقد أشار الصحابي الجليل سلمان الفارسي بحفر الخندق فأمر الرسول بذلك فحفره المسلمون ، وقد باشر النبي (ص) بنفسه العمل لينشط المؤمنين حتى أنهم فرغوا من حفره في ستة أيام .

وكان عدد المسلمين غير قليل فقد كانوا ثلاثة آلاف . ولكن الرعب كان يسري في نفوسهم ، فقد زاغت الابصار ، وبلغت القلوب الحناجر كما وصفهم الله في القرآن الكريم حيث يقول (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الابصار ، وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون ، هنالك ابتلى المؤمنون ، وزلزلوا زلزلاً شديداً وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) .

هكذا يصف القرآن الكريم حالة المسلمين ، ولكن موقف الامام عليه السلام في هذه الموقعة سبب نصر المسلمين وذل الكافرين ، وقد نزل القرآن في ذلك فقال (وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً) وإنما كفى المؤمنين القتال بجيدر الكرار ، وبسيفه ذي الفقار كما نص على ذلك المفسرون^(١) عند ذكر هذه الآية :

رأى الكافرون ما صنع المسلمون من حفر الخندق فقالوا إن هذا لمكيدة ما كانت العرب تصنعها فقليل لهم إن معه رجلاً فارسياً أشار عليه بذلك ؛ قالوا فمن هناك إذاً ، فصاروا في مكان ضيق أغفله المسلمون ، فعبر عكرمة بن أبي جهل ، ونوفل بن عبد الله ، وضرار بن الخطاب ، وهبيرة بن أبي وهب ، وعمرو بن عبد ود ، وطفق عمرو بن عبد ود يدعو المسلمين الى البراز فلم يجبه أحد ، وأخذ يعرض بهم فيقول « أين

(١) ص ٩٦ من يناير المودة .

جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم دخلها » فلم يجبه أحد فارتجز وقال :

ولقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع ع مواقف القرن المناجز
وكذاك اني لم أزل متسرعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

وما كان يلبي نداء عمرو غير الامام عليه السلام فقد كان يقول للرسول
انا له يا رسول الله ولكنه (ص) كان يأمره بالجلوس ليظهر فضل عليّ
للناس في إقدامه وإحجام أصحابه .

وإذا كان الله عز وجل يقول في كتابه العزيز (إن الله اشترى من
المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيُقتلون
ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده
من الله) فهل يتوقف الامام عن الاقدام وقد شرى نفسه ابتغاء مرضاة
الله ؟؟ وهل يتوقف عن تسليم نفسه وقد اشتراها الله منه ، ووعدته على
ذلك الجنة ، والله لا يخلف الميعاد ؟؟ كلا فليس الامام بضعيف الايمان
ليعتريه الشك فيما يقرره القرآن ، ولا هو بخائر الختان ليقف موقف
الجبان ، لذلك تراه يسرع إلى المبارزة وهو يقول مرتجزاً :

لا تعجلن فقد أذاك بحب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة يرجو الغداة نجاة فايز
إني لأرجو ان أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة تفي ويبقى ذكرها عند الهزاهز

نعم يأذن الرسول للامام بالمبارزة فيعطيه سيفه ويلبسه درعه ، ويعصمه
بعمامته ويقول : « اللهم هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً وانت خير

الوارثين^(١) ، فيستمع الله للرسول ويستجيب دعوته فيرجع الامام سالماً ظافراً بنخصه مُحْكِماً فيه ضربته التي أردته قتيلاً .

برز الامام اليه ، ودنا كل من صاحبه ، وثارَت بينهما غيرة ، وضربه الوصي وكَبَّرَ فعرف المسلمون أنه قتله فولَّى الكافرون هارين لا يلوون على شيء^(٢) وقد قتل عليه السلام نوفل بن عبد الله وهرب الباكون خوفاً على أنفسهم ، ولما وجد المشركون ما حلَّ بقادتهم نكصوا على أعقابهم لا يجرأون على اقتحام صفوف المسلمين ، وقد ساعد المسلمين أيضاً بأن أرسل الله على الكافرين الريح فهتكت القباب ، وكفأت القدور ، ودفنت الرحال ، وقطعت الاوتاد فانطلقوا لا يلوون على شيء وأنزل تعالى قوله (إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها) .

فموقف الامام وهذه الريح عاملان مهمان في ظفر المسلمين ، وانخزال الكافرين ، ولو أن الامام قد أحجم كما أحجم غيره لكان الظفر محققاً للكافرين فان الجيش الذي يبلغ ثلاثة آلاف وقد أحجم عن الاقدام على نزال خمسة فوارس حري بأن لا يقوى على مقابلة عشرة آلاف مقارع ومناضل .

فموقف الامام إذن ثبت دعائم الاسلام ، وأعزَّ الدين ، ونصر المسلمين ، ولولا ذلك لما كان للاسلام أثر .

ولما كان هذا الموقف الكريم بهذه المثابة من الأهمية نرى الرسول العظيم يقول « قتل علي لعمر و يعدل عبادة الثقلين » لأن هذا القتل فيه احياء للدين ، وفيه ابقاء لشريعة سيد المرسلين ، وإذا كان كذلك فليس من الغريب

(١) ص ٢٥ من منتخب الكنز .

(٢) راجع ص ١١١ المجلد الثالث من طبقات ابن سعد فقد ذكر قتل الامام لعمر و عزا سبب انهزام الكافرين الى قتله .

ان تعدل ضربته عبادة الثقيلين ، هذه الضربة القاضية من هذا الفارس
القرشي الذي لبى النداء ، واقتحم الهيجاء بقلب ثابت ، وعزم صارم .

ومشى يطلب الصفوف كما	تمشي خماص الحشى إلى مرعاها
فانتضى مشرفه فتلقى	ساق عمرو بضربة فبراها
وإلى الحشر رنه السيف منه	يملاً الخافقين رجع صداها
يا لها ضربة حوت مكرمات	لم يزن ثقل أجرها ثقلها
هذه من علاه إحدى المعالي	وعلى هذه فقس ما سواها

موقفه في غزوة خيبر :

كان يهود خيبر يؤلبون قريشاً على حرب الرسول وعداوته في غزوة
الخنندق فأراد صلى الله عليه وآله أن ينتقم منهم فأمر (ص) أصحابه بالتهيؤ
لغزوهم وقال « لا يخرجنَّ معنا إلاَّ راغب في الجهاد » فأقبل على
حصونهم وهي ستة ، وفيها عشرون ألف مقاتل فدفع رسول الله (ص)
اللواء « إلى عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل
خيبر فأنكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله (ص) يجيبه أصحابه
ويجيبهم^(١) » وهكذا كان يدفعه إلى أصحابه الواحد تلو الآخر فيرجع
مهموماً وقال لأصحابه « لأعطين الراية إلى رجل يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله ، ويفتح عليه^(٢) فبات أصحاب الرسول وكل فرد
يتمنى أن يكون هو ، وأي شخص منهم لا يتمنى أن يكون حبيباً لله ولرسوله
يحبهما ويحبانه ، وأي فرد منهم لا يطمع بشرف النصر وعز الظفر ،
فيفتح الله على يديه بعد أن انكشف المسلمون ، وسرى الرعب في نفوسهم ،

(١) ص ٢٠٠ المجلد الثاني من تاريخ الطبري .

(٢) ص ١٥٦ الجزء الثالث من طبقات ابن سعد وص ٣١٤ من امتاع الاسماع للمقرئ وص ١٤٠
الجزء الاول من تاريخ أبي الفدا وص ٤٢ الجزء الثاني من تاريخ اليعقوبي وغير ذلك من
المصادر الوثيقة .

وبدا الضعف على صفوفهم ، وهذا عمر بن الخطاب يقول « فما احببت الامارة قبل يومئذ فتطاولت لها واستشرفت رجاء أن يدفعها إلي فلمسا كان الغد دعا علياً رضي الله عنه فدفعها اليه فقال « قاتل ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك » فسار قريباً ثم نادى (يا رسول الله) علام أقاتل؟؟ قال « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ^(١) » .

كان الامام عليه السلام أرمد العين ولذلك تأخر عن هذه الغزوة حتى مست الحاجة اليه فدعاه الرسول وهو لا يستطيع أن يبصر من شدة الرمد ، يقول سلمه — وقد أرسله الرسول خلفه — « فجئت به أقوده وهو أرمد فبصق رسول الله (ص) في عينيه ثم أعطاه الراية ^(٢) » . ويقول العلامة أبو الفدا في تاريخه ^(٣) بعد أن ذكر إعطاء الراية لأبي بكر وعمر ورجوعهما بالحيية فقال (ص) « أمّا والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله كزار غير فرار يأخذها عنوة » فتطاول المهاجرون والأنصار ، وكان علي بن أبي طالب غائباً فجاء وهو أرمد قد عصب عينيه ، فقال له رسول الله (ص) : أدن مني فدنا منه فتفل في عينيه فزال وجعها ، ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه حلة حمراء ، وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر وهو يقول :

قد علمت خبير اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

فقال علي :

أنا الذي سمتني أمي حيدر أكيلكم بالسيف كيل السندره

(١) ص ١٥٦ الجزء الثالث من طبقات ابن سعد .

(٢) ص ١٥٨ الجزء الثالث من الطبقات .

(٣) ص ١٤٠ الجزء الاول من تاريخ أبي الفدا .

فاختلفا بضربتين فقدت ضربة عليّ المغفر ورأسَ مرحب وسقط
على الارض ، وفتحت المدينة على يد علي وذلك بعد حصار بضع عشرة
ليلة^(١) والذي يظهر انما تطاول أصحاب الرسول الى أخذ الراية نظراً
لغياب الامام عليه السلام واستبعادهم حضوره وهو على تلك الحالة من
الرمد الشديد ، وإلاّ لو كان حاضراً لأعطيت الراية له كما أعطيت له في
بدر وأحد والاحزاب ، فان مواقفه العظيمة في تلك المشاهد ترشحه لأن
يكون رب الراية في هذا الموقف أيضاً .

واسلوب النبي العظيم في حديث الراية اسلوب رائع يلفت النظر
ويسترعي الانتباه لذلك استشرّف من استشرّف ، وتطلّع الى الراية من
تطلع ، وباتوا جميعاً يتحدثون عن تلك الشخصية العظيمة الحبيبة الى الله
والرسول ، تلك التي ستفتح هذه الحصون عنوة تكرر ولا تفر ، فتفوز
بالنصر ، وتنال بذلك الفخر والأجر .

ولو ان النبي (ص) قد دعا الوصي وأعطاه الراية من غير أن يذكر
للمسلمين هذه الخلال والصفات لما وجدوا في ذلك كثير أهمية ، بل كان اعطاؤها
له كاعطائها لغيره ، فعظمة الامام قد بدت للمسلمين بذكر هذه الصفات
التي حققها الوصي بفتحه لحصون خيبر وقضائه على العدو بعد ان كاد
يظفر بالمسلمين ويكسر شوكتهم .

وقد أظهر الامام من الشجاعة ما يستحيل على غيره من البشر يحدثنا
ابو رافع مولى رسول الله (ص) « قال خرجنا مع عليّ حين بعثه رسول
الله (ص) الى خيبر فخرج اليه أهل الحصن وقتلهم عليّ رضي الله عنه
فضربه رجل من اليهود فطرح ترس عليّ من يده فتناول باباً كان عند
الحصن فترس به ، ولم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ،

(١) راجع ص ١٤٠ الجزء الاول من تاريخ ابي الفدا .

ثم ألقاه من يده فلقد رأيتني في سبعة نفر أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه^(١) ، « ويروي العلامة المقرئ في امتاع الاسماع^(٢) » انه لم يحمله أربعون رجلاً ، وانه روي عن جابر انه اجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم ان أعادوا الباب « وبفضل هذا الامام العظيم فتحت الحصون ، وأحرز المسلمون النصر .

وله يوم خبير فتكات	كبرت منظرأ على من رآها
يوم قال النبي إني لأعطي	رايتي ليثها وحامي حماها
فاستطالت أعناق كل فريق	ليروا أي ماجد يعطاها
فدعا ابن وارث العلم والحل	م مجير الأيام من بأسها
ابن ذو النجدة الذي لودعته	في الثريا مروعة لبأها
فأتاه الوصي أرمدا عين	فسقاها من ريقه فشفاها
ومضى يطلب الصفوف فولت	عنه علماً بأنه امضاها
وبرى مرحباً بكف اقتدار	أقوياء الأقدار من ضعفاها
ودحى بابها بقوة بأس	لو حمتها الأفلاك منه دحاها

مواقفه في حنين :

بلغ الرسول العظيم - وهو بمكة - أن هوازن قد جمعت بحنين^(٣) جمعاً كثيراً فخرج إليهم صلى الله عليه وآله في اثني عشر ألفاً من المسلمين ، عشرة آلاف من أهل المدينة ، وألفان من أهل مكة ، وعبا رسول الله أصحابه في السحر ، وصفتهم صفوفاً ، وقسم الألوية والرايات وجعل لواءه مع ابن عمه ووصيه ، كما هي عادته في كل موقعة^(٤) وقد

(١) ص ١٤٠ الجزء الاول من تاريخ ابي الفدا .

(٢) ص ٣١٤ المجلد الاول .

(٣) حنين واد بينه وبين مكة ثلاثة ليال .

(٤) راجع ص ٢٠١ من كتاب طبقات ابن سعد الجزء الثالث فقد نص على ذلك .

أعجب ابا بكر كثرة المسلمين فقال « لا تغلب اليوم من قلة » ولكنهم مع كثرتهم استولى عليهم الرعب وولوا الادبار منهزمين ، وقد وصفهم الله بقوله (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضائق عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين) والغريب أنهم ولوا الادبار من غير ان يضربوا بسيف أو يطعنوا برمح ، في حين أنهم كانوا من الكثرة بمرتبة اغتروا بها ، ولكنها كثرة لم تجدهم شيئاً ، وان انهزامهم في مثل هذه السرعة يدلنا دلالة واضحة على كراهية شديدة للحرب ، واستعداد كبير للاستسلام والانقياد الى العدو .

يقول عبد الرحمن بن جابر عن ابيه « لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة اجوف حطوط إنما ننحدر فيه انحداراً قال : وفي عماية الصبح وكان القوم قد سبقوا الى الوادي فكمناوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه قد أجمعوا وتهاؤا وأعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكنايب قد شدت شدة رجل واحد ، وانهزم الناس اجمعون فانشمروا لا يلوي أحد على أحد ، وانحاز رسول الله (ص) ذات اليمين ثم قال اين أيها الناس ؟؟ هلم إليّ أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله ، قال فلا شيء ، احتملت الابل بعضها بعضاً فانطلق الناس^(١) » وقد كان الخطر محققاً برسول الله ، وكانت حياته مهددة بالموت لولا تسعة نفر من بني هاشم قد ثبتوا وناضلوا دونه ، يحمونه بأنفسهم ، ويقونه بصوارمهم ، وكان معهم ايمن ابن ام ايمن الذي قاتل حتى قتل ، يقول العلامة اليعقوبي في تاريخه الشهير « وكان يوم عظيم الخطب ، وانهزم المسلمون عن رسول الله (ص) حتى بقي في عشرة من بني هاشم وقيل تسعة وهم علي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحارث ونوفل بن الحارث

(١) ص ٣٤٧ المجلد الثاني من تاريخ الطبري .

وربيعة بن الحارث وعتبة ومعتب ابنا ابي لهب والفضل بن العباس وعبد الله ابن الزبير بن عبد المطلب ، وقيل ايمن ابن ام ايمن^(١) وعلى رسول الله العظيم ، وعلى هؤلاء التسعة من الهاشميين انزل الله سكينته ، وبهم نصر الله دينه وحفظ نبيه ، وقد اشاد بهذا الموقف الكريم مالك بن عباد الغافقي فقال :

لم يواس النبي غير بني ها ثم عند السيوف يوم حنين
هرب الناس غير تسعة رهط فهم يهتفون بالناس ايمن
ثم قاموا مع النبي على المو ت فأبوا زينا لنا غير شين
وثوى ايمن الأمين من القو م شهيداً فاعتاض قره عين

ويقول العباس عم النبي مخلداً هذا الموقف بقوله :

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة
وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا
وقولي إذا ما الفضل شد لسيفه
على القوم اخرى يا بني ليرجعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله في الله لا يتوجع

ويحدث العلامة المقرئ في كتابه الجليل امتاع الاسماع ان الحارث ابن نوفل يحدث عن الفضل بن العباس انه قال « التفت العباس يومئذ وقد أقشع الناس عن بكرة أبيهم فلم يرَ علياً فيمن ثبت ، فقال : شوهة وبوهة أو في مثل هذا الحال يرغب ابن ابي طالب بنفسه عن رسول الله (ص) ؟؟ وهو صاحبه فيما هو صاحبه !! - يعني المواطن المشهورة له -

(١) ص ٤٧ الجزء الثاني .

فقلت : بعض قولك لابن أنحيك ! أما تراه في الراجح ؟؟ قال : أشعره
— اي أذكر شعاره — لي يا بني . قلت : هو ذو كذا ، ذو كذا ، ذو البرده .
قال : فما تلك البرقة ؟؟ قلت : سيفه يرفل به بين الأقران . فقال : بر
ابن بر ، فداه عم وخال !! قال : فضرب عليّ أربعين مبارزاً كلهم يقده
حتى يقده أنفه . قال : وكانت ضرباته منكراً^(١) « فالعباس يستغرب من
عدم وجود علي قرب رسول الله وهو من يعرفه ببسالته وشدة اخلاصه
وحبه ، يستغرب ذلك في الوقت الذي رأى ان الناس انكشفوا عنه جميعاً
لأنّ الامام في نظره لا يولي الأدبار وإن وليّ الناس بأجمعهم ، وحسب
الامام فخراً أن ثبت بعد أن ضاقت على غيره الارض بما رحبت ، وهو
فوق ثباته قد قتل أربعين كما نرى من رواية المقرئزي وهو أكثر من النصف
بعشرة فان مجموع المقتولين سبعون كما صرح بذلك المؤرخون ، فالمسلمون
وهم ١١ ألفاً و ٩٩٩ شخصاً يقتلون ثلاثين رجلاً والإمام وهو رجل واحد
يقتل من المشركين أربعين .

والغريب ان نجد النساء في هذه الموقعة وقفن موقفاً قصر عنه الرجال
فقد كانت أم عمارة في يدها سيف صارم ، وأم سليم معها خنجر قد حزمته
على وسطها وهي يومئذ حامل بعبد الله بن أبي طلحة ، وأم سليط وأم
الحارث كن هؤلاء جميعاً يقاتلن حين انهزم الناس ، وام عمارة تفرع
المسلمين وتقول اية عادة هذه ؟؟ !! مالكم وللفرار !! وشدت على
رجل من هوازن فقتلته وأخذت سيفه^(٢) وكنّ يشعرون بحجاجة الموقف ،
ويرين أنّ التخلّف عن القتال والهرب من ساحة الحرب من الأمور التي
يستحق صاحبها عليها القتل فهذه ام سليم تقول للنبي (ص) « بأبي أنت

(١) ص ٤٠٨ من كتاب امتاع الاسماع .

(٢) راجع ص ٤٠٨ من كتاب امتاع الاسماع للعلامة تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي المطبوع في مصر
سنة ١٩٤١ — مطبعة لجنة التأليف والنشر في مصر .

وأمرني يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين يفرّون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك فانهم لذلك اهل ، فقال (ص) او يكفي الله يا أم سليم ^(١) .

ويحق لأم سليم ان تصدر هذا الحكم بعد ان فروا في الوقت الذي قد بايعوا الرسول على الموت ، ولكن الكرة تنفي الفرقة فقد تراجع المسلمون وقاتلوا قتالاً شديداً ، يقول العباس رضوان الله عليه « اني لمع رسول الله (ص) آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها قال : وكنت امرأ جسيماً شديد الصوت قال ورسول الله (ص) يقول : حين رأى الناس لا يلوون على شيء قال يا عباس اصرخ يا معشر الانصار يا اصحاب السمره ، فناديت يا معشر الانصار ، يا معشر اصحاب السمره ، قال فأجابوا ليك ليك ، قال فيذهب الرجل منهم يريد ليثني بغيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه يقتحم عن بغيره فيخلى سبيله في الناس ثم يؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله (ص) حتى اذا اجتمع اليه منهم مائة رجل استقبلوا الناس فاقتتلوا فكانت الدعوى اولاً يا للانصار ، ثم جعلت أخيراً يا للخزرج ، وكانوا صبراً عند الحرب فأشرف رسول الله (ص) في ركابه فنظر الى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال « الآن حمي الوطيس ^(٢) » « ثم انفضّ الناس وفتح الله على نبيه ، وأيده بجنود من الملائكة ومضى علي بن أبي طالب الى صاحب راية هوازن فقتله وكانت الهزيمة ^(٣) .

ومما لا شك فيه انه لولا ثبات الهاشميين في هذه الموقعة لما استطاع المسلمون الرجوع ، ولما تمكنوا من الكرة بعد الفرقة ، فالفضل إذن يعود الى الهاشميين ، ولا سيما الامام عليه السلام .

(١) راجع ص ٣٤٩ المجلد الثاني من تاريخ الطبري .

(٢) ص ٣٤٨ ج ٢ طبري .

(٣) ص ٤٨ الجزء الثاني من تاريخ اليعقوبي .

وليس غريباً ان يقف الهاشميون هذا الموقف الكريم لان الدين دينهم
والنبي نبيهم ، فهم أحق الناس بالدفاع عن نبيهم . والذود عن دينهم ،
على أنهم قد بايعوا النبي على الموت مع مَنْ بايع ، وهم لا يخفون ذمة ،
ولا يخلفون وعداً ، ولا ينقضون عهداً لذلك تراهم قد ناضلوا نضال
الابطال يدورون حول النبي ، هذا إلى يمينه ، وذاك إلى شماله ، وهذا
خلفه ، وهذا أمامه ، وآخرون بين يديه ، يقدمهم سيدهم حيدر الكرار .

وَمَنْ المهتدي بيوم حنين	حين غاوي الفرار قد أغواها
حيث بعض الرجال تهرب من به	ض المواضي والبعض من قتلاها
حيث لا يلتوي الى الإلف إلف	كل نفس أطاشها ما دهاها
مَنْ سقاها في ذلك اليوم كأساً	فايضاً بالمنون حتى رواها
أعجب القوم كثرة العدة منها	ثم ولت والرعب حشو حشاها
وقفوا وقفة الدليل وفرّوا	من أسود الشرى فرار مهاها
وعليّ يلقى الألوف بقلب	صور الله فيه شكل فناها
إنما تفضل النفوس بجدي	وعلى قدره مقام علاها ^(١)

(١) هذه الابيات والابيات الهائية الاخرى التي استشهدنا بها في هذا الفصل كلها من القصيدة الخالدة
المصماء المعروفة (بالازرية) لناظمها شاعر العراق الاكبر المرحوم الشيخ كاظم الازري ، وهي
قصيدة غراء في مدح النبي والوصي ، ولا نعرف لها نظيراً في اللغة العربية من حيث السبك والمتانة
والجزالة ، وفصاحة اللفظ وسمو المعنى ، وقد حلق في هذه القصيدة فلا يسبقه سابق ، ولا يلحقه
لاحق ، وهي تدل على اطلاع عظيم في التاريخ ، وقوة تستدعي الاعجاب من حيث عرض الأفكار ،
واستعراض الحوادث والمشاهد ، مع مقدرة فائقة على إدلاء الحجج الساطعة ، تلك الحجج التي
أضافت الى قوة اللفظ ثروة علمية زادت في جلال شعره وجماله ، ولعل بعض الادباء ينتهض بشرح
هذه اليتيمة وطبعها ، فان ذلك اكبر خدمة يسديها الاديوب الى أمة الضاد في عصر اليقظة ،
والمكتبة العربية بأمس الحاجة الى شعر الازري الخالد ، الطامع بالادب والحكمة ، والفياض
بالحب والولاء ، لأهل البيت أعدل الكتاب ، وقادة الامة الى الحق والصواب .

وقد خمس الازرية الشاعر العبقري المرحوم الشيخ جابر الكاظمي المولود سنة ١٢٢٢ =

هذه بعض مواقف الامام عليه السلام عرضنا لها على نحو من الاختصار ، وكل مواقفه كانت تستدعي الاعجاب والاكبار ، فمواقفه في غزوة بني النضير ، وذات السلاسل ، وبني المصطلق ، والطائف وفتح مكة ، وما إلى ذلك من غزوات كان الامام فيها رب الراية ، وصاحب الجهاد المجيد ، كل هذه المواقف كانت تظهر فيها شخصية الامام العظيمة ظهوراً تعرف الناس معنى الانخلاص ، وتفهمهم كيف تبذل النفوس العزيزة في سبيل الغايات الشريفة ، والمبادئ الاسلامية الحققة .

ولم يعهد عن الامام أن تخلف عن غزوة إلا ما كان من غزوة تبوك فقد أمره الرسول الأعظم (ص) أن يتخلف على أهله في المدينة لأن المدينة لا تصلح إلا به او برسول الله (ص) ، وقد ذكر المؤرخون بأجمعهم انه لم يحصل في هذه الغزوة قتال لوقوع الصلح يومئذ بينه وبين يوحنة صاحب ايلة ، وهذا من اعلام النبوة فان ابقاء علي (ع) في هذه الغزوة دون غيرها لأكبر دليل على أن النبي (ص) كان يعلم بأن هذه الغزوة سوف لا تضطرهم الى النضال ، ومقارعة الرجال ، وإلا لكانت الحاجة ملحة الى وجود الامام في مثل هذه الغزوة التي تحتاج الى كثير من العناية والاهتمام .

= والمتوفى سنة ١٣١٢ هـ وقد جاء تخميسه رائماً يدل على أدب جم ، وشاعرية فذة ، وقريحة فياضة ، وهو خير ما يمكن ان تخمس به هذه المنظومة القريدة .

كانت وفاة المرحوم الازري في غرة جمادى الاولى سنة ١٢١١ هـ ودفن في الكاظمية في داخل المرقد المنسوب لعلم الهدى الشريف المرتضى .

وطبع ديوانه في الهند سنة ١٣٢٠ هـ ، وتوجد نسخته الخطية في مكتبة سيدنا العم الامام المرحوم السيد حسن الصدر .

ويسرفنا - وكتابنا (حياة امير المؤمنين) يستقبل القراء في طبعته الجديدة - أن نرى العلامة الكبير السيد نور الدين شرف الدين المستشار الاول في المحكمة الشرعية الجعفرية العليا في بيروت على وشك الانتهاء من شرحه الجليل لقصيدة الازري الهائية الخالدة .

وقد جاء الشرح فاصح البيان ، مشرق الديباجة ، غزير المادة وفقه الله لاتمامه ، وطبعه إن شاء الله ليسد الفراغ الذي تشكوه المكتبة الاسلامية .

إرساله الى اليمن :

لما فتح الرسول مكة انتشر الاسلام وازدهر ، وطلق الناس يدخلون في دين الله افواجا ، وقد رأى النبي (ص) أن يرسل الى اليمن من يهديهم الى الاسلام فأرسل خالداً وأمره أن يسير بهم بالتي هي احسن ، ونهاه عن حربهم ، وقد مكث خالد ومن معه من المسلمين مدة تبلغ نصف عام يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوه الى ذلك ، فبلغ النبي الخبر فأرسل الامام عليه السلام ، وأمره ان يقفل خالداً ومن معه ، فإن رغب أحد ممن كان مع خالد أن يعقب تركه .

وقف الامام بين يدي النبي الكريم فعقد (ص) له لواء : أخذ عمامة فلفها مشية مربعة وجعلها في رأس الرمح ، ثم دفعها اليه وقال : هاك هذا اللواء ، وعممه عمامة : ثلاثة أكوار ، وجعل ذراعاً بين يديه وشبراً من ورائه ، ثم قال : هكذا العمة ، وقال له : امض ولا تلتفت ! فقال الامام يا رسول الله ! كيف أصنع ؟؟ قال إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك ، فان قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منك قتيلاً ، فان قتلوا منكم قتيلاً فلا تقاتلهم ، تلومهم^(١) حتى تريهم أناة ، ثم تقول لهم : هل لكم ان تقولوا لا اله الا الله ؟؟ فان قالوا : نعم ، فقل : هل لكم إلى أن تصلوا ؟؟ فان قالوا نعم ، فقل لهم هل لكم أن تخرجوا من أموالكم صدقة تردونها على فقرائكم ؟؟ فان قالوا نعم ، فلا تبغ منهم غير ذلك ، والله لأن يهدي الله على يدك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت^(٢) .

ويرى القاريء الكريم أن النبي صلى الله عليه وآله لا يقصد من ارسال

(١) أي تنظرهم وتستبقيهم .

(٢) ص ٥٠٢ وص ٥٠٣ من إمتاع الاسماع للعلامة المقرئ .

الامام إلا أن يهدي أهل اليمن الى الاسلام لذلك فهو يأمر وصيه أن لا يبدأهم بقتال ، فاذا قتلوا من المسلمين قتيلاً أمره بالتريث ليعلموا اناته ، وليفهموا انه لا يريد إلا صلاحهم ، وإصلاحهم ، ولا شك أنهم اذا شاهدوا هذه الاناة ، وفهموا الهدف السامي الذي يرمي من ورائه الامام كان من السهل جداً أن يخضعوا له ، ويتقادوا اليه راغبين في الاسلام ، فإن هذه الأخلاق العالية التي يواجههم بها الوصي في ساحة الحرب لأدل دليل على أنها صادرة عن خلق نبيل ودين قويم فيه الهدى والرحمة .

على هذه التعاليم سار الوصي الكريم فخرج في ثلاثمائة فارس حتى انتهى إلى أرض مذحج وأراد قبل أن يدعوهم الى الاسلام أن يظهر لهم شدة وطأة أصحابه ففرقهم فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ، ونعم وشاء وغير ذلك ، فكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد ، فجعل على الغنائم بريدة فجمع اليه ما أصابوا ، ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة فصف أصحابه ودفع لواءه الى مسعود بن سنان السلمي ، وحمل عليهم بمن معه فقتل منهم عشرين رجلاً فانهزموا فلم يتبعهم ، ودعاهم الى الاسلام فأجابوا ، وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام وقالوا : نحن على من وراءنا ، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله (١) .

ويحدث العلامة ابو الفدا في تاريخه (٢) فيقول « روي أن النبي (ص) بعث علياً الى اليمن فسار اليها وقرأ كتاب رسول الله (ص) على أهل

(١) راجع ص ٢٢٣ من طبقات ابن سعد الجزء الثالث وص ٥٠٣ من إمتاع الاسماع .
(٢) ص ١٥٠ الجزء الاول وفي ص ١٢٥ المجلد الثاني من ابن الاثير ، وكلاهما لم يتعرضا الى ما ذكر في الطبقات وامتناع الاسماع من حصول قتل عشرين من أهل اليمن بل ظاهر عبارة ابني الفدا وابن الاثير ان اسلامهم حصل بعد سماع كتاب الرسول العظيم ، وذكر ابن الاثير ان الرسول بعد سماع خبر اسلامهم قال السلام على همدان يقوله ثلاثاً .

اليمن فأسلمت همدان كلها في يوم واحد ، وكتب بذلك الى رسول الله (ص) ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام ، وكتب بذلك الى النبي (ص) فسجد شكراً لله تعالى ثم أمر علياً بأخذ صدقات نجران وجزيتهم ففعل ، وعاد فلقني رسول الله (ص) بمكة في حجة الوداع .

ويحق للنبي الكريم أن يسجد لله شكراً فإن إسلام همدان يمثل هذه السهولة توفيق كبير يستدعي الشكر، على أنه (ص) يشكر الله على ذلك ، وعلى هذا النصر المبين الذي أحرزه ابن عمه ووصيه ، وكأن الله تعالى أراد أن لا يكون فتح في كل المواقع إلاّ على هذه اليد الكريمة ، يد الوصي الذي أوقف حياته على خدمة الدين القويم والرسول العظيم (ص) ، وكان النصر في هذه الموقعة للبيان لا للسان ، فان نصائح الامام التي ألقاها على القوم ببيانه الرائع كان لها اكبر الاثر في توجيه الآراء الى اعتناق الدين الاسلامي والانضمام اليه برغبة وشوق .

وهكذا اثبت الامام أنه فارس الميدان ، ورب البيان ، وانهما طوع بيانه ، يستعملهما كيفما شاء وانّي شاء متى دعت المصلحة الاسلامية الى ذلك ، فهو شديد الوطأة في مقام الشدة ، يعلن الحرب ويقلب الصف على الصف ، وتراه يسارع إلى السلم ويكتب عقده بيده في صلح الحديبية في الوقت الذي يعارض في هذا الصلح من ليس له مواقف كمواقفه ، ولا جنان كجنانه .

وكان الرسول الكريم (ص) يوضح هذه الناحية من حياة الامام للناس فيأخذ الراية من سعد ويدفعها للوصي لأن سعداً قال :

اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمه

فقال رسول الله (ص) « اليوم يوم الرحمة » وأمر علياً أن يأخذ الراية منه فيدخل بها ، وكأنه أعلن للناس أن الرجل الرحيم هو الذي يأخذ الراية في

يوم المرحمة كالامام ، فهو يرأف بالرجل ، ويحفظ حرمة المرأة ، وأخذ
الراية من سعد بن عباد - وهو سيد الخرج والصحابي النابه - لأكبر
دليل على عظمة الوصي ، واعطاؤها للامام هو الحل الوحيد في مثل
هذا المقام فإن اعطاءها لغيره يوجب حزازة في نفس سعد ، لترجيح
غيره عليه ، ولا مرجح يدعو الى ذلك في نظر سعد ، أما اعطاؤها للوصي
فمعناه اعطاؤها للرسول لانه ابن عمه وصهره ، ونفسه في نظر سائر المسلمين
فلا يجد سعد في ذلك غضاضة .

وهناك مقام آخر للوصي ايضاً اظهر الرسول فيه عطف اخيه وحنانه
فإن خالد بن الوليد لما أرسله (ص) إلى بني خزيمه أمره أن يدعوهم إلى
الاسلام ، ولم يأمره بقتال ولكن خالداً قتلهم بعد أن ألقوا السلاح ،
واعترفوا له بالاسلام ، وذلك لانتقامه منهم حيث قد قتلوا في الجاهلية
عمّه ، وقد بلغ ذلك رسول الله (ص) فرفع يديه إلى السماء - حتى بان
بياض ابطينه - وقال : « اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد^(١) » وعند
ذلك أرسل الامام عليه السلام وأمره أن يؤدي لهم الدماء والأموال ففعل
ذلك ، ثم سألهم هل بقي لكم مال أو دم؟؟ فقالوا : لا ، وكان قد
فضل لديه عليه السلام قليل مال فدفعه اليهم^(٢) تطيباً لقلوبهم ، وتهذبة
لخواطرهم شأن الأب العطوف ، والأخ الكريم ، وقد أخبر بذلك الرسول
فأعجبه وسره .

وهكذا كان الامام في جهاده مثال المسلم المؤمن الحازم البار ، يجاهد
كل جاحد ، ويكبح جماح المعاند ، ويصلح كل فاسد .

* * *

(١) راجع ص ١٤٥ الجزء الاول من تاريخ ابي الفدا .
(٢) راجع ص ١٤٥ الجزء الاول من تاريخ ابي الفدا ايضاً .

مَوْلَى

وَاللّٰهُمَّ مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَقُلْ مَوْلَاهُ الْاَلِهُمَّ وَالْاَلِ مِنْ وَالِاهِ
وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَانصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاحِبْ مَنْ احَبَهُ .
(الرَّسُولُ الْعَظِيمُ)

جاءت السنة العاشرة للهجرة فاعزم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخروج الى مكة فأذن في الناس بالحج ف جاء الناس من كل مكان الى المدينة يريدون ان يأتوا برسول الله (ص) ويعملوا بعمله ، فخرج ومعه أزواجه وأهل بيته ، وعامة المهاجرين والأنصار ، وخلق كثير من قبائل العرب وأفناء الناس حتى بلغ هذا الجمع الحاشد مائة ألف او يزيدون .

خرج الرسول الكريم مغتسلاً متدهناً منرجلاً ، متجرداً في ثوبين صحاريين إزار ورداء ، فصلّى الظهر بذي الحليفة ركعتين ، وأخرج معه نساءه كلهن في الهودج ، وأشعر هديته وقلده ، ثم ركب ناقته فلما استوى عليها بالبيداء أحرم من يومه ذلك ، وهكذا سار الى أن وصل مكة ، ولما وصل إليها أمر أصحابه أن يحلّوا من إحرامهم ويجعلوها عمرة ، ومكث هو (ص) على إحرامه للهدي الذي أشعره وقلده .

سار النبي (ص) متوجهاً إلى مكة ، وسار الوصي متوجهاً الى اليمن ليستلم الحلل التي وعد بها نصارى نجران رسول الله (ص) ، وقد كتب النبي الكريم يخبر أخاه بمسيره الى الحج ، وأمره أن يلتحق به بعد الفراغ من مهمته .

قارب الرسول مكة من طريق المدينة ، وقاربها الوصي من طريق اليمن وتعجّل السير وحده ليستلم على الرسول (ص) وخلف على الجيش أبارافع فجعله على أصحابه ، وعلى الخمس ، فأدرك النبي (ص) وقد

أشرف على مكة فسلم عليه وأخبره بما قام به فسرّ بقدمه ، وابتهج بعمله وقال له : « بم أهلت يا علي فقال له يا رسول الله إنك لم تكتب لي إهلالك ولا عرفته فعقدت نيتي بنيتك فقلت اللهم إهلالاً كماهلال نبيك ، وسقت معي من البدن أربعاً وثلاثين بدنة فقال رسول الله (ص) الله اكبر قد سقت أنا ستاً وستين ، وأنت شريك في حجي ومناسكي وهدبي فأقم على إحرامك وعد إلى جيشك^(١) » ويقول العلامة المقرئ في كتابه إمتاع الاسماع إن الرسول قال له (ع) ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ قال قلت : اللهم إني أهل بما أهل به رسولك قال : فإن معي الهدي فلا تحل ، وكان الهدي الذي جاء به علي رضي الله عنه والذي ساقه النبي (ص) من المدينة مائة بدنة فأشرك علياً في هديه^(٢) وقال العلامة اليعقوبي في تاريخه « ودعا بالبدن - أي رسول الله (ص) - فصفت بين يديه وكانت مائة بدنة فنحر منها بيده ستين بدنة ، وقيل أربعاً وستين ، وأعطى علياً عليه السلام سائرهما فنحرهما ، وأخذ من كل ناقة بضعة فجمعت في قدر واحدة فطبخت بالماء والملح ثم أكل هو وعلي عليه السلام وحسا من المرق^(٣) » ويقول ابن سعد في طبقاته^(٤) « قال وقدم علي من اليمن فقال له - أي رسول الله - (بما أهلت) قال بما أهل به النبي (ص) قال : « فأهد وامكث حراماً كما كنت » وهذا كله صريح بأن الامام كان شريكاً للنبي الكريم في هديه ، ونظيره في حجه لم يشاركه في ذلك أحد من الناس فإن النبي (ص) قد أمر نساءه وأصحابه وكل من حضر أن يحلّوا ويجعلوها عمرة ، ومما يدل على هذا العموم ما قالته السيدة حفصة للرسول الكريم قالت « قلت : يا رسول الله ! تأمر الناس أن يحلّوا ولم تحل أنت من

(١) ص ٩٠ من كتاب الارشاد .

(٢) ص ٥٥٥ المجلد الاول من كتاب إمتاع الاسماع وفي ص ١٥٠ الجزء الاول من تاريخ أبي الفدا فإنه نص على بقاء الامام على إحرامه ونحر الرسول البدن عنه .

(٣) ص ٩٠ الجزء الثاني من تاريخ أبي الفدا ، وذكر ذلك أيضاً في ص ١٧٦ الجزء الثاني من الرياض النضرة .

(٤) ص ٢٣٩ الجزء الثالث .

عمرتك؟؟ فقال إني لبدت رأسي ، وقلدت هديي ، فلا أحلّ حتى أنحر هديي^(١) فهو صريح بأن الناس على نحو العموم يشملهم أمر النبي بالحل ، ولو ان الناس كانوا على قسمين منهم من أحل ، ومنهم من بقي على إحرامه بأمر من النبي لما كان ثمة مورد لهذا الاستفهام الذي يفهم منه التعجب إن لم نقل الانكار ، ويؤكد هذا العموم ثاقل الناس من هذا الأمر ، وترددهم في امثاله حتى أدى ذلك إلى غضب النبي الكريم (ص) تقول السيدة عائشة كما يرويه مسلم في صحيحه^(٢) « قدم رسول الله (ص) لأربع مضين من ذي الحجة أو خمس فدخل (ص) عليّ وهو غضبان ، فقلت : من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار ، قال أو ما شعرت أني امرت الناس بأمر فإذا هم يترددون؟؟!! ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي معي حتى اشتريه ثم أحلّ كما حلّوا » فهو صريح بأن الناس جميعاً قد حلّوا ، وأنّ الذي بقي على إحرامه هو الرسول الكريم لسوقه الهدي وقد أمر الرسول (ص) نساءه أن يحللن كما أحلّ الناس كما تحدث بذلك السيدة حفصة ، فعن ابن عمر — كما في صحيح مسلم — قال : حدثني حفصة أنّ النبي (ص) أمر أزواجه أن يحللن عام حجة الوداع قالت حفصة : فقلت ما يمنعك أن تحلّ؟؟ قال : إني لبدت رأسي ، وقلدت هديي فلا أحلّ حتى أنحر هديي^(٣) ، ويتبادر للذهن في هذا المقام سؤال وجيه وهو لماذا لم يشرك النبي نساءه في هديه في حين أنه نحر عنه وعن أخيه مائة بدنة كما حكاه المؤرخون كافة؟؟ فنساؤه تسعة وهن في حاجة الى تسع بدن ولا يكلفه الأمر أكثر من أن ينوي ذلك ، وليس نساؤه بواجب عليهن أن يسقن الهدي ليقال أنّه إنّما أمرهنّ بأن

(١) ص ١٢٥ المجلد الاول من امتاع الاسماع ص ٦٥ الجزء الاول من صحيح مسلم .

(٢) ص ٦٤ الجزء الاول .

(٣) ص ٧٦ الجزء الاول من صحيح مسلم .

يحللن لأنهنّ لم يسقن هدياً ، لأن المكلف بهنّ وفي سائر شؤونهنّ هو النبي (ص) ولذلك تراه قد أهدى عنهن يوم النحر تقول عائشة (رض) كما ذكره الطبري في تاريخه^(١) «وحلّ نساؤه بعمره فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر فطرح في بيتي قلت ما هذا؟؟ قالوا ذبح رسول الله (ص) عن نسائه البقر» فهو (ص) يذبح عنهن يوم النحر ولكنه لا يشركهن في هديه وهدي عليّ فلماذا يا ترى؟؟

ليس هناك سبب إلاّ إظهار فضل عليّ للناس ليعرفوا مكانته ومنزلته ، فلو اشرك نساؤه معه في الهدي (ص) لقال الناس لا ميزة في هذا الاشراف ، فهو يشركه كما يشرك معه نساؤه وأهله ، ولو أكل نساؤه معه من البدن لقال الناس إن علياً أحد أفراد عائلة الرسول يأكل مما يأكلون ، ويشرب مما يشربون ، لذلك تراه صلى الله عليه وآله لم يشرك أحداً معه في طعامه ، مع انه طعام وافر يكفي المئات من الجائعين .

وبالجملة فقد كان النبي (ص) حريصاً جد الحرص على ان يظهر للجمع الحاشد من الحجاج أن علياً ليس كالناس ، وأنّ له مميزات لا يشترك فيها أحد ، وقد كان الرسول العظيم بحاجة الى اتخاذ هذا النحو من الاسلوب للفت الانظار الى الإمام ، فليس الناس باجمعهم يعرفون شخصه ، ويقدرّون منزلته ، والرسول مضطر لأن يوقفهم على منزلته وشخصيته ، لأنه الوصي الذي سيلي أمر الأمة بعد النبي ، وهذه المميزات كانت كقدمة تمهيدية للنص على خلافته يوم الغدير ، فهو يشعرهم بعظمته ومنزلته قبل النص ليعده للخلافة ، وليهيأه للامامة ، فاذا رأى الناس أنّه أهلّ بما أهلّ رسول الله ، وحجّ كما حجّ ، وحلّ مثلما حلّ ، يأكل مما يأكل ، ويشرب مما يشرب ، عرف الحجاج أنّ هذه مميزات تنطق بامامته ، وتنص على خلافته .

(١) ص ١٠١ الجزء الثاني .

ومما يدلّ على ما لهذه المميزات من قيمة وأهمية في نظر أئمة المسلمين ، سؤال الامام الباقر عليه السلام لجابر بن عبد الله - وهو شيخ جليل طاعن في السن لا يبصر - فقال إخبارني عن حجة رسول الله (ص) فأخبره بها مفصلاً وذكر له اشراك النبي لأخيه في الهدي وقال له فيما قال « ثم انصرف - اي رسول الله - الى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بيده ثم اعطى علياً فنحر ما غير ، وأشركه في هديه ، ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها ، وشربا من مرقها^(١) وهو عليه السلام إنما سأله عن حج رسول الله (ص) لسمع من هذا الصحابي الجليل الثبت هذه المميزات فيجدد الناس بها عهداً ، ويسمعها من لم يحط بها علماً ، فحدث هذا الصحابي باقر العلم بكل ما شاهد ، فجاء حديثاً ضافياً واضحاً ذكره مسلم مفصلاً كما أورده هذا الصحابي الصدوق ، فليرجع اليه كل من اراد الاطلاع على حقيقة ما جاء في حجة الوداع .

والذي اعتقده انه ما حصل هذا التردد في أمر النبي ، والاختلاف في امثاله من بعض من حضر إلا خوفاً من أن يظهر للناس فضل الوصي في اشتراكه مع هدي النبي ، فيكون ذلك ميزة ظاهرة يعرف الناس منها اختصاص الامام بالنبي إختصاصاً يميزه على سائر الأنام ، وإلا فلماذا هذا التردد في أمر بيته الرسول لهم ، وأوضحه غاية الوضوح ؟؟

في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة توجه الرسول الكريم الى عرفه وهناك خطب خطبته البليغة التي أوضح فيها الأحكام ، وبين فيها الحلال والحرام ، وقد ختمها بقوله « لا ترجعوا بعدي كفاراً مضلين ، يملك بعضكم رقاب بعض ، إني قد خلقت فيكم ما إن تمسكن به لن تضلوا كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، ألا هل بلغت ؟؟ قالوا : نعم ، قال

(١) راجع هذا الحديث في الجزء الاول من مسلم ص ٤٦٧ الى ٤٧٠ .

اللهم اشهد ، ثم قال (ص) إنكم مسؤولون فليبلغ الشاهد منكم الغائب (١) ،
وترى من هذه الجملة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخشى على
المسلمين أن يرجعوا بعده كفاراً مضلين يملك بعضهم رقاب بعض لا
ينقادون إلى إمام حق يرشدهم إلى الصواب ، ويحملهم على المحجة البيضاء ،
وهو إذ يخشى عليهم أن يرجعوا كفاراً نراه (ص) يرشدهم إلى الطريق
الذي إن تمسكوا به لن يضلوا وهو كتاب الله ، وعتره النبي ، ومعنى
التمسك بهما هو أن يأخذوا بتعاليمهما ، ويسيرا بسيرتهما ، ويهتدوا
بهديهما ، يأخذون ما يأمران به ، ويدعون ما ينهيان عنه .

بيّن لهم ذلك ، ثم أشهد الله تعالى على هذا التبليغ ليخرج عن مسؤوليتهم
فيما لو رجعوا كفاراً لأنه قد أسدى إليهم نصيحته ، وأدى إليهم رسالته ،
ولتأكيد هذا الأمر وبيان أهميته قال لهم : إنكم مسؤولون فأفهمهم أنه
(ص) سيسألهم غداً عن هذا التمسك ، لأنه أمر واجب يسأل عنه (ص)
يوم القيامة ، وهو يلمح بقوله هذا إلى الآية الكريمة التي تشير إلى هذا
الخصوص (وقفوهم لأنهم مسؤولون) .

ثم أن هذا الواجب عام يشمل سائر المسلمين فلا يخصّ مَنْ حضر ،
لذلك نراه (ص) أمر أن يبلغ الشاهد منهم الغائب .

وقد اكتفى النبي (ص) في هذه الخطبة بالتمسك بأهل بيته على نحو
العموم لم يخصّ واحداً منهم بخصوصه ليفهمهم أن في أهل البيت
على تطاول الزمن مَنْ يمكن الاعتصام به والركون إليه ، وإنّ التخصيص
بواحد منهم بعينه قد يحدث إضطراباً واختلافاً في الآراء ربما يؤدي إلى
عكس النتيجة التي يستهدفها الرسول العظيم ، على أنّ هذا العموم يعدّ
النفوس ويهيئها لقبول النص وتخصيصه بالوصي عليه السلام .

(١) ص ٩٢ المجلد الثاني من تاريخ العقري وقد ذكر الخطبة باجمعها فراجع .

أتم النبي الكريم حجته ، وبيّن ما يقتضي بيانه لأمته ثم رجع الى المدينة
 وسار ومعهم المسلمون - وهم مائة ألف أو يزيدون - حتى انتهى الى
 موضع بالقرب من الجحفة يقال له « غدير خم » فأنزل تعالى عليه قوله
 (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت
 رسالته ، والله يعصمك من الناس) وهنا علم النبي (ص) أن أمر التبليغ
 أصبح واجباً على الفور لا يمكن تأخيره وتأجيله لذلك أمر المسلمين بانزول
 في هذا المكان - وهو مكان ليس فيه ماء ولا كلاً - فنزلوا جميعاً ، وكان
 اليوم شديد الحر فأمر (ص) بدوحات هناك فقم^(١) ما تحتها وأمر بجمع
 الرجال ووضع بعضها فوق بعض ، ثم أمر مناديه فنادى في الناس الصلوة
 جامعة فاجتمعوا من رحالهم اليه ، وإن أكثرهم ليلف رداءه على قدميه
 من شدة الرمضاء . فلما تكامل جمعهم صعد على تلك الرحال ودعا أمير
 المؤمنين فرقى معه حتى قام عن يمينه ، ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى
 عليه ثم قال : « أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب وإني مسؤول ، وإنكم
 مسؤولون فماذا أنتم قائلون ؟؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت ، وجاهدت
 ونصحت فجزاك الله خيراً ، فقال : أليس تشهدون أن لا إله إلا الله ،
 وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق ، وأن ناره حق ، وأن الموت
 حق ، وأن البعث حق بعد الموت ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن
 الله يبعث من في القبور ؟؟ قالوا : بلى نشهد بذلك ، قال : اللهم اشهد ،
 ثم قال : يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم
 من انفسهم ، فمن كنت مولاه فهذا مولاه - يعني علياً - اللهم وال
 من والاه ، وعاد من عاداه ، ثم قال : يا أيها الناس إني فرطكم ، وإنكم
 واردون عليّ الخوض ، حوض أعرض مما بين بصري إلى صنعاء ، فيه
 عدد النجوم قدحان من فضة ، وإني سألتكم حين تردون عليّ عن الثقلين

(١) قم بمعنى كنس .

كيف تخلفوني فيهما ، الثِقَلُ الأكبر كتاب الله عز وجل ، سبب طرفه بيد الله تعالى وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به ، لا تضلوا ، ولا تبدلوا ، وعترتي اهل بيتي فانه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض^(١) .

وأخرج الامام أحمد في مسنده من حديث زيد بن ارقم^(٢) قال : « نزلنا مع رسول الله (ص) بوادي يقال اليه وادي خم فأمر بالصلاة فصلّاها بهجير ، قال فخطبنا ، وظلل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس فقال : أستم تعلمون او لستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟؟ قالوا بلى ، قال : فمن كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ عاداه .

وهذا الامام النسائي يخرج عن ابي الطفيل عن زيد ايضاً أنه قال : لما دفع النبي (ص) من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن ثم قال : كأني دعيت فأجبت وإنّي تارك فيكم الثِقَلَيْن ، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله ، وعترتي اهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، ثم قال : إنّ الله مولاي ، وانا ولي كل مؤمن ، ثم أنه أخذ بيد علي فقال مَنْ كنت وليه فهذا وليه ، اللهم والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ عاداه ، قال ابو الطفيل فقلت لزيد سمعته من رسول الله (ص) ؟؟ فقال وإنه ما كان في الدوحات أحد إلاّ رآه بعينه وسمعه بأذنيه^(٣) .

(١) ص ٢٥ من الصواعق المحرقة للعلامة ابن حجر ، وقد قال عنه انه حديث لا مزية فيه ، ونص على انه اخبره جماعة كالترمذي والنسائي واحمد ، وذكر ان طرقه كثيرة جداً ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً ، وان الامام احمد قال : انه سمعه من النبي ثلاثون صحابياً ، وشهدوا به لعلي لما نوزع ايام خلافته ، وقال ايضاً : ان اسانيدنا صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح في صحته الى آخر ما ذكره من التعليق على هذا الحديث فليرجع اليه .

(٢) ص ٣٧٢ الجزء الرابع . (٣) ص ٢١ من خصائص امير المؤمنين .

وأخرج الامام احمد أيضاً عن البراء بن عازب^(١) انه قال : « كنا مع رسول الله (ص) فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة ، وكسح لرسول الله (ص) تحت شجرتين فصلت الظهر واخذ بيد علي فقال : أَلَسْتُمْ تعلمون أني أولى بالمؤمنين من انفسهم ؟؟ قالوا بلى ، قال أَلَسْتُمْ تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟؟ قالوا بلى ، قال فأخذ بيد علي فقال ، مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ عاداه ، قال فلقية عمر بعد ذلك فقال له : هنيئاً يا ابن ابي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة » .

اتم الرسول كلامه ثم نزل صلى الله عليه وآله وكانت وقت الظهيرة فصلى ركعتين ثم زالت الشمس فأذن مؤذنه لصلاة القرض فصلى بهم الظهر ، وجلس في خيمته ، وأمر الوصي ان يجلس في خيمة له بازائه ، ثم أمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً يهتثونه بالمقام الرفيع الذي أحرزه مُسْلِمِينَ عليه بامرة المؤمنين لثم له البيعة في حياته فلا يختلف فيه بعد وفاة النبي .

وقد تسابق الناس للسلام عليه بامرة المؤمنين ، وكان في مقدمة من هنأه بذلك ابو حفص عمر بن الخطاب ، وابو بكر وقد قالوا له « هنيئاً يا ابن ابي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة^(٢) » وقد قيل لعمر مرة إنك تصنع لعلي شيئاً لا تصنعه بأحد من اصحاب النبي (ص) فقال له : إنه مولاي^(٣) .

وجاء حَسَّان بن ثابت الى النبي الكريم واستأذنه في أن يقول شعراً يرضي الله عز وجل فأذن له ، ثم وقف على نشر من الارض فتطاول

(١) ص ٢٨١ الجزء الرابع من مسنده .

(٢) ص ٢٨١ الجزء الرابع من مسنده الامام احمد وص ٢٦ من الصواعق المحرقة .

(٣) ص ٢٦ الصواعق ايضاً .

المسلمون لسماع ما يقول فأنشأ قوله :

يناديهم يومَ الغديرِ نبيُّهم	بجُم واسمع بالرسول مناديا
وقال فَمَنْ مولاكم ووليكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
أهلك مولانا وأنتَ وليّنا	ومالك منّا في المقالة عاصيا
فقال له قم يا عليّ فإنني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاة فهذا وليّهُ	فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وآلٍ وليّهُ	وكن للذي عادى عليّاً معاديا

وقد قال النبي (ص) لحسان بعد أن فرغ من إنشاد هذه الأبيات « لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك » .

لا حاجة لنا بالكلام حول صحة حديث الغدير لأنه حديث متواتر اتفقت الامة الاسلامية على صحته فقد رواه ثلاثون صحابياً^(١) واثنا عشر بدرياً^(٢) ونصّ العلماء على صحته من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، ولا نعرف حديثاً نبوياً اتفقت الكلمة على صحته واعتباره مثل هذا الحديث الشريف ، فلا مجال إذن للشك فيه من هذه الناحية ، نعم حصل النزاع والنقاش في القصد من لفظ المولى فقال قوم بأن المقصود منه الاولى ، فمعنى قوله مَنْ كنت مولاة فعلي مولاة اي من كنت أولى به من نفسه فهذا علي أولى به من نفسه ، ويشهد لهذا الرأي وحدة السياق فإنّه (ص) قد عطف بلا فصلٍ بالفاء على قوله أَلست أولى بكم من انفسكم قوله مَنْ كنت مولاة ، والفاء بغير شك تدل على الترتيب ، ولا يصح أن يراد بالفاء الاستثناف ليدعى أن المراد من المولى معنى آخر غير الاولى اذ لم يعهد ذلك في اللغة العربية .

(١) ص ٣٧٠ الجزء الرابع من مسند الامام احمد

(٢) ص ١١٩ الجزء الأول من مسند احمد .

وقال قوم آخرون أن المقصود من المولى في المقام المحب والناصر
لأنه مشترك بين معان كالمتعق ، والعتيق ، والمتصرف في الامر ، والناصر
والمحب ، وهو حقيقة في كل منها ، وتعيين بعض معاني المشترك من غير
دليل يقتضيه تحكم لا يُعتد به^(١) .

لقد ذكر اللغويون للمولى معاني كثيرة^(٢) لا حاجة الى ذكرها الآن
لان أكثرها لا تنطبق على المولى في هذا الحديث ، وإنما نَعْرِض الى ذكر
المعاني التي تُحتمل في هذا المورد وهي المولى بمعنى المحب والناصر ،
والمولى بمعنى الأولى ، والولي بمعنى المحب والناصر ، أو الولي بمعنى المتصرف
فان النقاش إنما يدور في هذين المعنيين للمولى والولي ، ولا نزاع في أن
المولى بمعنى الأولى أو الولي بمعنى المتصرف يدلان على الخلافة العامة فيما
لو كان المقصود من المولى في الحديث هذا المعنى ، نعم لا نزاع للخصم
في ذلك ، وإنما النزاع في تعيين المشترك في أحد هذين المعنيين ، فان الخصم
يقول إذا كان لفظ المولى مشتركاً في معان كثيرة فتعين بعضها دون بعض
تَحْكُم لا دليل عليه ، ونحن نوافق الخصم في أن تعيين معنى من هذه
المعاني من غير دليل تحكم ، ولكننا نقول لا تحكم في المقام إذا ذهبنا إلى
تعيين المولى بمعنى الأولى لأن هناك أدلة كثيرة وقرائن وافرة تدل على أن
المقصود من المولى ذلك .

(١) ص ٢٤ الصواعق المحرقة .

(٢) ذكرت تفصيل هذه المعاني في كتابي (الشيعة) ص ٨٠ وتكلمت مفصلاً عن هذا الحديث الشريف
بما لا مزيد عليه فليرجع اليه - وقد تضمن هذا الكتاب بحثاً مهماً عن الشيعة تكفلت ببيان نشأتها
وتكونها مع نظرة عامة تحليلية عن المذاهب الإسلامية وبيان آراء عن عقائدها ومصادر بحشها
مع مقاييس علمية بين ما تذهب اليه وما يذهب اليه غيرها من آراء في الدين والفقه والعقائد ،
أضف الى ذلك خاتمة ضافية كشفت عن مسائل كثيرة وجدت في الصحاح تؤيد ما تذهب اليه في
كثير من مشاكل الدين ، وقد طبع الكتاب سنة ١٣٥٢ هـ في بمسداد مطبعة الكرخ وترجم الى
عدة لغات أجنبية طبع منها ترجمته الى اللغة الاوردية في جزئين بقلم أحد اعلام الهند .

بل الذهاب إلى الناصر والمحِب تحكُم لا دليل عليه ، فإن القرائن المكتنفة بهذا الحديث كلها تدل على عكس ما يذهبون إليه ، فالنبي قبل أن يعلن هذه الولاية ينعى إلى الأمة نفسه ، ثم يخبرهم بأنهم مسؤولون ، وأنه مسؤول مثلهم ، ينعى اليهم نفسه ليفهم أن أجله قد قرب فلا بدَّ له من وليٍّ يلي عهده ، وإمام يسلك بالامة سبيل الهدى ، يعلمهم الدين ، ويبين لهم ما اختلفوا فيه من حلال وحرام ، وقواعد وأحكام .

إنَّه مسؤول أمام الله فلا سبيل إلى تأخير التبليغ وقد جاء القرآن الكريم بحثَّ عليه ، ويوجب تبليغ ما انزل إليه من ولاية علي ، لان الإمامة أصلٌ من اصول الدين يجب العمل به ، ولذلك ترى الرسول الكريم ذكر الولاية بعد ان ذكر جملة أمور يجب الاعتقاد بها ، والايمان بشيئها كالتوحيد والنبوة ، والجنة ، والنار ، والموت ، والبعث ، والساعة ، ذكر لهم هذه الامور الأساسية في الاسلام فشهدوا له بها ، واشهد الله على هذا الاعتقاد والاعتراف ، ثم بعد ان استدرجهم في الاعتراف بهذه الأمور ذكر لهم أنَّه أولى بالمسلمين ، مفسراً قوله وأنا مولى المؤمنين بقوله وأنا أولى بهم من انفسهم ليتضح المقصود من المولى فلا يختلف في مفهومه ، ثم عطف على ذلك من غير فصل قوله فمن كنت مولاه فهذا مولاه ليعلم الناس أنَّ هذه الأولوية واحدة في النبي والوصي من غير فرق بينهما .

فالنبي (ص) إذن مسؤول أمام الله عن القيام بالتبليغ ، والناس مسؤولون أيضاً لأن ولاية علي واجبة والواجب يُسألُ عنه وقد أشار إلى هذا القرآن الكريم بقوله (وقفوهم إنهم مسؤولون) .

فالرسول الكريم ينعى لهم نفسه ثم ينص على ولاية الامام ليكون معذوراً لديهم في هذا النص فلا يحمل على التسرع ، ثم يذكر لهم بأنه مسؤول أمام الله لثلاث يتهموه في هذا النص ، ولثلاث يتصوروا أنَّ العاطفة هي التي أملت ، وحملت النبي أن يرفع من شأن ابن عمه أمام هذا الجمع

الغفير فلذلك تراه (ص) قد اتخذ الحيلة التامة في هذا الخصوص معلناً لهم أن ولاية علي ولايته ، وولاية الرسول على الناس محقة لا يشك فيها مسلم ، ولا يتردد فيها مؤمن .

وهل يتصور بعد ايراد هذه المقدمات التمهيدية أن يكون قصد النبي أن علياً ناصرٌ ومحِب لكل مَنْ كان النبي له ناصرًا ومحِباً ؟؟ وهل هناك فائدة في هذا الإخبار ؟؟ وهل يشك مسلم أو يتردد بنصرة علي ومحِبته لمن يحبه الرسول وينصره ؟؟ بعد ان يعلم تاريخ الوصي المجيد الطافح بالحب والنصرة لله والرسول والمسلمين .

ونحن لو رجعنا الى الآية الكريمة (بلغ ما انزل اليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) لاتضح لنا أن المقصود هو النص على ولاية العهد ، لأن النص على الولاية امر ربما يبعث اضطراباً في الافكار ، وربما يحدث حركة وثورة في النفوس الطامحة التي ترى في هذا النص ضربة قاضية على الاماني والآمال .

لذلك ترى الله عز وجل قد أمره ان يبلغ ما انزل اليه من ولاية علي ، وأخبره بأنه يعصمه من الناس^(١) واي ضرر يحصل فيما لو أخبرهم بأن علياً يحبهم وينصرهم ؟؟ أليس اخبارهم بذلك مما يزيد في النفع ، ويقوي الرابطة ، ويشيع المحبة ؟؟

(١) قال الفخر الرازي في الجزء الثالث ص ٦٢٦ في سبب نزول آية يا ايها الرسول : نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فلقبه عمر فقال هنيئاً لك يا ابن ابي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، ونص علي ذلك ايضاً الامام الواحدي ص ١٥٠ من كتاب (اسباب النزول) ونص علي ذلك ايضاً ابو نعيم في كتابه (نزول القرآن) والعلامة ابراهيم بن محمد الشافعي في كتابه (الفرائد) والامام ابراهيم الثعلبي في معنى الآية من تفسيره الكبير ، وغير هؤلاء ممن تعرض لهذه الآية من المفسرين .

ثم ان النصره عامه بين المسلمين لا فرق بينهم في هذا الخصوص ،
وقد نزل القرآن الكريم بهذا الأمر قبل يوم الغدير حيث يقول (والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) فالقرآن أخبر عن ذلك فلم يحصل ضرر
من هذا الاخبار مما يدلنا على أن المقصود بالمولى شيء آخر لم يبلغه النبي
قبل ذلك ، لأن إغفاله يستدعي عدم تبليغ الرسالة في حين أن التبليغ
وعدمه فيما لو قصد من المولى المحب يكون على حد سواء ، لمعرفة الناس
له بعد ان اوضح القرآن الكريم أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض .

على أن اهتمام النبي ذلك الاهتمام العظيم يجمع الناس وإرجاع من
ذهب ، وانتظار من تخلف ليسمعوا قوله في ذلك اليوم القاطظ لأدل
دليل على أن المقصود من المولى هو المتصرف في الأمر لذلك تراه قد
أمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب ليعلموا أنه اصل من اصول الدين
يجب اتباعه على كافة المسلمين .

وليس من المحتمل - وهو الحكيم العظيم - أن يهتم هذا الاهتمام في
بيان أمر حجة الامام ونصرته مع وضوح ذلك غاية الوضوح لكل من
عرف الوصي أو سمع باسمه الكريم .

هذا ما تفهمه من هذا الحديث ، وهناك قرآن تؤيد هذا الفهم فان
حسان بن ثابت قد فهم من المولى هذا الفهم حيث قال :-

فقال له قم يا علي فاني رضيتك من بعدي إماماً وهادياً
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له انصار صدق موالياً

ففهم من المولى الامامة العامة ، واعتبر أن الرسول قد ارتضاه للامامة
والهداية معبراً عن هذا بقوله من كنت مولاه فهذا وليه ، وقد سمع
النبي من حسان هذا القول ، وقرضه على هذا الشعر بالكلمة التي تقدم
ذكرها ، ولو أن النبي أراد شيئاً غير الذي فهمه حسان لنبهه الرسول

اليه ، لان السكوت عن ذلك إغراء وتضليل ، والنبي جاء للهدى والرشاد ،
ودين الحق .

وابو بكر وعمر فهما الامامة من لفظ المولى ايضاً ، ولذلك هنا
وباركنا له ، ولا يهتأنه على أمر يشترك فيه كل المسلمين ، وإنما يباركان
له في أمر يدل على الميزة التي تميزه عن غيره ولذلك تجد عمر - وهو
خليفة على المسلمين - يصنع مع علي ما لا يصنعه مع غيره فلفت بذلك
الانظار ، ويكثر حوله الاستفسار فيجيب الخليفة عن سؤال من يسأله
عن ذلك بقوله « إنه مولاي » .

وهكذا ترى قيس بن سعد بن عبادة يفهم هذا الفهم فيرى أن علياً
إمام وان إمامته جاء بها التنزيل ، وأن هذه الإمامة ابتدأت يوم الغدير ،
يوم قال له النبي من كنت مولاه فهذا مولاه ، فاستمع اليه كيف يقرر
ذلك فيقول :

وعلياً امامنا واماماً لسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي من كنت مولاه فهذا مولاه خطب جليل

كما ان استفهام ابي الطفيل من زيد بن ارقم كما مرّ في الحديث
الذي رواه الامام النسائي يدل على فهمه من المولى الامامة ، ولذلك استفهم
كالمشكك في صحته فأجابه جواباً يرفع هذا الشك قائلاً « وإنه ما كان
في الدوحات أحدٌ إلاّ رآه بعينه ، وسمعه باذنيه » ولو فهم من المولى
المحب والناصر لما كان ثمة ما يدعو الى الاستغراب ، ولا ما يفرض هذا
الجواب .

ثم أن اهتمام الامام بهذا الحديث ، وحرصه على نشره وإذاعته
لدليل بيّن على أنه كان يفهم منه امامته وخلافته على الناس ، فهو يجمع
الناس في الرحبة ايام خلافته بعد خمس وعشرين عاماً تمر على يوم الغدير
ينشدهم الله أن يشهدوا بما سمعوا من رسول الله ، وأن لا يقوم للشهادة

الا مَنْ قد رآه ، يحدث الامام احمد^(١) عن عبد الرحمن بن ابي ليلى فيقول : « قال : شهدت علياً في الرحبة ينشد الناس فيقول : انشد الله مَنْ سمع رسول الله يقول يوم غدِير خم مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه لما قام فشهد ، ولا يقيم الا مَنْ قد رآه ، قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر بدريةً كأنني انظر الى احدهم فقالوا نشهد انّا سمعنا رسول الله (ص) يقول يوم غدِير خم : أأست اولى بالمؤمنين من انفسهم ، وازواجي امهاتهم فقلنا بلى يا رسول الله قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » ويقول الامام احمد ايضاً في مقام آخر « فقاموا إلا ثلاثة لم يقوموا فأصابتهم دعوته^(٢) » فطلب الامام الشهادة ، واحجام بعض مَنْ حضر عن ادائها لدليل قوي على ما ذهبنا اليه ، لأنَّ بعض مَنْ حضر كان منحرفاً في الباطن عن الامام فتظاهر بالنسيان كأنس ابن مالك فقد قال : يا أمير المؤمنين كبرت سني ونسيت ، فقال له عليه السلام : « إن كنت كاذباً فضربك الله ببياض لا توارىها العمامة فما قام حتى ابيض وجهه برصاً فكان بعد ذلك يقول اصابتني دعوة العبد الصالح^(٣) ، ولو أنَّ المراد من المولى الناصر كما يذهبون اليه لبادر الى الاعتراف بسماع الحديث لأنه لا ينفع علياً ، ولا يضر أنساً .

فحديث الغدير إذن صحيح لا شك فيه ، والقصد منه واضح غاية الوضوح ، وليس من الممكن أن يلقي لفظ المولى بصورة لا يفهم المخاطبون القصد منه ، لأن ذلك يفوت الغرض الذي يستهدفه الرسول من هذا الحديث الشريف ، فالنبي مسؤول ، والمسلمون مسؤولون كذلك ، ومسؤولية النبي تستدعي أن يفهم الأمر للمسلمين ، والآ لم

(١) ص ١١٩ الجزء الأول من المسند ، وقد ذكر ذلك ايضاً في ص ٣٧٠ من الجزء الرابع .

(٢) ص ١١٩ الجزء الأول من مسند الامام .

(٣) ص ١٤٩ من كتاب (المعارف) للعلامة ابن قتيبة الدينوري .

يُحصل التبليغ ، ومسؤولية المسلمين تستدعي أن يوضح النبي هذا الأمر والا لما توجه عليهم التكليف .

والحديث بكل ما فيه يدل على امامة الوصي فالفاظ الدعاء التي دعا بها النبي لعلي لا تستعمل الا مع شخصية عظيمة يعدّها النبي للامامة والخلافة العامة ، فهو يقول (ص) « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأحب من احبه ، وأبغض من أبغضه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر معه الحق حيث دار ^(١) » وهذا الدعاء لا يدل على امامته فحسب بل يدل ايضاً على عصمته ، فهو لا يطلب من الله ان يدور الحق معه حيث دار الا لأنه لا يقول الا الحق ، ولا ينطق الا بالصدق ، ولا يذهب الى امر إلا لأن فيه مصلحة ، وفيه رضى الله والرسول .

وخلاصة القول ان النبي الكريم أبان في حجة الوداع كل ما ينبغي بيانه ، فأوضح في خطبة الوداع شرائع الاسلام ، وما يحمل بيانه من حلال وحرام ، وأعلن في خطبة الغدير شخصية الامام ، وخلافته على الانام ، وبولاية علي ، تمت النعمة ، وكمل الدين فانزل الله تعالى بهذه المناسبة قوله الكريم (اليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً) .



(١) ص ٢٤ الصواعق المحرقة للعلامة شهاب الدين احمد بن حجر - مطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٢ هـ

بَعَثَ أَسَامَهُ .

« أَنْفَلُوا بِعَثِ اسَامَهُ ^(١) »
(النبي الكريم)

(١) بهذا الفصل « بعث اسامة » تبتدىء الاضافات الجديدة التي اضعفناها في الطبعة الثانية الجديدة ،
وارجو ان ينتفع قراء كتابنا اليوم كما انتفع بالكتاب قراؤه بالامس . وفقنا الله جميعاً لما فيه
الخير والصالح .

آب النبي الكريم صلى الله عليه وآله من حجة الوداع قرير العين ،
مثلوج الصدر مطمئن النفس وذلك لانه (ص) قد عرّف الامة معنى
الاسلام ، وأوضح لها ما يجب بيانه من الاحكام ، ثم اطلعها على شخص
الامام الذي يرشدها الى الحق ، ويحملها على المحجة البيضاء ممثلاً بذلك
امر الله حيث يقول : « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وإن
لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » .

وما كان الرسول العظيم ليردد طريقة عين في امر يأمره الله ولكنه
صلى الله عليه وآله كان يتحين الفرص السانحة ليواجه الناس بهذا الامر .

وكان يعلم ما سيلقي من الشائين بسبب هذا التبليغ من المعارضة على نحو
ما لاقاه منهم في فجر دعوته حين اعلان نبوته .

وكان الكثير من الموتورين لا يرضيهم أن تجتمع النبوة والامامة في
بيت واحد ، ولكن أرضي هؤلاء ام غضبوا فان علياً مفترض الطاعة
ما بقي المسلمون ، وهو « الوصي » بعد « النبي » ما دام الاسلام .

هكذا شاء الله تعالى ، وهكذا امر نبيه أن يبلغ امته وقد ضمن له
العصمة من الناس ، فبلغ النبي الوصاية ، وامر أن يبلغ الشاهد الغائب
كما اوضحناه في الفصل السابق .

اجل رجع النبي الكريم الى مكة بعد أن عرّف تلك الجموع المحتشدة

ولي أمرها من بعده .

ونحن نعلم أن الناس قد عرفوا القصد ، وفهموا الهدف من كلام النبي ، نعلم ذلك من « بحبختهم » وشعرهم ، وتسليمهم على الوصي بامير المؤمنين ومن تلك الهتافات المتعالية التي غص بها الفضاء ، وتجاوبت لها الارض والسماء .

وكان جديراً بيوم « الغدير » الضاحك أن يكون فرداً في الايام ، وأن يخلد على مر الدهور والاعوام بقول الله عز وجل « اليوم أكملت لكم دينكم . وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

فالنبي (ص) لو لم يبلغ ولاية علي لما بلغ رسالات ربه ، فبتبليغها قد بلغ النبي رسالاته كلها ، وبها قد كمل الدين ، وتمت النعمة ورضي الله الاسلام ديناً للمسلمين .

واذا كانت الولاية بهذه المثابة في نظر الله عز وجل كما قرؤها في كتابه العزيز فليس غريباً أن تقول إنها أصل من اصول الدين ، بل ليس غريباً أن تقول إنها الدين كله .

فهي إذاً حجر الاساس لبناء هذا الدين ، فاذا رفع هذا الحجر عن موضعه انهار البناء كله ، فالدين إنما يتصف بالكمال ، وإنما تم نعمة الله على الناس ، ويرضى الاسلام ديناً لهم إذا اعتصم المسلمون بهذه الولاية ، وتمسكوا بعروتها الوثقى التي لا تنقسم .

نعم بلغ النبي (الولاية) كما امر الله ، وتناقلها الناس فقبلها قوم ، وانكروها آخرون ، وظنوا بالرسول الظنون ، ولكنه (ص) قد اعذر وانذر ، وخرج ببيانه هذه الولاية عن عهدة تكليف شاق كان الرسول مسؤولاً امام الله عن بيانه ، وهم مسؤولون بعد التبليغ ايضاً عن ولاية هذا الامام الذي سيعلمهم بعد النبي شرائع الاسلام ، ويوضح لهم ما فرض عليهم من أحكام .

فرغ النبي (ص) من أداء هذه المهمة ، ورجع الى مكة المكرمة ، ولم تمض على رجوعه اسابيع حتى مرض مرضه الاخير صلى الله عليه وآله وقد أحس بشغل المرض فطفق يمهد لابن عمه ما أراد الله له ، مؤكداً للناس « حديث الغدير » الذي حدث به الركبان . وتناقله الناس في سائر البلدان .

وكان الرسول الكريم (ص) يعلم أن النفوس المريضة الجاحدة ستقف موقف المعارض اذا ساعدتها الظروف ، وسنحت لها الفرص لذلك اخذ النبي يفكر في اخلاء المدينة من كبار المهاجرين والانصار ليتسنى للوصي أن يلي الخلافة من غير معارض فيما إذا روع العالم الاسلامي بفقد النبي العظيم ، ولا شك إن تم الأمر للإمام فلا يستطيع أن يعترض طريقه معترض لذلك أخذت فكرة الغزو تشغل فكر النبي ، وترجع في نظره . وكان النبي صلى الله عليه وآله شديد الغضب على أهل (أبني) بالسراة - ناحية بالبلقاء - وذلك لقتلهم المسلمين - وتنكيلهم بهم أشد تنكيل وكان الحزن يعلو وجهه الكريم كلما ذكر مقتل الهاشمي الكمي ابن عمه جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، وغيرهما من فرسان المسلمين الذين كان لهم الموقف المحمود في الحروب الاسلامية الدامية .

وهذا ما حدا بالنبي الكريم أن يأمر المسلمين بالتهبؤ لغزو الروم وأمر على الجيش اسامة بن زيد وقال له : « يا اسامة سر على اسم الله وبركته ، حتى تنتهي الى مقتل ابيك فأوطنهم الخيل ، فقد ولّيتك هذا الجيش ، فأغر صباحاً على أهل أبني ، وحرّق عليهم ، واسرع السير تسبق الخبر ، فإن اظفرك الله فأقلل اللبث فيهم ، وخذ معك الادلاء ، وقدم العيون امامك والطلائع ^(١) » .

(١) ص ٥٢٦ من امتاع الاسماع لتي الدين احمد بن علي المقرئ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر سنة ١٩٤١ .

ولأنك ترى النبي الكريم مع شدة غضبه قد أوصى المسلمين خيراً بالنساء والاطفال لأنّ النساء والاطفال لا ذنب لهم فيما اقترف الرجال من ظلم وعسف لذلك تراه صلى الله عليه وآله قد نهى عن قتلهم .

ونراه (ص) ايضاً لم يرض لامته الغدر ، لان الغدر صفة ذميمة لا يتصف بها الرجل النبيل ، فاستمع الى قوله الفصل حيث يقول : « يا اسامة أغز بسم الله - في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، أغزوا ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليداً ، ولا امرأة ، ولا تمنوا لقاء العدو فانكم لا تدرون لعلكم تُبْتَلون بهم ، ولكن قولوا اللهم اكفناهم ، واكفف بأسهم عنا ، فإن لقوكم قد أجلبوا وصيحوا فعليكم بالسكينة والصمت ، ولا تنازعوا فتفشلوا فتذهب ربحكم ، وقولوا اللهم إنا عبادك ، نواصينا بيدك ، وانما تغلبهم انت ، واعلموا أن الجنة تحت البارقة (١) . »

بهذا الكلام البليغ واجه النبي المسلمين ، وقد أمرهم باتخاذ الكلمة ، واجتماع الافتدة ، واعلمهم أن النصر من الله ، وأن الجنة انما تنال بالأسنة ،

وعلى اسم الله سار البطل الشاب بجنان ثابت ، وعزم صارم ، وروح وثابة ، ولا همّ له إلا أن ينفذ أمر الرسول ليكون عند حسن ظنه به ، وليحوز المنزلة السامية التي حازها ابوه من قبله .

سار البطل الكميّ وعين النبي تشيعه ، فخرج وخرج الناس معه ولم يبق احد من المهاجرين الأولين والانصار الا انتدب في تلك الغزوة إلا الامام عليه السلام ، لانه لو خرج لكان الامير المقدم الذي لا يتنازع ، فما حضر مشهداً الا كان فيه القائد ، وصاحب الراية .

وقد عرف البعض الهدف الذي يرمي اليه النبي من هذه الغزوة فطلق

(١) ص ٥٣٧ امتاع الاسماع المقريري .

يطعن بهذه الامارة ويقول: « يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين ١٩ »^(١)
وكثر الهمس هنا وهناك ، وكثرت القالة فغضب النبي لذلك غضباً
شديداً ، وخرج وقد عصب على رأسه عصا به وعليه قطيفة ثم صعد المنبر
فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « أما بعد ايها الناس فما مقالة بلغتني عن
بعضكم في تأميري اسامة ؟؟ والله لئن طعنتم في امارتي اسامة لقد طعنتم
في امارتي اياه من قبله ، وايم الله ان كان للإمارة لخليقا ، وان ابنه من
بعده لخليق للإمارة ، وان كان لمن أحب الناس الي ، وانهما لمخيلان
لكل خير ، فاستوصوا به خيراً فانه من خياركم »^(٢) .

وهذا كلام صريح لا يقبل التأويل بان اسامة الشاب من خيار الناس
وانه لجدير بالامارة كايه فلا ينبغي الطعن بامارته ، والشك في منزلته ،
وانما مثل لهم بأبيه لأنه شخصية إسلامية كبيرة لا تحوم حولها الشبهات ،
وقد ذكر النبي (ص) لهم جدارة اسامة للإمارة ليفهموا انه لم ينلها
بالوراثة ، وإنما نالها بالاستحقاق والكفاءة .

وهذا درس بليغ يلقيه النبي على امته في اختيار الكفاء للمناصب
العالية ، فالكفاءة في العلم والدين مقدمة على كل اعتبار لأن من يتصف
بهما ، ويضرب بسهم وافر منهما حري بالتعظيم ، وجدير بالتقديم .

ومن ظريف ما يقال بمناسبة ذكر هذه الغزوة بان الخليفة المهدي
دخل البصرة رأى اياس بن معاوية الذي يضرب به المثل في الذكاء -
وهو صبي وخلفه اربعمائة من العلماء واصحاب الطيالة - فقال المهدي :
اف لهذه العثانين - اي اللحي - أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا
الحديث ؟؟ ثم التفت اليه المهدي وقال : كم سنك يا فتى ؟؟ فقال : سي
أطال الله بقاء امير المؤمنين سن اسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول

(١) ص ٥٣٧ إمتاع الاسماع .

الله جيشاً فيه أبو بكر وعمر ، فقال : تقدم بارك الله فيك ، وكان سنة سبع عشرة سنة اه^(١) .

أما الحكمة في بعث اسامة فعلة امور :

(١) ما اشرنا اليه من أنه صلى الله عليه وآله أراد من هذا البعث أن تخلو المدينة من المهاجرين الأولين والانصار ليتم الأمر للامام فلا يعارضه معارض في الخلافة التي ارادها له النبي من بعده امثالاً لأمر الله تعالى (٢) أن لا يقف صغر سن الامام مانعاً من خلافته فإنّ الناس إن رأوا اسامة - وهو ابن سبع عشرة سنة - اميراً عليهم بنص النبي (ص) فسوف لا يرون مانعاً من اماره الوصي العامة - وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة - فيكون البعث إذأ مقدمة تمهيدية للخلافة العامة تفهم الامة أنّ المقياس الكفاءة في الأعمال بدون احتفاء في الاعمار .

(٣) إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قبض واسامة امير على المهاجرين والانصار الذين كانوا في الجيش معه فلا يكون احد هؤلاء اميراً على الناس بعد ذلك لان المسود لا يكون سيداً ، والمنقاد لا يكون قائداً ، والمأمور لا يكون اميراً ، وعلى هذا فإنّ علياً عليه السلام هو المتعين لأن يلي امر الامة لانه لم يكن داخلاً تحت اماره اسامة الخاصة ، ولأن اماره الامام العامة بيّنها النبي لامته في حديث الغدير في حجة الوداع ، وهي باقية على حالها في عتق كل مسلم لم تنقض ما دام الاسلام .

(٤) إنّ النبي (ص) قد كرر الأمر بشأن تنفيذ جيش اسامة ، وشدد النكير على من طعن بامارته ، ولا شك أن اوامر النبي (ص) واجبة الاتباع باجماع المسلمين ، وقد تخلف عن الجيش والحق باسامة من تخلف مما هو مذكور في كتب التاريخ .

(١) ص ٨٥ الفصول المهمة في تأليف الامة نقلاً عن الحلبي الجزء الثالث من سيرته .

ولا شك أن المسلمين إن رجعوا الى القواعد الاسلامية ، و ارادوا اتباع الحق كان من المحال اختيار اي شخص للخلافة ظهر لهم انه من المتخلفين ، او الطاعنين بتأثير اسامة بعد ترشيح النبي له ، وبيان الاعتماد عليه ، وانه من خيار المسلمين .

نعم إن هذه الاسباب وما شاكلها دعت النبي صلى الله عليه وآله أن يهتم بهذا البعث كل الاهتمام ، وإن فهم بعضهم لهذه الاهداف دعيتهم ايضاً الى المجاهرة العلنية برأيهم ضد رأي النبي فأكثروا من الغمز واللمز ليقفوا سداً منيعاً دون تنفيذه ، ولكن اصرار النبي (ص) واطهار استيائه الشديد من مجابتهم لهذا التأمير حداً من موقفهم فتظاهروا في اللحاق بالركب مرغمين .

ويحدثنا ابن سعد فيقول : « وخرج جيش اسامة حتى عسكروا بالحرف ، وتنام الناس فخرجوا واثقل رسول الله (ص) فأقام اسامة والناس ينتظرون ما الله قاضٍ في رسول الله (ص) قال اسامة : فلما ثقل هبطت من معسكري ، وهبط الناس معي وقد اغمي على رسول الله (ص) فلا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ثم يصبها علي فأعرف انه يدعو لي ^(١) .

ويحدث المقرئ في (إمتاعه) فيقول : « وجاء المسلمون يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله (ص) فيهم عمر رضي الله عنه فقال : « أنفذوا بعث اسامه » ودخلت ام ايمن رضي الله عنها فقالت : يا رسول الله لو تركت اسامة يقيم في معسكره حتى تماثل فإن اسامة إن خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه ، فقال : « أنفذوا بعث اسامة » ^(٢) .

ونراه صلى الله عليه وآله يقول لاسامة صباح يوم الاثنين وهو اليوم

(١) ص ٦٦ من « الطبقات الكبرى » لابن سعد . مطبعة لجنة نشر الثقافة الاسلامية سنة ١٣٥٨ هـ - القاهرة .

(٢) ص ٥٣٨ إمتاع الاسماع للمقرئ .

الذي فجعت الامة الاسلامية بفقده : «أغد على بركة الله» .

هكذا نرى النبي صلى الله عليه وآله يهتم بهذا البعث ، وهكذا نراه «ص» يعلق الآمال على هذا الفتى فيدعو له ، ويشيد به ، ويجعل تحت لوائه شيوخ المهاجرين والأنصار .

لقد ركب اسامة الى معسكره ممثلاً أمر نبيه ، وصاح باصحابه باللحوق بالعسكر ، وانتهى الى معسكره فنزل وامر الناس بالرحيل وقد ارتفع النهار ، وبينما يريد الركوب من الجرف أتاه رسول امه - ام ايمن - تخبره أن رسول الله يموت فأقبل الى المدينة ومعه عمر وابو عبيدة ابن الجراح فانتھوا الى رسول الله (ص) وقد ذهب الى الرفيق الاعلى^(١)

ولما تم الأمر الى ابي بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء الى بيت اسامة وألا يحله حتى يغزوهم اسامة ففعل .

وقد قال ابو بكر لاسامة : أنفذ في وجهك الذي وجهك فيه رسول الله (ص) وقال ايضاً : اني سمعت رسول الله (ص) يوصيك فأنفذ لامر رسول الله (ص) فاني لست آمرك ، ولا انهاك عنه ، إنما انا منفذ لأمر أمر به رسول الله (ص)^(٢) .

ويبدو أن الغمز واللمز بدأ من جديد في تأمير اسامة بعد وفاة النبي وظنوا أن ابا بكر سيلبي طلبهم إذا ما رغبوا بامير آخر يسرون تحت لوائه ، وقد فاتح عمر الخليفة الجديد بهذه الرغبة فاسمع ماذا يقول ابو الفدا في تاريخه فهامو يتحدث قائلاً : «ولما تولى ابو بكر كان اسامة ابن زيد مبرزاً ، وكان عمر بن الخطاب من جملة جيش اسامة على ما عينه رسول الله (ص) فقال عمر لابي بكر : إن الانصار تطلب رجلاً أقدم

(١) راجع ص ٥٣٩ إمتاع الاسماع .

(٢) ص ٥٤٠ من الامتاع .

سناً من اسامة فوثب ابو بكر وكان جالساً وأخذ بلحية عمر وقال : ثكلتك امك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله (ص) وتأمرني أن أعزله ١١٩٩ ! ثم خرج ابو بكر الى معسكر اسامة ، واشخصهم وشيعهم (١) .

ويحدث ابو الفدا ايضاً فيقول : « ولما اراد الرجوع قال ابو بكر لاسامة : إن رأيت أن تعيني بعمر فافعل ، فأذن اسامة لعمر بالقيام (٢) .

والواقع أن هذا التصرف من ابي بكر في أول (عهده) يدل على الحكمة والتدبر ، فانه مضى بحزم الى تنفيذ امر الرسول في شأن هذا البعث وأفهم اسامة أن الأمر مستمد من أمر الرسول ، وهو باقٍ على استمراره ، وأن أسامة هو الامير ، وهو المنفذ بمقتضى الارادة النبوية الاولى التي تبقى ولا تلغى في حال .

واستعمل منتهى الشدة مع عمر ، ونسب طلب التنحية اليه لا الى غيره مع الحاجة الشديدة الى مراعاة عواطف عمر وشعوره ، لخدمته الكبرى في المبادرة الى مبايعته في أشد واحرج الظروف أيام السقيفة التي اجتمع أهلها لإبعاد « اهل البيت » عن مواضعهم التي رفعهم الله اليها ، ثم بعد استعمال هذه الشدة نرى اللباقة الادارية التي قد جبرت ذلك الكسر ، وهو طلب ابي بكر من اسامة أن يأذن بابقاء عمر الى جنب ابي بكر للاستعانة به وقد لبى اسامة هذا الطلب .

ولا شك ان هذا هو الحل الوحيد في هذه المسألة بين اسامة الامير ، وبين عمر الوزير خليفة ابي بكر من بعده .

ان هذا الإذن من الناحية العسكرية لا غبار عليه ، فللقائد أن يأذن بالتخلف لمن شاء ، ولكن اسامة ليس له حق هذا التصرف من الوجهة

(١) ص ١٥٦ من تاريخ ابي الفدا .

(٢) ص ١٥٧ نفس المصدر .

الشرعية لان الرسول صلى الله عليه وآله اصدر اوامره المتكررة في هذه السرية ، وأوجب تنفيذ الجيش والاسراع بالمبادرة على كل فرد من المهاجرين والانصار ولم يستثن منهم احداً ، وامر أن لا يتخلف اي فرد انضوى تحت اللواء ، وقد قال الله تعالى : « وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً » .

والامر في هذه السرية يبدأ من أول خطوة يشرع المسلمون بها في السير على تنفيذها ، ويستمر الامر حتى تنتهي المهمة التي صدر بتحقيقها . وصاحب الأمر هو المشرع الذي أصدر الامر بتأخير القائد فهو صلى الله عليه وآله وليّ الامر ، ينصب ويعزل ، ويتصرف كيفما شاء ، كما ان امر صاحب الرسالة واجب الاتباع في الحياة وبعد وفاته على الامة الاسلامية كافة .

وحيث أن الامر لم يصدر من وليه كان الاذن من غير مبرر شرعي . والواقع أن اماره اسامة كانت مستمرة بالنسبة الى ابي بكر ايضاً حتى بعد خلافته ، لأنّ خلافته مستمدة من الناس ، وامارة اسامة مستمدة من النبي ، ومات صلى الله عليه وآله واسامة امير على ابي بكر ، وبقية المهاجرين والانصار ، واختير ابو بكر قبل أن ينهي اسامة مهمته ، ولا ينتهي امد الامارة الا بعد رجوع الجيش الى قواعده ، وتحقيق اهدافه التي حارب من اجلها .

نعم لو كانت خلافة ابي بكر بالنص لا بالاجماع الذي جاء من طريق القياس لكان شخص الخليفة خارجاً من تلك الامارة الخاصة الموقته بالدليل ، لان الخليفة يكون اميراً للمؤمنين جميعاً فيشمل اسامة وغيره من المسلمين .

اما الخلافة الحاصلة فقد جاءت عن طريق الاجماع بقياس امر دنيوي على امر ديني كما قرروه في محله ، والاجماع على مثل ذلك لا يكون ملزماً فلا يكون حاكماً على مثل هذه الامارة الخاصة المعلوم صدورها من الشارع المقدس .

ومن اراد تفصيل الكلام حول هذه الخلافة فليرجع الى كتابنا «الاجماع» في التشريع الاسلامي ففيه بغية الباحث .

ومهما يكن من شيء فان موقف ابي بكر من هذا التأمير كان موقف المسلم الواعي الذي لم يفسح المجال للمغرضين ، وامر مناديه أن يقول : (عزمة مني ألا يتخلف عن اسامة من بعثه احد ممن انتدب معه في حياة رسول الله (ص) فاني لن أوتي بأحد بطأ عن الخروج الا الحقته به ماشياً ، فلم يتخلف عن البعث احد^(١)) .

وخرج اسامة مسرعاً - كما يحدث المقريري - فوطاً بلاداً هادئة لم يرجعوا عن الاسلام حتى نزل وادي القرى ، فقدّم عينا له من بني عُدرة يدعى حُرَيْثاً ، فأنهى الى أبيه ثم عاد فلقى اسامة على ليلتين من أبيه فأخبره أن الناس غارون ولا جموع لهم ، وحته على سرعة السير قبل اجتماعهم ، فسار الى أبيه وعباً اصحابه ثم دفع عليهم الغارة فقتل وسبي ، وحرّق بالنار منازلهم ، وحرّثهم ونخلهم ، ورحل مساء حتى قدم المدينة ، وقد غاب خمسة وثلاثين يوماً . وقيل قدم لشهرين وإيام^(٢) .

وهكذا عاد اسامة البطل الى عرينه مرفوع الرأس ، وقد برهن على انه كان جديراً بثقة النبي صلى الله عليه وآله ، وأهلاً لحبه ورعايته .

• • •

(١) ص ٤٠٠ امتاع الاسماع .

(٢) ص ٤٠٠ (إمتاع الاسماع)

رَزِيَّةُ الْجَنِّيسِ

« إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين
أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغفلتهم .
» ابن عباس »

حديث الدواة والقرطاس

لقد اوضح النبي الكريم صلى الله عليه وآله للمسلمين ولاية العهد ، وبين للامة الامام الذي سيلي امرها بعد وفاته ، وذلك امثالاً لامره تعالى حيث قال « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » .

وقد فصلنا القول في ذلك في الفصل السابق فلا حاجة الى تكراره .

والذي اود التأكيد عليه الآن أن كلام الرسول الاعظم يومئذ كان واضحاً صريحاً بالخلافة العامة غير قابل للتأويل ، لأن النبي ابلى العرب وافصحهم ، وهو في سبيل بيان تبليغ امر ربه في الامام الذي يلي امر الامة في الاسلام ، ولو كان في بيانه صلى الله عليه وآله اي لبس لم يحصل امثال الامر بالتبليغ لعدم حصول المقصود كما هو واضح .

وأدل دليل على هذا الوضوح فهم عامة المسلمين الذين حضروا وسمعوا ، وشهدوا ذلك الحدّث التاريخي العظيم .

وقد بلغ الشاهد منهم الغائب ، ولسان كل واحد منهم قول عمر ابن الخطاب (رض) « هنيئاً يا ابن ابي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة » .

وقد اشاد شاعر النبي حسان بن ثابت في ذكرى هذا اليوم بشعره الذي تقدم ذكره والذي جاء فيه :

فقال له قم يا علي فإنسي رضيتك من بعدي إماماً وهادياً
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له انصاراً صدق موالياً

وقد ايده رسول الله (ص) على هذا الفهم ودعا له بقوله : « لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك » .

نعم هذا هو الفهم الطبيعي من مثل هذا اللفظ العربي المشرق الذي كانت تؤيده قرآن الحال والمقال مما لا مجال للشك فيه .

وحمل (المولى) علي الناصر ، او المحب إنما فُكر به بعد وفاة النبي لما صرفوا الإمامة عن وليها الشرعي ، ولكنه حمل لا يؤيده دليل بل الأدلة وشواهد الحال ، وظروف القضية كلها إبراهيم تدفع هذا الحمل لأن حب علي ، ونصرته للمسلمين من الأمور البديهية التي لا يختلف فيها اثنان فلا حاجة الى بيانها ، كما أن تبليغها ليس فيها اي محذور لان المسلمين بعضهم اولياء بعض بنص القرآن الكريم ، فأى حاجة إذاً لقوله تعالى « والله يعصمك من الناس » والحب - كما هو معلوم - يدعو الى الولاء لا الى البغضاء .

فالتبليغ الذي قصده الله تعالى قد حصل إذاً من حديث الولاية لذلك قد سميت تلك الحجة بحجة الوداع ، وحجة التبليغ .

نعم اراد النبي بعد ان بلغ رسالة ربه ان يؤكد ذلك العهد في ايام مرضه الاخير فيسجل تلك الولاية العامة في (كتاب) يجمعهم على الامام الذي سبق وان تمت له البيعة يوم الغدير بمحضر آلاف من المجتمعين بعد رجوعهم من أداء حج بيت الله العظيم ، يسجل لهم ذلك حرصاً على دينهم كي لا يفضلوا بعده .

نعم كان طلب الدواة والقرطاس هو الخطوة الثانية بعد تأمير اسامة على المهاجرين والانصار كافة .

فكما أن تلك الخطوة كانت لإفهام الناس اعتبار الكفاءة لا السن فإن الخطوة الثانية إن نجحت عينت صاحب الكفاءة للامامة باسمه وشخصه فلا يختلف فيه من بعده .

وان لم تنجح من حيث التسجيل - كما وقع فعلاً - فإنها تعتبر ناجحة من حيث كشف الاشخاص الذين كانوا في تلك الجلسة والذين كانوا في الصف الاول الى جانب المعارضين الذين صدّوا النبي عن كتابة الكتاب الذي يؤمن الامة من الضلال ، والذي أخبر الله عنه حيث يقول « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين »

وكان ابن عباس - وهو حبر الامة - يضيق صدره كلما ذكر حديث الدواة والقرطاس فيستسلم للبكاء كلما حدث عن يوم الخميس

١ - يحدث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان يقول يوم الخميس ، وما يوم الخميس؟؟ قال : وكأني أنظر الى دموع ابن عباس على خده كأنها نظام اللؤلؤ ، قال : قال : رسول الله (ص) « أتوني بالكتف والدواة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً » قال : فقالوا انما يهجر رسول الله (ص) ^(١)

وكان يقول ابن عباس ايضاً من جملة حديث له « إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم » ^(٢)

(١) ص ٦٠ الطبقات الكبرى لابن سعد الجزء الرابع . (٢) ص ٦١ الطبقات الجزء الرابع .

٢- ويحدث أيضاً سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : اشتكى النبي (ص) يوم الخميس فجعل - يعني ابن عباس - يبكي ويقول يوم الخميس وما يوم الخميس ؟؟ قال : اشتد بالنبي (ص) وجعه فقال : «أتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» قال : فقال بعض من كان عنده إن نبي الله (ص) ليهجر قال : فقيل له الا نأتيك بما طلبت ؟؟ قال : «أو بعد ماذا ؟؟» قال فلم يدع به ^(١) .

٣- وهذا سليمان ابن أبي مسلم - خال أبي نجیح - سمع سعيد بن جبير يقول قال ابن عباس : يوم الخميس وما يوم الخميس قال : اشتد برسول الله (ص) وجعه في ذلك اليوم فقال «أتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فتنازعوا ولا ينبغي عندي تنازع فقالوا : ما شأنه أهجر استفهموه ؟! فذهبوا يعيدون عليه فقال : «دعوني فالذي انا فيه خير مما تدعونني اليه» واوصى بثلاث قال : - أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو مما كنت أجيزهم ، وسكت عن الثالثة فلا أدري قالها لنا ام سكت عنها عمداً وفي نسخة فنسيتها ^(٢) .

٤- ويحدث أبو الزبير عن جابر بن عبد الله الانصاري فيقول : «لما كان في مرض رسول الله (ص) الذي توفي فيه دعا بصحيفة ليكتب فيها لامته كتاباً لا يَضِلُّون ولا يُضَلُّون قال فكان في البيت لغط وكلام ، وتكلم عمر بن الخطاب قال : فرفضه النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣)» .

٥- وهذا عبد الله ابن عباس يذكر الحادثة بتفصيل أكثر ، ويصرح باسم المعارض ، وينقل عبارته على نحو الكناية لا التصريح فيقول «لما حضرت رسول الله (ص) الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال رسول الله (ص) : أتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتاباً

(٢) ص ٥٩ الطبقات الرابع .

(١) ص ٥٩ الطبقات الجزء الرابع .

(٣) ص ٥٩ الطبقات .

لا تفضلون بعده قال : فقال عمر كلمة معناها أن الوجد قد غلب على رسول الله (ص) ثم قال : عندنا القرآن حسبنا كتاب الله ، فاختلف من في البيت واختصموا فمن قائل قاربوا يكتب لكم النبي ، ومن قائل ما قال عمر ، فلما اكثروا اللغظ والاختلاف غضب صلى الله عليه وسلم فقال : **« قوما »** ^(١) .

٦ - ولترك الحديث الى عمر نفسه فماذا يقول : فإن زيد بن اسلم يروي عن ابيه عن عمر بن الخطاب قائلًا : **« كنا عند النبي (ص) وبيتنا وبين النساء حجاب ، فقال رسول الله (ص) « غسلوني بسبع قرب وأتوني بصحيفة ودواة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً » فقال النسوة أتوا رسول الله (ص) بحاجته ، قال عمر فقلت اسكنن فإنكن صواحبه ، اذا مرض عصرتن اعينكن ، واذا صح اخذتن بعنقه ، فقال رسول الله (ص) « هن خير منكم »** ^(٢) .

٧ - وهناك حديث آخر يصرح باسم زوجة النبي التي تطلب الى القوم ان يستمعوا الى الرسول صلى الله عليه وآله فهذا عكرمة يروي عن ابن عباس فيقول **« إن النبي (ص) قال في مرضه الذي مات فيه « أتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً » فقال عمر بن الخطاب من لفلانه وفلانه مدائن الروم ، إن رسول الله (ص) ليس بميت حتى تفتتحها ، ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى ، فقالت زينب زوج النبي (ص) ألا تسمعون النبي (ص) يعهد اليكم ؟؟ فلغطوا ، فقال : « قوموا عني »** ^(٣) .

وكان حديث الدواة والقرطاس موضع الاهتمام والتعليق من اعلام

(١) ص ٢٠ المجلد الثاني من شرح النهج للعلامة ابن أبي الحديد .

(٢) ص ٦٠ من الطبقات الجزء الرابع .

(٣) ص ٦١ من الطبقات الجزء الرابع .

الباحثين في الزمن السابق ، وفي العصر الحاضر عند الفريقين ، ولا شك أن خدمة الأحاديث النبوية تستدعي بحث الحديث بحثاً «موضوعياً» على ضوء القواعد العلمية التي تسير وراء الحق حيثما يكون .

ونحن نذكر الآراء بنصها كما تقتضيه الأمانة ولنا بعد ذلك دلوين الدلاء على ضوء ما يمليه الحق ويرشد اليه الدليل .

وقد رأيت القاضي عياضاً قد اورد آراء علماء إخواننا على نحو الاستقصاء لكل الوجوه المحتملة في كتابه (الشفاء) قال ما نصه « قال أئمتنا : في هذا الحديث ، النبي (ص) غير معصوم من الامراض ، وما يكون من عوارضها من شدة وجع ، وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه .

معصوم أن يكون منه من القول اثناء ذلك ما يُطعن في معجزته ، ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان ، او اختلال كلام .

وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية مَنْ روى في الحديث « هجر » اذ معناه هذى يقال : هجر هجراً اذا هذى ، واهجر هجراً اذا افحش ، واهجر تعدية هجر ، وانما الاصح والاولى أهجر ؟؟ على طريق الانكار على مَنْ قال لا تكتب ، وهذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم ، وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينه ، وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق ، وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان ، وعن غيره .

وقد تُحمل عليه رواية مَنْ رواه هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير أهجر ؟؟ او ان يحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشةً من قائل ذلك ، وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول (ص) ، وشدة وجعه ، وهو المقام الذي اختلف فيه عليه ، والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه ، واجرى الهجر مجرى شدة الوجع ، لا انه

اعتقد أنه يجوز عليه الهجر ، كما حملهم الاشفاق على حراسته والله يقول : « والله يعصمك من الناس » ونحو هذا .

واما على رواية « أمجراً » وهي رواية ابي اسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعاً الى المختلفين عنده (ص) ومخاطبة لهم من بعضهم اي جثم باختلافكم على رسول الله (ص) ، وبين يديه هجراً ومنكراً من القول ، والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق .

وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث ، وكيف اختلفوا بعد أمره لهم (ص) بأن يأتوه بالكتاب ، فقال بعضهم اوامر النبي (ص) يفهم ايجابها من نديها من ابحاثها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله (ص) لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امرٌ رده الى اختيارهم ، وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم يكن عزمة ، ولما رأوه من صواب رأي عمر ، ثم هولاء قالوا : ويكون امتناع عمر إما اشفاقاً على النبي (ص) من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال إن النبي (ص) اشتد به الوجع .

وقيل خشي عمر ان يكتب اموراً يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ، ورأى أن الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر ، وطلب الصواب ، فيكون المصيب والمخطيء مأجوراً ، وقد علم عمر تقرر الشرع ، وتأسيس الملة ، وان الله تعالى قال : « اليوم اكملت لكم دينكم » وقوله (ص) « اوصيكم بكتاب الله وعترتي » ،

وقول عمر حسبنا كتاب الله ردٌ على من نازعه لا على امر النبي (ص) وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ، ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك في الخلوة ، وان يقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية ، وغير ذلك .

وقيل انه كان من النبي (ص) لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركهم .

وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث أن النبي (ص) كان مجيباً في هذا الكتاب لما طُلب منه ، لا انه ابتداء بالامر به ، بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها ا هـ ، من ص ١٨٦ الى ص ١٨٩ من كتاب « الشفا » .

والواقع أن هذه الاحتمالات التي عرضها القاضي الفاضل في (الشفا) لا تشفي الغليل ، ولا تقف امام الدليل ، وهي بعيدة عن منطق الروايات كل البعد .

ونحن نجب على كل فقرة من هذه الفقرات ، وعلى كل احتمال من هذه الاحتمالات ، على ضوء ما يبدو من لفظ الروايات التي لا تقبل التأويل .

لقد ذكر القاضي هجر بمعنى أهجر على طريق الانكار على من قال « لا تكتب » وهذا المعنى لا ينطبق على اللفظ لان الذين قالوا « الهجر » هم الذين صدّوا رسول الله (ص) عن كتابة الكتاب ، وهم الذين قالوا : لا تكتب فهل يتوجهون بالانكار على انفسهم ؟ لأن الطائفة الاولى هي التي قالت « قربوا يكتب لكم النبي » فهل يتوجه عليها الانكار ؟ اللهم الا ان تكون قد هجرت باتباعها امر النبي !!

وأما الاحتمال الثاني وهو ان يُحمل قول القائل هجر او أهجر على الدهشة والحيرة لما شاهد من احوال الرسول وشدة اوجاعه الامر الذي دفعه ان يقول هجر جارياً له مجرى شدة الوجع لا الاعتقاد بجواز الهجر على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

فنحن نقول ان ظاهر اللفظ ينفيه ونأمل ان يكون هو المقصود وإن اساء التعبير او اخطأه التقدير .

ثم ما معنى قولهم « كما حملهم الاشفاق على حراسته » فهل معنى
الاشفاق عليه الاختلاف بين يديه ١٩ واي حاجة لحراستهم بعد ان عصمه
الله وكفل حراسته ١١٩؟

واما الاحتمال الثالث وهو رواية أهجراً فيكون هذا راجعاً الى
المختلفين عند الرسول (ص) ومخاطبة لهم من بعضهم اي جثم باختلافكم
على رسول الله «ص» وبين يديه هجراً ، ومنكراً من القول .

لا شك ان اختلافهم بين يدي النبي كان هجراً ، وكان منكراً من
القول ولكن هذا القول لم يصدر من بعضهم موجهاً الى البعض الآخر
ليكون هذا الاحتمال الثالث وجيهاً بل صدر من الصف المعارض موجهاً
الى شخص النبي المقدس بالذات ، وكل ما صدر من الصف الموالي تأييد
طلب النبي بتقديم الدواة والقرطاس ليكتب لهم الكتاب الذي يحفظ دينهم
وبضمن آخرتهم ، ويكون السبب في امانهم من الضلال والانتقال الذي
كان ينتظرهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله .

والذي يدل على ان الكلام كان موجهاً للنبي وليس موجهاً من بعضهم
لبعض قوله صلى الله عليه وآله في رد كلامهم « دعوني فالذي انا فيه
خير مما تدعوني اليه » .

قال ذلك في الرد عليهم حيث قالوا « ما شأنه أهجر إستفهموه » ١٩
وذهبوا يعيدون عليه هذا القول .

فالاستفهامات إذاً ، وجهة اليه صلى الله عليه وآله لا الى سواه ، فمن
اين يأتي قولهم : إن أهجر موجه من بعضهم الى البعض الآخر ، وان
اختلافهم هذا بين يديه يشكل هجراً ومنكراً من القول مع هذه الصراحة
الموجودة في الحديث الثالث الذي يرويه سعيد بن جبير عن جبر الامة
عبد الله بن عباس .

وحيث أنهينا الكلام عن الاحتمالات المتصورة من لفظ الهجر في

حديث الدواة والقرطاس فلننقل الكلام الى المعاني الاخرى التي ذكرها القاضي الفاضل لهذا الحديث ثم نعلق على ذلك بما يبدو لنا أثناء البحث من تأييد او تفنييد .

قال رحمه الله : « وقد اختلف العلماء في معنى الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم (ص) بأن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي (ص) يفهم ايجابها من نديها من ابحاثها بقرائن ، فلعل قد ظهر من قرآن قوله (ص) لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزيمة بل امر رده الى اختيارهم ، وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم يكن عزيمة ، ولما رأوه من صواب رأي عمر ،

والجواب عن ذلك ان الأمر يحمل على الوجوب ، ولا يكون للندب الا بقرينة ، والقرائن الموجودة كلها صارفة للندب ، فان قول النبي « لثلاث تضلوا » صريح بان الامر عزيمة ووجوب لان واجب المسلم بدعوه ان يسعى لأن يحصل على ما يؤمنه من الضلال ، وامر النبي لهم بالقيام من مجلسه دليل آخر على هذا الوجوب ، ولو كان الامر للندب او للمشورة كما يقولون لما استدعى ذلك كله .

والاستفهام الذي اشار اليه لم يكن استفهاماً عن الامر هل انه للوجوب او انه للندب ، بل كان استفهاماً عن الهجر كما هر صريح الحديث الثالث المتقدم .

وترك كتابة الحديث ليس لانه للندب كما توهمه المتوهم بل لانه حيل بين النبي وبين ان يكتب الكتاب بسبب لغوهم ولغوهم كما هو صريح حديث حبر الامة عبد الله بن العباس رحمه الله .

واما قولهم « ولما رأوه من صواب رأي عمر » اي انه ترك الكتاب نزولاً عند رأي عمر لانه الصواب ، نعوذ بالله ان نقول على رسول الله

مثل هذا القول (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين » .

ثم ذكر القاضي صاحب (الشفا) لأعلامهم اقوالاً توضح الاسباب التي دفعت بعمر أن يقف من رسول الله ذلك الموقف المعارض الذي اغضب الرسول فاكتفى (ص) عن التحرير بتبليغ « العهد » يوم الغدير قال القاضي رحمه : ثم هؤلاء قالوا : ويكون امتناع عمر إما اشفاقاً على النبي (ص) من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب ، وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال : إن النبي (ص) اشتد به الوجع » .

الاشفاق على النبي صلى الله عليه وآله هو بعث الطمأنينة في نفسه الطاهرة بامثال امره بكتابة « عهده » الذي يؤمن الامة من الضلال .

وأما قوله كما قال عمر : إن النبي (ص) اشتد به الوجع » فان هذا لم يكن قوله بالنص ، وإنما قال ابن عباس ذلك تأديباً ، وتهذيباً للتعبير كما يظهر من قوله « فقال عمر كلمة معناها إن الوجع قد غلب على رسول الله (ص) » كما تقدم في الحديث الخامس .

ونرى ابن عباس يورد العبارة بالنص اذا لم يصرح باسم القائل فيقول : « فقال بعض من كان عنده إن نبي الله (ص) » ليهجر » كما تقدم في الحديث الثاني .

ويقول القاضي ايضاً في « شفاه » « وقيل خشي عمر أن يكتب اموراً يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ، ورأى ان الارفق والافق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد ، وحكم النظر ، وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطيء مأجوراً » .

اما اذا كان المقصود خوف المخالفة فما كان يخشاه عمر على الناس بعد وفاة النبي (ص) فقد وقع فيما يحذر هو ، ومن وقف معه حائلاً دون

كتابة الكتاب ، على أن هذا التخوف المتوهم لا محل له بعد ان قال النبي (ص) « اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي » فكان عليهم بعد توجيه الامر اليهم ان يسرعوا الى امثاله بلا تردد ، امثالاً لقوله تعالى حيث يقول : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً أن يكون له الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) .

واما قولهم إن عمر رأى أن الأوفى والارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد ، قلنا لا اظن عمر يقول ذلك ، ولو قال لقلنا ليس للمسلم ان يقول قال الله ، واقول .

ويقول القاضي ايضاً : « وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة ، وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك » .

وماذا يريد ان يتكلم المنافقون ، وهل كلامهم اكثر شدة من أن ينشق المسلمون على انفسهم فيختلفوا ويكثروا من اللغو واللغظ بمحضر من النبي ومسمع ، ومتدى ومجمع .

على أن الكتاب الذي يريد الرسول صلى الله عليه وآله ان يتركه « عهداً » للامة ليس بسري ، ولا هو في خلوة وانما يكتبه بمحضر جماعة من المسلمين لا يحوم الشك حولهم .

وقد كشفوا عن هذه الاقاويل بادعاء الرافضة — على حد تعبيرهم — الوصية اي وصية النبي لانيه وابن عمه علي عليه السلام :

ونحن نقول هؤلاء ليس قول الشيعة بوصية الامام من اقاويل الامامية وانما منشؤه ان الوصية مصدرها من النبي ، وهو انما ينطق عن وحي (ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى ، علمه شديد القوى) .

وما يوم « الغدير » عن عمر يبيد فقد كان ابو حفص اول من هنا
الامام « وبنخ » له مع من هنا من المهاجرين والانصار كما فصلناه
فيما سبق .

وقال القاضي ايضاً : وقيل انه كان من النبي (ص) لهم على طريق
المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركهم .
قلنا ان النبي كان في حال احتضار لا في مورد اختبار وكل ما في
المقام من قرآن الاحوال تنفي هذا الاحتمال .

على ان النبي صلى الله عليه وآله يريد أن يعهد للامة ما يؤمنها من
الضلال ولا يجوز الاختبار في مثل هذه الحال كما هو واضح .

وفي آخر المطاف يقول القاضي عياض : « وقالت طائفة اخرى إن
معنى الحديث ان النبي (ص) كان مجيباً في هذا الكتاب لما طلب منه ،
لا انه ابتداء بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فأجاب رغبتهم وكره
ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها » .

ليس في الحديث ما يشعر أن طلبه للدواة والقرطاس كان تلبية لرغبة من
طلب منه الكتابة ، على أنه لو لم يكن ذلك لكان معناه استجابة للدعوة حق
لذلك وجه الطلب على نحو الامر مبيناً ان السبب في التحرير لا يعود الى
امر خاص وانما يرجع الى الامة بمجموعها فيحفظها من الضلال .

فكان على الحاضرين ان يحرصوا على تنفيذ الامر لانه يعود بالنفع
عليهم وعلى كل فرد من المسلمين .

هذا كل ما دار حول هذا الموضوع — موضوع الدواة والقرطاس —
نقلته بحذافيره ، واحببت ان اشرك القارئ الكريم في كل كلمة قالها
اعلام اخواننا مزبىان او تعليل ، وله ملأ الحرية ان يأخذ بما قالوا وعللوا
او بما قلت وعللت ، لاني لا احكم عليهم بالخطأ ، ولا ادعي لنفسي العصمة .

وكل ما اجزم به اني لا احكم على الخطأ صواباً واعلم انه خطأ، ولا احكم على الصواب خطأ واعلم انه صواب، وهذا ما ادين الله به في كل حرف سطرته في هذا الكتاب .

ولنتظر ماذا قال الباحثون عن (حديث الدواة والقرطاس) في هذا العصر ، وكيف استعملوا حريتهم وافكارهم النيرة اثناء البحث، فهذا الدكتور محمد حسين هيكل - وهو من اكبر الباحثين - يقول في كتابه (الفاروق عمر) : « ولما اشتد برسول الله مرضه الاخير، اشار الى رجال من المسلمين كانوا في البيت حوله فقال : « أتوني بدواة وصحيفة ، اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابدًا » واختلف الحاضرون . يقول بعضهم « قربوا ليكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده » ويخالفهم آخرون على رأسهم عمر فيقولون : « إن رسول الله قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، وحسبنا كتاب الله » ورأى النبي خلافهم فقال : « قوموا : ما ينبغي ان يكون بين يدي النبي خلاف » ولم يكتب . ولعله تأثر برأي عمر أكثر مما تأثر برأي غيره لما عرف من صدقه في إخلاصه ، وصراحته في رأيه .

والرجل اجدر باحترامنا واكبارنا ما انكر ذاته فصدر رأيه عن إخلاص للخير العام وحرصه عليه ، وكان عمر في ذلك خير مثل ، وقد رأيت فيما قدمنا من آرائه كيف تنزه عن كل شائبة ، بل لقد رأيت كيف ودّ أن يحرم الله الخمر ولم تكن محرمة ، وقد كان في جاهليته رجل خمر يحبها ويتوفر على شربها ، فهو إنما ودّ أن تحرم حرصاً على خير الجماعة وتماسكها وقوة نظامها - انتهى^(١) .

والواقع ان هذا الرأي من الدكتور - وهو الاديب الكبير الضليع

(١) ص ٧٠ (الفاروق عمر) .

باللغة - غريب كل الغرابة ، لانه فهم على ما يظهر ان الامر هنا للتدب ، ارسله على نحو المشاورة واستكشاف الآراء لذلك قال (ولعله تأثر برأي عمر اكثر مما تأثر برأي غيره لما عرف من صدقه في اخلاصه » .

وقد تأكد للدكتور اخذ النبي برأي عمر لانه صرف النظر عن الكتاب ولكن الدكتور حفظ شيئاً وغابت عنه اشياء ، الم يروى الدكتور نفسه انه صلى الله عليه وآله قال : « قوموا : ما ينبغي ان يكون بين يدي النبي خلاف » فهل يستشيرهم ثم يأمرهم بالقيام من مجلسه وهو ذو الخلق العظيم كلا : لا يصدر عنه ذلك الا لانهم اختلفوا وأكثروا اللغو في مجلسه وهذا ما دعا جبر الامة عبد الله بن عباس ان يطيل البكاء وان يدعو هذه الجلسة الصاخبة « برزية الحميس » .

ولو رجعنا الى الرواية الرابعة المروية عن جابر بن عبد الله الانصاري لوجدناها تصرح بما يلي : قال : فكان في البيت لغط وكلام ، وتكلم عمر ابن الخطاب ، قال : فرفضه النبي (ص) « وهذا يدل بوضوح على ان سكوت النبي وعدم كتابة الكتاب لم يكن استصواباً لرأي أحد من الحاضرين ، وانما هو للخلاف الذي وقع بينهم فمنع من تحقيق هذه الرغبة الكريمة .

والذي يلفت نظرنا في الحديثين السادس والسابع امران اما الحديث السادس فقد رواه عمر نفسه وقد جاء فيه قوله : « فقال النسوة آتوا رسول الله بحاجته - وهي تقديم الدواة والصحيفة المتقدم ذكرهما - قال عمر فقلت اسكنن فانكن صواحبه ، اذا مرضن عصرن اعينكن ، واذا صحن اخذن بعنقه ، فقال رسول الله «ص» « هن خير منكم » .

ان هذا الخطاب لا يليق توجيهه الى عقائل الرسالة في الوقت الذي لم يصدر منهن الا اظهار رغبتهن بتلبية الحاضرين امر النبي «ص» وقد اكتفى صلى الله عليه وآله بان حكم على المعارضين أن نساءه خير منهم .

وأما الحديث السابع فقد رواه عكرمة عن ابن عباس وقد جاء فيه
بلا فصل بعد طلب الدواة والصحيفة « فقال عمر بن الخطاب من لفلانة
وفلانة مدائن الروم ، إن رسول الله (ص) ليس بميت حتى تفتتحها ،
ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى فقالت زينب زوج
النبي (ص) ألا تسمعون !! النبي يعهد اليكم فلغطوا فقال : « قوموا عني »

وواضح ان كلامه لا يلتزم وطلب النبي (ص) ولا ينسجم معه ،
كما ان فكرة بقاء النبي او انتظاره اذا مات لم تكن فكرة من اثر الصدمة
التي أحدثتها وفاة النبي (ص) كما صورها المؤرخون لانه باح بها في
جلسة الخميس قبل الوفاة مع انه صلى الله عليه وآله قبيل وفاته قد نعى
الى المسلمين نفسه وعرفهم دنو اجله وانه يموت كما اخبر القرآن الكريم
عنه « انك ميت وانهم لميتون » وانه لا يخلد في الدنيا احد ، وما ادري اين
كان عمر عن هذا التصريح مع تناقل الناس له في كل مكان !!؟؟

ويتبادر الى الذهن سؤالان لا بد من ذكرهما والاجابة عليهما

اولاً - ان في الحاضرين المستمعين لطلب النبي (ص) من كان
يرغب في تلبية الطلب - وهم القائلون قربوا يكتب لكم النبي - فلماذا
لم يتقدم هؤلاء بتنفيذ الطلب لما رأوا الاحجام في الفريق الآخر ؟؟

وثانياً - ماذا كان يريد النبي (ص) ان يكتب في ذلك الكتاب ؟؟

ان الجواب على السؤال الاول يتضح من الحديث الذي جعلنا له رقم
(٢) الذي رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس والذي جاء فيه : « فقال بعض
من كان عنده إن نبي الله ليهجر ، قال ف قيل له ألا نأتيك بما طلبت ؟؟
قال : « أو بعداً ماذا ؟ !! قال فلم يدع به » .

فالفريق الموافق إذاً قد عرض نفسه لتلبية الطلب مستفسراً منه صلى
الله عليه وآله « ألا نأتيك بما طلبت ؟؟ وكان الجواب « أو بعد ماذا ؟؟

اي ما الفائدة بتقديم الدواة والقرطاس بعد ان قالوا بمحضره انه ليهجر لان الكتاب انما يجدي اذا اتفقت كلمتهم على الحق اما اذا اختلفوا وتفرقت كلمتهم عن الهدى فما بعد الهدى الا الضلال لذلك تراه صلى الله عليه وآله قد صرف النظر ولم يدع بالكتاب .

وهذا امام الباحثين في العصر الحاضر سيدنا المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين رضوان الله عليه يوضح هذه النقطة ويحلوها في كتابه الفريد (النص والاجتهاد) فيقول^(١) « وانت اذا تأملت في قوله (ص) ائتوني اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ، وقوله في حديث الثقلين : اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي » تعلم ان المرمى في الحديثين واحد ، وانه (ص) اراد في مرضه ان يكتب لهم تفصيل ما اوجبه عليهم في حديث الثقلين .

وانما عدل عن ذلك ، لان كلمتهم تلك التي فاجأوه بها اضطرتهم الى العدول اذ لم يبق بعدها اثر لكتابة الكتاب سوى الفتنة والاختلاف من بعده في انه هل هجر فيما كتبه (والعياذ بالله) او لم يهجر ، كما اختلفوا في ذلك فاختصموا واكثروا اللغو واللفظ نصب عينيه فلم يتسن له يومئذ اكثر من قوله لهم : قوموا كما سمعت ، ولو اصر فكتب الكتاب للجواني قولهم هجر ، ولأوغل اشياعهم في اثباب هجره « والعياذ بالله » فسطروا به اساطيرهم ، وملأوا طواميرهم رداً على ذلك الكتاب وعلى من يحتج به ، لهذا اقتضت الحكمة البالغة ان يضرب (ص) عن ذلك الكتاب صفحاً ، لئلا يفتح هؤلاء واولياؤهم باباً الى الطعن في النبوة « نعوذ بالله وبه نستجير » ، وقد رأى أن علياً واوليائه خاضعون لمضمون ذلك الكتاب سواء عليهم أكتب ام لم يكتب ، وغيرهم لا يعمل به ،

(١) ص ١٧٠ .

ولا يعتبره لو كتب ، فالحكمة - والحال هذه - توجب تركه ، اذ لا اثر له بعد تلك المعارضة سوى الفتنة كما لا يخفى اهـ .

واما الجواب على السؤال الثاني فان النبي صلى الله عليه وآله كان يريد ان يسجل الوصاية للامام بعد ان بلغها للناس في حجة الوداع تلك الوصاية على الامة التي نص عليها النبي في حديث الدار ، وفي اول يوم من ايام الاسلام حينما انذر عشيرته الاقربين ولم يؤزره على القيام بالامر الا علي عليه السلام .

وقد كانت سيرة النبي مع اخيه علي طيلة حياته تشعرهم بمقامه الاول بعد النبي وانه منه بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعده .

وحسبه تعريف الناس بأن حبه فرض ، وان سبابه كفر وانه الصديق الاكبر ، وانه الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وانه يعسوب الدين .

وقد عرفهم بانه رجل يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، ليس بفرار ، وانه مولى لكل من كان رسول الله مولاه ، وانه خليله وصاحبه وصهره ونفسه ، واخوه في الدنيا والآخرة .

اخوه إذا عدّ الفخار وصهره فلا مثله اخ ولا مثله صهر
وشدّ به أزر النبي محمدٍ كما شد من موسى بهارونه الازر

وقد عرف المعارضون هدف النبي من كتابة الكتاب قبل ان يكتب النبي حرفاً واحداً منه ، واكثروا من اللغو والضجيج مما لا يليق بحضرة النبي ليحولوا دون الكتابة فيغتنموا الفرصة لاختيار من يشاؤون بعد وفاة النبي .

نعم هذا واضح للباحث المنصف كل الوضوح وإلا فلماذا كل هذه الاثارة والثورة في وجه رسول الله - وهو ضيفهم الى الله -

انه صلى الله عليه وآله يريد قبل ان يفارقهم ان يكتب كتاباً للامة

لئلا يضلوا بعده ، وقد بين الرسول هدف الكتابة ، معللاً سببها وهو خوف ضلالهم بعده ، ومن حق النبي (ص) كما هدى الأمة ان يبعدها عن الغي والضلال ، وهو غرض شريف جدير بان يصدر عن نبي الرحمة . وهو ان دل على شيء فانما يدل على حنانه النبوي في آخر لحظات حياته التي كانت طوال أيامها وقفاً على الامة جمعاء .

وما أظن ان النبي (ص) وهو المعصوم قد انحرف - وحاشاه - عن المنطق في طلبه او بيان سببه ، فمن اين إذاً جاء حكم المعارضين عليه ولم يكتب حرفاً ولم يذكر لهم سوى هذا الطلب الصادر عن رحمة وحكمة .

والوصية هذه لا يعود نفعها للأشخاص وانما يعود للمجموع ، فالتفريط بها تفريط بمصلحة الامة العامة في مختلف العصور .

وهناك محادثة دارت بين عمر وابن العباس ايام خلافته تدل بوضوح على علم عمر برغبة النبي في النص على الامام غير ان عمر كان يرى المصلحة في ان يقف حاجزاً دون هذا النص فيقول : « ان رسول الله (ص) اراد ان يذكره للامر في مرضه فصددته عنه خوفاً من الفتنة ، وانتشار (كذا) امر الاسلام ، فعلم رسول الله ما في نفسي وأمسك^(١) .

ويقصد عمر من قوله (خوفاً من الفتنة) هو ان الامام قد قتل كثيراً من آباء المسلمين واقربائهم فلا يرضون بوصايته لأنه موتور لهم فيكون هذا سبباً للفتنة .

وهناك آراء اخرى كانت تذكر كعذر لاقدام من اقدم على ترك النص

(١) ص ١١٤ المجلد الثالث من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، والظاهر ان عبارة وانتشار أمر الاسلام خطأ في الطبع وصحيحها (وعدم انتشار أمر الاسلام) لان التخوف لا يكون من انتشار الاسلام .

يقول العلامة ابن أبي الحديد^(١) : « والقوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم ان العرب لا تطيع علياً عليه السلام فبعضها للحسد ، وبعضها للوتر والنار ، وبعضها لاستحداًهم سنّه ، وبعضها لاستطالته عليهم ورفعه عنهم ، وبعضها كراهية اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد ، وبعضها للخوف من شدة وطأته في دين الله ، وبعضها خوفاً لرجاء تداول قبائل العرب الخلافة اذا لم يقتصر بها على بيت مخصوص عليه فيكون رجاء كل حي لوصولهم اليها ثابتاً مستمراً ، وبعضها بيبغضه لغضهم من قرابته لرسول الله (ص) وهم المنافقون من الناس ، ومن في قلبه زيغ من امر النبوة فأصفق الكل اصفافاً واحداً على صرف الامر عنه لغيره ، واحتج رؤساؤهم بأننا خفنا الفتنة وعلمنا ان العرب لا تطيعه ولا تركه ، وتأولوا عند انفسهم النص ولا ينكر النص ، وقالوا انه النص ولكن الحاضر يرى ما لا يرى — الغائب — والغائب قد يترك لاجل المصلحة الكلية » .

والواقع ان عمر كان في خلافته في منتهى التقدير لشخصية الامام ، يذكره بما يليق ويلوح من طرف قريب الى النص فهذا ابو بكر الانباري يروي في اماليه فيقول : « ان علياً عليه السلام جلس الى عمر في المسجد وعنده ناس فلما قام عرض واحد بذكره ونسبه الى التيه والعجب ، فقال عمر حق لمثله أن يتيه ، والله لولا سيفه لما قام عمود الاسلام ، وهو بعد اقضى الامة ، وذو سابقها ، وذو شرفها ، فقال له ذلك القائل فما منعكم يا أمير المؤمنين عنه قال : كرهناه على حدائث السن ، وحببه بني عبد المطلب »^(٢) .

وانظر اليه كيف يسعى الى الامام ليستفتيه في مشكلة استعصى عليه حلها مكبراً حسب علمه فهذا ابن أبي الحديد يحدث فيقول : « إن عمر نزلت

(١) ص ١١٦ المجلد الثالث .

(٢) ص ١١٥ المجلد ٣ من شرح النهج .

به نازلة فقام لها وقعد ، وترنح لها وتقطر ، وقال لمن عنده معشر الحاضرين ما تقولون في هذا الامر !! فقالوا يا أمير المؤمنين انت المفزع والمنزع فغضب وقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، ثم قال اما والله اني واياكم لتعلم ابن يحدتها ، والخير بها ، قالوا : كأنك أردت علي ابن ابي طالب قال وانتي يعدل بي عنه ، وهل طفحت حرة مثله ، قالوا فلو دعوت به يا أمير المؤمنين ، قال هيهات إنَّ هناك شمعاً من هاشم واثرة من علم ولحمة من رسول الله (ص) يؤتى ولا يأتي فامضوا بنا اليه فاقصفوا نحوه ، وافضوا اليه فألفوه في حائط له عليه تبان وهو يترك كل على مسحاته ويقرأ «أحسب الإنسان ان يترك سدى» الى آخر السورة ودموعه تهمي على خديه فأجهش الناس بالبكاء فبكوا ثم سكتوا فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها ، فقال عمر : «والله لقد أرادك الحق ولكن ابي قومك فقال : يا ابا حفص خفض عليك من هنا ومن هنا إنَّ يوم الفصل كان ميقاتاً^(١) .»

* * *

(١) ص ١١٤ من الشرح ج ٣ لابن ابي الحديد.

حَاجَتُنَا إِلَى السُّنَّةِ

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَادَّبُوا أَمْرًا مِنْكُمْ
فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » .

« الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ »

حسبنا كتاب الله

وحيث قد أخذنا على عاتقنا ايضاح الحقائق كما يفرضه البحث بقيت نقطة واحدة من حديث الدواة والقرطاس لا بد من تمحيصها ، وتسليط الاضواء عليها وهي قول عمر في جواب النبي صلى الله عليه وآله « عندنا القرآن حسبنا كتاب الله » وقوله هذا صريح بأنه لا حاجة الى السنة ما دام القرآن موجوداً عند المسلمين .

وهذا فيما اعتقد اشد خطراً من قوله السابق ، إذ أن مصدر التشريع للدين الاسلامي القرآن والسنة باجماع المسلمين وقد جاء بذلك القرآن الكريم فقال : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » وقد قال امير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية من كلام له في التحكيم « فردّه الى الله أن تحكم بكتابه ، وردّه الى الرسول أن تأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا حكم بالصدق في كتاب الله فنحن احق الناس به وان حكم بسنة رسول الله (ص) فنحن اولاهم به^(١) . وقال ايضاً سلام الله عليه في عهده إلى مالك الاشتر من جملة كلام له :

« وارجو الى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ، ويشته عليك

(١) ص ٢٢٨ نهج البلاغة الجزء الاول .

من الامور ، فقد قال الله تعالى لقوم أحب ارشادهم (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) فالرد الى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والرد الى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة .

وقال سلام الله عليه من خطبة له عند مسير اصحاب الجمل الى البصرة :
« وانما طلبوا هذه الدنيا حسداً لمن افاءها الله عليه فأرادوا رد الامور على ادبارها ، ولكم علينا العمل بكتاب الله تعالى ، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ، والقيام بحقه ، والنعمش لسته (١) » .

وقد ذكر الامام اموراً اربعة يجدر بالامام ان يحرص عليها ، ويقصر عمله على طبقها وهي :

١ - العمل بكتاب الله تعالى فيأتمر بأوامره ، وينتهي عن نواهيه ويعمل على طبقه في كل ما بحث عليه .

٢ - العمل بسيرة الرسول لأنها منبثقة عن كتاب الله المنزل فيعمل جاهداً على تنفيذها بدون زيادة او نقصان .

٣ - القيام بحق الرسول الاعظم وهو حبه ، واطاعته ، ومودة قرياه اداء لاجر رسالته .

٤ - النعمش لسته اي الرفع لها والرفع لها ، تعظيمها بامتثالها ، والاقتداء بها ، واتباع احكامها قال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم » . وقال تعالى : « قآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون » . وقال تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

(١) ص ٩٧ الجزء الثاني من نهج البلاغة تعليق الامام محمد عبده .

نعم لقد كان رسول الله (ص) احسن اسوة للمسلم ، وخير قدوة للمؤمن وهو صلى الله عليه وآله كما قال الامام « ارسله - الله - داعياً الى الحق وشاهداً على الخلق فبلغ رسالات ربه غير وان ولا مقصر ، وجاهد في الله اعداءه غير واهن ولا معذر ، امامٌ من اتقى ، وبصّر من اهتدى ^(١) » .

ولا شك ان الامر بالاتباع هنا للوجوب وهو يستدعي حب الله ومغفرته ، والهداية الى طريق الحق ، كما هو صريح هذه الآيات الكريمة وهي اسباب كافيه تدفع بالمسلم ان يسير على الجادة ، متبعاً « سنة » النبي صلى الله عليه وآله في اقواله وافعاله وتقريره من اوامر ونواهي وامثال ، وحكم ، وأحكام .

والنبي صلى الله عليه وآله انما يجب اتباعه لوجوب طاعته لأن طاعته من طاعة الله تعالى ، قال عز من قائل : « ومن يطع الرسول فقد اطاع الله » . وقال : « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله » . وقال تعالى : « وما أتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » . وقال : « وما ارسلنا من رسول الاّ ليطاع باذن الله » .

قال القاضي عياض في « الشفا » ^(٢) « فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته ، فطاعته امثال لما امر الله به وطاعة له » .

وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون : « يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول » فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني ، وقال صلى الله عليه وسلم « اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، واذا امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » .

وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ، عنه صلى الله عليه وسلم

(١) ص ٢٤٦ نهج البلاغة تعليق للامام محمد عبده .

(٢) ص ٥ الجزء الثاني من الشفا بتعريف حقوق المصطفى .

كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى ، قالوا : ومن أبى ؟ قال : من اطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى .

وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم « مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوماً فقال : يا قوم اني رأيت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء النجاء فأدبلجوا ، فأطاعه طائفة من قومه فأدبلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبتهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني ، وكذب ما جئت به من الحق » .

وفي الحديث الآخر في « مثله كمثل من بنى داراً ، وجعل فيها مأدبة ، وبعث داعياً ، فمَن اجاب الداعي دخل الدار ، واكل من المأدبة ، ومن لم يُجب الداعي لم يدخل الدار ، ولم يأكل من المأدبة ، فالدار الجنة ، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم ، فمَن اطاع محمداً فقد اطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس : انتهى كلامه » .

ولا شك ان المحب يحرص كلى الحرص على الطاعة ، ويبتعد كل البعد عن التجاني والمعصية والله در القائل :

تعصي الآله وانت تظهر حبه هذا لعمرى في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

* * *

ويبدو أن عمر كان في وفاة النبي الكريم صلى الله عليه وآله لا يزال على رأيه السابق من الاقتصار على القرآن كمصدر للتشريع الاسلامي كما يتضح من رواية الزهري^(١) يقول : « اخبرني انس بن مالك انه سمع عمر

(١) ص ٨٧ من الطبقات الكبرى لابن سعد الجزء الرابع .

ابن الخطاب الغد حين بويج ابو بكر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد قبل ابي بكر، ثم قال أما بعد فاني قلت لكم امس مقالة لم تكن كما قلت ، واني والله ما وجدتھا في كتاب انزله الله ، ولا في عهد عهده إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني كنت ارجو ان يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كلمة يريد حتى يكون آخرنا ، فاختار الله لرسوله الذي عنده على الذي عندكم ، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم فخذوا به تهتدوا لما هدي له رسول الله صلى الله عليه وسلم . ٢٨١ .

ذكر القرآن ولم يعرج على ذكر السنة المقدسة بتلميح او تصريح ، وهو على منبر الرسول وفي مسجده المطهر ، وفي ايام كلها احزان على فقيد السنة الجامعة الناطقة بالصواب ، والمبينة للكتاب .

والاخذ بالكتاب انما يكون بعد التفهم والتدبر وانتي لعامة الناس ان تفهم كتاب الله المنزل لترجع اليه ، وفي الكتاب من العموم والخصوص ، والمطلق والمقيد ، والناسخ والمنسوخ ، والمتشابه ما يعسر فهمه على العالم فكيف بالجاهل .

فلا بد في فهم ذلك من الاعتماد على اعدال الكتاب الذين وعوا في صدورهم كل ما افرغه النبي الأعظم في عقولهم من أسرار وعلوم .

فانظر الى الامام سلام الله عليه كيف يعرف الامة بأهل هذا البيت الطاهر فيقول مخاطباً أصحابه : « واعلموا انكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذته فالتمسوا ذلك من عند اهل فأنهم عيش العلم ، وموت الجهل ، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم ،

وصحتهم عن منطقهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه ، فهو بينهم شاهد صادق ، وصامت ناطق^(١) .

وإذا كان عمر - وهو الصحابي الجليل - يقع بالمشكلة التي وقع بها من توهم بقاء النبي (ص) مع ان الموت بدني وطبيعي يعرض لكل انسان لان كل نفس ذائقة الموت ، وقد عرف الموت كل من عرف الحياة .

إذا كان هذا الصحابي الزايع يعرض له مثل ذلك فهل عامة الناس تستطيع ان تفهم الاحكام ، تعرف الخالص والعام ١١٢٢ !

الجواب بالسلب من غير شك .

فلا بد إذا من الحاجة الى « السنة » في فهم « القرآن » لان النبي (ص) هو المبلغ ، والسنة هي الميمنة لاسراره العجيبة التي لا يعرفها الا الله تعالى والراسخون في العلم ، واخبار ائمة أهل البيت من السنة ، لأنهم جزء لا يتجزأ من جدهم الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم كما قال الامام في وصفهم « فيهم كرائم القرآن ، وهم كنوز الرحمان ، ان نطقوا صدقوا ، وان صمتوا لم يسبقوا^(٢) » .

والقرآن الكريم دستور الاسلام الاول اقتصر على ذكر المبادئ الاسلامية العامة ، واعتمد على بيانه وتفصيل احكامه على السنة النبوية المقدسة فلو اريد ابعاد السنة عن الكتاب لتعطلت كثير من الاحكام .

فالصلاة من الواجبات التي شرعها الاسلام ، ونص عليها القرآن وهي عمود الدين ولكن عدد فرائضها ، ومعرفة احكامها تكفلت بها « السنة النبوية » المقدسة .

(١) ص ٢٨٦ الجزء الاول من النهج تعليق الامام عبده .

(٢) ص ٢٩٨ الجزء الاول من تعليق الامام عبده .

والآيات القرآنية على كثرتها لم تتعرض لخصوصيات الصلاة إلا للركوع والسجود ، وهما اعظم مظهر للخصوع والخشوع بين يدي الله تعالى تقدمت اسماءه قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » .

وقال : « والله يسجد من في السماوات والارض طوعاً وكرهاً ، وظلالهم بالغدو والآصال » . وقال : « والله يسجد ما في السموات ، وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » . وقال : « الم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس » الى غير ذلك من الآيات الكريمة .

ولا شك ان المقصود من السجود فيما عدا الانسان هو السجود اللغوي المنبعث عن الخضوع ، ومن « السنة » استطعنا ان نعرف ان السجود في الصلاة لا بد ان يكون معه لفظ خاص لتكون الصلاة مؤداة على النحو المشروع .

ومن المعلوم انه لا بد من الوضوء اذا اراد المسلم الصلاة ، اذ لا صلاة الا بطهور ، واذا تعذر الماء وجب التيمم سواء أكان للصلاة ام للاغتسال من الجنابة وقد وقع خلاف في مفهوم التيمم بين الخليفة عمر وبين عمار ابن ياسر فذكر عمارُ عمر بقول الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الحادثة فرجع الى قول عمار .

يحدث شيخ الصوفية والعارفين في كتابه « كشف الغمة » عن جميع الأئمة فيقول : « جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين : إننا نكون بالمكان الشهر او الشهرين ويحجب احدنا فلا نجد الماء فقال عمر : اما انا فلم اكن اصلي حتى اجد الماء ، فقال عمار بن ياسر يا امير المؤمنين

اما تذكر اذ كنت وانت في الابل فأصابتنا جنابة فأما انا فتمعكت فأتينا النبي (ص) فذكرنا ذلك له فقال : إنما كان يكفيك أن تفعل هكذا : وضرب يديه الى الارض ثم نفخها ثم مسح بهما وجهه ويديه الى نصف الذراع ، وفي رواية الى نصف الساعد ولم يبلغ المرفقين ضربة واحدة .

وفي رواية مسح وجهه وبعض ذراعيه ، وفي رواية ثم مسح بهما وجهه وكفيه ، فلما قال عمار ذلك قال له عمر اتق الله يا عمار ، فقال والله يا امير المؤمنين إن شئت لم اذكرها لاحد ابداً ، قال عمر : كلا والله لنولينك من ذلك ما توليت ، ورجع الى قول عمار (١) .

ويظهر ان ولده عبد الله بن عمر كان على هذا الرأي ايضاً . يقول الشعراني : « وكان عبد الله بن عمر يقول : لو اجنب رجل فلم يجد الماء شهراً لم يتيمم فقال له يوماً ابو موسى الاشعري فكيف بهذه الآية في سورة المائدة « فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً » فما درى عبد الله ما يقول (٢) » .

ويظهر ان تحديد ترك الصلاة شهراً إذا لم يجد الماء مأخوذ من فتوى ابيه كما يظهر ذلك من ابن حزم قال : « وافق عمر المجنب في السفر ان لا يصلي شهراً بالتيمم ولكن يترك الصلاة حتى يجد الماء (٣) » .

وقد اجهدت نفسي على ان اجد مستنداً لهذا الرأي في المذاهب الخمسة الاسلامية فلم اظفر بذلك ، مع العلم بأن الاجماع قد قام عندهم جميعاً على ان الصلاة لا تترك في حال .

(١) ص ٧٨ الجزء الاول من (كشف الغمة) للشيخ عبد الوهاب الشعراني .

(٢) ص ٧٨ نفس المصدر والصفحة .

(٣) ص ٨١٢ المجلد الثاني من « الإحكام في اصول الأحكام » مطبعة الامام = القاهرة اخراج المرحوم احمد شاكر .

ان مسألة التيمم فيها آية محكمة ومع ذلك حصل فيها الخلاف بين صحابيين ، ولولا الرجوع الى قول النبي صلى الله عليه وآله لبقى عمر على رأيه ، وأصبح قوله سنة :

ومن اقسام الصلاة الواجبة « صلاة الجنائز » ولم يتعرض لها القرآن الكريم وانما عرفنا وجوبها من (السنة) والسنة التي جاءت عن النبي هي قد صرحت بعدد تكبيراتها وما يقرأ اثناء التكبير ، وهي كما وردت عنه صلى الله عليه وآله خمسة ، وهذا الامام احمد يخرج في مسنده من حديث زيد بن ارقم عن عبد الاعلى فيقول : « صليت خلف زيد بن ارقم على جنازة فكبر خمساً ، فقام اليه ابو عيسى عبد الرحمان بن ابي ليلى فأخذ بيده فقال : أنسيت ؟ قال : لا ، ولكني صليت خلف ابي القاسم خليلي (ص) فكبر خمساً فلا اتركها ابداً اهـ (١) .

واخرج الامام احمد ايضاً في مسنده من حديث حذيفة من طريق يحيى ابن عبد الله الجابر ، قال : صليت خلف عيسى مولى لحذيفة بالمداثن على جنازة فكبر خمساً ، ثم التفت اليها فقال : ما وهمت ولا نسيت ولكن كبرت كما كبر مولاي وولي نعمتي حذيفة بن اليمان ، صلى على جنازة وكبر خمساً ، ثم التفت اليها فقال : ما نسيت ، ولا وهمت ولكن كبرت كما كبر رسول الله (ص) (٢) » .

وهذا موافق لما ورد عن أئمة اهل البيت عليهم السلام لذلك اجمعت كلمة الامامية في كتبهم الفقهية على هذه التكبيرات الخمس على عدد الفرائض الخمس .

وكانت هذه الصلاة هي المتبعة في عهد النبي الاعظم وعهد ابي بكر

(١) ص ٢٧٠ الجزء الرابع من مسند الامام .

(٢) ص ٤٠٦ من الجزء الخامس .

ايام خلافته ، ثم بدا لعمر أن يجعلها اربعاً ، وقد عدّها العلامة السيوطي في اوليات عمر من كتابه^(١) (تاريخ الخلفاء) وغيره من الاعلام ، واصبحت سنة لدى المذاهب الاربعة من ذلك العهد الى اليوم الحاضر .

وقد قال النبي صلى الله عليه وآله « صلوا كما رأيتموني اصلي » وقوله هذا يشمل كل صلاة فلا يمكن إذأً لنا الزيادة فيها او النقصان اذا اردنا ان نأتي بها على نحو ما وردت عن رسول الله صلوات الله عليه .

ان صلاة القصر قد نص عليها القرآن الكريم ولكن النص اقتصر على صلاة القصر المسببة عن الخوف ، ومن السنة النبوية فهمنا ان الصلاة تقصر في السفر ايضاً بدون شرط الخوف فهذا الامام مسلم يحدث في صحيحه^(٢) عن سالم بن عبد الله عن ابيه فيقول : ان رسول الله (ص) صلى صلاة المسافر بمئى وغيره ركعتين وابو بكر وعمر ، وعثمان ركعتين صدرأً من خلافته ثم اتمها اربعاً .

ويقول ايضاً عن نافع عن ابن عمر قال : « صلى رسول الله (ص) بمئى ركعتين ، وابو بكر بعده ، وعمر بعد ابي بكر ، وعثمان صدرأً من خلافته ، ثم ان عثمان صلى بعد اربعاً فكان ابن عمر اذا صلى مع الامام صلى اربعاً ، واذا صلاها وحده صلى ركعتين^(٣) » .

ويقول ايضاً محدثاً عن ابراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد يقول : « صلى بنا عثمان بمئى اربع ركعات فقل ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع ثم قال : صليت مع رسول الله (ص) بمئى ركعتين ، وصليت مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه بمئى ركعتين ، وصليت مع عمر بن الخطاب رضي

(١) ص ١٣٧ قال : واول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات .

(٢) ص ٢٦٠ الجزء الاول صحيح مسلم .

(٣) ص ٢٦٠ الجزء الاول صحيح مسلم .

الله عنه بمنى ركعتين ، فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متبيلتان^(١) .
ويحدث ابن حجر في كتابه (بلوغ المرام من ادلة الاحكام) فيقول :
« وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « ان الله تعالى يُحب أن تؤتى رخصه ، كما يكره ان تؤتى معصيته »
رواه احمد ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان^(٢) .

وكان يثني خيراً على المقصرين في السفر فيقول صلى الله عليه وآله — كما
يرويه جابر — « خير امتي الذين اذا اساؤا استغفروا ، واذا سافروا قصرُوا
وأفطروا^(٣) .

ومن « السنة » ايضاً استطعنا ان نعرف جواز الجمع بين الظهر والعصر ،
والمغرب والعشاء في السفر والحضر وفي الصحو والمطر وبعلة وبدون علة
كما تدل على ذلك الروايات الصحيحة .

فمن الروايات التي تدل على انه صلى الله عليه وآله كان يجمع في السفر
بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء رواية انس عن النبي (ص) « اذا عجل
عليه السفر يؤخر الظهر الى اول وقت العصر فيجمع بينهما ، ويؤخر
المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء حين يغيب الشفق^(٤) .

وهذا امر متفق عليه في السفر بين المذاهب الاسلامية ، واما الجمع
من غير خوف ولا سفر فالذي يدل عليه ما رواه سعيد بن جبير عن حبر
الامة عبد الله بن عباس قال صلى رسول الله (ص) الظهر والعصر جميعاً ،
والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر^(٥) .

(١) ص ٢٦١ نفس المصدر .

(٢) ص ٨٦ بلوغ المرام لابن حجر .

(٣) ص ٨٨ بلوغ المرام لابن حجر .

(٤) ص ٢٦٤ الجزء الاول من صحيح الامام مسلم .

(٥) ص ٢٦٤ الجزء الاول من صحيح مسلم .

وروى سعيد بن جبير ايضاً عن ابن عباس قال صلى (ص) الظهر والعصر جميعاً بالمدينة في غير خوف ولا سفر ، وقال ابو الزبير فسألت سعيداً لم فعل ذلك ؟؟ فقال سألت ابن عباس كما سألتني فقال اراد ان لا يخرج احداً من امته^(١) . ومن اراد تفصيل ذلك فليرجع الى باب الجمع بين الصلاتين من صحيح الامام مسلم فقيه بغية الباحث الفقيه .

وعلى هذا عمل الامامية منذ السابق حتى اليوم ، فانها تجمع بين هذه الصلوات اتباعاً للحكمة البالغة التي اوضحها حبر الامه .

والغريب أن اخواننا من اهل المذاهب الاربعة يحسبون بطلان هذا هذا الجمع ، وانه لا يجوز الا في حال الاضطراب ، مع ما عرفت من حصوله من النبي الكريم في المدينة المنورة موضع الاطمئنان والاستقرار .

ومن السنة عرفنا ايضاً شروط صلاة الجمعة وصلاة العيدين والكسوف وكثيراً من احكام الصلاة بالاضافة الى كل ما يتعلق بالطهارة واحكامها . وكل ما يعود للاقامة والاذان والوضوء^(٢) .

* * *

ومن واجبات الاسلام الصيام وقد نص عليه القرآن الكريم فقال تعالى :
« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى

(١) ص ٢٦٤ نفس المصدر .

(٢) من اراد تفصيل آراء المسذاهب الاسلامية الخمسة في الوضوء فليرجع الى مسائل فقهية» للامام المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين فقد حوت هذه الرسالة الجامعة على صفرها - ما لم تحو مطولات الكتب من الدقة ، وبرز آراء الامامية مستفاد من القرآن والسنة ببراهين علمية منطقية لا تقبل الرد .

وقد طبعت هذه الرسالة طبعات عديدة في لبنان والعراق ايام حياته وبعد وفاته وكانت هذه « المسائل » مثار اعجاب الاعلام ، ومحل فائدة الخاص والعام ، رحمه الله رحمة واسعة ، ونفع بعلمه وقلبه ما بقيت اثاره خالدة النشر ، فواحة الذكر .

والفرقان فمن شهد منكم الشهرَ فليصمه ومن كان مريضاً او على سفر
فعدةٌ من ايام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا
العدةَ ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون « ومن الآية
الكريمة نفهم بصراحة افطار الصائم في السفر لان الله تعالى يريد اليسر للناس
ولا يريد بهم العسر .

وقد اجمعت الامة الاسلامية على جواز الافطار وانما الخلاف في انه
هل يتعين الافطار ، او ان المسافر مخير بين الافطار والصوم .

فالامامية ترى الافطار في السفر عزيمة فلا يجوز الصيام وذكر سيدنا
في « مسائل فقهية » ان ما تراه الامامية هو مذهب جماعة من الصحابة^(١)
كعمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الرحمن
ابن عوف ، وابي هريرة ، وعروة بن الزبير .

ويرى الجمهور من المذاهب الاسلامية الاربعة أن الافطار في السفر
رخصة فللمسافر الصوم ان شاء او الافطار .

ولكن لو رجعنا الى « السنة » النبوية المقدسة لوجدنا صراحة في القول
بلزوم الافطار فهذا ابن حجر العسقلاني يحدث في كتابه (بلوغ المرام)
من ادلة الأحكام فيقول : « وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح الى مكة في رمضان
فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس ، ثم دعا بقدر من ماء فرفعه
حتى نظر الناس اليه فشرب ، ثم قيل له بعد ذلك : ان بعض الناس قد صام ،
فقال : « اولئك العصاة ، اولئك العصاة »^(٢) .

ومثل ذلك روى العياشي بسنده الى محمد بن مسلم عن الامام ابي عبد الله

(١) راجع ص ٧٢ من المسائل طبع دار الاندلس .

(٢) ص ١٣٥ بلوغ المرام تعليق الاستاذ محمد حامد النقي من علماء الازهر .

الصادق عليه السلام قال : « نزلت هذه الآية » فمن كان منكم مريضاً او على سفر » بكراخ الغنيم عند صلاة الفجر ، فدعا رسول الله بانه فيه ماء فشرب وامر الناس ان يفطروا (١) .

وهذا صاحب « زبدة البخاري » يقول : عن جابر : ما هذا ؟؟ ليس من البر الصوم في السفر ، قاله (ص) لما رأى رجلاً قد ظلل عليه (٢) .

ولا شك ان اطلاق الرسول (ص) اسم العصاة على الصائمين ثم تعبيره عن الصوم في السفر انه ليس من البر لا كبر دليل على عدم جواز الصوم في حالة السفر اذ ان العصيان لا يأتي إلا من فعل المحرم ، ولو كان الافطار من باب الرخصة لا من باب العزيمة لحاز الافطار والصوم وكان المسافر غيراً بينهما كما هو واضح .

* * *

ومن واجبات الاسلام « الزكاة » وقد قرنها القرآن الكريم مع الصلاة فقال تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » وقال : « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وبالآخرة هم يوقنون » وقال : « الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور » .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تشعرنا بنظرة الكتاب الى الزكاة واهتمامه الشديد بها وحسبنا منه قوله تعالى « وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون » .

(١) ص ٧٣ « مسائل فقهية » .

(٢) ص ١٢٢ من (زبدة البخاري) للشيخ عمر غنياء الدين جمع فيه كل ما في صحيح البخاري من الاحاديث القولية النبوية (الطبعة الثانية) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

فجعل تعالى الزكاة شعار المؤمن بالآخرة ، وجعل منعها شعار الكافر الذي لا يؤمن باليوم الآخر ، وفي ذلك كفاية لحث المسلم عليها ، وبذل الحق المعلوم للسائل والمحروم « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقون من شيء فإن الله به عليم »^(١) .

ولم يذكر القرآن الكريم غير ان في الاموال حقاً معلوماً للسائل والمحروم امّا ما هو هذا الحق فقد تكفلت في بيانه (السنة) المقدسة كما انها قد اوضحت زكاة المال واركائها ، وزكاة الانعام والنظر في الشرائط واللواحق ، وزكاة الذهب والفضة ، وزكاة الغلات وما يستحب فيه الزكاة ، وزكاة الفطر واركائها كما هو مفصل في الكتب الفقهية^(٢) فليرجع اليها من اراد الاطلاع .

* * *

ومن الواجبات في الاسلام ايضاً الخمس لآل هاشم وقد جاء به القرآن الكريم فقال تعالى : « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » .

إن الامامية تقسم الخمس ستة اسهم : لله تعالى ولرسوله سهران وهذان مع السهم الثالث (سهم ذي القربى) للامام القائم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله ، والثلاثة الباقية لليتامى والمساكين وابن السبيل من آل محمد خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم لأن الله سبحانه حرم عليهم الصدقات فعوضهم عنها الخمس وهذا ما رواه الطبري في تفسيره عن الامامين

(١) راجع الجامع لمواضيع القرآن الكريم لمحمد فارس بركات .

(٢) راجع في ذلك « المختصر النافع » في فقه الامامية للامام المحقق الحلي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ وغيره من الكتب الفقهية التي شرحت هذه الاحكام المتعلقة في الزكاة .

علي بن الحسين زين العابدين ، وابنه محمد بن علي الباقر عليهما السلام (١) .

وقد تناول أبو بكر أيام خلافته فأسقط سهم النبي . وسهم ذي القربى بموته صلى الله عليه وآله (٢) ومنع بني هاشم من الخمس الذي كان من حقهم أخذه في زمن النبي (ص) وجعلهم كغيرهم من يتامى المسلمين ومساكينهم وأبناء السبيل منهم مع أن الصدقة محرمة عليهم يقول ابن حجر في « بلوغ المرام » : « وعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس » وفي رواية « وأنها لا تحل لمحمد ، ولا لآل محمد » رواه مسلم (٣) .

ويحدث ابن حجر أيضاً فيقول : « وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي (ص) فقلنا : يا رسول الله ، أعطيت بني المطلب من خمس خبير وتركنا ، ونحن وهم بمنزلة واحدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد » (٤) رواه البخاري .

وقصده صلى الله عليه وآله أن بني المطلب يشاركون بني هاشم في سهم ذي القربى فتحرم عليهم الصدقة .

ويحدث ابن حجر أيضاً فيقول : وعن أبي رافع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على الصدقة من بني مخزوم فقال لأبي

(١) راجع ص ١١٣ من (النص والاجتهاد) طبع دار النعمان - النجف الاشرف سنة ١٣٨٢ هـ .
(٢) راجع ص ٢٢٢ الجزء الثاني من الكشاف فإن كلام ابن عباس صريح بأن الخمس كان على ستة أسهم . لله والرسول سهان وسهم لأقاربه حتى قبض فاجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء ، وإن أبا بكر منع بني هاشم من الخمس .

(٣) ص ١٢٩ بلوغ المرام من أدلة الأحكام .

(٤) ص ١٢٩ نفس المصدر .

رافع اصحبني فانك تصيب منها ، فقال : لا ، حتى آتي النبي (ص)
فأسأله فأتاه فسأله ، فقال : « مولى القوم من انفسهم ، وانها لا تحمل لنا
الصدقة » رواه احمد والثلاثة وابن خزيمة وابن حبان^(١) .

* * *

ومن الواجبات في الاسلام حج بيت الله الحرام من استطاع اليه سبيلا
قال تعالى : « إنَّ اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين
فيه آياتٌ بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج
البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » .

ومن « السنة » النبوية المقدسة استطعنا ان نعرف شروط وجوب الحج
وانواعه من تمتع ، وقِيران ، وافراد ، ومواقيت الحج للبلاد الاسلامية ،
وواجبات الإحرام ، والأمور التي يجب تركها على المحرم ، وفيما تجب فيه
كفارات الاحرام وما لا تجب ، وفي احكام الطواف وواجباته ، وفي
صلاة الطواف ، وفي السعي بين الصفا والمروة ، وفي التقصير بعد الفراغ
من السعي وانه يحل للحاج بعد التقصير كل ما حرم عليه بالاحرام حتى النساء
وهذا ما يسمى بمتعة الحج وهو جائز في الفقه الجعفري ، وتحرم في فقه
المذاهب الاربعة لمنع عمر بن الخطاب له فقد قال كلمته المشهورة : متعتان
كانتا على عهد رسول الله (ص) وابي بكر انا احرمهما واعاقب
عليهما متعة النساء ومتعة الحج كما سنوضح ذلك فيما بعد عند كلامنا عن
(المتعيتين) .

ومن السنة عرفنا انه يجب بعد الفراغ من عمرة التمتع الاثنيان بحج
التمتع وذلك بأن ينشئ إحراماً من المسجد يوم الترويه وان واجباته تسعة
الاحرام والوقوف بعرفات . والوقوف بالمشرع واعمال منى وهي رمي

(١) ص ١٣٠ نفس المصدر .

الجمار والنحر والذبح ، والحلق أو التقصير ، ثم الطواف في البيت بعد الرجوع الى مكة ، والسعي ثم طواف النساء^(١) ، وهو واجب عند الامامية فقط وهو كطواف الحج في جميع الواجبات والمستحبات . ونيته واجبة ويستحب التلفظ بها وذلك بأن يقول : اطوف طواف النساء لحج التمتع وجوباً لإصالة قربة الى الله تعالى ، وإن كان نائباً عن احد قال نيابة عن فلان بذكر اسم الشخص المناب عنه .

والحاج يحل له بعد اعمال منى جميع ما كان محرماً عليه بالاحرام الاً الطيب والنساء والصيد ، وبطواف الزيارة — وهو الطواف الاول — بعد الرجوع من منى وبعد السعي يحل له الطيب فقط فاذا طاف طواف النساء حلت له النساء .

ثم يعود الحاج الى منى في نفس اليوم العاشر للقيام بما يجب في ليالي التشريق ثم يؤوب الى مكة فيطوف استحباً طواف الوداع عند الامامية والمالكية ، ووجوباً عند غيرهم من بقية المذاهب الاسلامية وعندئذ يجوز للحاج الصيد خارج الحرم لانتفاء اعمال الحج ويصبح في اعماله مطلق الحرية كما كان قبل الاحرام .

ومن الواجبات في الاسلام (الجهاد) وهو كما يكون بالسيف والسنان يكون بالامر بالمعروف عن طريق البيان قال تعالى : « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج » وقال في الامر بالمعروف « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » .

(١) طواف النساء واجب على الرجال والنساء ، وكل منها لا يحل للاخر بدونه ، ومن ترك هذا الطواف عليه ان يعيده بنفسه مع التمكن والا استناب من يطوف عنه ، وكذا الطفل المميز ، واما غير المميز فلا يجوز عقد النكاح له ، وتحرم عليه النساء بعد البلوغ حتى يطاف عنه ، او يطوف هو بعد البلوغ بنفسه او بنائبه كما فصلته الكتب الفقهية عند الامامية .

ومن « السنة » المقدسة استطعنا ان نعرف مَن يجب عليه الجهاد ومَن يجب جهادهم ، وشروط قبول الجزية ، وقسمة الفبيء والنظر في الاسارى ، واحكام الارضين ، وشروط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

* * *

وقد عرض القرآن الكريم للتجارة - والدين - والايمان على الاجمال ولكن « السنة » المقدسة قد عرضت لكل التفاصيل .

ففي « السنة » عرفنا ما يكتسب به وما يحرم من انواعه وما يكره الكسب به لافضائه الى المحرم .

وعرفنا البيع وآدابه وشروطه ، وعرفنا بيع الخيار والنظر في اقسامه واحكامه ، ولواحق البيع . والربا ، وبيع الثمار ، وبيع الحيوان ، وبيع الساف .

ومن السنة عرفنا شروط الدين ، وعرفنا ان كل قرض يجر منفعة فهو حرام . وانه تحرم المماطلة بالوفاء مع القدرة كما تحرم مضايقة المدين مع الاعسار ، ومنها عرفنا استثناء دار السكنى في وفاء الدين فانه لا يجب على المدين بيع داره لتسديد دينه ، وعرفنا ان الدين المؤجل يصير حالاً بموت المدين ، وان الحق لا يسقط بمرور الزمان وان ترك صاحبه المطالبة به ، وعلمنا منها جواز اخذ الدين عن طريق المقاصة ، فقد سئل الامام الصادق عليه السلام عن الرجل يكون له على الرجل دين فيجحده ، ثم يظفر من ماله بقدر الذي جحد ، أياخذه وإن لم يعلم الجاحد بذلك ؟ قال : نعم .

ومن « السنة » عرفنا شروط الخالف وعلمنا ان القسم انما يكون ملزماً اذا كان بالله دون سواه .

وعلمنا انه لا يجوز قسمٌ في تحليل حرام ، ولا تحريم حلال ، ولا قطيعة رحم ، وانه لا يمين لولد مع والده ، ولا لمملوك مع مولاه ، ولا

للمرأة مع زوجها ، كما انه لا يمين في غضب او إجبار ، وكل يمين لا يراد بها وجه الله تعالى في طلاق او عتق فليس بشيء^(١) كما انه لا يمين في معصية الله .

* * *

ان القرآن الكريم عرض للنكاح بصورة مجملة ومن « السنة » النبوية عرفنا اقسام النكاح الدائم ، والنكاح الموقت ، ونكاح الاماء وعرفنا صيغة العقد واحكامه وآدابه ، واولياء العقد ، واسباب التحريم والنظر في المهر واحكامه .

ومن السنة عرفنا حلّية « المتعتين » متعة الحج ، ومتعة النساء اما اساس مشروعيتها فمما اتفقت كلمة المذاهب الاسلامية عليه وانما الخلاف في انها هل بقيا على الحلّية بعد وفاة النبي ام ان الحلّية نسخت وجاء حكم الحرمة قبل وفاته صلى الله عليه وآله .

فالإمامية ذهبت إلى الرأي الاول ، والمذاهب الاربعة ذهبت الى الرأي الثاني ، يؤيد رأي الامامية قول عمر نفسه فقد قال : « متعتان كانتا على عهد رسول الله وابي بكر انا احرمهما واعاقب عليهما متعة النساء ، ومتعة الحج » فالشيعة الامامية اخذت بما روى وتركت ما رأى لأن قوله كانتا على عهد رسول الله اعتراف منه بعدم النسخ وبقاء الحكم الاصلي كما كان ، واذا كان لم ينسخ حكمهما قبل وفاة النبي فالمتعتان حلال لان حلال محمد حلال الى يوم القيامة ، وحرام محمد حرام الى يوم القيامة . وقول عمر ، انا احرمهما تشريع في مقابل النص ، والاجتهاد إنما يؤخذ به اذا كان في النص ، لا فيما يقابل النص كما هو معلوم من اجماع المسلمين .

(١) يراجع كتاب الايمان ص ٤٣٤ من الجزء السابع فروع (الكافي) للشيخ الكليني محمد بن يعقوب بن اسحاق المتوفى سنة ٥٢٢٨ هـ او ٢٢٩ طبع طهران سنة ١٣٧٩ هـ .

لقد رووا بعض روايات عن النبي تقول بالحرمة ، ورواية منها عن الامام عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله .

ولم يصح لدينا شيء منها ، ولو ورد النسخ لقال عمر انهما حرمتا بسببه ولم ينسب الحرمة الى نفسه ، ولو صح من ذلك في رأي الامام لعرف ذلك أهل بيته عليهم السلام الذين اجمعوا على حلية المتعتين على مر الايام .

وكان ابن عباس - وهو تلميذ الامام - يجاهر برأيه في الحلية حتى شاع وذاع ونظم على السنة الشعراء فقال بعضهم^(١) :

قد قلت للشيخ لما طال محبسه يا صاح هل لك في فتوى ابن عباس
في بضعة رخصة الاطراف فاعمة تكون مثواك حتى مرجع الناس

ويحدث ابن حزم في موسوعته الفقهية (المحلى) فيقول : « وقد ثبت على تحليلها - اي المتعة - بعد رسول الله (ص) جماعة من السلف رضي الله عنهم ، منهم من الصحابة رضي الله عنهم اسماء بنت ابي بكر الصديق وجابر بن عبد الله ، وابن مسعود ، وابن عباس ، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن حريث ، وابو سعيد الخدري ، وسلمة ومعبد ابنا امية بن خلف ، ورواه جابر بن عبد الله عن جميع الصحابة مدة رسول الله (ص) ومدة ابي بكر ، وعمر الى قرب خلافة عمر » ثم قال : « ومن التابعين طاووس ، وعطاء وسعيد بن جبير ، وسائر فقهاء مكة اعزها الله ، وقد تفصينا الآثار المذكورة في كتابنا الموسوم بالايصال^(٢) ٥١ .

واذا كانت الحلية عند هؤلاء جميعاً مستمرة حتى خلافة عمر

(١) ص ٢٢ نكاح المتعة حرام في الاسلام تأليف الشيخ محمد الحامد مدرس وخطيب جامع السلطان

(٢) ص ٦٢٣ من الجزء التاسع من (المحلى) للحافظ ابي محمد علي بن حزم الاندلسي الظاهري .

فمن اين جاء النسخ ؟؟ وهل يمكن ان يصدر النسخ منه صلى الله عليه وآله
ثم يخفى على هؤلاء ؟؟ .

ومن كان يرى حلية المتعة ويعمل بها التابعي عبد الملك بن عبد العزيز
ابن جريح ، المتوفى سنة ١٤٩ وقد اورده الذهبي في الميزان ، وذكر انه
تزوج نحواً من تسعين امرأة بنكاح المتعة ، وانه كان فقيه مكة في زمانه (١) .
وقد نقل الشيخ محمد الحامد في رسالته (نكاح المتعة) قائلاً : نقل صاحب
المبسوط من الحنفية وغيره أن الامام مالكا رضي الله عنه يقول يجوز
المتعة (٢) . ونقل ابن حزم في (المحلى) ان زفرأ قال : يصح العقد - اي
المتعة - ويبطل الشرط (٣) .

ويقول ابن رشد في (بداية المجتهد) « واشتهر عن ابن عباس تحليلها ،
وتبع ابن عباس على القول بها اصحابه من اهل مكة ، واهل اليمن ،
وروا أن ابن عباس كان يحتاج لذلك بقوله تعالى : « فما استمتعتم به منهن
فأتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم » وفي حرف عنه « الى اجل
مسمى » وروي عنه انه قال : « ما كانت المتعة الا رحمة من الله عز وجل
رحم بها امة محمد (ص) ولولا نهي عمر عنها ما اضطر الى الزنا الاشقي »
وهذا الذي روي عن ابن عباس رواه عنه ابن جريح وعمر بن دينار .

ويستمر ابن رشد فيقول : « وعن عطاء قال : سمعت جابر بن عبد الله
يقول : تمتعنا على عهد رسول الله (ص) وابي بكر ، ونصفاً من خلافة
عمر ، ثم نهى عمر الناس (٤) » .

(١) راجع ص ٩٦ من مسائل فقهية للامام السيد عبد الحسين شرف الدين .

(٢) ص ٢٠ (نكاح المتعة) حرام في الاسلام .

(٣) ص ٦٣٣ (المحلى) الجزء التاسع .

(٤) ص ٥٨ الجزء الثاني من بداية المجتهد ونهاية المقتصد للامام محمد بن احمد بن محمد بن احمد

ابن رشد القرطبي = مطبعة الاستقامة بالقاهرة : طبع سنة ١٩٢٨ - ١٣٥٧ هـ .

ورأي جابر في متعة الحج كراهيه في متعة النساء فقد روى مسلم عن أبي نضرة انه قال : « كنت عند جابر فأتاه آت فقال : إن ابن عباس وابن الزبير اختلفا في « المتعتين » فقال جابر : فعلناهما على عهد رسول الله (ص) ثم نهانا عمر^(١) .

وهكذا ينقل الامام احمد هذا الحديث عن أبي نضرة في مسنده ولفظه عنده كما يلي : قال ابو نضرة : قلت لجابر ، إن ابن الزبير ينهى عن المتعة وإن ابن عباس يأمر بها فقال لي : على يدي جرى الحديث تمتعنا مع رسول الله (ص) ، ومع أبي بكر فلما ولي عمر خطب الناس فقال : إن القرآن هو القرآن ، وإن رسول الله (ص) هو الرسول وأنهما كانتا متعتين على عهد رسول الله أحدهما متعة الحج والآخرى متعة النساء^(٢) .

وقد اخرج الامام احمد من حديث عبد الله بن عمر انه قال : — وقد سئل عن متعة النساء — والله ما كنا على عهد رسول الله (ص) زانين ، ولا مسافحين ، ثم قال : والله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول « ليكونن قبل يوم القيامة المسيح الدجال وكذابون ثلاثون أو أكثر^(٣) » .

ويشير عبد الله بقوله — والله ما كنا على عهد رسول الله زانين — أن المتعة مشروعة فلا تستوجب الحد الذي توعد به ابوه كل من تزوج بالعقد الموقت معرضاً به حيث قد اعلن هذا العقاب فيما رواه مسلم في باب المتعة بالحج والعمرة من صحيحه بالإسناد إلى أبي نضرة من حديث جاء في آخره « فلما قام عمر قال : إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء فأتموا الحج والعمرة ، وأبتوا نكاح هذه النساء فلن أوتى برجل نكح امرأة إلى

(١) ص ٥٣٥ باب نكاح المتعة من جزئه الاول .

(٢) ص ٥٢ الجزء الاول .

(٣) ص ٩٥ الجزء الاول من مسند الامام احمد .

أجل إلاّ رجمته بالحجارة (١) .

وفهم من قوله يحل لرسوله ما شاء ان الحلية كانت في المقام من خواص رسول الله مع العلم ان الحلية كانت عامة تشمل كل مسلم اراد الحج او الزواج الموقت كما سمعت من جابر وابن عمر وغيرهما ممن عمل بالمتعتين في عهد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

واقامة الحد لا تجوز هنا في حال لأن الذي يقدم على المتعة انما يقدم لعدم اعتقاده بحرمتها، والحدود - كما هو مسلّم - تُدْرَأ بالشبهات فبأي طريق شرعي إذا يَرجم بالحجارة ؟؟ !!

ومن هذا الرأي استمد عبد الله بن الزبير عند اختلافه مع عبد الله ابن عباس فقال ابن الزبير : إن أناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتنون بالمتعة - يعرض بابن عباس - فناداه حبر الأمة إنك لجللف جاف لعمرى لقد كانت المتعة تفعل في عهد إمام المتقين، فقال له ابن الزبير فجرب نفسك فوالله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك (٢) .

وقد دعا ابن الزبير أن يقف هذا الموقف غروره بالملك ايام خلافته في مكة ، وكرهه الشديد لبني هاشم بحيث اثرت هذه الكراهة على ابيه الزبير بن العوام الذي كان معروفاً بحبه وتفانيه في سبيل اخواله الهاشميين حتى قال في ذلك الامام كلمته المشهورة : « ما زال الزبير منّا حتى نشأ ولده المشؤوم » .

والغريب ان يقف ابن الزبير من المسألة هذا الموقف مع العلم أن امه السيدة اسماء بنت ابي بكر كانت ترى الحلية ، فقد ذكرها العلامة ابن حزم في مقدمة الصحابة الذين يرون هذا الرأي كما سبق نقل كلامه ،

(١) ص ٤٦٧ الجزء الاول من صحيح مسلم .

(٢) راجع ص ٤١ من رسالة نكاح المتعة للشيخ محمد الحامد .

كما ان ابن عمر نفسه كان يجاهر برأيه فيقول هي حلال فيقال له : إن أباك
نهى عنها فقال : أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله (ص)
اترك السنة ، ونتبع قول أبي ؟؟^(١) كما سبق وان صرح بأنهم لم يكونوا
زائنين او مسافحين ، وقد تقدم نقله عن مسند الامام احمد رضوان الله عليه .
وقد بليت الامامية طيلة هذه العصور بمثل ما ابتلي حبر الامة عبد الله
ابن عباس سواء كان على صفحات الكتب او على اعواد المناير ، وهي في
كل وقت تتلقى ذلك بصدر رحب ، وادب في الرد ، واخلاص في
البحث تتوخى من كل هذا الوصول الى الواقع والحقيقة ، وخدمة السنة
المقلسة التي هي المصدر الفيض بعد القرآن الكريم لمعرفة الاحكام ، وبيان
شريعة الاسلام .

وللامام فخر الدين الرازي بيان حول تأييد عمر بن الخطاب فيما يراه
من تحريم المتعة وقد نقله الشيخ محمد الحامد في رسالته^(٢) (نكاح المتعة)
حرام في الاسلام احبينا ابراده والتعليق عليه قال : « وقد اجاد الامام
فخر الدين الرازي في تقرير هذا ، وتبيينه اتم اجادة فقال : « الحجة الثانية
— اي في تحريم المتعة — ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
انه قال في خطبته : « منعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) أنا أنهى عنهما ،
واعاقب عليهما » ذكر هذا الكلام في مجمع الصحابة وما أنكر عليه احد ،
فالحال ههنا لا يخلو إما أن يقال لهم كانوا عالمين بحرمة المتعة فسكتوا ،
او كانوا عالمين بأنها مباحة ولكنهم سكتوا على سبيل المداهنة ، او ما عرفوا
اباحتها ، ولا حرمتها فسكتوا لكونهم متوقفين في ذلك ، والاول هو
المطلوب ، والثاني يوجب تكفير عمر ، وتكفير الصحابة ، لأن من علم

(١) نقله من الترمذي كل من العلامة الحلي في نهج الصدق والشهيد الثاني في مبحث المتعة من (الروضة
البهية) راجع ص ٩٢ من (مسائل فقهية) .

(٢) ص ٤٣ (نكاح المتعة) حرام في الاسلام .

أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حكم بإباحة المتعة ثم قال : أنها محرمة محظورة من غير نسخ لها فهو كافر بالله تعالى ، ومن صدقه عليه مع علمه بكونه مخطئاً كافراً ، كان كافراً أيضاً ، وهذا يقتضي تكفير الأمة وهو على ضد قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

« والقسم الثالث » وهو أنهم ما كانوا عالمين بكون المتعة مباحة او محظورة فلهذا سكتوا ، فهذا باطل ايضاً لأن المتعة بتقدير كونها مباحة تكون كالنكاح ، واحتياج الناس الى معرفة الحال في كل واحد منهما عام في حق الكل ، ومثل هذا يمنع ان يبقى مخفياً بل يجب أن يشتهر العلم به فكما أن الكل كانوا عارفين بأن النكاح مباح وأن إباحته غير منسوخة وجب ان يكون الحال في المتعة كذلك ، ولما بطل هذان القسمان ثبت أن الصحابة انما سكتوا عن الانكار على عمر رضي الله عنه لأنهم كانوا عالمين بأن المتعة صارت منسوخة في الاسلام انتهى كلام « الامام الرازي » .
والجواب ان النسخ لم يثبت وانما الذي ثبت حكم الحلية « للمتعتين » على عهد رسول الله (ص) وعهد أبي بكر والقسم الكبير من عهد عمر ، والحرمة نسبها عمر الى نفسه بصراحة لا تقبل الشك حيث اعترف اولاً بوجود المتعتين بقوله : « كانتا على عهد رسول الله » ثم قال ثانياً « وانا احرمهما ، واعاقب عليهما » وعمر عربي مبين يعني ما يقول ، ولو انه يرى النسخ لقال « متعتان كانتا على عهد رسول الله وقد حرمتها الرسول فأنا أعاقب عليهما » ولا غبار على هذا التعبير حيث تكون الحرمة من الرسول لأنه المشرع ، ويكون العقاب من عمر لأنه صاحب السلطة .

اما سكوت من حضرا وسمع التحريم فلا يدل على الرضا والوافق لأنه قد هدد بالعقاب فيكون السكوت عن خوف ورهبة فلا عبرة فيه .

ويذكر ابن حزم في كتابه لإحكام الأحكام « عن أبي حمزة قال : « قال لي ابن عباس : لقد رأيت عمر يضرب الناس على الصلاة بعد العصر ^(١) »

(١) ص ٨٢١ إحكام الأحكام الجزء الخامس .

وقال ابن عباس : صل إن شئت ما بينك وبين ان تغيب الشمس .

ويستمر ابن حزم فيقول : « وقد ذكر ابو موسى حديث الاستئذان : فتهدده عمر بضرب ظهره وبطنه : فصيح بهذا أن سكوتهم قد يكون تقية للاسلام ، او لئلا يقع تنازع واختلاف ، وقد يكون تثباً ، او لما شاء الله عز وجل : وليس قول احد ، ولا سكوته حجة الا رسول الله (ص) فان قوله وسكوته حجة قائمة على ما علم اه^(١) . »

ومع أن سكوتهم لا يدل على التأييد لرأي عمر فانهم مع ذلك قد اظهروا خلافهم ، وبينوا بوضوح آراءهم ، وقالوا بصراحة ان الحلية كانت واستمرت ، وان الحلية « للمتعتين » شرعها القرآن بآيتين ، ولم تنسخا بقرآن او بسنة ، فهما حلال إلى يوم القيامة .

وقد علمت ان من جملة من صرح برأيه عبد الله بن عمر ، ولو أن المسألة لم تكن بهذا الوضوح لما وقف مثل هذا الموقف السافر المعارض .

اما كيف ذهب ابو حفص الى الحرمة مع عدم النسخ فهو كبقية النصوص التي تأولها وقد وردت عن النبي ، وعملت بها الأمة .

والمعروف من المذاهب الاربعة أنهم يقولون بحرمة المتعة كما يظهر من كتبهم عند التعرض لهذا النكاح ، وقد نقل بعضهم عن مالك الحلية ونفاها عنه الاكثر .

ولو رجعنا الى اقوالهم في انعقاد العقد الدائم لوجدناهم يجيزون انعقاده بلفظ الهبة والبيع ، والصدقة يقول العلامة ابن رشد : « واختلفوا في انعقاده بلفظ الهبة ، او بلفظ البيع . او بلفظ الصدقة فاجازه قوم ، وبه قال مالك وابو حنيفة . وقال الشافعي لا ينعقد الا بلفظ النكاح ، او الزويج الخ^(٢) . »

(١) مع العلم أن النبي كان يصلي الركعتين بعد العصر راجع ص ٣٠٩ صحيح مسلم الجزء الأول.

(٢) ص ٤ الجزء الثاني من كتاب (بداية المجتهد) لابن رشد القرطبي .

ويقول صاحب كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة) «الأول لا خلاف في الانعقاد به عند الحنفية وهو ما كان بلفظ الهبة أو الصدقة أو التمليك أو الجعل ثم ذكر ما كان من القسم الثاني الذي وقع فيه الخلاف ورجح المؤلف الانعقاد به وهو لفظ البيع ، والشراء ، والسلم ، والصلح ، والقرض ثم ذكر القسم الثالث مما وقع فيه الخلاف ولم يترجح بنظره الانعقاد به وهو الاجارة والوصية ، ثم ذكر القسم الرابع الذي لا خلاف عندهم في عدم الانعقاد به وهو الفاظ الاباحة والاحلال ، والاعارة ، والرهن ، والتمتع ، والاقالة ، والخلع»^(١) .

ويقول الشيخ محمد علاء الدين الحصيفي في شرحه للدر المختار في كتاب النكاح ما يلي : «ولو قال لها يا عرسي فقالت لبيك انعقد على المذهب - أي مذهب الامام أبي حنيفة»^(٢) .

وإذا كان النكاح الدائم يقع بهذه اللفاظ التي لا تمت بنسب أو صلة بالنكاح فلماذا إذاً لا يقع النكاح الموقت بلفظ (التمتع) الذي وضع لهذا النكاح بالخصوص في صدر الاسلام باجماع المسلمين !!؟؟

على أن الكثير ممن أنكر العقد الموقت قد ادعى أن آية «فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن» المقصود منها العقد الدائم فيكون الله تعالى قد عبر عنه بالاستمتاع في حين ان حجتهم في انكار نكاح التمتع ان النكاح انما شرع للاستمرار والاستقرار وتكوين الاسرة لا للتلذذ والتمتع فتكون حجتهم مردودة عليهم .

والغريب أن نجد اصحاب (مذكرة تفسير آيات الاحكام) المقرر تدريسها لطلاب السنة الثانية في كلية الشريعة احدى كليات الجامع

(١) راجع ص ١٤ من الجزء الرابع من (الفقه على المذاهب الأربعة) لمؤلفه عبد الرحمن الجزيري الطبعة الاولى - مطبعة دار المأمون : القاهرة .

(٢) ص ٢٤٣ من شرح الدر المختار للشيخ محمد علاء الدين المتوفي سنة ١٠٨٨ هـ .

الازهر سنة ١٣٥٣ هـ يذهبون الى ان الشيعة من رأيهم « ان المرأة يجوز ان تعقد العقد كل ساعة^(١) » مع العلم ان وزارة الاوقاف المصرية قد طبعت كتاب (المختصر النافع) لأكبر أئمة الفقه الامامي المحقق الحلي وقد وزعت وزارة الاوقاف هذا الاثر الفقهي الجليل على المعاهد الدينية في كافة البلاد الاسلامية وكان باستطاعة اصحاب المذكرة الرجوع - على الاقل - الى هذا الكتاب المختصر الذي يقرب اليهم المسائل الفقهية بلفظ موجز .

ونحن رفعاً للالتباس لا بد لنا من تعريف النكاح الموقت ليتضح الفرق بينه وبين النكاح الدائم .

واركان هذا النكاح في الفقه الجعفري اربعة^(٢) :

١ - الاول الصيغة : وهو ينعقد باحد الالفاظ الثلاثة خاصة وهي زوجتك ، وانكحتك ، ومتعتك .

والزواج الدائم باللفظتين الاوليتين - ولا يقع بالاختصار على اللفظة الثالثة .

٢ - الثاني الزوجة : ويشترط كونها مسلمة او كتابية ، واما في الدائم فيقتصر على المسلمة ، واما الكتابية فالمشهور عدم جواز العقد عليها بنحو الدوام .

٣ - المهر : وذكره شرط ، ويتقدر بالتراضي ولو بكف من بر فقي صحيح مسلم عن جابر : « كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله وابي بكر حتى نهي عمر في شأن عمرو بن حريث » .

(١) ص ٢٤ نكاح المتعة للشيخ محمد الحامد .

(٢) راجع ص ٢٠٥ و ٢٠٦ من (المختصر النافع) للامام المحقق الحلي .

٤ - الأجل : وهو شرط في العقد ، ويتقدر بتراضيهما كاليوم والشهر والسنة ولا بد من تعيينه فلو اخل بالاجل انقلب العقد الى الدائم بالاجماع ومن المعلوم والمسلم أن المتعة تنتهي بانتهاء اجلها المقرر . ولا يقع فيها طلاق كما يقع في الزوجة الدائمة وليس فيها لعان اوظهار على المشهور .

ولا يثبت بالمتعة ميراث بين الزوجين ، نعم لو شرط الميراث ضمن العقد لزم ، وولدها هو ولده يرثه ، ويرثه ابوه بالاجماع حيث قد تولد عن عقد شرعي باتفاق الامامية .

اما عدتها اذا انقضى الاجل فحيضتان ، وان كانت ممن تحيضن - ولم تحض - فخمسة واربعون يوماً ، واذا مات الزوج فعدها اربعة اشهر وعشرة ايام كالدائم .

وقد وجدت للدكتور ابراهيم عبد الحميد الاستاذ في جامعة الازهر تصريحاً له أورده في دراسته (نظام الاسرة والتكافل الاجتماعي) ينطق بحلية نكاح (المتعة) وأن هذا النكاح كان في صدر الاسلام وبقي بعد وفاة النبي لم ينسخ بقرآن ولا بسنة ، وهذا رأي الامامية ، وقد استمدت هذا الرأي من اجماع « اهل البيت » على حلية هذا النكاح كما هو معروف من مذهبهم وفقههم عليهم السلام .

يقول الدكتور ابراهيم في دراسته^(١) (نظام الاسرة والتكافل الاجتماعي) ما نصه : « وفي الحق أن لهؤلاء المخالفين - يعني الشيعة الامامية - وجهة نظر من حيث الدليل الشرعي لا تخلو من قيمة ، ذلك أنه لا ينكر أحد من علماء الامة أن نكاح المتعة ابيح في وقت ما على عهد رسول الله صلوات الله عليه ، فهذا شيء متواتر يبلغ مبلغ اليقين ،

(١) ص ٥٥ (نظام الاسرة والتكافل الاجتماعي) .. جامعة الازهر ، كلية الشريعة = الدراسات العليا .

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهَا حَرَّمَتْ بَعْدَ ذَلِكَ وَنَسَخَ حُكْمَ جَوَازِهَا نَسْخًا مُسْتَمَرًّا
فَعَلِيهِ الدَّلِيلُ ، هَذَا مَعَ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَقُولُ : « فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ
فَأْتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ » يَعْنِي بَدَلَ الْمَتْعَةِ لِأَنَّ وَجُوبَ الصَّدَاقِ فِي النِّكَاحِ الَّذِي
لَيْسَ بِمَتْعَةٍ قَدْ سَلَفَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى أَوَّلُ السُّورَةِ « فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ
مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نَحْلَةً » يُوَيِّدُهُ أَنَّ
أَبِي بَنْ كَعْبٍ وَابْنَ عَبَّاسٍ كَانَا يَقْرَأَنَّ « فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى فَأْتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ » (٢٧٥-٦ شُوكَانِي .

وَنَحْنُ إِذْ ذَهَبْنَا نَلْتَمِسُ دَلِيلَ النِّسْخِ لَمْ نَكِدْ نَجِدْ شَيْئًا صَالِحًا لَا مَقَالَ فِيهِ
حَتَّى اضْطَرَّ بَعْضُهُمْ أَنْ يَقُولَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ هُوَ الَّذِي حَرَّمَهَا
وَنَسَخَ جَوَازَهَا قَالَ عَلَى الْمَنْبَرِ فِيمَا ثَبَتَ عَنْهُ « مَتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ
اللَّهِ أَنَا أَنْهَى عَنْهُمَا وَاعْقَابَ عَلَيْهِمَا ، مَتْعَةُ النِّكَاحِ ، وَمَتْعَةُ الْحِجِّ » نَظَرًا
إِلَى أَنَا مَأْمُورُونَ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا غُلَطٌ
بَيِّنٌ ، فَمَا كَانَ لِيَسْتَطِيعَ عُمَرُ أَوْ غَيْرُهُ أَنْ يَنْقُضَ مِنْ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ الثَّابِتَةَ
شَيْئًا كَانَ فِيهِ ، إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ « وَهُوَ جَيِّدٌ وَقَدْ بَنَاهُ عَلَى الْمَنْطِقِ وَالْبُرْهَانِ .

وَإِنِّي أَخْتَمُ بِحُثِّ الْمَتْعَةِ بِقَوْلِ الْإِمَامِ ، وَأَجْعَلُهُ مَسْكَ الْخِتَامِ فَعَنْ قِتَادِهِ
أَنَّهُ سَمِعَ جُرَيْجَ بْنَ كَلِيبٍ يَقُولُ : رَأَيْتُ عُثْمَانَ يَنْهَى عَنِ الْمَتْعَةِ ، وَعَلِيٌّ
يَأْمُرُ بِهَا فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَقُلْتُ إِنَّ بَيْنَكُمَا لَشَرًّا ، أَنْتَ تَأْذُرُ بِهَا ، وَعُثْمَانُ يَنْهَى
عَنْهَا فَقَالَ : مَا بَيْنَنَا الْآخِرُ ، وَلَكِنْ خَيْرُنَا اتَّبَعْنَا لِهَذَا الدِّينِ ^(١) .

وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كُلِّ أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ يَتَّبِعُ كَلَامَ اللَّهِ وَسُنَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، يَقُولُ ابْنُ حَزْمٍ : « وَقَدْ نَهَى عُثْمَانُ عَنِ الْقِرَانِ : فَلَبَّيْ
عَلِيٌّ » بِهِمَا مَعًا ، قَاصِدًا مُعْلِنًا خِلَافَهُ ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ فِي ذَلِكَ - أَيُّ عُثْمَانَ -

(١) ص ٤٥ (نِكَاحُ الْمَتْعَةِ) لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْحَامِدِ .

قال له علي : ما كنت لأترك « سنة النبي » صلى الله عليه (وآله) وسلم
لقول احد^(١) « وفقنا الله جميعاً للعمل بكتاب الله ، وسنة رسوله .

• • •

ومن الاحكام المهمة في الاسلام (المواريث) وقد وردت فيه آيات
عديدة ، ولكن (السنة) النبوية المقدسة هي التي شرحت لنا كثيراً من
مسائل الارث العويصة .

ومن « السنة » عن طريق اهل البيت عليهم السلام عرفنا أن لا تعصيب
ولا عول في الميراث ، وان المسلم يرث الكافر ، وإن كان الكافر لا
يرثه .

وأن القتل عمداً بغير حق يمنع من الارث باتفاق المذاهب الاسلامية ،
واما اذا كان عن خطأ او قصاص او دفاع عن النفس . او بامر الحاكم
الشرعي فانه لا يمنع من الارث عندنا ، نعم يُمنع القاتل خطأ من ارث
الدية خاصة .

وولد الزنا عندنا لا يرث امه كما لا توارث بينه وبين ابيه الزاني
لان السبب — وهو الزنا — واحد في كل منهما بينما بقية المذاهب الاربعة
تقيسه على ولد الملاعنة من تحقق التوارث بينه وبين امه ومن يتقرب بها ،
الى غير ذلك من المسائل المهمة التي اوضحها أئمة اهل البيت عليهم السلام .
ولا بدّ لنا — وقد عرضنا للمواريث — أن نقف بالقارئ ولو قليلاً
امام الخلاف الذي دار بين الزهراء (ع) وبين ابي بكر (رض) حول
(فدك) التي كانت هبة من النبي (ص) لكريمته «الزهراء» ، والتي
كانت في يديها تتصرف بها ايام حياته .

(١) ص ٨١٩ من الجزء الخامس (احكام الاحكام) لابن حزم .

رأى ابو بكر - وقد بويج بالخلافة - أن يتصرف بها حسب نظره لانه اصبح المسؤول الاول فروى انه سمع من النبي انه قال : « نحن معاشر الانبياء لا نُورث ما تركنا صدقةً برفع صدقه ، أي أنا ما تركناه ليس بإرث وإنما هو صدقة ، وعليه فليس للزهاء - برأي أبي بكر - أن تورث هذه الارض لان الصدقة لا تورث وإنما توزع على المستحقين من المسلمين .

وقد جاءت الزهاء وطالبت ابا بكر أن يردّ اليها فداً لأنها نخلة ابيها صلى الله عليه وآله ، فردّ طلبها مستدلاً بالحديث الذي يرويه عن ابيها من أن الانبياء لا يورثون ، وطالب « الزهاء » بالبينة .

والواقع أن ابا بكر كان في غنى عن طلب البينة لأنّ الزهاء قالت إنّ فداً نخلة لها من ابيها فلا يشملها الحديث الذي رواه لانه روى انه (ص) قال « ما تركنا صدقةً » فذلك لم يتركها النبي لأنها هبة في حياته فلا يصدق عليها انها متروكة لخروجها عن ملكه قبل وفاته صلى الله عليه وآله ، فهي في خروجه عن ملكه كالصدقات والاقواف بعد التصديق ، او بعد ايقاع صيغة الوقف .

والدليل على هبتها للزهاء وضع فداً في يدها ، وتصرفها فيها في حياة النبي (ص) مما هو متفق عليه .

وعلى تقدير لزوم البينة فانها لا تتوجه عليها لأنها عليها السلام هي صاحبة اليد فلا تكون مدعية لان المدعي ما كان على خلاف الظاهر ، والذي يكلف بالبينة إذاً هو الذي رفع يدها عن ارضها فإن لم يستطع وحلفت الزهاء اليمين ردت اليها الارض كما كانت وذلك حسب الموازين الشرعية .

ويقرأ اصحابنا صدقة بالنصب فتكون (ما) في « ما تركنا » مفعولاً لتورث وصدقة منصوبة على التمييز .

وعلى هذا التقدير ليس فيه اي منافاة مع القرآن الكريم الذي يصرح بتوريث الانبياء للابناء كما احتجت بذلك الزهراء عليها السلام .

ويكون المعنى على تقدير النصب أن النبي لا يورث ما تركه صدقة لان الصدقة تكون خارجة عن الملك فلا تورث .

وعلى تقدير رفع صدقه كما قرأها ابو بكر فاني افهم من هذا القول معنى لا يتنافى مع الوراثة المألوفة بين الآباء والابناء ، وذلك بأن يقال ان معنى قوله « نحن معاشر الانبياء لا نُورَثُ » ، ما تركنا صدقة* ، اي اننا معاشر الانبياء نصرف ما بأيدينا في سبيل الله فلا يبقى بأيدينا شيء ليرثه اولادنا ، ولا يبقى الا ما كان صدقة وهي لا تورث .

وعلى هذا المعنى فانه لا يريد أن ينفي الوراثة ، وانما يريد أن ينفي الموروث فيكون ذلك - كما يقول المناطقة - سالبة بانتفاء الموضوع ولا يمكن أن تنفي الوراثة ، لأنها لا تنفي إلا إذا كانت بين ملتين مختلفتين وهذا ما انكرته « الزهراء » عليها السلام من نفي ارثها وهي بنت النبي صلى الله عليه وآله كما هو معروف من احتجاجها في خطبتها البالغ بعد وفاة ابيها (ص) في مسجده المعظم على ملأ من المهاجرين والانصار .

وعلى هذا فلو كان للنبي الكريم ملك* لم يهبه ولم يتخذه صدقة ثم رفع النبي (ص) للرفيق الاعلى فما حكم هذا الملك؟؟ لا شك انه يصبح إرثاً يشترك به الورثة كما وقع ذلك بعد وفاة النبي ، فقد بقيت ازواجه في مساكنهن وورثنها بدون معارض .

والذي يلفت النظر ان ابا بكر في الوقت الذي رفع يد الزهراء عن فذلك نراه قد سلم البغلة والعمامة الى الامام ، وتداول الخلفاء البردة وقد افتخر المعتز العباسي بذلك فقال من جملة ابيات معروضاً بالهاشميين

ونحن ورثنا ثياب النبي فلم تجذبون باهدابها
لكم رحم* يا بني بته ولكن* بنو العم اولى بها

وقد اجابه بعض العلويين بقصيدة جاء فيها :

وقلت ورثنا ثياب النبي فكم تجذبون بأهدابها
وعندك لا يورث الانبياء فكيف حظيتم بأثوابها
فكذبت نفسك في الحالتين ولم تعلم الشهد من صابها
ثم قال :

فهلا تقمصها جدكم اذا كان - اذ ذاك - أخرى بها
لذا جعل الأمر شوري لهم فهل كان من بعض اربابها
وقولك : انتم بنو بنته ولكن بنو العم اولى بها
بنو البنت ايضاً بنو عمه وذلك أدنى لأنسابها

ولا شك أن ارث العمامة والبغلة والبردة والقضيب يتناقض مع القول بان الأنبياء لا يورثون كما هو واضح . وكذلك ارث الازواج لما كان في ايديهن من البيوت ، فاذا جاز ارث هذه الاشياء جاز ارث الزهراء لفدك من غير تفريق .

والواقع أن الزهراء عليها السلام لا ينبغي أن يطلب منها البيعة لأن البيعة إنما يحتاج اليها عند التداعي لاجل احقاق الحق ومعرفة الواقع عند الخصومة ، ولا خصومة مع الزهراء في ارض فدك من الوارثين او غيرهم . ومن المعلوم أن الزهراء قد اجمعت الامة على صدقها ، وصرح القرآن بعصمتها في (آية التطهير) اذ قال تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً » فنفى الله تعالى الكذب والخطأ عن اهل البيت كما اوضحناه في كتابنا (الاجماع في التشريع الاسلامي) فليراجعه كل من اراد التوسع في البحوث الاسلامية .

وكان علي ابي بكر - وهو الشيخ الوقور الراجح العقل - ان يرفع يده عن فدك معتمداً على قول (الزهراء) اذ لا تنطق هجراً ، ولا تقول إلا حقاً وهي سلام الله عليها في رأيه كما قال لها : « يا خير النساء .

وابنة خير الانبياء ، والله ما عدوت رأي رسول الله (ص) ولا عملت
الا باذنه ، وان الرائد لا يكذب اهله ، واني اشهد الله وكفى بالله شهيداً ،
أني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنا معاشر الانبياء لا نورث
ذهباً ، ولا فضة ، ولا داراً ، ولا عقاراً ، وإنما نورث الكتاب والحكمة
والعلم والنبوة » (١) .

فالحديث الذي يرويه ابو بكر ويشهد الله عليه وأنه سمعه من رسول
الله هذا نصه « إنا معاشر الانبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا
عقاراً . وإنما نورث الكتاب والحكمة ، والعلم ، والنبوة » .

ومن هذا القول الذي ينقله ابو بكر بلفظه كما سمعه تفهم بوضوح
ان ما نقله عنه (ص) انه قال : « إنا معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا
صدقة » كان بالمعنى لا باللفظ ، اللهم الا ان يكون حديثاً آخر اوردته
ليبان أن الصدقات لا تورث ، وهو حكم لا يختص بالانبياء بل يشمل
سائر المكلفين .

وهذا الحديث « إنا معاشر الانبياء لا نورث ذهباً ولا فضة الخ .
لا يتنافى مع القرآن الكريم لانه لا يريد ان ينفي وراثة الابناء وإنما يريد
أن يثبت وراثة الانبياء المعنوية التي يرثها الانبياء بعضهم من بعض .

ومعنى الحديث انا معاشر الانبياء لا نورث بعضنا بعضاً الذهب ،
والفضة ، والدار ، والعقار لانها وراثة الآباء للابناء ، وإنما نورث
الوراثة المعنوية فيرث كل نبي عن سبقة الكتاب والحكمة والعلم والنبوة ،
وهذا المعنى لا شبهة فيه ، ولا يتعارض مع اي نص قرآني .

وقد ورد حديث عنه صلى الله عليه وآله يؤيد هذا المعنى الذي فهمناه

(١) ص ١٤٤ من الجزء الثالث من (تلخيص الشافي) للامام الشيخ ابي جعفر الطوسي المتوفى سنة
٤٦٠ هـ طبع النجف (الآداب) اخراج مكتبة العلمين الطوسي وبحر العلوم .

فقد روى بريدة قال : قال رسول الله (ص) لكل نبي وصي ووارث وإن علياً وصي ، ووارثي ، أخرجه الحافظ ابو القاسم البغوي في معجم الصحابة^(١) .

ويحدث معاذ بن جبل فيقول^(٢) قال علي : يا رسول الله ما ارث منك قال ما يرث النبيون بعضهم من بعض كتاب الله ، وسنة نبيه . والذي يدل على أن الانبياء يورثون ويورثون كغيرهم ما اخبر به يزيد بن هارون فقد قال : اخبرنا يحيى بن سعيد أن النعمان بن مره أخبره أنه بلغه أن رسول الله (ص) قال في مرضه الذي توفي فيه ، « إن لكل نبي تركة او ضيعة ، وإن الانصار تركتي او ضيعتي ، وإن الناس يكثرُونَ ويقِلُونَ فاقبلوا من محسنهم ، واعفوا عن مسيئهم^(٣) . ومن المعلوم أن التركة ما يتركه الميت إرثاً من بعده شرعاً ولغة . وقد اكد النبي هذا الميراث (بأن) مما يدل على أن ابا بكر قد خفي عليه القصد فحسب ان النبي يريد ان ينفي الميراث عن ورثته . على أن هذا الحديث الاخير الصريح يكون ناسخاً لما رواه ابو بكر من نفي ميراث الانبياء .

وقصد النبي (ص) من قوله « وإن الانصار تركتي » هي التركة المعنوية فلا تتنافى مع التركة الحقيقية التي اثبتها الرسول لكل نبي وهو منهم ، والذي يجعلنا أن نعتقد أن ما فهمه ابوبكر من ان الانبياء لا يورثون كان بعيداً عن قصد النبي صلى الله عليه وآله عدة امور .

١- ذكر الآيات الكريمة في القرآن الصريحة بالوراثة المالية للانبياء

(١) ص ٧١ (ذخائر العقبى) للعلامة محب الدين الطبري .

(٢) ص ٧١ (ذخائر العقبى) لمحب الدين الطبري .

(٣) ص ٦٨ (الطبقات) لابن سعد الجزء الرابع .

وهي الحقيقة ، ولا يصار الى المجاز إلا لقرائن صارفة تسوغ ترك الحقيقة .
وفي بعض هذه الآيات ما يمنع من حملها على الارث المجازي كقوله
تعالى مخبراً عن زكريا عليه السلام « واني خفت الموالي من ورائي ، وكانت
امرأتي عاقراً ، فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب ،
واجعله ربي رضياً » فهو يخشى من بني عمه ان يرثوه فتتفق امواله في
الفساد لذلك يدعو الله تعالى ان يهب له ولداً يرثه دونهم .

ولا يحتمل أن يكون القصد من هذه الوراثة (النبوة) لأنها لا تكون
بالوراثة ، كما ان قوله عليه السلام « واجعله ربي رضياً » يبعد احتمال
النبوة لان النبي مرضي عند الله بدون حاجة الى دعاء وان الذي يحتاج
الى الدعاء انما هم الاولاد الآخرون الذين يمكن ان يكونوا صلحاء ،
ويمكن ان يكونوا على النقيض من ذلك ، وهذا ما دعاه سلام الله عليه
ان يبتهل داعياً ان يكون ولده مرضياً .

٢- إن الديانة الموسوية ، والديانة العيسوية ليس في كتبها ما يشعر
بان الانبياء يختلفون عن غيرهم في مسائل الميراث .

ولو كان هذا موجوداً لنقل اليها وتتابع بذلك الاخبار .

٣- إن عدم توريث الانبياء لو كان النبي قد عناه لاوضحه بمناسبات
عديدة ، ولأفهمه للناس باحاديث كثيرة لان هذه المسألة من الامور
المهمة التي يجب بيانها واظهارها لكافة الناس ولا سيما لأهله وورثته
 واصحابه ، وبالاخص للإمام عليه السلام الذي جعله وصياً عنه بإيفاء
ديونه وانجاز مواعيده باجماع المسلمين .

وكيف يجعله وصياً ، وهو (ص) لا يطلع الامام على جليلة الامر مع
انه عليه السلام هو المأمور بتنفيذ وصية الرسول كما أراد صلى الله عليه
 وآله وسلم .

فهل يمكن أن يعرف (الوصي) أن فدكاً صدقة ثم يدعى مع الزهراء
— وهي سيدة النساء — كما قال عنها سيد الانبياء ، أنها هبة للزهراء
والصدقة محرمة على آل محمد ؟؟؟

لا : لا يمكن ان يتصور ذلك لانهما أبرّ وأتقى من أن يدعيا كذباً ،
أو يأكلا حراماً ، وهما اللذان عرفا الناس الحلال والحرام ، وبيننا
للناس شرائع الاسلام .

ألم يقل النبي (ص) « علي مع الحق ، والحق مع علي يدور معه كيفما
دار » ؟؟

ألم يقل صلى الله عليه وآله « علي مع القرآن ، والقرآن مع علي لا
يفترقان حتى يردا عليّ الخوض » ؟؟

ولا شك أن النبي انما يقول : إنّ علياً مع الحق والحق مع علي «
لعله (ص) بعصمة الامام ، فهو لا يخطيء في قول ، ولا تزل له قدم
لذلك يدور معه الحق كيفما دار .

وكذلك « الزهراء » عليها السلام فان آية التطهير تنطق بعصمتها
وآيات المباهلة ، والمودة في القربى والابرار تنادي بفضلها ، وفضل
بعلها وولديها سلام الله عليهم اجمعين .

ولم يكن الدافع للامام والزهراء الاهتمام بالمادة ، وانما كان الهدف
بيان الواقع ، واحقاق الحق ، لذلك ترى الامام بعد أن بويج بالخلافة
لم يأخذ (فدكاً) وتركها على ما كانت عليه ليفهم الناس ترفعه عن المادة ،
وأنه سلام الله عليه عندما أدى الشهادة لم يشهد ليجر مغنماً ، وانما دافع
ليحصل حقاً مهتضماً .

وقد حصص الحق واتضح لدى عمر بن عبد العزيز من الامويين ،
والى المأمون من العباسيين فأرجعا فدكاً الى الفاطميين ممن كان من ولد

علي وفاطمة عليهما السلام .

ويرى القارئ الكريم اني اسهبت في بيان الاسباب الموضحة لحاجتنا الى (السنة) النبوية المقدسة مما يدل دلالة واضحة بسان القرآن الكريم وان كان المصدر الاول للتشريع ولكنه مع ذلك لا يفي ببيان الاحكام ، بل لا بد لنا من السنة التي تقوم بشرحه وبيان كثير من الاحكام التي لم يشر اليها التنزيل اعتماداً على (السنة) التي فصلت ما اجمل ، وذكرت ما لم يذكر .

ونحن نكتفي بهذا القدر مكررين القول بالحاجة الملحة الى (السنة) في كل ما لم نعرض له من ابواب الفقه .

ونقتم هذا البحث برأي الامام في اختلاف الخبر ، وهو جواب شاف لمن سأل عن احاديث البدع وعمما في ايدي الناس من اختلاف الخبر ، وفيه يتجلى رأيه في اقسام الحديث قال سلام الله عليه : « إن في ايدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعاماً وخاصاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وحفظاً ووهماً ، ولقد كُذِبَ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، على عهده حتى قام خطيباً فقال : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

ولانما آتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس :

رجل " منافق مظهر للايمان " متصنع بالاسلام ، لا يتأثم ، ولا يتحرج ، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً ، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ، ولم يصدقوا قوله ، ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ، رأى وسمع منه ، ولتقف عنه ، فيأخذون بقوله ، وقد اخبرك الله عن المنافقين بما اخبرك ، ووصفهم

بما وصفهم به لك ، ثم بقوا بعده عليه وآله السلام فتقربوا الى أئمة الضلالة ، والدعاة الى النار بالزور والبهتان ، فولوهم الأعمال . وجعلوهم حكماً على رقاب الناس ، واكلوا بهم الدنيا . وإنما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله ، فهو أحد الأربعة .

ورجلٌ سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه فتوهم فيه ، ولم يتعمد كذباً ، فهو في يديه ، ويرويه ، ويعمل به ، ويقول اننا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه ، ولو علم انه كذلك لرفضه .

ورجلٌ ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً يأمر به ، ثم نهى عنه وهو لا يعلم ، او سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم ، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه ، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه .

وأخر رابع لم يكذب على الله ، ولا على رسوله ، مبالغ للكذب خوفاً من الله ، وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم يتهم ، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على سمعه : لم يزد فيه ، ولم ينقص منه ، فحفظ الناسخ فعمل به ، وحفظ المنسوخ فجنب عنه ، وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه ، وعرف المتشابه ومحكمه .

وقد يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله ، الكلام له وجهان : فكلام خاص ، وكلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عني الله به ولا ما عني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه ، وما قصد به . وما خرج من أجله ، وليس كل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يسأله ،

ويستفهمه ، حتى أن كانوا يحبون أن يجيء الاعرابي والطارئ فيسأله
عليه السلام حتى يسمعوا ، وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألت
عنه ، وحفظته ، فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم ، وعللهم
في رواياتهم .

وفقنا الله للعمل ، وحفظنا من الزلل ، وهدانا للصواب إنه ارحم
الراحمين .



صَلَاةُ النَّبِيِّ بِالنَّاسِ

« مروا الناس فليصلوا »

« أم سلمه من النبي »

من الامور المسلمة في كتب التاريخ والحديث أن ابا بكر قد أمّ الناس ليصلي بالمسلمين لشدة وطأة المرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن الامور المسلمة ايضاً خروج الرسول (ص) للصلاة ، وتأخر ابي بكر ليصل الصف ليصلي هو والمسلمون بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله .

والنزاع في الموضوع هو أن طلب بلال من ابي بكر أن يصلي بالمسلمين هل كان بأمر من النبي ام بطلب خاص من السيدة عائشة بدون اطلاع النبي على ذلك ؟؟

إن أهل السنة يجمعون على أن امر السيدة عائشة مستمد من أمر النبي (ص) لذلك يرون أن هذه الصلاة كانت ترشيحاً لابي بكر للخلافة لانهم قالوا : ارتضاه الرسول لديننا أفلا نرتضيه لدينانا؟؟

والامامية ترى أن الامر من السيدة عائشة كان مقتصرأ عليها ، وانه (ص) إنما اضطر للخروج الى الصلاة ليفهم الناس أن الامر لم يصدر منه ، وظروف القضية والقرائن المحيطة بها كلها تؤيد ذلك كما يتضح هذا فيما بعد .

ولنستمع للسيدة عائشة كيف تروي هذه الصلاة :

١- يحدث البخاري في الجزء الاول من صحيحه فيقول : « حدثنا مسدد قال حدثنا عبد الله بن داود ، قال حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه اتاه بلال يؤذنه بالصلاة فقال : مروا ابا بكر فليصل قلت إن ابا بكر رجل أسيف إن يقم مقامك يبكي فلا يقدر على القراءة ، قال : مروا ابا بكر فليصل فقلت له مثله فقال في الثالثة او الرابعة « إنكن صواحب يوسف ، مروا ابا بكر فليصل ، فصلى وخرج النبي صلى الله عليه وسلم يُهادي بين رجلين كأنني انظر اليه ينخط برجله الارض ، فلما رآه ابو بكر ذهب يتأخر فأشار اليه أن صل فتأخر ابو بكر رضي الله عنه ، وقعد النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه ، وابو بكر يسمع الناس التكبير ^(١) .

٢- ويقول البخاري ايضاً « حدثنا قتيبة قال حدثنا ابو معاوية عن الاعمش ، عن ابراهيم ، عن الاسود عن عائشة قالت : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال : مروا ابا بكر أن يصلي بالناس ، فقلت يا رسول الله إن ابا بكر رجل اسيف ، وأنه متى ما يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر قال انكن لانتن صواحب يوسف ، مروا ابا بكر أن يصلي بالناس فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة ، فقام يُهادي بين رجلين ورجلاه ينحطان في الارض حتى دخل المسجد فلما سمع ابو بكر حسه ذهب ابو بكر يتأخر فأوماً اليه رسول الله (ص) ، فجاء رسول الله (ص) حتى جلس عن يسار ابي بكر ، فكان ابو بكر يصلي قائماً ، وكان رسول الله (ص) يصلي قاعداً يقتدي ابو بكر بصلاة رسول الله (ص) ، والناس يقتدون بصلاة ابي بكر رضي الله عنه ^(٢) .

(١) ص ٩٠ الجزء الاول - المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ . (٢) ص ٩١ نفس المصدر .

إن الحديث الاول مؤداه أن النبي هو الذي صلى بالناس، يدل على ذلك قولها « وابو بكر يُسمع الناس التكبير » ويؤيد هذا عنوان البخاري لهذا الحديث وهو (باب مَنْ اسمع الناس تكبير الامام) ، فالامام هو النبي (ص) وابو بكر هو الذي اسمع الناس تكبيره (ص) في الصلاة كما هو واضح . وقد اجمعت عليه الروايات .

والسيدة عائشة ارادت بقولها أن صلى - كما نقلته عن النبي - تلطيف ذلك النكوص الذي حكاه انس بن مالك وهو شاهد عيان ، ولتبرير امرها بلالاً بأن يؤدي والدها الصلاة بالناس .

وما هذا النكوص إلا لأن ابا بكر قد شعر من خروج النبي الرد الصامت الناطق على ذلك التصرف ، وعرف أن الأمر بالصلاة لم يكن باطلاع النبي ورضاه^(١) .

والرواية الثانية تعترف بأن ابا بكر قد صلى بصلاة رسول الله إلا أنها تدعي أن الناس ما زالوا على صلاتهم مقتدين بصلاة ابي بكر ، وهذا امر لم يدعه احد ممن حضر الصلاة ، كما انه لا يجوز ان يكون المكلف إماماً ، ومؤتماً في صلاة واحدة .

على أن من حضر الصلاة يصرح بان النبي (ص) هو الذي صلى بالناس ، فهذا خبر الامة عبد الله بن عباس يقول من جملة حديث له فجاء - اي رسول الله - فأراد ابو بكر أن ينكص فأولماً اليه ، فثبت مكانه وقعد النبي (ص) عن يسار ابي بكر ثم استفتح من الآية التي انتهى اليها ابو بكر^(٢) ..

وهذه الرواية تدل بوضوح على أن الذي صلى بالناس هو النبي صلى

(١) ص ٩١ (الاجماع) في التشريع الاسلامي للمؤلف - نشر دار عويدات - بيروت سنة ١٩٦٩ .

(٢) ص ٢٧ (طبقات بن سعد) الجزء الرابع .

الله عليه وآله وسلم حيث تنص على أن النبي (ص) استفتح من الآية التي انتهى إليها أبو بكر .

على أن السيدة عائشة قد صرحت بصلاة النبي بصورة لا تقبل الشك في حديث آخر كما رواه البخاري في (باب مرض النبي) قالت : ولما دخل بيتي واشتد به وجعه قال هريقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل او كيتهن لعلني اعهد الى الناس فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم طفقنا نصبّ عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلت ، قالت ثم خرج الى الناس فصلى بهم وخطبهم (١) .

وهكذا جابر بن عبد الله يرسل صلاة رسول الله بالناس ارسال المسلمين كما يرويه مسلم في صحيحه فليراجع (٢) ، وعلى هذا النمط يحدث حماد عن ابراهيم كما يحكيه ابن سعد في الطبقات (٣) .

فصلاة النبي (ص) بالناس إذاً من الامور المسلمة التي لا شبهة فيها لدى الباحثين ، كما أنه لا شبهة في أن ابا بكر إنما شرع في الصلاة في أمر تلقاه .

ولأنما الاشكال - كما قلنا - سابقاً في معرفة الأمر الذي وجه الأمر . والذي يبدو لنا أن النبي صلى الله عليه وآله كان في بادئ الامر بصدد تعيين إمام يؤم المسلمين في الاوقات التي لا يستطيع النبي فيها الخروج الى الصلاة ، ثم انه وجد (ص) الصعوبة في هذا التعيين فعدل عن ذلك الى امرهم باداء الصلاة بدون تعيين إمام خاص يقوم بهذه المهمة كما تشعر بذلك رواية السيدة ام سلمة ، ورواية بلال مؤذن الرسول

(١) ص ٦٤ البخاري الجزء الثالث .

(٢) ص ١٦٣ صحيح مسلم الجزء الاول : المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢٧ هـ .

(٣) ص ٣٠ الجزء الرابع من الطبقات .

صلى الله عليه وآله .

والذي يدل على ما قلناه من ان الرسول كان بصدد تعيين امام يوم الناس في الصلاة مانقله الطبري في تاريخه^(١) عن ابن عباس من انه قال رسول الله (ص) « ابعثوا الى علي فادعوه ، فقالت عائشة لو بعثت الى ابي بكر ، وقالت حفصة لو بعثت الى عمر فاجتمعوا عنده جميعاً فقال رسول الله (ص) انصرفوا فإن تك لي حاجة ابعث اليكم فانصرفوا ، وقال رسول الله (ص) آن الصلاة قيل نعم ثم ساق حديثه المعروف وانهاه بقوله : وقعد رسول الله فقراً من حيث انتهى ابو بكر .

ولا شك أن تخصيص الامام بالدعوة يدل دلالة واضحة على أن الاتجاه كان نحوه دون سواه ، ومجيؤه ثم حصول تلك المشادة العنيفة بين الرسول وبين قسم من زوجاته حتى ادى الأمر الى غضب الرسول وتعبيره عنهن بقوله كما حكته السيدة عائشة نفسها « فانكن صواحب يوسف » مما يدل دلالة واضحة على أن هذا النزاع كان يدور حول تعيين من يقوم مقام الرسول ، فالنبي يريد علياً ، وعائشة تريد اباها ، وحفصة تريد اباها ايضاً الأمر الذي دفع النبي أن يعدل عن التعيين ويرجع الامر الى المسلمين يصلون كما يشاؤون .

وهذا كما يتضح من حديث ام سلمة فان ابن سعد في طبقاته^(٢) يقول : « اخبرنا محمد بن عمر عن سعيد بن عبد الله ابن أبي الأبيض ، عن المقبري ، عن عبد الله بن رافع عن أم سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في وجعه اذا خف عنه ما يجد خرج فصلى بالناس ، واذا وجد ثِقْلَةً قال : « مُرُّوا الناس فليُصَلُّوا » .

(١) ص ٤٣٩ تاريخ الطبري الجزء الثاني مطبعة الاستقامة بمصر سنة ١٣٥٧هـ - سنة ١٩٣٩م .

(٢) ص ٣٨ الطبقات الكبرى لابن سعد الجزء الرابع .

وهذا صريح بان الرسول لم يعين احداً ليصلي اماماً بالناس عند مرضه .

وهناك حديث آخر يؤيد عدم التعيين فإن ابن سعد في طبقاته (١) يروي حديثاً متصلاً بعبد الله بن زمعة بن الأسود انه قال : « عدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه فجاءه بلال ، يُؤذنه بالصلاة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « مُر الناس فليصلوا » قال : عبد الله فخرجتُ فلقيتُ ناساً لا أكلهم ، فلما لقيت عمر بن الخطاب لم أبغِ مَنْ وراءه ، وكان ابو بكر غائباً فقلت له صل بالناس يا عمر في المقام ، وكان عمر رجلاً مجهرراً ، فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فأخرج رأسه حتى أطلعه للناس من حُجْرته ، فقال : « لا . لا . لا . ليصل بهم ابن أبي قحافة » قال يقول ذلك رسول الله (ص) مغضباً ، قال فانصرف عمر فقال لعبد الله بن زمعة يا ابن أخي أمرك رسول الله أن تأمرني؟؟ قال فقلت لا : ولكني لما رأيتك لم أبغ من وراءك ، فقال عمر : ما كنت أظن حين أمرتني إلا أن رسول الله (ص) أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس ، فقال عبد الله لمسا لم ار ابكر رأيتك أحق مَنْ حضر بالصلاة . »

وهذا الحديث صريح بان النبي صلى الله عليه وآله أمر عبد الله بن زمعه أن يبلغ المسلمين بان يصلوا بدون أن يقيدهم بامام معين مسن اصحابه رضوان الله عليهم .

وقول الراوي أن الرسول قال : لا . لا . لا . ليصل بهم ابن ابي قحافة لا أرى صحة نسبة هذا القول الى رسول الله صلى الله عليه وآله لان هذا يتنافى مع صدر الحديث اذا كان الحديث مسلم الصحة لان الرسول أمر المسلمين بالصلاة بدون تعيين امام لهم ، وقوله الثاني لا . لا . لا . ليصل بهم ابن ابي قحافة معناه تقييد الصلاة بشخص معين ،

(١) ص ٣٥ و ٣٦ من الطبقات .

ولا يمكن الجمع بين هذين المعنيين فلا بدّ من رفع اليد عن أحدهما كما هو واضح .

على أنه لا يتصور صدور هذا التعبير من النبي العظيم ، وهو ذو الخلق الكريم ، والصلاة لا تحتاج لأكثر من العدالة وحسن الاداء في القراءة ، ولا أظنه صلى الله عليه وآله لا يرى أبا حفص أهلاً لذلك ، ولكن الوضاعين قد يريدون أن يرفعوا شخصاً فيضعون شخصاً آخر من حيث لا يشعرون .

ولا بدّ لنا من الرجوع الى قول النبي صلى الله عليه وآله حيث قال لعائشة ، « انكن صواحب يوسف » فانها روت انه قال ذلك لما اكثرت المراجعة في شأن ابائها بكر مقترحة على النبي أن يرسل عمر ليصلي بالناس لان ابا بكر - على حد تعبيرها - رجل رقيق لا يسمع الناس ، كثير البكاء حين يقرأ القرآن ، وأن النبي (ص) لما اكثرت مراجعته في ذلك قال : « ليصل بالناس ابو بكر إنكن صواحب يوسف » .

ويروي الزهري عن عبيد بن عبد الله بن عتبة أن عائشة قالت : « لقد راجعت رسول الله (ص) في ذلك ، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه وقع في قلبي أنه لن يحب الناس رجلاً بعده قام مقامه ، وكنت أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به فأردت أن يعدل ذلك رسول الله (ص) عن ابني بكر^(١) .

ومن هذا التصريح يتضح أنها رشحت عمر لا للمصلحة وإنما رشحته للوقية به حيث تعتقد بان الناس لا يحبون رجلاً بعده قام مقامه .

والذي نعتقه أن السيدة عائشة لم تبج بما في ضميرها سواء في هذا الحديث او في الحديث الذي اكثرت فيه المراجعة ، اذ ان ما صرحت

(١) ص ٣٢ • الطبقات • لابن سعد .

به هنا ، او ما ذكرته هناك لا يستدعي بظاهره ان يقول لها الرسول « إنكن صواحب يوسف » وهو صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

فهو «ص» لا يوجه لمن مثل هذا القول إلا اذا صدرت منهن معصية ظاهرة ومخالفة لأوامره واضحة ، وليس فيما روته السيدة عائشة في موضوع الصلاة ما يدل على هذه المخالفة ، انها طلبت منه (ص) فيما أظهرت أن يرشح للصلاة شخصاً آخر غير والدها ، واعتذرت بعدم استطاعته القيام مقام النبي لرقته وبكائه فلا يُسمع الناس ، وهذا السبب إن صح فهي تريد ابعاد ابيها عن هذا المقام الرفيع ، فهو إن دل على شيء فلأنما يدل على الزهد فأين هذا من العصيان؟؟ والرسول الكريم صلى الله عليه وآله هو معدن الفصاحة والبلاغة والحكمة ، فهل يخفى عليه معنى الكلام والقصد منه؟؟ وهل يحكم عليهن مثل هذا الحكم القارص فيجعلهن صواحب يوسف لمثل هذا السبب؟!

إذاً السبب شيء آخر لم توضحه السيدة عائشة للناس ، فما هو السبب الحقيقي الذي دعا أن يقول الرسول هذا القول وهو في الايام الاخيرة من حياته؟؟ .

السبب فيما اعتقد مخالفة امره في شأن هذه الصلاة ، فهو صلى الله عليه وآله إما ان يكون قد وجه أمره بأن يصلي امير المؤمنين عليه السلام في الناس ونساؤه قد وجهن بلسانه أن يصلي غيره ، وإما ان وجه الامر بان يصلي المسلمون بدون تعيين إمام وعائشة قد امرت بلالاً أن يصلي ابوها بلسان رسول الله كما ان السيدة حفصة أرسلت أن يصلي عمر بالناس مشعرة أن ذلك بطلب النبي .

وفي مثل هذه الصورة تحصل المخالفة من الاثنتين لأنهما قد خالفا أمر النبي في كلا الفرضين ، وقد أمر الله عز وجل بطاعته فقال تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله » واذا خالفن أمره فقد حصلت المعصية بدون شك ، وقد قال الله عز وجل : « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا » .

ولما تحققت هذه المعصية قال الرسول صلى الله عليه وآله « إنكن صواحِب يوسف » .

ولو كانت المعصية معصية شخصية تقتصر عليهما ، ولا تتعدى الى غيرهما لما اشد بالكلام عليهما هذه الشدة ، ولكنه صلى الله عليه وآله لما اضرأ - بعملهما - في المصلحة الاسلامية العامة ودعاهما بمثل هذا الكلام .

ثم ذهب بنفسه صلوات الله عليه وهو على اشد حال ليستدرك ما بدر منهما فيصلي بالمسلمين ويكون خروجه كاحتجاج على أن الامر لم يصدر عنه .

إن السيدة عائشة قد ذكرت في بعض الروايات أن الرسول كان يهادي بين العباس ورجل آخر ، وفي بعض الروايات « كان يتوكأ على الفضل بن عباس ، وعلى ثوبان غلامه ، فمن هو ذلك الرجل الذي لم تسمه عائشة ؟ »

لقد كشف عبد الله بن عباس عن الرجل حيث قد سأل حبر الأمة عبيد الله بن عبد الله بعد أن ساق حديث السيدة عائشة فقال : ابن عباس « سميت لك الرجل الذي كان مع العباس ؟ » قال قلت : لا . قال : هو علي بن ابي طالب ^(١) « وفي الطبري مثل ذلك الا انه ازاد في جوابه قوله « هو علي بن ابي طالب ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع ^(٢) » .

(٢) ص ٢٣ ، تاريخ الطبري الجزء الثاني .

(١) ص ٣٥ من الطبقات لابن سعد .

وإذا كانت السيدة عائشة تذكر اسم الغلام وتكتم اسم الامام فما ظنك بعد هذا من موقفها في امر يعود للامام بالشكر وحسن الذكر ١٩

ولولا وجود جابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عباس وغيرهما من المحدثين ممن حضر الصلاة وشاهد رسول الله ورأى بعينه تنحية ابي بكر واقتداء الجميع برسول الله وذكرهم ذلك في مجالسهم واحاديثهم ، لولا ذلك كله لانكروا خروج النبي للصلاة ، او لاجمعوا انه (ص) كان مؤتماً ولم يكن اماماً . نعم لم يكن ليتسنى انكار صلاة النبي يومئذ والمسلمون شهود على تلك الصلاة لذلك ترى عمر لم يدع صلاة ابي بكر بالناس وانما ادعى صدور الامر من النبي فقط فاسمع ماذا يقول للانصار .

يحدث ابن سعد في طبقاته فيقول (١) « اخبرنا الحسين بن علي الجعفي ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زير ، عن عبد الله قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت الانصار منا أمير ، ومنكم أمير ، قال فأتاهم عمر فقال : يا معشر الانصار أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر يصلي بالناس ، قالوا بلى : قال : فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر . قالوا نعوذ بالله ان نتقدم أبا بكر (٢) .

فأبو حفص لم يدع لابي بكر الصلاة بالناس وانما ادعى صدور الامر بها ، لان بلالاً بلغ عن عائشة ، ومعنى صدور الامر من داخل بيت النبي معناه صدوره عنه كما هو المفهوم في عرف الناس ، ولذلك اضطر النبي - كما قلنا - الى الخروج للصلاة لدفع هذا المفهوم المتوهم ، اذ أن النبي لو أراد تعيين ابي بكر بخصوصه لانتفى هذا الغرض بخروج النبي كما هو واضح .

(١) ص ٣٩ الطبقات الكبرى الجزء الرابع .

(٢) راجع ص ٤٥٨ من كتاب (امتاع الاسماع) فقد ذكر المقرئ انه (ص) صل ركعة وراء عبد

وقد عللت السيدة عائشة خروج النبي بعد صدور الامر بالصلاة بانه (ص) وجدّ خفة فخرج ، ويردّ ذلك قولها من نفس الحديث ان النبي يُهادي بين رجلين وانه يخط برجليه الارض إذ أنّ هذا منتهى ما يتصور من شدة المرض .

وفهم بوضوح من قولها واعتذارها عن ايها من أنه رقيق لا يُسمع الناس ان هذه الصلاة— وهي في اليوم الذي توفي فيه (ص) — هي الصلاة الاولى التي يراجع بشأنها ابو بكر ، اذ لو صلى قبل ذلك لما كان لهذا الاعتذار معنى اذ يقال لها ان هذه كسابقاتها وقد استطاع القيام بها .

كما أنّ هذه الصلاة لو تمت لابي بكر ، او سبق أن صلى غيرها لقال عمر للانصار ، انكم صليتم وراءه وانكم لتعلمون ان هذه الصلوات بامر من النبي ، فأياكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ، ولكن ليس بإمكانه أن يقول صليتم وراءه لان ابا بكر ابتداء بالصلاة ، ورسول الله نحاه عنها فابتداء من حيث انتهى ابو بكر ، كما وصف ذلك ابن عباس .

ولنا تعليق اخير على صدور الامر من عائشة بالصلاة ، وهو أن النبي صلى الله عليه وآله ، لو أراد في الواقع ترشيح ابي بكر — كما يقولون — لصلى (ص) مؤتماً بابي بكر — ولو فعل ذلك لانتضح صدور الأمر منه بدون حاجة الى اثبات ، وليس بالغريب اذا صلى النبي مؤتماً ، لانه قد سبق أن صلى قبل ذلك وراء عبد الرحمن فيما يزعمون^(١) وصلاته هنا أولى اذا كان صلوات الله عليه هو الذي قد اصدر الامر بالصلاة موجهاً الى ابي بكر بالخصوص ، لان حضوره وتنحية ابي بكر عن الامامة كان احتجاجاً على التصرف الذي لم يُرض رسول الله صلى الله عليه

(١) راجع ص ٤٥٨ من كتاب (امتاع الاسماع) فقد ذكر المقرئزي انه (ص) صلى ركعة وراء عبد الرحمن بن عوف .

وآله ، وهذا تصرف حكيم ، يليق بالنبي الكريم ، وهو لا يخفى على العلماء والباحثين .

وأود أن اعترف هنا بأن السيدة عائشة وإن جانبت الواقع ، وخالفت ما أراد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولكنها نجحت الى حد بعيد في توجيه الانظار الى ابيها ، وجمع الكلمة على مبايعته ، ويتضح هذا من قول الانصار لعمر : نعوذ بالله أن نتقدم ابا بكر ، قالوا هذا بعد أن بين عمر لهم أمر الرسول بأن يصلي ابو بكر بالمسلمين ، فكانت دعوى الأمر بالصلاة من المسائل التي لعبت دوراً مهماً في (اجتماع السقيفة) ولاسيما أن السقيفة قد خلت من الهاشميين لانشغالهم جميعاً بمصائبهم الأليم الذي حل بهم بسبب فقدهم النبي العظيم صلى الله عليه وآله الطاهرين .

ولم يكن في اجتماع السقيفة من يقول : إن النبي هو الذي صلى بكم ايها المسلمون وأن الأمر الذي جاء به بلال لم يصدر عنه «ص» ولو كن الرسول هو الأمر بالصلاة لصلى وراءه إشعاراً بصحة ما صدر عنه .

ثم لماذا لا يكون عبد الرحمن هو الخليفة وقد صلى الرسول وراءه كما تذكرون اذا كانت الصلاة مدعاة لترشيح صاحبها الى الخلافة العامة .

نعم لقد لعبت السيدة عائشة هذا الدور والجلأت السيدة حفصة أن تسير الى جنبها تساعدتها ، وتشدد أزرها فاستحقا من النبي تقريره « انكن صواحب يوسف » فنفاهما عنه (ص) في آخر لحظات الحياة .

وقد احست السيدة حفصة - بعد فوات الأوان - بوخز الضمير فقالت لعائشة فيما يرويه البخاري^(١) « ما كنت لاصيب منك خيراً » .

(١) ص ٩١ البخاري الجزء الاول .

نعم إن هذه الصلاة لا تدل على الخلافة حتى لو صلاها أبو بكر بأمر من النبي صلى الله عليه وآله ، فإن شروط الإمامة في الصلاة شيء ، وشروط الخلافة العامة شيء آخر وليس لها أي ارتباط في تلك الشروط ، ومع ذلك فقد غفل عنها الخاصة ، وكان في ذلك شأنهم شأن العامة فقالوا على نحو القياس : ارتضاه الرسول لديننا فكيف لا نرتضيه لديننا ، وقد فندت ذلك على نحو التفصيل في كتابي (الاجماع) في التشريع الاسلامي فليرجع اليه من شاء .

وقد وجدت ابن حزم في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) قد انبه الى أن الخلافة لا تبنى على هذه الصلاة وان كانت ثابتة عنده .

ونحن نقل كلامه ليطلع القارئ على هذا الرأي السديد .

يقول : « واحتجوا باجماع الامة على تقديم ابي بكر الى الخلافة ، وأن ذلك قياس على تقديم النبي (ص) له الى الصلاة ، وأن عمر قال للانصار : ارضوا لامامتكم من رضى رسول الله (ص) لصلاتكم وهي عظم دينكم .

قال ابو محمد : - وهو ابن حزم - وهذا من الباطل الذي لا يحل : ولو لم يكن في تقديم ابي بكر حجة الا أن رسول الله (ص) قدمه الى الصلاة لما كان ابو بكر أولى بالخلافة من علي لأن رسول الله (ص) قد استخلف علياً على المدينة في غزوة تبوك ، وهي آخر غزواته عليه السلام ، فقياس الاستخلاف على الاستخلاف اللذين يدخل فيهما الصلاة والأحكام أولى من قياس الإستخلاف على الصلاة وحدها .

فإن قالوا : إن استخلاف النبي (ص) ابا بكر هو آخر فعله ، قيل لهم ، وبالله تعالى التوفيق . إن علياً لم ينحط فضله بعد أن استخلفه رسول الله (ص) على المدينة في غزوة تبوك ، بل زاد خيراً بلا شك ، فلم

يكن استخلاف النبي (ص) ابا بكر على الصلاة لأجل تقيصة حدثت في علي لم تكن فيه إذ استخلفه على تبوك ، كما لم يكن استخلافه عليه السلام علياً على المدينة في عام تبوك لانه كان افضل من ابي بكر ، فليس استخلاف ابي بكر على الصلاة حاطاً لعلي اه^(١) .

والواقع أن هذا الكلام وجيه للغاية ، ولم أجد من سبقه من اعلام إخواننا الى مثل هذا التصريح .

واضيف بعض التوضيح الى كلامه أن استخلاف الإمام لم يكن كاستخلاف غيره فإن النبي الكريم صلى الله عليه وآله لم يؤثر عنه أن قال كلمة في أي صحابي استخلفه غير الامام عليه السلام فقد قال فيه كلمته المأثورة المشهورة ، موضحاً سبب ابقاء الامام في المدينة راداً على المغرضين الذين قالوا إنما خلفه استقلالاً له ، فقال صلى الله عليه وآله : « كذبوا إنما خلفتك لما ورأيت ، فارجع فاخلقني في أهلي وأهلك ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟؟ فرجع^(٢) » .

ونحن نقول لابن حزم إنه صلى الله عليه وآله لما استخلف الامام على المدينة استخلفه على أهله ايضاً كما استخلف موسى اخاه هارون على أهله ، وهذا اكبر دليل على أنه افضل من ابي بكر وغيره من أهله وأصحابه .

ونفهم من قوله صلى الله عليه وآله (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) الخلافة العامة على المسلمين ، لانه جعله بمنزلة هارون من موسى ، ومنزلة هارون معروفة ، فقد كان

(١) ص ٩٨٢ الجزء الخامس من إحكام الاحكام .

(٢) ص ٤٤٩ إمتاع الاسماع للعلامة المقرئ .

وزيره ، وشريكه في أمره ، فعلي إذن له هذه المنزلة المقررة التي كانت لهارون الا النبوة لذلك استثنأها وقال صلى الله عليه وآله « إلا أنه لا نبي بعدي » .

وليست هذه باول مرة تثبت له هذه المنزلة ، فقد سبق أن صرح بها لما آخى رسول بين اصحابه كما ذكرناه في فصل (اخ) فقد قال له من جملة حديث له « والذي بعثني بالحق نبياً ما أخرجتك الا لنفسي فانت مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي ، وانت أخي ووارثي ثم تلا : إخواناً على سرر متقابلين ، المتحابون في الله ينظر بعضهم الى بعض » .

وقد اثبت النبي صلى الله عليه وآله هذه الوزارة والخلافة بحديث لا يقبل الشك فقال فيما رواه أنس : « إن خليلي ، ووزيري ، وخليفتي ، وخير من أترك بعدي ، يقضي ديتي ، ويُنجز مواعيدي علي بن ابي طالب » كما ذكرناه في فصل (خليل) .

لقد كانت أمنية النبي (ص) أن يكون الوصي منه كهارون من موسى في كل مرتبة نالها من الله تعالى فقال - كما سبق أن ذكرناه - « اللهم إني اقول كما قال أخي موسى واجعل لي وزيراً من أهلي أخي علياً اشد به أزرى ، وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ، ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً » .

وقد هبط جبريل مستجيباً دعوته في أخيه قائلاً : « يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك : عليٌ منك بمنزلة هارون من موسى لكن لا نبي بعدك » مما يدل على أنه صلى الله عليه وآله قد طلب النبوة لآخيه فاجيب أن لا نبي بعده لان النبوة قد ختمت به فأشركه الله في امره على سبيل الوصاية والوزارة لا على سبيل النبوة ، وفق الله الامة ، وهداها للسبر على طريقه المستقيم .

• • •

الْوَصِيَّ فِي وَفَاةِ النَّبِيِّ

« وصيي ووارثي ، يقضي ديني ، وينجز مواعيدي علي بن ابي طالب »
« النبي الكريم »

لقد انزل الله تعالى على نبيه الكريم سورة «النصر» معلناً عز الاسلام ونصره فقال عز اسمه « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسيح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ».

وقد استبشر النبي الكريم بهذه السورة ايما استبشار ، ويحق للنبي ان يبشر بها اخاه وابن عمه الوصي وبضعته « الزهراء » لانها نزلت بعد وقعة حنين ، وقد أبلى بها الهاشميون البلاء الحسن وكان في مقدمتهم الامام وقد قتل بسيفه البتار اكثر من نصف ما قتل المسلمون ، وكان للنساء في هذه الغزوة الموقف المشكور مما يجدر بالزهراء - وهي سيدة النساء - ان تقف بنفسها على هذا النصر للاسلام والظفر للمسلمين وهو فتح مكة المكرمة الذي أعقبه دخول الناس في دين الله أفواجا .^أ

يقول حبر الامة عبد الله بن عباس : « لما اقبل رسول الله (ص) من غزوة حنين ، وأنزل الله تعالى اذا جاء نصر الله ، قال : يا علي بن ابي طالب ، ويا فاطمة قولا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسيحان ربي وبحمده واستغفره انه كان تواباً^(١) . ويقول في تفسير الجلالين وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه

(١) ص ٣٤٤ « اسباب النزول » لابي الحسن علي بن احمد الرازي : طبع سنة ١٣١٥ مطبعة هندية بمصر .

السورة يكثر من قول : سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه ،
وعلم بها انه قد اقرب أجله ، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان ،
وتوفي صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول سنة عشر^(١) .

وهكذا تراه صلى الله عليه وآله يشركهما في الأمر قولاً ، وفعلًا
لأنهما محل اعتماده في السراء ، والضراء ، وموضع سره في الشدة والرخاء .

وها هو صلى الله عليه وآله إذ يحس بدنو أجله يرى من الضروري
أن يعرف ذلك المسلمون ، وهو أول ما يبدأ باخبار الزهراء فيعرفها دنو
أجله وأجلها وأنها أول أهله وفوداً عليه .

فهذا ابن سعد يحدثنا في طبقاته فيقول : « قال : اخبرني الفضل بن
دكين ابو نعيم ، قال حدثنا زكريا بن ابي زائدة ، عن فيراس بن يحيى ،
عن عامر الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت :
كنت جالسة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت فاطمة تمشي
كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « مرحباً بابنتي »
فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسرَّ إليها شيئاً فبكت ، ثم أسرَّ إليها
فضحكت ، قالت : قلت ما رأيت ضحكاً أقرب من بكاء ، استخصك
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه ثم تبكين ؟؟ قلت أي شيء أسرَّ إليك
رسول الله (ص) ؟ فقالت ما كنت لأفشي سرّه ، فلما قبض سألتها ،
فقالت « قال : إن جبريل كان يأتيني كل عام فيعارضني بالقرآن مرة ،
وإنه اتاني العام فعارضني مرتين ، ولا أظن إلاّ أجلي قد حضر ، ونعم
السلف أنا لك - قالت وقال - انت أول أهل بيتي لحاقاً بي ، قالت :
فبكيت لذلك ثم قال : « أمّا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الامة ،

(١) ص ٢٠٥ الجزء الثاني من تفسير الجلالين : المطبعة البهية بمصر سنة ١٢٠٢ .

او نساء العالمين ، قالت : فضحكت (١) .

ويحدث ابن سعد ايضاً عن هذه « المسارة » عن السيدة ام سلمة فيقول : « قال اخبرنا محمد بن عمر ، قال حدثني موسى بن يعقوب ، عن هاشم بن هاشم ، عن عبد الله بن وهب ، بن زَمْعَة ، عن أمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما حُضِر رسول الله (ص) دعا فاطمة رضي الله عنها فناجاها فبكت ، ثم ناجاها فضحكت فلم أسألهما حتى توفي رسول الله (ص) ، فسألت فاطمة رضي الله عنها عن بكائها ، وضحكها ، فقالت : أخبرني (ص) أنه يموت ، ثم أخبرني اني سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فلذلك ضحكت (٢) » .

وقد اراد النبي الكريم - وهو يودّع الدنيا - أن يعرف امته بالرفيقين اللذين لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض فقال صلى الله عليه وآله فيما تحدث عنه ابو سعيد الخدري : « لئنّي أوشك أن أدعى فأجيب ، ولئنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله ، وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتي اهل بيتي ، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما (٣) » .

والمقصود من قوله صلى الله عليه وآله « انهما لن يفترقا » انهما مع الحق ، وانهما لن يفترقا في هذا الطريق حتى يردا الحوض . ولا شك أن المتمسك بهما يصل به السير الى « الحوض » فيعبّ من نيره العذب ، ويشرب بكأسه الاوفى شربة لا يظمأ بعدها أبداً .

(١) ص ٦٤ « الطبقات » لابن سعد . وص ٧٨١ (الوفا باحوال المصطفى) لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي .

(٢) ص ٦٤ الطبقات لابن سعد .

(٣) ص ٨ الطبقات لابن سعد .

وأما المتخلف عنهما فقد ضل الطريق فيحلاً عن الحوض ، ويذاد عنه وقد قتله الظماً .

وكان الرسول صلى الله عليه وآله يحبّ الانصار حباً جمّاً لذّ بهم عنه ونصرتهم له فأراد - وهو يستقبل الأخرى - أن يوصي بهم خيراً ، فقد حدثت السيدة عائشة وقالت : « أمرنا رسول الله (ص) أن نصبّ عليه من سبع قرب ، من سبعة آبار ففعلنا ، فلماً اغتسل وجد الراحة فصلّى بالناس ، ثم خطبهم ، واستغفر للشهداء من أصحاب أحد ، ودعا لهم ، ثم أوصى بالانصار فقال : « يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون ، وأصبحت الأنصار لا تزيد على هياتها التي هي عليه اليوم ، هم عيتي التي آويت إليها ، أكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم ^(١) » .

ويحدث ابو سعيد الخدري فيقول : « قال رسول الله (ص) « إن عيتي التي آوي إليها أهل بيتي ، وإنّ الانصار كرشي فاعفوا عن مسيئهم ، واقبلوا من محسنهم ^(٢) » .

ويحدث يحيى بن سعيد أن النعمان بن مرة أخبره أنه بلغه أن رسول الله (ص) قال في مرضه الذي توفي فيه : « إن لكل نبي تركّةً أو ضيعة ، وإنّ الانصار تركتي أو ضيعتي ، وإنّ الناس يكثرون ، ويقلون ، فاقبلوا من محسنهم ، واعفوا عن مسيئهم ^(٣) » .

ونفهم بوضوح من قوله (إن لكل نبي تركّة) على نحو العموم أنّ

(١) ص ٦٧ (الطبقات) لابن سعد .

(٢) ص ٦٨ (الطبقات) لابن سعد .

(٣) ص ٦٨ (الطبقات) لابن سعد .

الانبياء كبقية الناس يُورثون ، وَيُورثون ، يورثون من ابنائهم ، وَيُورثون آباءهم لأن التركة هي الميراث المالي لغة ، وشرعاً بالاجماع وبعضهم يلحق بالمال ميراث الحق على خلاف في ذلك لا حاجة الى تفصيله .

وليس المقصود من قوله صلى الله عليه وآله « وإن الانصار تركتي » نفي التركة المالية بعد أن أثبتها لكافة الانبياء ، وإنما المقصود إعزاز الانصار ، وأنهم التركة المعنوية التي خلفها النبي للناس فهو يوصي بأن يحفظوه فيهم فيقول : من رواية اخرى « فاحفظوني فيهم ، اقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم »^(١) .

ويفهم من توصية النبي بهم أن الخلافة في غيرهم ، وقد نبّه على هذا امير المؤمنين عليه السلام فقال : لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم .

وبدل ذلك تصريحه في آخر خطاب له فقد جلس على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه - فيما يحدث ابن عباس - ثم قال : « يا معشر الناس ، إن الناس يكثرُونَ ، وتثقل الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولي من أمرهم شيئاً فليقبل من محسنهم ، وليتجاوز عن مسيئتهم »^(٢) .

وهناك تصريح آخر يدل على أن الامر سيكون بيد غيرهم فقد قال لهم صلوات الله عليه ، « يا معشر الانصار إنكم تلقون بعدي أثرّة » فقالوا يا نبي الله فما تأمرنا؟؟ قال : آمركم أن تصبروا حتى تلقوا الله ورسوله^(٣) .

(١) ص ٦٨ (الطبقات) من رواية أبي سعيد الخدري .

(٢) ص ٦٩ (الطبقات) لابن سعد .

(٣) ص ٦٩ (الطبقات) لابن سعد .

والمعروف أيضاً أن النبي الكريم قد أمر الوصي بالصبر ، وأعلمه بكل ما سيجري من شؤون وشجون .

والغريب أن يصور التاريخ أن الوصاية العامة على المسلمين مجهولة لدى العباس وهو عم النبي ، ومجهولة أيضاً عند علي وهو أخو النبي وصهره وابن عمه لذلك يطلب العباس من ابن أخيه أن يذهب إلى النبي يستوضح أمر الخلافة فإن كانت فيهم علموا بها ، وإن كانت في غيرهم طلبا منه (ص) أن يوصي بهم كما أوصى بالانصار فيقول العباس من جملة حديثه « فاذهب بنا إلى رسول الله (ص) فلنسأله فيمن هذا الأمر من بعده ؟؟ فإن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا ، فقال علي والله لئن سألتها رسول الله (ص) فمنعناها لا يعطيناها الناس أبداً ، فوالله لا نسأله أبداً (١) .

وهذا الكلام واضح الوضع لأن موقف النبي في حجة الوداع لم يكن بالبعيد وقد نص النبي على ولايته العامة على المسلمين بمرأى ومشهد من ذلك الجمع الغفير فلا يمكن السؤال عن أمر ثابت الوقوع باجماع محصل من كل من حضر ذلك المشهد العظيم .

وهناك رواية أخرى يظهر منها اطلاع الامام وجهل عمه العباس بواقع الأمر فقد حدث ابن سعد في (طبقاته) فقال : « فقال العباس يا ابن أخي إني قد رأيت رأياً لم أحب أن أقطع فيه شيئاً حتى استشيرك ، فقال له علي وما هو ؟ قال : ندخل على النبي (ص) فنسأله إلى من هذا الأمر من بعده ، فإن كان فينا لم نسلّمه والله ما بقي منا في الأرض طارف

(١) ص ٦٢ (الطبقات) لابن سعد وفي ص ٦٥٤ القسم الثاني من السيرة النبوية لابن هشام هذا النص : « وإن كان في غيرنا أمرنا فأوصى بنا الناس ، والعباس أجل وأرفع من أن يصدر منه مثل هذا التعبير الذي لا يليق بمقام النبي الكريم ، وهو من أصف الناس بمقام النبوة ، وبمنزلة النبي صلوات الله عليه

وان كان في غيرنا لم نطلبها بعده ابداً ، فقال علي يا عم وهل هذا الامر
إلا اليكم ، وهل من أحد ينازعكم في هذا الأمر ؟ قال : ففرقوا ولم
يدخلوا على النبي (ص) (١) .

ورواية ثالثة تقول : « جاء العباس فدخل على النبي (ص) في وجعه
الذي توفي فيه ، فقال علي بن ابي طالب ما تريد ؟ قال العباس : اريد
أن اسأل رسول الله (ص) أن يستخلف منا خليفة ، فقال علي لا تفعل ،
قال لم ؟ قال أخشى أن يقول : لا . فاذا ابتغيانا ذلك من الناس قالوا
أليس قد أوى رسول الله (ص) (٢) .

وهذا في الوقت الذي يناقض الحديث السابق فانه بعيد كل البعد عن
اسلوب الامام وتفكيره .

والذي اراه قريباً للواقع ما رواه شيخ الامامية الشيخ المفيد في (إرشاده
فقال : « وبقي عنده - اي عند النبي - العباس ، والفضل بن العباس ،
وعلي بن ابي طالب واهل بيته خاصة ، فقال له العباس ، يا رسول الله
إن يكن هذا الامر فينا مستقراً من بعدك فبشرنا ، وإن كنت تعلم أننا
نغلب عليه فاقض بنا ، فقال : انتم المستضعفون من بعدي ، واصمت .
فنهض القوم وهم يبكون قد يشوا من النبي صلى الله عليه وآله (٣) .

فالعباس لا يسأل فيمن يكون هذا الأمر لأنه يعلم أنه فيهم بغير
شك ، وإنما يسأل عن استقرار الامر فيهم بعد النبي ، وهذا سؤال وجيه
اذ يمكن أن يكون للانسان حق في امر من الامور ثم لا يصل اليه هذا
الحق ، او يصل ولا يستقر بيده ، كما كان الامر في يد الامام الحسن
عليه السلام ولم يستقر .

(١) ص ٦٢ (الطبقات) لابن سعد .

(٢) ص ٦٣ (الطبقات) لابن سعد .

(٣) ص ٩٩ (الارشاد) في تراجم الائمة عليهم السلام .

والعباس لا يطلب ان يوصي النبي بهم ، وانما قال : فاقض بنا ، اي فاحكم ماذا نصنع اذا غلبنا وزوي عنا حقنا ، وقوله (ص) انتم المستضعفون من بعدي معناه أمرهم ضمناً بالصبر ، لأن المستضعف ليس له سلاح إلا الصبر .

والرسول اذ ينهي وداع الاحياء يشرع في وداع الاموات فيخرج الى البقيع مستغفراً لأهله والشهداء من اصحابه .

تقول السيدة عائشة : « فقدت النبي (ص) فتبعته فإذا هو بالبقيع فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم لنا فرط » ، وإننا بكم لاحقون ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتننا بعدهم » قالت : ثم التفت إلي فقال : « ويحها لو تستطيع ما فعلت » (١) .

وقول النبي صلى الله عليه وآله « ويحها لو تستطيع ما فعلت » بعد قوله « ولا تفتننا بعدهم » تعريض صريح بما سيصدر من السيدة عائشة من شجون كانت جديرة بأن تكون بعيدة عنها كل البعد .

وعن السيدة عائشة ايضاً تقول : « كان رسول الله (ص) يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين إيتانا واياكم ما توعدون ، وإننا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » (٢) .

ويحدث عطاء بن يسار أن رسول الله (ص) أتى فقيل له : اذهب فصل على أهل البقيع ففعل ذلك ثم رجع ، فرقد فقيل له اذهب فصل على أهل البقيع ، فذهب فصلي عليهم فقال : « اللهم اغفر لأهل البقيع » ثم رجع فرقد فأتي فقيل له اذهب فصل على الشهداء ، فذهب الى أحد

(١) ص ١٧ « الطبقات » لابن سعد .

(٢) ص ١٨ « الطبقات » لابن سعد .

فصلى على قتلى أحد فرجع معصوب الرأس فكان بدء الوجع الذي مات فيه (ص) (١) .

ويحدث ابو مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول :
« قال رسول الله (ص) من جوف الليل « يا ابا مويهبة اني قد أمرت
أن استغفر لأهل البقيع فانطلق معي » فخرج وخرجت معه حتى جاء
البقيع فاستغفر لأهله طويلاً ، ثم قال : « ليهنكم ما أصبحتم فيه مما
أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ،
الآخرة شر من الأولى » ثم قال : يا ابا مويهبة اني قد أعطيت خزان
الدنيا والخلد ثم أبلت فخيرت بين ذلك ، وبين لقاء ربي والجنة » فقلت
بأبي أنت وامي فخذ خزان الدنيا والخلد ثم الجنة ، فقال : « يا ابا مويهبة
قد اخترت لقاء ربي والجنة » فلما انصرف ابتدأه وجعه فقبضه الله
(ص) (٢) .

وهكذا نراه صلى الله عليه وآله يشكو همومه لأهله ، ويهتتم حيث
قد أصبحوا في عافية مما سيصبح به الاحياء من فتن مظلمة ظالمة مقبلة
عليهم بعد وفاته صلى الله عليه وآله « وما محمد الا رسول قد خلت من
قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه
فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين » .

وانا نراه صلى الله عليه وآله بعد أن يفرغ من توديع الشهداء من
قتلى احد يودع الاحياء فيرقى المنبر ويقول : « إن بين أيديكم فرط » ،
وانا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الخوض ، وانني لأنظر إليه في مقامي
هذا ، وإنني لست أخشى عليكم أن تشرِكوا ولكن أخشى عليكم الدنيا

(١) ص ١٩ « الطبقات » لابن سعد .

(٢) ص ١٩ « الطبقات » لابن سعد .

أن تُنافسوا عليها» (١).

والنبي صلى الله عليه وآله يحدثنا عن هذا الحوض قبل أن يودع الدنيا ، ويحدث الناس أن جماعة من أصحابه يعرفهم ، ويعرفونه يُجلّون عن الحوض فيقول النبي : يا رب أصحابي فيجاب إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري ، يقول ذلك ليعلم الناس أن العمل الصالح هو الذي ينفع الناس ، وأن الصحبة - وإن كانت شرفاً عظيماً - ولكنها لا تجدي المسلم نفعاً إذا لم يقترب من الله تعالى ، ولم يعصم نفسه من المعاصي .

وهذا البخاري - وهو إمام المحدثين - يورد في باب (الحوض) من صحيحه عدة أحاديث في هؤلاء الذين أجلوا عن الحوض فلم يذوقوا عذب نعيمه .

١ - يقول : حدثني عمرو بن علي ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبه عن المغيرة قال : سمعت أبا وائل عن عبد الله رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « انا فرطكم على الحوض ، وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول يا رب أصحابي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » تابعه عاصم عن أبي وائل ، وقال حصين عن أبي وائل عن حذيفة عن النبي (ص) (٢) .

٢ - يقول : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا وهيب ، حدثنا عبد العزيز عن انس رضي الله عنه عن النبي (ص) قال : « ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى اذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول : أصحابي فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك (٣) » .

(١) ص ١٩ « الطبقات » لابن سعد برواية عقبة بن عامر الجهني .

(٢) ص ٩٦ الجزء الرابع من صحيح البخاري المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ .

(٣) ص ٩٦ صحيح البخاري الجزء الرابع .

٣- يقول : حدثنا سعيد بن أبي مریم ، حدثنا محمد بن مطرف ، حدثني ابو حازم عن سهل بن سعد قال : قال النبي (ص) إني فرطكم على الخوض ، من مرّ عليّ شرب ، ومن شرب لم يظمأ ابداً ، ليردن عليّ أقوام اعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم ، قال ابو حازم : فسمعتي النعمان بن أبي عياش فقال هكذا سمعت من سهل ، فقلت نعم . اشهد عليّ أبي سعيد الخدري لسمعتي ، وهو يزيد فيها فأقول إنهم مني ، فيقال : إنك لا تدري ما احدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن غير بعدي (١) .

٤- يقول : وقال احمد بن شبيب ، بن سعيد الحبطي حدثنا أبي عن يونس ، عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة أنه كان يحدث أن رسول الله (ص) قال : « يرد عليّ يوم القيامة رهط من اصحابي فيجلون عن الخوض فأقول : يا رب اصحابي فيقول : إنك لا علم لك بما احدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري (٢) » .

٥- يقول : حدثنا احمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيب انه كان يحدث عن اصحاب النبي (ص) أن النبي (ص) قال يرد عليّ الخوض رجال من اصحابي فيحلأون عنه فأقول يا رب اصحابي ، فيقول إنك لا علم لك بما احدثوا بعدك ، انهم ارتدوا على أدبارهم القهقري (٣) .

٦- يقول : حدثني ابراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثنا محمد بن فليح ، حدثني أبي ، حدثني هلال ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال : « بينا انا قائم فاذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني

(١) ص ٩٦ صحيح البخاري الجزء الرابع .

(٢) ص ٩٦ صحيح البخاري الجزء الرابع .

(٣) ص ٩٧ صحيح البخاري الجزء الرابع .

وبينهم فقال هلم فقلت أين ؟؟ قال : الى النار والله ، قلت وما شأنهم ؟؟ قال : انهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت أين ؟؟ قال الى النار والله ، قلت ما شأنهم ؟؟ قال انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم ^(١) .

٧- يقول : حدثنا سعيد بن أبي مريم ، عن نافع بن عمرة قال : حدثني ابن أبي مليكة عن اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، قالت : قال النبي (ص) « إني على الحوض حتى انظر من يرد علي منكم ، وسيؤخذ ناس من دوني فأقول يا رب مني ومن أمي فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم ^(٢) » فكان ابن أبي مليكة يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ، أو نقتل عن ديننا .

وكما أن الصحبة لا تجدي إلا مع العمل الصالح فكذلك القرابة منه صلى الله عليه وآله ، فقد نادى بأعلى صوته - حتى أن صوته ليخرج من باب المسجد - وقال : « إني والله لا يمسك الناس علي- بشيء ، لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه - ثم قال - يا فاطمة بنت محمد ، ويا صفية عمة رسول الله اعملا لهما عند الله ، فإنني لا أغني عنكما من الله شيئاً » ثم قام من مجلسه ذلك ، فما انتصف النهار حتى قبضه الله ^(٣) .

ولا شك أن هذه الكلمات أعظم درس يلقيها نبي الله على الأمة في آخر لحظات من حياته ، وقد أفهمها أنها بالعمل لا بسواه تقرب من الله .

(١) ص ٩٧ صحيح البخاري الجزء الرابع .

(٢) ص ٩٧ صحيح البخاري الجزء الرابع .

(٣) ص ٣١ « الطبقات » لابن سعد .

وهذا درس "آخر يواجه الامة به قبل الرحيل فيطلب من الناس أن يقتصوا منه في حياته صلوات الله عليه ليُعرف قادة الامة كيف يحاسبون انفسهم قبل أن يحاسبهم الناس ، وهذا أقصى ما يتصور من العدالة الإجتماعية التي عرفها المجتمع الإنساني عن طريق الأديان السماوية .

فهذا ابن سعد يحدثنا في (طبقاته) فيقول « أخبرنا كثير ابن هشام ، أنبأنا جعفر بن برقان ، قال حدثني رجل من أهل مكة ، قال دخل الفضل ابن عباس على النبي (ص) في مرضه فقال : « يا فضل شدّ هذه العصابة على رأسي » فشدها ثم قال النبي (ص) « أرنا يدك » قال : فأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم فأنهض حتى دخل المسجد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم ، وأيما رجل كنت أصبت من عريضه شيئا (ص) فهذا عريضتي فليقتص ، وأيما رجل كنت أصبت من بشّره شيئا فهذا بشّري فليقتص ، وأيما رجل كنت أصبت من ماله شيئا فهذا مالي فليأخذ ، واعلموا أن أولاكم بي رجل كان له من ذلك شيء فأخذه ، أو حلتني فلتقيت ربي وأنا محلل لي ، ولا يقولنّ رجل إنني أخاف العداوة والشحناء من رسول الله فإنهما ليستا من طبعي ، ولا من خلقي ، ومن غلبته نفسه على شيء فليستن بي حتى أدعو له » فقام رجل فقال أياك سائل فأمرتني فأعطيته ثلاثة دراهم قال : « صدق أعطيتها إياه يا فضل » قال ثم قام رجل فقال يا رسول الله إنني لبخيل وإني بلجان فادع الله أن يذهب عني البخل والجبن والنوم . فدعا له ، ثم قامت امرأة فقالت إنني لكذا ، وإني لكذا ، فادع الله أن يذهب عني ذلك ، قال : إذهي إلى منزل عائشة » فلما رجع رسول الله (ص) إلى منزل عائشة رضي الله عنها وضع عصاه على رأسها ثم دعا لها ، قالت عائشة فمكثت تكثر السجود فقال : « أطيلي السجود فإن اقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجداً » فقالت عائشة فوالله ما فارقتني حتى عرفت دعوة

رسول الله (ص) فيها^(١) .

ولأنما فتح النبي صلى الله عليه وآله باب الاستعانة به في الدعاء لأن دعاء النبي لا يُردّ ، ولأنه في آخر ساعات حياته فهو (ص) يودّ أن يداوي النفوس المريضة ممن حضر مجلسه وسمع خطابه .

وفي إرسال المرأة الى بيت السيدة عائشة ودعاؤه لها بمحضر السيدة عائشة لفئة نبوية كريمة لا تخفى على القاري الذكي .

ولو أن أولئك الذين يُحلّأون عن الحوض قد استعانوا بالنبي أن يدعو لهم بالشفاء مما هم فيه لكانوا على خير ، وكانت الناس منهم في عافية . ولكنهم أبوا إلا أن يبقوا كما هم فانقلبوا على الأعقاب مذ انحرفوا عن أعدل الكتاب .

ويضيف الطبري في تاريخه الى هذه الدعوات دعوات أخرى فيقول^(٢) « فقام رجل فقال يا رسول الله إنني لكذاب ، إنني لفاحش ، وإنني لنؤوم ، فقال : « اللهم ارزقه صدقاً ، وإيماناً ، وأذهب عنه النوم اذا أراد ، ثم قام رجل فقال : والله يا رسول الله إنني لكذاب ، وإنني لمنافق ، وما شيء ، او إن شيء إلا قد جنيته فقام عمر بن الخطاب فقال فضحت نفسك أيها الرجل فقال النبي (ص) يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ، « اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً وصيّر امره الى خير » فقال عمر كلمة فضحك رسول الله . »

وقوله (ص) « إذا اراد » واضح الهدف لأن النبي (ص) إنما يدعو له إذا كان مخلصاً في طلبه فيكون هذا الطلب توبة منه .

(١) ص ٧٢ « الطبقات » لابن سعد .

(٢) ص ٤٣٤ تاريخ الطبري المجلد الثاني = مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ .

وأما إذا لم يرد فيكون الطلب منه سخرية واستخفافاً فلا يدعو له النبي
لذلك علّق الرسول (ص) الدعاء على الإرادة وهي لا تخفى على الله تعالى .
وأما قول عمر فضحك رسول الله بعد قول النبي له « فضوح
الدنيا أهون من فضوح الآخرة » غريب جداً ، ولا سيما أن دعاء النبي
كان لرفع القضيحة عن الرجل في الدنيا والآخرة .
واعتقد أن تعليق عمر كان له أكبر الأثر في صدّ الآخرين عن طلب
الدعاء والشفاء .

وهناك عدة حوادث طلب النبي أن يقتصر أصحابها منه نوردها في هذا
الفصل لتكون دروساً وعبرة لقادة الأمة العربية في عصرنا الحاضر .

يحدث عبد الله بن أبي بكر فيقول : « زحمت رسول الله (ص)
يوم خيبر وفي رجلي نعل كثيفة فوطأت بها على رجل رسول الله (ص)
فنفخني بسوط في يده وقال ، بسم الله ، أوجعني ، قال : فبت لنفسي
لائماً أقول : أوجعت رسول الله (ص) فبت بليلة كما يعلم الله » .

فلما أصبحوا إذا رجل يقول : ابن فلان ؟ قلت : هذا والله هذا
الذي كان مني بالأمس ، فانطلقت وأنا متخوف ، فقال لي رسول
الله (ص) إنك وطأت بنعلك على رجلي بالأمس وأوجعني فنفختك
نفخة شديدة بالسوط ، فهذه ثمانون رأساً من الغنم فخذها بها^(١) .

ويحدث ابن عمر فيقول : رغب رسول الله (ص) في الجهاد ذات
يوم فاجتمعوا عليه حتى غمّوه وفي يده جريدة قد نزع سيلاها وبقيت
سلاة لم نرها ، فقال : أخرّوها عني فقد غمّمتوني .

فأصاب النبي (ص) بطن رجل فادماه ، فخرج الرجل وهو يقول :

(١) ص ٧٧٥ (الوفا بأحوال المصطفى) لأبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي .

هذا فعل نبيك بي ، فسمعه عمر ، فأتى به الى رسول الله (ص) فقال :
أحقاً انا اصبتك ؟ قال : نعم . قال : فما تريد ؟ قال : أريد أن
استفيد منك ، فأمكنه من الجريدة فكشف عن بطنه ، فألقى الجريدة
من يده ، وقبل سرته وقال : هذا أردت كيما ينقمع الجبارون من
بعدك^(١) .

ويحدث ابو سعيد الخدري فيقول^(٢) : كان رجل من المهاجرين ،
وكان ضعيفاً ، وكانت له حاجة الى رسول الله (ص) فأراد أن يلقاه على
نخلاء فيسأل حاجته ، وكان رسول الله (ص) معسكراً بالبطحاء . وكان
يجيء من الليل فيطوف بالبيت حتى اذا كان وجه السحر صلى بهم صلاة
الغداة .

قال : فحبسه الطواف ذات ليلة حتى أصبح ، فلما استوى على
راحلته عرض له الرجل فأخذ بخطام ناقته ، فقال : يا رسول الله ، لي
اليك حاجة - فأجابه النبي - « إنك ستدرك حاجتك » فأبى ، فلما
خشى أن يحبسه ، خفقه بالسوط ثم مضى فصلّى بهم صلاة الغداة .

فلما انتقل أقبل بوجهه على القوم ، وكان إذا فعل ذلك عرفوا أنه
قد حدث أمر ، فاجتمعوا حوله فقال : أين الذي جلدت آتفاً ؟ فأعادها
إن كان في القوم فليقم . قال : فجعل الرجل يقول : اعوذ بالله ، ثم
برسول الله ، وجعل رسول الله (ص) يقول : ادنه ، ادنه ، حتى دنا
منه ، فجلس رسول الله (ص) بين يديه ، وناول السوط وقال : خذ
بمجلدك فاقتص .

فقال اعوذ بالله أن أجلد نبيه !!

(١) ص ٧٧٥ (الوقا) باحوال المصطفى لابن الجوزي .

(٢) ص ٧٧٦ (الوقا) باحوال المصطفى لابن الجوزي .

قال : إلا- أن تعفو ، قال : فألقى السوط وقال : قد عفوت يا رسول الله .

ويحدث محمد بن عمر فيقول^(١) : « بينما رسول الله (ص) يسير من الطائف الى الجعرانة وأبو زُنَيْم الى جنبه على ناقة رسول الله (ص) قال أبو زُنَيْم فوق حرف نعلي على ساقه فأوجعه ، فقال رسول الله (ص) أوجعتني آخر رجلك ، وقرع رجلي بالسوط فأخرتني ما قدم وما آخر ، وخشيت أن ينزل في قرآن لعظم ما صنعت .

فلما أصبحنا بالجعرانة خرجت أرعى الظهر ، وما هو يومي ، فرقاً أن يأتي النبي (ص) رسولٌ يطلبني ، فلما رَوَّحت الركاب سألت فقالوا : طلبك رسول الله (ص) ، فجئت وأنا ارتقب فقال : إنك أوجعتني برجلك فقرعتك بالسوط فأوجعتك فخذ هذا الغنم عوضاً عن ضربتي .

قال : فرضاه عني كان أحبّ اليّ من الدنيا وما فيها .

وهناك درسٌ آخر في الصدقات يمليه النبي (ص) على الأمة في مرضه الذي توفي فيه فقد حدثت السيدة عائشة تقول : « أصاب رسول الله (ص) دنائير فقسمها إلا ستة ، فدفع الستة الى بعض نسائه فلم يأخذه النوم حتى قال : ما فعلت الستة » قالوا دفعتها الى فلاة ، قال اثتوني بها ، فقسم منها خمسة في خمسة آيات من الانصار ثم قال : استنفقوا هذا الباقي » وقال : الآن استرحت فرقد^(٢) .

وقال صلى الله عليه وآله : يا عائشة ما فعلت بتلك الذهب ؟ قالت هي عندي ، قال : أنفقيها ، ثم غشي عليه ، فلما افاق قال :

(١) ص ٧٧٧ (الوفا) باحوال المصطفى لابن الجوزي .

(٢) ص ٥٣ (الطبقات) لابن سعد .

هل انفقت تلك الذهب يا عائشة ؟ قالت : لا . والله يا رسول الله قالت فدعا بها فوضعها في كفه فعدّها واذا هي ستة دنانير فقال : ما ظن محمد برّبّه أن لو لقي الله وهذه عنده ، فانفقها كلها ومات من ذلك اليوم^(١) .

وقال ابو هريرة ، قال : رسول الله (ص) والذي نفس محمد بيده لو أن أحداً ذا عندي ذهباً لأحببت أن لا تأتي عليّ ثلاثة ايام وعندي منه دينارٌ وأحيدُ من يقبله مني صدقة إلا شيء أرصده في دين عليّ^(٢) .

ويحدث ابن ابي مليكة عن عقبة بن الحارث انه قال : انصرف رسول الله (ص) من صلاة العصر فأسرع ولم يدركه أحد ، فعجب الناس من سرعته ، فلما رجع اليهم عرف ما في وجوههم فقال : كان عندي تبرٌ في البيت فكرهت أن أتيته عندي فأمرت بقسمه^(٣) .

ويحدث عوف عن الحسن قال : اصبح رسول الله (ص) يوماً فعرف في وجهه أنه بات قد أهمه أمر ، قال : فقبل له يا رسول الله إنا لنستنكر وجهك فإنك قد أهمك أمر فقال رسول الله (ص) : ذاك من أوقيتين من ذهب الصدقة باتتا عندي لم اكن وجهتهما^(٤) .

وتحدث السيدة عائشة فتقول : أتت رسول الله (ص) ثمانية دراهم بعد أن أمسينا ، فلم يزل قائماً وقاعداً لا يأتيه النوم حتى سمع سائلاً ، فخرج من عندي فما عدا أن دخل فسمعت غطيطة ، فلما أصبح قلت يا رسول الله رأيتك أول الليل قائماً وقاعداً ، لا يأتيك النوم حتى خرجت

(١) ص ٥٣ (الطبقات) لابن سعد .

(٢) ص ٥٣ (الطبقات) لابن سعد .

(٣) ص ٥٤ (الطبقات) لابن سعد .

(٤) ص ٥٤ (الطبقات) لابن سعد .

من عندي ، فما أن دخلت فسمعت غطيظك قال : أجل أنت رسول الله ثمانية دراهم بعدما أمسى ، فما ظن رسول الله أن لو لقي الله وهي عنده (١) .

وعن سهل بن سعد قال كانت عند رسول الله (ص) سبعة دنائير فوضعها عند عائشة رضي الله عنها ، فلما كان في مرضه قال : يا عائشة ابغي بالذهب الى علي « ثم أغمى على رسول الله (ص) وشغل عائشة رضي الله عنها ما به حتى قال ذلك ثلاث مرات ، كل ذلك يغمى على رسول الله (ص) ، ويشغل عائشة ما به ، فبعثت - يعني به الى علي - فتصدق به ، ثم أمسى رسول الله ليلة الاثنين في جديد الموت ، فأرسلت عائشة الى امرأة من النساء بمصباحها فقالت أقطري لنا في مصباحنا من علكك السمن فان رسول الله (ص) أمسى في جديد الموت (٢) . »

ولانما امر الرسول الأعظم بارسال الذهب الى علي لانه عليه السلام وصيه الخاص والعام فهو يقضي دينه ، وينجز مواعيده ، ويبين لأئمة ما اختلفوا فيه من بعده فقد قال فيه صلى الله عليه وآله « إن خليلي ووزيرى وخليفتي ، وخير من أترك بعدي يقضي ديني ، وينجز مواعيدي علي بن ابي طالب . »

وهناك امور تتعلق بالنبي بعد وفاته من تغسيله وتكفينه ، والصلاة عليه ، ودفنه نعرف منها منزلة أهل بيته من نفسه فقد قال ابن مسعود من جملة حديث له قلنا : يا رسول الله متى أجلك ؟ قال : دنا الفراق ، والمنقلب الى الله والى جنة المأوى ، والى سدره المنتهى ، والى الرفيق الأعلى ، والكأس الأوفى ، والحظ والعيش الأهنى .

(١) ص ٥٥ (الطبقات) لابن سعد .

(٢) ص ٥٥ (الطبقات) لابن سعد .

قلنا : يا رسول الله مَنْ يغسلك ؟ قال : رجال أهل بيتي ، الأذننى فالأذننى .

قلنا : يا رسول الله فيمّ نكفئك ؟ قال : في ثيابي هذه ، أو ثياب مصر ، أو في حلة يمنية .

قلنا : يا رسول الله مَنْ يصلي عليك ؟ فبكى وبكىنا ، فقال : مهلاً رحمكم الله ، وجزاكم عن نبيكم خيراً ، فإذا أنتم غسّلتُموني ، وكفّتموني فضعوني على سريرتي هذا على شفير قبوري في بيتي هذا ، ثم اخرجوا عني ساعة ، فإن أول مَنْ يصلي عليّ حبيبي وخليلي جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم اسرافيل ، ثم ملك الموت في جنود من الملائكة ، ثم ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً ، فصلوا عليّ وسلموا تسليماً ، ولا تؤذوني بياكية ، ولا مُرّة .

وليبدأ بالصلاة عليّ رجال أهل بيتي ، ثم نساؤهم ، ثم انتم بعدُ ، واقرأوا السلام على مَنْ غاب من أصحابي ، وعلى مَنْ يتبعني على ديني الى يوم القيامة^(١) .

وهذا خبر الامة عبد الله بن عباس يصف لنا غسل النبي صلى الله عليه وآله فيقول^(٢) : لما اجتمع القوم لغسل رسول الله (ص) ، وليس في البيت إلا أهله ، عمه العباس ، وعلي بن أبي طالب ، والفضل بن العباس ، وقثم بن العباس ، واسامة بن زيد وصالح مولاه ، اجتمعوا لغسله (ص) نادى من وراء الباب أنس بن خنّول الانصاري - وكان بدويّاً - علي بن أبي طالب فقال : يا علي انشدك الله حقنا من رسول الله (ص) ، فقال له علي : ادخل ، فدخل فحضر غسل رسول الله (ص) ولم يل من غسله شيئاً .

(١) ص ٧٨٣ (الوقا) باحوال المصطفى لابن الجوزي .

(٢) ص ٧٩٣ (الوقا) باحوال المصطفى لابن الجوزي .

قال : فأسنده علي الى صدره وعليه قميصه ، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه مع علي ، وكان اسامة وصالح يصبان الماء ، وجعل علي يغسله ، ولم ير من رسول الله (ص) شيئاً مما يراه من الميت ، وهو يقول :
بابي واممي ما أطيبك حياً وميتاً . »

ويحدث الامام الصادق عليه السلام فيقول^(١) كان الماء يستنقع من جفون النبي (ص) وكان عليّ يحسوه . »

وكان يقول الامام جعفر بن محمد الصادق : غسل رسول الله (ص) علي والفضل ، والعباس ، واسامة بن زيد ، وغسل ثلاث غسلات بماء ، وسدر من بئر لسعد بن خيثمة كان يشرب منها^(٢) .

وعن ابن عباس قال : لما غسلوا رسول الله (ص) جففوه ثم صنع به كما يصنع بالميت ، ثم ادرج في ثلاثة ، ثوبين ابيضين ، وبرد حبرة^(٣) .

وعن ابن عمر قال : نزل في قبر رسول الله (ص) علي وعباس وعقيل ابن ابي طالب ، والفضل وشقران^(٤) . »

ويحدث ابن الجوزي فيقول : عن جعفر بن محمد عن ابيه قال : صلي على رسول الله (ص) بغير إمام ، يدخل المسلمون زمراً يصلون عليه ويخرجون فلما صلوا عليه نادى عمر خلّوا الجنازة وأهلها^(٥) . »

وأما في مسألة دفنه فتقول السيدة عائشة : لما قبض النبي (ص) اختلفوا في دفنه فقالوا أين يدفن رسول الله (ص) ؟

(١) ص ٧٩٤ (الوفا) بأحوال المصطفى لابن الجوزي .

(٢) ص ٧٩٥ (الوفا) بأحوال المصطفى لابن الجوزي .

(٣) ص ٧٩٥ (الوفا) بأحوال المصطفى لابن الجوزي .

(٤) ص ٧٩٩ (الوفا) بأحوال المصطفى لابن الجوزي .

(٥) ص ٧٩٦ (الوفا) بأحوال المصطفى لابن الجوزي .

فقال علي : إنه ليس في الارض بقعة أكرم على الله من بقعة قبض فيها نفس النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم^(١) .

وقد أيد أبو بكر هذا الرأي فقال سمعت النبي (ص) يقول : ما قبض نبي إلاّ دفن حيث توفي ، وقد ذكره ابن الجوزي في الصفحة التي ذكر حديث السيدة عائشة موضحة فيه رأي الامام عليه السلام .

نعم هذه هي الامور التي كانت تتعلق بالنبي بعد وفاته ذكر اكثرها ابن مسعود يوم نعي النبي (ص) نفسه قبل موته بشهر ، وكان حاضراً يومئذ مجلسه جمع من اصحابه ، وقد طبقها الامام عليه السلام حرفياً بكل دقة وثبت ، لأنّ النبي (ص) قد اوصاه بها وأمره بتنفيذها .

وقد عرف الجميع أن ليس بالامكان معارضة اي أمر من امور هذه الوصاية الخاصة ما دام في الامام عرق ينبض بالحياة لذلك سكتوا على مضض مرغمين .

ولا بدّ لنا - وقد استعرضنا كثيراً من مواقف الوصي - أن نقف معه في اللحظات الأخيرة ، وهو يحتضن النبي فاستمع الى الامام عليه السلام كيف يصف ذلك فيقول : ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنّ رأسه لعلّى صدري ، ولقد سالت نفسه في كفتي ، فأمررتها على وجهي .

ولقد ولّيت غُسله ، صلى الله عليه وآله ، والملائكة أعواني ، فضجت الدار والأفنية ، ملاً يهبط ، وملاً يعرّج ، وما فارقت سمعي هيمنة منهم ، يصلّون عليه حتى واريناه في ضريحه ، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً ، ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم فوالذي لا اله إلاّ هو إنّي لعلّى جادة الحق ، وإنّهم لعلّى مزلة الباطل^(٢) .

(١) ص ٧٩٧ (الوفا) باحوال المصطفى لابن الجوزي .

(٢) ص ٤٣٢ الجزء الاول من نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده = المطبعة الرحمانية بمصر .

وقد حدثت السيدة عائشة أن النبي قضى بين صدرها ونحرها وهذا ما دعا الى كثرة السؤال والاستفسار عن هذا الموضوع بالخصوص بعد وفاة النبي من الصحابة وغيرهم .

يحدث ابن سعد في (طبقاته) فيقول : ^(١) اخبرنا محمد بن عمر حدثني سلمان بن داود بن الحصين ، عن ابيه عن ابي غطفان قال : سألت ابن عباس رأيت رسول الله (ص) توفي ورأسه في حجر أحد ، قال توفي وهو مستند الى صدر علي ، قلت فإن عروة حدثني عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت توفي رسول الله (ص) بين سحري ونحري ، فقال ابن عباس أتعقل ؟ والله لتوفي رسول الله (ص) وإنه لمستند إلى صدر علي وهو الذي غسله ، وأخي الفضل بن عباس ، وأبي ابي أن يحضر ، وقال : إن رسول الله (ص) كان يأمرنا أن نستتر ، فكان عند السر ^(٢) .

ويحدث محمد بن عمر ، عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن ابيه عن علي بن حسين قال : قبض رسول الله (ص) ورأسه في حجر علي ^(٣) .

ويحدث محمد بن عمر فيقول : حدثني ابو الجويرية عن ابيه ، عن الشعبي قال : توفي رسول الله (ص) ورأسه في حجر علي ، وغسله علي والفضل محتضنه ، واسامة يناول الفضل الماء ^(٤) .

ويحدث محمد بن عمر فيقول : حدثني عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب عن ابيه عن جده قال : قال رسول الله (ص) في مرضه أدعوا لي أخي قال فدعي له علي فقال : « أدن مني فدنوت منه

(١) ص ٨٠ (الطبقات) لابن سعد .

(٢) ص ٨٠ (الطبقات) لابن سعد .

(٣) ص ٨٠ (الطبقات) لابن سعد .

(٤) ص ٨٠ (الطبقات) لابن سعد .

فاستند اليّ فلم يزل مستنداً اليّ ، ولأنه ليكلمني حتى ان بعض ريش النبي (ص) ليصيني ، ثم نزل برسول الله (ص) وثقل في حجري فصحت يا عباس أدركني فإني هالك فجاء العباس فكان جهدهما جميعاً أن اضجعا^(١) .

ويحدث جابر بن عبد الله الانصاري أن كعب الاخبار قام زمن عمر رضي الله عنه فقال - ونحن جلوس عند عمر أمير المؤمنين - ما كان آخر ما تكلم به رسول الله (ص) ؟ فقال عمر سل علياً ، فقال أين هو ؟ قال هو هنا فسأله فقال علي رضي الله عنه : « اسندته الى صدري ، فوضع رأسه على منكبي » ، فقال الصلاة ، الصلاة فقال كعب كذلك آخر عهد الانبياء ، وبه أمروا ، وعليه يبعثون ، قال : فمن غسّله يا أمير المؤمنين ، قال سل علياً ، قال : فسأله فقال كنت أنا اغسله الى آخر الحديث^(٢) .

وعمر انما كان يرجع السائل الى الإمام لانه هو الذي كان يلي هذه الاعمال بمراى ومسمع من الناس فهو اعرف بها .

وقد قال الامام - وعمر يسمع - انه اسند النبي الى صدره ، ولو كان في الموضوع شك لبيته عمر ، فإنه خير لوجود السيدة حفصة وهي ابنته وزوج النبي (ص) ، وهو صريح لا يمنعه من أن يقول ما يعتقد اي مانع ، وقد مرّ بالقارىء كثير من معارضات عمر التي بيّن رأيه فيها ، وارشده النبي الى الصواب ، كما أن عمر رجع الى قول علي في مسائل شتى وقال : لولا علي لهلك عمر وقال : « لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن » .

(١) ص ٧٩ (الطبقات) لابن سعد .

(٢) ص ٧٩ (الطبقات) لابن سعد .

وهذه ام سلمة تقول : «والذي أحلف ان كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله (ص) قالت : عدنا رسول الله (ص) غداة بعد غداة يقول جاء علي ، وأظنه كان بعثه في حاجة فجاء بعدُ فظننت أن له حاجة فخرجنا من البيت ، قعدنا عند الباب فكنت من أدناهم الى الباب فأكب عليه علي فجعل يساره ويناجيه ثم قبض (ص) يومه ذلك فكان من اقرب الناس به عهداً ، اخرجته الامام احمد^(١) .

وهذه السيدة عائشة نفسها تعترف للامام بهذا القرب فتقول :

قال رسول الله (ص) لما حضرته الوفاة «ادعوا لي حبيبي فدعوا له أبا بكر رضي الله عنه فنظر اليه ثم وضع رأسه ، ثم قال ادعوا لي حبيبي فدعوا له علياً رضي الله عنه فلما رآه أدخله معه في الثوب الذي كان عليه فلم يزل يحتضنه حتى قبض خرجه الرازي^(٢) » .

وروى الشيخ المفيد في (إرشاده) أن الناس سألوا الامام عن المناجاة التي جرت بين النبي والوصي في آخر لحظات الحياة فقال : علّمني ألف باب من العلم فتح لي كل باب ألف باب ، وأوصاني بما انا قائم به ان شاء الله^(٣) .

وهكذا قضى النبي (ص) وذهب الى الرفيق الاعلى بعد أن ترك في امته كتاب الله ، وعثرته اهل بيته ، وقد قال النبي (ص) فيما رواه عنه عمر^(٤) قال : في كل خلوف من امتي عدول من اهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ألا وإن ائمتكم وفدكم الى الله عز وجل فانظروا بمن

(١) ص ٧٢ (ذخائر العقبى) في مناقب ذوي القربى لمحب الدين الطبري .

(٢) ص ٧٢ (ذخائر العقبى) .

(٣) ص ٩٩ (الارشاد) للامام الشيخ المفيد = طبع ١٩٦٢ = ١٣٨٢ هـ في النجف الاشرف .

(٤) ص ١٧ (ذخائر العقبى) لمحب الدين الطبري .

توفدون^(١) .

وقد جعل مثل اهل بيته مثل سفينة نوح فقال : « مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح ، مَنْ ركبها نجا ، وَمَنْ تعلّق بها فاز ، وَمَنْ تخلف عنها غرق^(٢) .

وقد نعى الامام رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يلي غسله وتجهيزه فقال « بأبي انت وامّي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء ، وأخبار السماء ، خصصت حتى صرت مسلياً عمّن سواك ، وعممت حتى صار الناس فيك سواء .

ولولا أنك أمرت بالصبر ، ونهيت عن الجزع ، لأنفذنا عليك ماء الشوون ، ولكان الداء مماتلاً ، والكمد محالفاً ، وقللاً لك ما لا يملك رده ، ولا استطاع دفعه ، بأبي وامّي اذكرونا عند ربك ، واجعلنا من باللك^(٣) .

وأما (الزهراء) عليها السلام فقد أخذت قبضة من تراب القبر المعطر فوضعتة على عينيها وبكت ، وأنشأت تقول :

ماذا على مَنْ شَمَّ تربة أحمد أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صُبّت عليّ مصائب لو أنها صُبّت على الأيام عُدن لياليا

وعن الامام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال : « لما توفي رسول الله (ص) جاءت التعزية^(٤) — من شخص — يسمعون حسه ، ولا يرون شخصه ، قال : السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته

(١) ص ١٧ « ذخائر العقبى » لمحب الدين الطبري .

(٢) ص ٢٠ « ذخائر العقبى » لمحب الدين الطبري .

(٣) ص ٤٩٢ (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده .

(٤) قيل هو الخضر ، وقيل هو جبريل عليهما السلام .

كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، إن في الله
عزاء من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودركاً من كل ما فات ،
فبالله فتقوا ، وإياه فارجو إنما المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم
ورحمة الله (١).



(١) ص ٩٢ (الطبقات) لابن سعد .

شِذْوَرُ مِنْ نَهْجِ الْأَمَامِ

« انا دار الحكمة وعلي بابها » .

« النبي الاعظم »

لم تعرف اللغة العربية بعد القرآن الكريم ، وجوامع كلم رسول الله صلى الله عليه وآله مثل كلام الامام عليه السلام الذي تقرأه الاجيال في « نهج البلاغة » ذلك الكتاب الذي جمع فوعى من كلم الامام ورسائله ، وخطبه ما أدهش العلماء ، وحير الادباء في مختلف العصور ، أسواء كان من حيث الفصاحة والبلاغة ، ام من حيث الدقة ، واشراق الديباجة ، ام من حيث انقياد اللفاظ ، واتساق المعاني .

واذا كان القرآن الكريم هو معجزة « النبوة » فإن « نهج البلاغة » معجزة « الإمامة » .

فوالله ، وبالله ، وتالله : لو لم يكن « للوصي » دليل على امامته من كتاب ، او سنة لكفانا « نهج البلاغة » دليلاً على إمامة ابي الحسين « علي » عليه السلام .

فليست هذه العقلية العظيمة المتجلية بذلك الاسلوب العلوي الواضحة في كل فقرة من فقرات « النهج » وفي كل شذرة من تلك الشنور إلا غرس ذلك النبي العظيم المستمد من وحي الله تعالى .

فما من موضوع يطرقه الإمام إلا وترى نور الله يشع أمامه ، ويهدي الرسول ينير له الطريق .

وقد تكلم الإمام في شتى المواضيع الاسلامية ، وفي كل ما يجب

للعامى والرعية ، وفيه من الحكم ، والمواعظ ، والارشاد ما لا تجده
في كتاب .

وقد جرى بين الامام وبين معاوية بن ابي سفيان من المراسلة والمحاورة
ما يتضح الحق والباطل . ويبدو الفرق بين الامام العادل ، والامام الجائر
والامام عليه السلام لا تهمه الا المصلحة الاسلامية العامة لذلك تراه يقسم
بالله - وهو الصادق الامين - ليسلمن الامر في الخلافة لعثمان ما دام
التسليم لا يضر بالمسلمين فيقول : « لقد علمت أني احق الناس بها من
غيري ، والله لأسلمن » ما سلمت امور المسلمين ، ولم يكن فيها جور
إلا علي خاصة إلتماساً لأجر ذلك وفضله ، وزهداً فيما تنافستموه من
زخرفته وزبرجه ^(١) .

وكتبه الى عماله فيها من الوصايا والارشادات ما يجب على المسؤول
تحملها ، وجدير بالمسؤولين اليوم في البلاد الاسلامية تدبرها والعمل بها ،
ولا سيما كتابه الى الاشر لمّا ولاه على مصر ، فهو خير دستور
للحكم العادل .

والامة العربية في الوقت الحاضر احوج ما تكون الى آراء الامام الصائبة
الصادرة عن تدبر ، وتجربة ، وحكمة .

ونحن ننقل من كلماته القصار ، ومقتطفات من رسائله وخطبه ما
يوضح الحق ، وينير السبيل ، ويأخذ بيد الامة الى معالي الامور .

ورحم الله الشريف الرضي ^(١) حيث جمع كلام الامام بهذا
« النهج » السوي الذي خلد مع الايام .

(١) ولد الشريف الرضي سنة ٣٥٩ وتوفي سنة ٤٠٤ ، وتولى نقابة الطالبين بعد ابيه في حياته سنة ٣٨٨

ولم يبلغ الثلاثين ، وضمت اليه مع النقابة سائر الاعمال التي كان يليها ابوه الحسين .

وكان الشريف رحمه الله اماماً في العلم والادب قل نظيره .

ويدل على غزارة علمه وتبحره في التفسير مؤلفه الجليل (حقائق التأويل) و (تلخيص البيان) -

شذور من كلماته

اوثقُ سببُ أخذتَ به سببُ بينك وبين الله سبحانه .

ما شككت في الحق مذ رأيت .

لا يُدرك الحق الا بالحد .

الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له ، والقوي عندي ضعيف حتى
آخذ الحق منه .

احترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه ، ومن ذكر قديم
الشرف عند من لا قديم له ، فان ذلك مما يحقدما عليك .

العقل لم يحن على صاحبه قط ، والعلم من غير عقل يحني على صاحبه .
اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن مسألة
غيرك .

اربعُ القليل منهم كثير : النار ، والعداوة ، والمرض ، والفقر .
الحاسد يرى زوال نعمتك نعمةً عليه .

الحاسد المبطن للحسد كالتحل يمجّ الدواء ويبطن الداء .

ارجح الناس عقلاً ، واكملهم فضلاً من صحب ايامه بالموادعة ،
واخوانه بالمسألة ، وقبل من الزمان عفوه .

اياك وصاحب السوء فانه كالسيف المسلول يروق منظره ، ويقبح أثره .
العامل بغير علم كسائر في غير طريق ، فلا يزيده بُعدُه عن الطريق
الا بعداً عن حاجته .

= في مجازات القرآن ، وعلى دنته في الحديث « المجازات النبوية » ، وعلى تفوقه في الشعر (ديوانه)
الضخم ، وعلى ترفه الادبي اختياره الموفق (لنهج البلاغة) من كلام جده الامام عليه السلام
وكانت له هذه الثروة العلمية الفذة ولم يبلغ الخمسين من عمره رحمه الله ، ونفع بعلمه وآثاره الخالدة .

العامل بالعلم كسائر على الطريق الواضح ، فليُنظر أسائر هو ام راجع ؟
لا تهضم من محاسنك بالفخر والتكبر .

إحذر كلّ عمل اذا سُئل عنه صاحبه أنكره ، او اعتذر عنه .
ليكن سرورك بما قدّمت ، وأسفك على ما خلّفت ، وهمك فيما بعد
الموت .

لا يغرّنكم ما أصبح فيه اهلُ الغرور ، فإنما هو ظلّ ممدود الى اجل
معدود .

لا تحسّموا احداً عن حاجته ، ولا تحبسوه عن طلبته .
الصادق على شفا منجاة وكرامة ، والكاذب على شرف مهواة ومهانة .
ليس منّ طلب الحق فأخطأه ، كمن طلب الباطل فأدركه .
إن اليوم عملٌ ولا حساب ، وغدا حسابٌ ولا عمل .
رحم الله امرأً سمع حكماً فوعى ، ودعي الى رشاد فدنا ، وأخذ
بمحزنة هادٍ فنجا .

لا تطلب الحياة لتأكل ، بل اطلب الأكل لتحيّا .
منّ حسدك لم يشكرك على إحسانك اليه .
لأن يكون الحرّ عبداً لعبيده خيرٌ من أن يكون عبداً لشهواته .
ليس يضبط العدد الكثير منّ لا يضبط نفسه الواحدة .
اعمّ الأشياء نفعا موت الاشرار .
لا تسبّ ابليس في العلانية وانت صديقه في السر .
عقلُ الكاتب في قلمه .

الادبُ عند الأحق كالماء العذب في أصول الحنظل كلما ازداد رياءً
ازداد مرارة .

العفو عن المقرّ لا عن المصرّ .
مما تُكتسبُ به المحبة أن تكون عالماً كجاهل ، وواعظاً كموعوظ .
العالمُ مصباح الله في الارض ، فمن اراد الله به خيراً أقتبس منه .
لا يكن افضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة ، او شفاء غيظ ،
ولكن إطفاء باطل ، او إحياء حق .
المعروف غلّ لا يفكه الا شكرٌ او مكافأة .
ينبغي لذوي القربات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا .
كفاك خيانة أن تكون أميناً للخونة .
إن غشك صديقك فاجعله مع عدوك .
من اشتغل بتفقد اللفظه ، وطلب السجعة نسي الحجة .
استشر عدوك تجربةً لتعلم مقدار عداوته .
لا تؤاخ شاعراً ، فإنه يمدحك بضمن ، ويهجوك مجاناً .
من لم يثق لم يوثق به .
لو رأيت ما في ميزانك لحتمت على لسانك .
لا تضعوا من رفعتہ التقوى ، ولا ترفعوا من رفعتہ الدنيا .
بادروا آجالكم باعمالكم ، فإنكم مرتبون بما اسلفتم ، ومدينون بما
قدّمتم .
اياك والاستشارة بما الناس فيه اسوةٌ ، والتغابي عما تُعنى به مما قد
وضّح للعيون .
إن عقدت بينك وبين عدوك عقدة ، او ألبسته منك ذمةً فحط
عهديك بالوفاء ، وارع ذمتك بالامانة ، واجعل نفسك جنةً دون ما
أعطيت .

لا يدعونك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق .
إياك والدماء وسفكها بغير حِلِّها .
أكثر مدارس العلماء ، ومناقشة الحكماء .

لا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن في ذلك تزهيداً لأهل
الاحسان في الاحسان ، وتدريباً لأهل الاساءة على الاساءة ،
لا تُدخِلن في مشورتك بخيلاً يَعدِلُ بك عن الفضل ، ويعدك الفقر .
إذا اردت أن تحتم على كتاب فأعِدِ النظر فيه فانما تحتم على عقلك .
إذا كنت في مجلس ولم تكن المحدث ، ولا المحدث فقم .
عاملوا الاحرار بالكرامة المحضه ، والاوساط بالرغبة والرهبة ،
والسفلة بالهوان .

مَنْ انتجعك مؤملاً فقد أسلفك حسن الظن .
مَنْ لم تستقم له نفسه فلا يلومنَّ مَنْ لم يستقم له .
أسوأ الناس حالاً مَنْ لا يثق بإحدٍ لسوء ظنه ، ولا يثق به أحدٌ
لسوء أثره .

لا تصحب في السفر غنياً فإن ساويته في الإنفاق اضرَّ بك ، وإن تفضل
عليك استدلتك .

كن في الحرص على تفقد عيوبك كعدوك .
الملوك حكامٌ على الناس ، والعلماء حكامٌ على الملوك .
تحتاج القرابة الى مودة ، ولا تحتاج المودة الى قرابة .
الأم الناس مَنْ سعى بانسان ضعيف الى سلطان جائر .
الجاهل يُعرف بست خصال : الغضب من غير شيء ، والكلام في
غير نفع ، والعطية في غير موضعها ، وإن لا يعرف صديقه من عدوه ،

وافشاء السر ، والثقة بكل احد .

الصديق نسيب الروح ، والاخ نسيب الجسم .
اذا رفعت احداً فوق قدره فتوقع أن يَحْطَ منك بقدر ما رفعت منه .
ليس من حسن الجِوار ترك الاذى ، ولكن حسن الجوار الصبر
على الاذى .

لا يكن فقرك كفراً ، وغناك طغياناً .

مَنْ خاف الله خافه كلُّ شيء .

الكذاب يخيف نفسه وهو آمن .

اثبات الحجة على الجاهل سهل ، ولكن اقراره صعب .

احتمال الفقر احسن من احتمال الذل ، لان الصبر على الفقر قناعة ،
والصبر على الذل ضراعة .

اول رأي العاقل آخر رأي الجاهل .

الحرّ عبدٌ ما طَمَعَ ، والعبد حرٌّ ما قَنِعَ .

اثنان يهون عليهما كلُّ شيء : عالمٌ عرف العواقب ، وجاهلٌ
يجهل ما هو فيه .

اسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداءه ، واحسن ما في اللئيم أن يكفّ
عنك أذاه .

العاقل اذا تكلم بكلمة اتبعها حكمة ومثلاً ، والاحمق اذا تكلم
بكلمة اتبعها حلفاً .

اشرف الاشياء العلم ، والله تعالى عالمٌ يُحِبُّ كل عالم .

السعيد مَنْ وعظ بغيره ، والشقيّ مَنْ اتعظ به غيره .

إذا غضب الكريم فأن له الكلام ، وإذا غضب اللئيم فخذ له العصا .
شفيع المذنب إقراره ، وتوبته اعتذاره .
لا تفرح بسقطة غيرك ، فإنك لا تدري ما تتصرف الايام بك .
الروح حياة البدن ، والعقل حياة الروح .
الصراط ميدانٌ يكثر فيه العثار ، فالسالم ناج ، والعائر هالك .
اياك ومواقف الاعتذار ، فربّ عذرٍ اثبت الحجة على صاحبه وان
كان بريئاً .

إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة ، لانه باستشارتك قد خرج
من عداوتك ، ودخل في مودتك .
ثلاثة يُرحّمون : عاقلٌ يجري عليه حكم جاهل وضعيف في
يد ظالم قويّ ، وكريم قوم احتاج الى لئيم .
من اداء الامانة المكافأة على الصنيعة لأنها كالوديعة عندك .
الرغبة الى الكريم تحرّكه على البذل ، والى الخسيس تغريه بالمنع .
إذا قويت نفس الإنسان انقطع الى الرأي ، وإذا ضعف انقطع الى
البخت .

كفر النعمة لوئمٌ ، وصحبة الجاهل شوئم .
موقع الصواب من الجاهل مثل موقع الخطأ من العلماء .
المرأة التي ينظر الانسان فيها أخلاقه هي الناس ، لأنه يرى محاسنه
من اوليائه منهم ، ومساويه من اعدائه فيهم .
انظر وجهك كل وقت في المرأة فان كان حسناً فاستقبح أن تضيف
اليه فعلاً قبيحاً وتشينه به ، وان كان قبيحاً فاستقبح أن تجمع بين قبحين .
العفو يُفسد من اللئيم بقدر ما يُصلح من الكريم .

موت الرؤساء أسهل من رياسة السفلى .
 الاشرار يتبعون مساوي الناس ، ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب
 المواضع الفاسدة .
 العلم صبغ النفس ، وليس يفوق صبغ الشيء حتى ينظف من كل
 دنس .
 لا تُفسِّروا اولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم .
 ليس شيء احسن من عقل زانه علم . ومن علم زانه صدق ، ومن
 صدق زانه رفيق ، ومن رفيق زانه تقوى .
 تعلموا العلم صيغراً ، تسودوا به كباراً ، تعلموا العلم ولو لغير الله ،
 فإنه سيصير لله .
 غاية الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه .
 مَنْ اتَّبَعَ هواه ضل- ، وَمَنْ جاد ساد- ، وخمود الذِّكر من ذميم
 الفِكر .
 العمر أقصر من أن تعلم كل ما يحسن بك علمه ، فتعلم الأهم
 فالهم .
 اذا كان اللسان آلةً لترجمة ما يخطر في النفس ، فليس ينبغي أن
 تستعمله فيما لم يخطر فيها .
 إتق العواقب علماً بأنّ للأعمال جزاءً واجراً ، واحذر تبعات الامور
 بتقديم الحزم فيها .
 ما كنتَ كاتمه عدوكَ من سرٍّ فلا تُطلعن عليه صديقك- ، واعرف
 قدرك ، تستغلّ أمرك ، وكفى ما مضى مخبراً عما بقى .
 اختر أن تكون مغلوباً وانتَ منصفٌ ، ولا تحتر أن تكون غالباً وانتَ
 ظالم .

مَنْ لَمْ يَقْهَرْ جَسَدَهُ كَانَ جَسَدُهُ قَبْرًا لِنَفْسِهِ .

عَدَمُ الْأَدَبِ سَبَبُ كُلِّ شَرٍّ .

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُحَمَّدَ فَلَا يَظْهَرُ لَكَ حِرْصٌ عَلَى الْحَمْدِ .

إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، وَعِلْمٌ كَانَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَاَنْضَعُوا بِهِ ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ .

إِلَهِي كَفَانِي فَخْرًا أَنْ تَكُونَ لِي رَبًّا ، وَكَفَانِي عِزًّا أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْدًا ، أَنْتَ كَمَا أَرِيدُ فَاجْعَلْنِي كَمَا تَرِيدُ .

أَفْضَلُ عَلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَمِيرُهُ ، وَاسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرُهُ ، وَاحْتِجْ إِلَيَّ مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَسِيرُهُ .

أَكْرَمُ عَشِيرَتِكَ فَانْتَهَمِ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ ، وَأَصْلَكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ .

مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ .

لَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالِغَتْ فِي إِيْلَامِهِ ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَعَطَّى بِالْآدَابِ ، وَالْبَهَائِمَ لَا تَتَعَطَّى إِلَّا بِالضَرْبِ .

اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ .

مَا أَقْبَحُ الْخُضُوعِ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَالْخَفَاءِ عِنْدَ الْغِنَى .

لَا يَكْبِرَنَّ عَلَيْكَ ظَلَمٌ مِمَّنْ ظَلَمَكَ ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضْرَتِهِ وَتَقَعُكَ .

لَا تَضْبِعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مِمَّنْ أَضَعَتْ حَقَّهُ .

مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ .

لَا تَتَخَذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتُعَادِيَّ صَدِيقَكَ .

حِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشِدَّةِ الْوِكَاءِ ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ

طلب ما في يد غيرك .

مرارة اليأس خيرٌ من الطلب الى الناس .

قارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبين عنهم .

لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً .

اسع في كدحك ، ولا تكن خازناً لغيرك .

إعلم أن الإعجاب ضدّ الصواب ، وآفة الألباب .

لا تقل ما لا نحب أن يقال لك .

دع القول فيما لا تعرف ، والحِطاب فيما لم تُكلف .

خُص الغمرات للحق حيث كان ، وتفقه في الدين .

عوّد نفسك التصبر على المكروه ، ونعم الخلق التصبر في الحق .

جاهد في الله حق جهاده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم .

ما اخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعلّموا .

لا خير في الصمت عن الحكم ، كما أنه لا خير في القول بالجهل .

يهلك فيّ رجلان : محبٌ مفرط ، وباهتٌ مفترٍ .

وسئل عليه السلام عن التوحيد والعدل فقال : التوحيد أن لا تتوهمه ، والعدل أن لا تتهمه .

إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثالات حجزته التقوى عن تفحم الشبهات .

اليمن والشمال مضلّة ، والطريق الوسطى هي الجادة ، عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ، ومنها منفذ السّنة ، واليها مصير العاقبة .

قطوف من رسائله ووصاياه

من كتاب له عليه السلام الى امراء البلاد يعلمهم اوقات الصلاة .
« اما بعد فصلّوا بالناس حتى تفيء الشمس من مريض العز ، وصلوا
بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان .

وصلّوا بهم المغرب حين يُفطر الصائم ، ويدفع الحاج ، وصلوا بهم
العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل ، وصلّوا بهم الغداة والرجل
يعرف وجه صاحبه ، وصلوا بهم صلاة اضعفهم ، ولا تكوا فتانين .

واستمع الى الامام كيف يوصي عمّاله على الخراج بالرفق بالمسلمين
وبالمعاهدين وأن لا يضطروهم لاجل الاداء ان يبيعوا شيئاً من كسوتهم
او من الدواب اللازمة لهم فيقول : « من عبد الله امير المؤمنين الى اصحاب
الخراج : امّا بعد فإنّ مَنْ يحذر ما هو صائر اليه لم يُقدّم لنفسه ما
يحرزها ، واعلموا أنّ ما كلفتم يسيراً ، وأنّ ثوابه كثير .

ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يُخاف لكان
في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه ، فأنصفوا الناس من انفسكم ،
واصبروا لحوائجهم فانكم خزّان الرعية ، ووكلاء الامة ، وسفراء الائمة ،
ولا تحسموا احداً عن حاجته ، ولا تجبسوه عن طلبته ، ولا تبيعن للناس
في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ، ولا دابة يعملون عليها ولا عبداً ،

ولا تضربنّ أحداً سوطاً لمكان درهم ، ولا تمسّن مال أحد من الناس مُصلّ ولا معاهد إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يُعتدى به على اهل الاسلام ، فانه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في ايدي اعداء الاسلام فيكون شوكه عليه ، ولا تدخروا انفسكم نصيحة ، ولا الجند حسن سيرة ، ولا الرعية معونة ، ولا دين الله قوة ، وابلوا في سبيل الله ما استوجب عليكم ، فإن الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا ، وأن ننصره بما بلغت قوتنا ولا قوة الا بالله .

وهذا كتاب آخر منه عليه السلام يوجهه الى امرائه على الجيوش، ومنه نعرف كيف يجب ان تحاط الامور الحربية بالسرية التامة كي لا يعرفها العدو ، وكذلك الاحكام قبل إصدارها ، وبذلك اخذت المحاكم في العصر الحديث فان الحاكم إن نوه عن رأيه قبل الحكم نحى نفسه ، او طلب المتضرر من الحكم اصدار الحكم من حاكم آخر ، ولا عجب من أن يسنّ الامام مثل هذا النظام فانه رب السيف ، وامام الفقهاء ، قال عليه السلام : " من عبد الله عليّ امير المؤمنين الى اصحاب المسالحي - اي الثغور لانها مواضع السلاح ..

اما بعد فإن حقاً على الوالي أن لا يغيره على رعيته فضل ناله ، ولا طول خص به ، وأن يزيده ما قسم الله له من نعمة دنوا من عباده ، وعظفاً على إخوانه .

ألا وإن لكم عندي أن لا أحتجز سيراً إلا في حرب ، ولا اطوي دونكم امراً الا في حكم ، ولا اوخر لكم حقاً عن محله ، ولا أقف به دون مقطعه ، وأن تكونوا في الحق عندي سواء ؛ فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ، ولي عليكم الطاعة ؛ وأن لا تنكصوا عن دعوة ، ولا تفرطوا في صلاح ، وأن تخاضوا الغمرات الى الحق ، فإن انتم لم تستقيموا على ذلك لم يكن أحد أهون عليّ ممن اعوج منكم ، ثم أعظم

له العقوبة ، ولا يجد عندي فيها رخصة ، فخلوا هذا من امرائكم ، واعطوهم من انفسكم ما يصلح الله به امركم .

وهذا كتاب آخر يوجهه الى بعض عماله تجدد فيه ما يجب أن يتصف به « العامل » المسؤول من شدة ولين حسبما تقتضيه الظروف ، وان يسير بالعدل في الرعية بدون تحيز ، وان يواسي بينهم حتى في اللحظة والنظرة ، فاسمعه يقول : « اما بعد : فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين ، وأقمع به نخوة الأثيم ، وأسُدّ به لهاة الثغر المخوف ، فاستعن بالله على ما أهمك ، واخلط الشدة بضغث من اللين ، وارفق ما كان الرفق ارفق ، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك الا الشدة ؛ أخفض للرعية جناحك ، وألن لهم جانبك ، وآسّر بينهم في اللحظة والنظرة ، والاشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك والسلام . »

وهذا كتاب آخر يرسله الى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على اردشير خُرّه^(١) ومن هذا الكتاب تعلم كيف كان الامام يعدل في الرعية ، ويقسم بالسوية قال : بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إهلك ، واغضبت إمامك : أنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم ، وأريقت عليه ديارهم فيمن اعتملك من أعراب قومك ، فوالذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لئن كان ذلك حقاً لتجدن بك عليّ هواناً ، ولتخفنّ عندي ميزاناً ، فلا تستهن بحق ربك ، ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الاخسرين أعمالاً .

ألا وإن حقّ من قبلك ، وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا سواء : يردون عندي عليه ، ويتصدرون عنه .

وهذا كتاب آخر الى بعض عماله وقد أخذ ما عنده من مخزون بيت

(١) اردشير خُرّه بضم الخاء وتشديد الراء بلدة من بلاد ايران .

المال فقال عليه السلام : « أمّا بعد فقد بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلته فقد اسخطت ربك ، وعصيت إمامك ، وأخزيت أمانتك .

بلغني أنك جردت الارض فأخذت ما تحت قدميك ، وأكلت ما تحت يديك فارفع اليّ حسابك ، واعلم أنّ حساب الله اعظم من حساب الناس . »

ومن كتاب له عليه السلام ارسله الى عمرو بن العاص يقول فيه : « فإنك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهرٍ غيّه ، مهتوكٍ سره ، يشين الكريم بمجلسه ، ويسفّه الحليم بخلطته ، فاتبعت أثره ، وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام ، يلوذ الى مخالفه ، وينتظر ما يُلقَى اليه من فضل فريسته ، فأذهبت دنياك وآخرتك !! ولو بالحق أخذت أدركت ما طلبت ، فإن يمكنني منك ، ومن ابن ابي سفيان اجز كما بما قدّمتم ، وإن تعجزاني وتبقيا فما أمامكما شرٌ لكما . »

ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية يقول : « فسيحان الله ما اشدّ لزومك للاهواء المبتدعة ، والحيرة المعبة مع تضييع الحقائق . واطراح الوثائق التي هي لله طلبة ، وعلى عباده حجة ، فأما اكثارك الحجاج في عثمان وقتلته فانك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك ، ونخذلته حيث كان النصر له والسلام . »

ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية ايضاً يقول : « وأرديت جيلاً من الناس كثيراً خدعتهم بغيّك ، وألقيتهم في موج بحرك ، تغشاهم الظلمات ، وتتلاطم بهم الشبهات فجازوا عن وجهتهم ، ونكصوا على أعقابهم ، وتولوا على أدبارهم ، وعولوا على أحسابهم إلا من فاء من أهل البصائر ، فإنهم فارقوك بعد معرفتك ، وهربوا الى الله من موازرتك ، إذ حملتهم على الصعب ، وعدلت بهم عن القصد فاتق الله يا معاوية في نفسك ، وجاذب الشيطان قيادك فان الدنيا منقطعة عنك ، والآخرة قريبة منك ، والسلام . »

ومن كتاب له عليه السلام ارسله الى معاوية جواباً عن كتاب منه اليه قال عليه السلام : « فأما طلبك اليّ الشام فاني لم اكن لأعطيك اليوم ، ما منعتك امسٍ ، وأما قولك إن الحرب قد اكلت العرب إلا حشاشات انفس بقيت ، ألاّ ومن اكله الحق فإلى الجنة ، ومن اكله الباطل فإلى النار ، وأما استواؤنا في الحرب والرجال فلست أمضى على الشك مني على اليقين .

وليس اهل الشام باحرص على الدنيا من اهل العراق على الآخرة . وأما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن ، ولكن ليس امية كهاشم ، ولا حربٌ كعبد المطلب ، ولا ابو سفيانَ كابي طالب ، ولا المهاجر كالطليق ، ولا الصريح كالصديق ، ولا المحق كالمبطل . ولا المؤمن كالمدغل ، ولبئس الخلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم .

وفي ايدينا بعدُ فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز ، ونعشنا بها الدليل ، ولما أدخل الله العرب في دينه أفواجاً ، وأسلمت له هذه الامة طوعاً وكرهاً ، كنتم ممن دخل في الدين إما رغبةً ، وإما رهبةً ، على حين فاز أهل السبق بسبقهم ، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم ، فلا تجعلنّ للشيطان فيك نصيباً ، ولا على نفسك سبيلاً .

ومن وصية له عليه السلام وجهها لعسكره قبل لقاء العدو بصفين . قال : « لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم ، فإنكم بحمد الله على حجة ، وترككم اياهم حتى يبدؤوكم حجةٌ اخرى لكم عليهم ، فاذا كانت الهزيمة باذن الله فلا تقاتلوا مدبراً ، ولا تصيبوا معوراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم ، وسبين امراءكم ، فلأنهن ضعيفات القوى ، والانفس والعقول ، إن كنا لنؤمر بالكفّ عنهن ولأنهنّ لمشركات ، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالقهر او الهراوة فيُعَيِّر بها وعقبه من بعده . »

وهذه وصية اخرى وصى بها جيشاً بعثه الى العدو فقال :
« فاذا نزلتم بعدو او نزل بكم فليكن معسكركم في قبيل الأشراف ،
أو سيفاح الجبال ، او أثناء الأنهار كيما يكون لكم رِداً ودونكم مرداً ،
ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد او اثنين ، واجعلوا لكم رقباء في صياصي
الجبال ، ومناكب الهضاب ، لئلا يأتىكم العدو من مكان مخافة او
مأمن ، واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم ، وعيون المقدمة طلائعهم ،
وايتاكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعاً واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً ،
واذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كيفة ، ولا تذوقوا النوم الا غيراراً
او مضمضة . »

ومن وصيته عليه السلام لمعقل بن قيس الرياح حين أنفذه الى الشام
في ثلاثة آلاف مقدمة له قال :

« اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ، ولا تنتهي لك دونه ، ولا
تقاتلن الا من قاتلك ، وسير البردين - اي الغداة والعشي - وغور
بالناس ورقه بالسير ، ولا تسير أول الليل فان الله جعله سكناً وقدّره
مقاماً لا ظعناً ، فأرح فيه بدنك ، وروح ظهرك ، فاذا وقفت حين ينبطح
السحر ، او حين ينفجر الفجر فسير على بركة الله ، فاذا لقيت العدو
فقف من اصحابك وسطاً ، ولا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب
الحرب . ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري ،
ولا يحملنكم شأنهم على قتالهم قبل دُعائهم والاعتذار اليهم . »

ومن وصية له عليه السلام يوصي بها من يستعمله على الصدقات وقد
قال الشريف الرضي رحمه الله انما ذكرها ليعلم بها انه (ع) كان يقيم
عماد الحق ، ويشرع امثلة العدل » ونقول نذكرها ايضاً ليعلم مدى
اهتمامه بالانسان وعطفه الشديد على الحيوان ، وهذه الوصية درس قيم
يفهم منه الناس امثلة العدالة في الاسلام ، قال سلام الله عليه :

« إنطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ، ولا تروعن مسلماً ولا
تجتازن عليه كارها ؛ ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله ، فاذا
قدمت على الحي فانزل بمأثم من غير أن تخالط إياهم ، ثم امض اليهم
بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ؛ ولا تخرج بالتحية لهم
ثم تقول : عباد الله أرسلني اليكم ولي الله ، وخليفته لآخذ منكم حق
الله في أموالكم ؛ فهل لله في أموالكم من حق فتأدوه الى وليه ؟؟ فان
قال قائل : لا ، فلا تراجع ، وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير
أن تخيفه وتوعده ، او تعسفه أو ترهقه ، فخذ ما اعطاك من ذهب او
فضة ، فإن كان له ماشية او إبل فلا تدخلها الا باذنه ، فان أكثرها له
فاذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ، ولا عنيف به ، ولا
تُنفرن بهيمةً ، ولا تُفزعنها ، ولا تسوأن صاحبها فيها ، واصدع
المال صدعين ثم خيِّره فاذا اختار فلا تعرض لِمَا اختاره ، ثم اصدع
الباقى صدعين ، ثم خيِّره فاذا اختار فلا تعرض لِمَا اختاره ، فلا تزال
كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله فاقبض حق الله منه ، فإن
استقالك فأقبله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ
حق الله في ماله ، ولا تأخذن عوداً ، ولا هرمةً ، ولا مكسورة ولا
مهلوسة ، ولا ذات عوار ، ولا تأمنن عليها الا من تثق بدينه ، رافقاً
بمال المسلمين حتى يوصله الى وليهم فيقسمه بينهم ، ولا توكل بها الا
ناصحاً شقيقاً ، وأميناً حفيظاً غير مُعَنِف ، ولا مجحف ، ولا ملغب
ولا متعب ، ثم احذر الينا ما اجتمع عندك ، نُصَيِّرْه حيث أمر الله فاذا
أخذها أمينك فأوعز اليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ، ولا يُحصّر
لبنها فيضّر ذلك بولدها ، ولا يجهدنها ركوباً ، وليعدل بين صواحباتها
في ذلك وبينها ، وليرفه على اللأغب ، وليستأن بالنقب والظالع وليوردها
ما تمرّ به من الغدر ، ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطرق ،
وليروحها في الساعات ، وليمهلها عند النطاف والأعشاب حتى تأتينا

يُؤذَن الله ، بُدْنَا مُتَقِيَات غِير مُتَعَبَات وَلَا مَجْهُودَات لِنَقْسِمَهَا عَلٰی كِتَابِ
الله وَسَنَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ ، وَأَقْرَبُ
لِرَشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ . »

وَكَمْ أَوْدَ إِنْ تُرْجِمَ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ إِلَى اللُّغَاتِ الْإِجْنَبِيَّةِ لِيُطْلَعَ الْغَرْبُ
عَلَى الرَّحْمَةِ الْوَاقِعِيَّةِ الَّتِي يَنَادِي بِهَا الْإِسْلَامُ تَجَاهَ كُلِّ ذِي نَفْسٍ سَوَاءٍ كَانَ
إِنْسَانًا أَوْ حَيْوَانًا فَهُوَ سَلَامُ اللهِ عَلَيْهِ يَرْصِي الْقَائِمِينَ عَلَى الصَّدَقَاتِ وَالْمُؤْكَلِينَ
بِاسْتِلَامِهَا أَنْ لَا يَنْفَرُوا وَلَا يَفْزَعُوا بِهَيْمَةٍ ، وَإِنْ لَا يَحُولُوا بَيْنَ نَاقَةٍ
وَفَصِيلِهَا وَإِنْ لَا يَبَالِغُوا فِي سَحْلِبِهَا لِأَنَّ ذَلِكَ يَضُرُّ بَوْلِدَهَا ، وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ
لَا تَجْهَدُوا بِالرُّكُوبِ وَإِنْ يَرْفَهُ عَلَى مَنْ أَعْيَاهَا التَّعَبُ ، وَإِنْ يَتَأَنَّى عَلَى مَنْ
نَقَبَ خَفَهُ وَظَلَعَ فِي سِيرِهِ مُوصِيًّا سَلَامُ اللهِ عَلَيْهِ بِأَنْ تَعْرُضَ عَلَى الْمَاءِ وَأَنْ
لَا يَعْدَلَ بِهَا عَنِ النَّبْتِ إِلَى الْأَرْضِ الْقَاحِلَةِ .

هَذَا رَأْيُهُ فِي الْحَيَوَانِ فَمَاذَا يَكُونُ رَأْيُهُ فِي الْإِنْسَانِ الَّذِي كَرَّمَهُ اللهُ
وَرَفَعَ شَأْنَهُ ؟؟

وَيَسْعِدُنِي أَنْ يَقْرَأَهَا قَبْلَ الْغَرْبِ الْمَسْئُولُونَ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ ،
مُسْتَمِدِّينَ مِنْ رُوحِهَا « الْعُلُويَّةِ » الْعُطْفَ عَلَى الضَّعْفَاءِ ، وَالرَّأْفَةَ بِالْفُقَرَاءِ
لِيَسُدَّ اللهُ خَطَاهُمْ نَحْوَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ .

وَعَهْدُهُ إِلَى مَالِكٍ الْأَشْرَرِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِ الْعَهْدِ وَأَحْسَنِهَا
وَفِيهِ مِنَ الْحُكْمِ وَالْوَصَايَا وَالْإِرْشَادِ مَا لَمْ يَحْوِهِ عَهْدٌ قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ ، وَقَدْ
كُتِبَ حَوْلَهُ أبحاثٌ وَمُؤَلَّفَاتٌ تُشْرِحُهُ وَتُشِيدُ بِهِ ، وَنَحْنُ نَقْطِفُ مِنْهُ فُقَرَاتٍ
لَا عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِيَارِ لِأَنَّ الْعَهْدَ كُلَّهُ مُخْتَارٌ قَالَ سَلَامُ اللهِ عَلَيْهِ « وَارْجِعْ
إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يَضَعُكَ مِنَ الْخَطُوبِ ، وَيُشْتَبِهْ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ ،
فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ

والرسول) فالردّ الى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والرد الى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة .

ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيّتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تُمحكه الحصوم ، ولا يتمادى في الزلة ، ولا يتحصّر من الفقيه الى الحق اذا عرفه ولا تُشرف نفسه على طمع ، ولا يكفّي بأدنى فهم دون أقصاه ، وأوقفهم في الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلّتهم تبرماً بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على تكشف الامور ، وأصرمهم عند انصاح الحكم ؛ ممن لا يزدهيه إطرأ ولا يستميله إغراء ، واولئك قليل .

ثم أكثر تعاهد قضائه ، وافسح له في البذل ما يزيل عِلته ، وتقلّ معه حاجته الى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً فإنّ هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يُعمل فيه بالهوى وتُطلب به الدنيا .

ويقول سلام الله عليه : " ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة ، واجتمعت بها الالفة ، وصلحت عليها الرعية ؛ ولا تُحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنّ فيكون الاجر لمن سنّها ، والوزر عليك بما نقضت منها .

وأكثر مدارس العلماء ، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك .

واعلم أنّ الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض ؛ فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمّال الانصاف والرفق ، ومنها اهل الجزية والحراج من اهل الذمة ، ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكلاً

قد سمى الله سهمه ، ووضع على حده فريضة في كتابه ، او سنة فيه
صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً .

فالجنود باذن الله حصون الرعية ، وزين الولاية ، وعز الدين ، وسبل
الأمن ، وليس تقوم الرعية الا بهم ، ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج
الله لهم من الحراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه
فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم ، ثم لا قوام لهذين الصنفين
الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتّاب لما يحكمون من المعاهد ،
ويجمعون من المنافع ويؤمنون عليه من خواص الامور وعوامها ،
ولا قوام لهم جميعاً الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من
مرافقهم ، وقيموه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا
يلغى رفق غيرهم ، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين
يحقق رفقهم ومعونتهم ، وفي الله لكل سعة ، ولكل على الوالي حق
بقدر ما يصلحه ، وليس يخرج الوالي من حقية ما ألزمه الله من ذلك
الا بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر
عليه فيما خف عليه او ثقل .

قول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ، ولرسوله ، ولأمامك ،
وأنقاهم جيباً ، وأفضلهم حلياً ممن يبطىء عن الغضب ، ويستريح الى
العدر ، ويرأف بالضعفاء ، وينبو على الاقوياء ، ومن لا يثيرة العنف ،
ولا يقعد به الضعف .

ثم الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ،
ثم أهل النجدة والشجاعة والسماحة فانهم جماع من الكرم ، وشعب
من العرف ، ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ، ولا
يتفاقم في نفسك شيء قويتهم به ، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن
قل ، فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك ، وحسن الظن بك ، ولا

تدع تفقد لطيف امورهم إتكالاً على جسيمها فإن للسير من لطفك موضعاً ينتفعون به ، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه .

وليكن أثر رؤوس جنلك عندك من واساهم في معونته ، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ، ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همّهم همّاً واحداً في جهاد العدو ، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ، وإنّ أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ، وظهور مودة الرعية ، وإنه لا تظهر مودتهم الا بسلامة صدورهم ، ولا تصحّ نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة الامور وقلة استئصال دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم ، فافسح في آمالهم ، وواصل في حسن الثناء عليهم ، وتعدد ما ابلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهزّ الشجاع ، وتحرض الناكل ان شاء الله .

ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ، ولا تضيفنّ بلاء امرئ الى غيره ، ولا تقصرنّ به دون غاية بلائه ، ولا يدعونك شرف امرئ الى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً . ولا ضعة امرئ الى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً . »

هذه شذور قليلة من هذا العهد العظيم الذي اودع فيه الامام من النظم والتعاليم والنصائح كل ما يقتضي أن يتحلّى به الراعي والرعية من صفات الكمال .

واني اhib باساتذة الجامعات في البلاد العربية أن يأمرؤا طلابهم بحفظه ودراسته وتفهم أهدافه ليكونوا على بصيرة من امرهم في مستقبل حياتهم اذا ما جدّ الجدد ، واصبحوا رجال المستقبل بيدهم الحل والعقد ، وفقهم الله تعالى ، وحقّق بهم الآمال .

روائع من كلامه وخطبه

النبي والقرآن

من جملة كلام له عليه السلام في صفة خلق آدم عليه السلام قال :
ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل ، او كتاب منزل ، او حجة لازمة ،
او حجة قائمة ، رسل لا تُقصر بهم قلة عددهم ، ولا كثرة المكذبين
لهم ، من سابق سمي له من بعده ، او غابر عرفه من قبله ، على ذلك
نُسِلَت القرون ، ومضت الدهور ، وسلفت الآباء ، وخلفت الابناء
الى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله لإنجاز عدته ،
وتمام نبوته ، مأخوذاً على النبيين ميثاقه ، مشهورة سماته ، كريماً ميلاده .

وأهل الارض يومئذ ملل متفرقة ، وأهواء متثرة ، وطوائف مشتتة
بين مُشَبَّهٍ لله بخلقهِ ، او ملحد في اسمه ، او مشير الى غيره ،
فهداهم به من الضلالة ، وأنقذهم بمكانه من الجهالة ، ثم اختار سبحانه
لمحمد صلى الله عليه وآله لقاءه ، ورضي له ما عنده ، وأكرمه عن دار
الدنيا ، ورغب به عن مقارنة البلوى ، فقبضه اليه كريماً صلى الله عليه
وآله ، وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها - إذ لم يتركوهم هملاً :
بغير طريق واضح ، ولا علم قائم - كتاب ربكم فيكم : مبيناً حلاله
وحرامه ، وفرائضه وفضائله ، وناسخه ومنسوخه ، ورخصه وعزائمه ،

وخاصته وعامة ، وعبره وامثاله ، ومرسله ومحدوده ، ومحكمه ومتشابهه ، مفسراً مجمله ، ومُبيّناً غوامضه ، بين مأخوذ ميثاق في علمه ، وموسّع على العباد في جهله ، وبين مثبت في الكتاب فرضه ، ومعلوم في السنة نسخه ، وواجب في السنة أخذه ، ومرخص في الكتاب تركه ، وبين واجب بوقته ، وزائل في مستقبله ، ومباين بين محارمه من كبير أو عد عليه نيرانه ، أو صغير أرصد له غفرانه ، وبين مقبول في أدناه ، موسّع في اقصاه .

اهل البيت

يقول عليه السلام في وصف آل محمد : هم عيش العلم ، وموت الجهل ، يُخبركم حلمهم عن علمهم ، وصمتهم عن حكّم منطقهم ، لا يخالفون الحق ، ولا يختلفون فيه ، هم دعائم الاسلام ، وولائج الاعتصام ، بهم عاد الحق في نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه عن منبته ، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية ، لا عقل سماع ورواية ، فان رواة العلم كثير ، ورعاه قليل .

وقال فيهم ايضاً : « لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الامة أحد ، ولا يُسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً ، هم اساس الدين ، وعماد اليقين ، اليهم يفيء الغالي ، وبهم يلحق التالي ، ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة ، الآن اذ رجع الحق الى اهله ، ونقل الى منتقله . »

ومن جملة كلام له عليه السلام في وصفهم « فأين يتاه بكم ، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم ازمة الحق ، واعلام الدين ، وألسنة الصدق ، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ، وريدوهم ورود الهيم العطاش . »

وقال سلام الله عليه فيهم ايضاً : « انظروا اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يُخرجوكم من هُدى ، ولن يُعيدوكم في ردى فإن لبدوا فالبدوا ، وإن نهضوا فانهضوا ، ولا تسبقوهم فتضلوا ، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا » .

وقال ايضاً : « ألا إن مثل آل محمد (صلى الله عليه وآله) كمثل نجوم السماء اذا خوى نجم طلع نجم فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع ، واراكم ما كنتم تأملون » .

لم يسبقني إلا رسول الله بالصلاة

قال عليه السلام « ابتها النفوس المختلفة ، والقلوب المتشتتة ، الشاهدة أبدانهم والغائبة عنهم عقولهم : أظأركم على الحق وانتم تنفرون عنه نفور المغزى من وعوة الأسد ، هيهات أن اطلع بكم سِرار العدل ، او اقيم اعوجاج الحق ، اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسةً في سلطان ، ولا التماسَ شيء من فضول الخطام ، ولكن لئرد العالم من دينك ، ونُظهر الاصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك ، اللهم إني أول من اناب ، وسمع وأجاب لم يسبقني الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة .

وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج ، والدماء والمغانم ، والأحكام ، وامامة المسلمين البخيل فتكون في امواهم نهمة ، ولا الجاهل فيضلتهم جهله ، ولا الخافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الخائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطيع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الامة . »

بَيَّعةُ الامام

قال عليه السلام : « لم تكن بيعتكم اياي فلتة ، وليس أمري وأمركم

واحداً ، إني أريدكم الله ، وأنتم تريدونني لأنفسكم ، أيها الناس أعينوني على أنفسكم ، وإيم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ، ولأقودنّ الظالم بخزائمه حتى أوردّه منهل الحق وإن كان كارهاً . »

وقد وصف سلام الله عليه بيعته بالخلافة من كلام آخر فقال : « وبسطم يدي فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، ثم تداككم عليّ تذاكّ الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل ، وسقطت الرداء ، ووطيء الضعيف ، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير ، وهدج إليها الكبير ، وتحامل نحوها العليل ، وحسّرت إليها الكعاب . »

اللهم إني استعديك على قريش

اللهم اني استعديك على قريش فإنهم قد قطعوا رّحمي ، وأكفأوا إنائي ، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري ، وقالوا : ألا إن في الحق أن تأخذه ، وفي الحق أن تُمنعه فاصبر مغموماً ، او مت متأسفاً ، فنظرت فاذا ليس لي رافد ولا ذابّ ، ولا مساعد إلاّ أهل بيتي فضنت بهم عن المنية فأغضيت عليّ القذى وجرعت ربيقي على الشجى ، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم ، وآلم للقلب من حز الشفار . »

تدافعته الابواب الى باب السلامة

وله سلام الله عليه يصف صاحب التقوى فيقول : « قد أحيا عقله ، وأمات نفسه حتى دقّ حكيّله ، ولطف غليظه ، وبرق له لامعٌ كثير البرق فأبان له الطريق ، وسلك به السبيل ، وتدافعت الابواب الى باب

السلامة ، ودار الإقامة ، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه . »

إنك تسمع ما اسمع وترى ما أرى

وصفه عليه السلام لرعاية الرسول له من خطبته الجلييلة المعروفة « بالقاصعة » وهي من ابلغ الخطب واسماها قال : « وقد علمت موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وانا ولد يضمني الى صدره ، ويكفني الى فراشه ، ويمسني جسده ، ويؤشمني عرقه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل ، ولقد قرن الله به ، صلى الله عليه وآله ، من لدن أن كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر امه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالافتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بجراً فأراه ولا يراه غيري .

ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وانا ثالثهما ، ارى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة . ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله ، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟؟ فقال : هذا الشيطان أيس من عبادته ، إنك تسمع ما اسمع ، وترى ما ارى ، الا أنتك لست بنبي ، ولكنك وزير وإنك لعل خير . »

إني لأولى الناس بالناس

« انتم الأنصار على الحق ، والاخوان في الدين ، والجئتن يوم البأس ،

والبطانة دون الناس ، بكم اضرب المدير ، وأرجو طاعة المقبل ، فأعينوني
بمناصحة خلية من الغش ، سليمة من الريب . فوالله إني لأول الناس
بالناس .

استأثر فأساء الأثرة

ومن كلام له عليه السلام في « قتل عثمان » قال :
« لو أمرت به لكنت قاتلاً ، أو نهيت عنه لكنت ناصراً ، غير أن
مَنْ نصره لا يستطيع أن يقول : خذله من أنا خير منه ، ومَنْ خذله
لا يستطيع أن يقول نصره مَنْ هو خيرٌ مني ، وأنا جامع لكم امره ،
استأثر فأساء الأثرة ، وجزعم فأسأتم الجزع ، والله حكم واقع في المستأثر
والجازع . »

فما عدا مما بدا

ومن كلامه عليه السلام لابن العباس لما ارسله الى الزبير يستفيئه الى
طاعته قبل حرب الجمل ، قال : « لا تلقين طلحة فإنك إن تلقه تجده
كالثور عاقصاً قرنه ، يركب الصعب ويقول هو الذلول ، ولكن الق
الزبير فانه الين عريكةً فقل له : يقول ابن خالِكَ : عَرَفْتَنِي بالحجاز ،
وَأُنْكِرْتَنِي بالعراق ، فما عَدَاً مما بدا . » ويقول الشريف الرضي معلقاً :
ان عبارة فما عدا مما بدا هي اول ما سمعت من الامام .

حق الإمام والمأموم

ومن جملة خطبة له في استنفار الناس الى اهل الشام قال :
« ايها الناس : إن لي عليكم حقاً ، ولكم علي حق : فأما حقكم
عليّ فالنصيحة لكم ، وتوفير فيثكم عليكم ، وتعليمكم كيلاً تجهلوا ،

وتأديبكم كما تُعَلِّمُوا .

وأما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصيحة في المشهد والمغيب ،
والاجابة حين ادعوكم ، والطاعة حين آمركم . »

يرى الحوّل القلب وجه الحيلة

« إن الوفاء توأم الصدق ، ولا اعلم جُنةً اوقى منه ، ولا يغدر مَنْ
عَلِمَ كيف المرجع ، ولقد اصبحتنا في زمانٍ قد اتخذ اكثر أهله الغدر
كينساً ، ونسبهم أهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ، ما لهم قاتلهم الله ،
قد يرى الحوّل القلب وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعها
رأيَ عينٍ بعدَ القدرة عليها ، وينتهز فرصتها مَنْ لا حريجة له في الدين . »

كلمة حق يراد بها الباطل

ومن كلامه عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم : لا حكم الا
الله قال :

« كلمة حق يراد بها الباطل !! نعم انه لا حكم الا الله ، ولكن
هؤلاء يقولون : لا امرة الا الله ، ولانه لا بدّ للناس من أميرٍ برٍّ او
فاجرٍ ، يعمل في امرته المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ الله فيها
الأجل ، ويجمع به الفيء ، ويُقاتل به العدو ، وتأمين به السبل ، ويؤخذ
به للضعيف من القويّ حتى يستريح برّ ، ويُستراح من فاجر .

وفي رواية اخرى انه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال : حكم الله
انتظر فيكم . »

وقال : « امّا الامرة البرة فيعمل فيها التقى ، واما الامرة الفاجرة
فيتمتع فيها الشقيّ الى أن تنقطع مدته ، وتلدركه منيته . »

لُمةٌ من الغواة

ومن خطبة له عليه السلام لما غلب اصحاب معاوية على شريعة الفرات ،
ومنعوا اصحاب الامام من الماء قال :

« قد استطعموكم القتالَ فأقروا على مذلة ، وتأخير مَحلة ، او
رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء ، فالموت في حياتكم مقهورين ،
وايابة في موتكم قاهرين .

ألا إن معاوية قاد لُمةٌ من الغواة ، وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا
نحورهم أغراض المنية » .

سليمٌ في حرب

ومن كلامه عليه السلام وقد استبطأ اصحابه إذنه لهم في القتال بصفين
فقال : « أمّا قولكم أكلٌ ذلك كراهيةُ الموت ؛ فوالله ما أبالي أدخلت
الى الموت او خرج الموت اليّ ، وأمّا قولكم شكاً في اهل الشام ؛ فوالله
ما دفعت الحرب يوماً إلّا وأنا اطمع أن تلحق بي طائفة فتهددي بي ،
وتعشو الى ضوئي ، وذلك أحبّ الي من أن أقتلها على ضلالها ، وإن
كانت تبوء بآثامها » .

ولما قرّر سلام الله عليه الحرب قال :

« وقد قلبت هذا الامر ، بطنه وظهره ، فما وجدني يسعني إلّا
قتلهم ، او الجحود بما جاءني به محمد صلى الله عليه وآله فكانت معالجة
القتال أهون عليّ من معالجة العقاب ، وموتات الدنيا أهون عليّ من
موتات الآخرة . »

احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة

ومن كلامه عليه السلام في معنى الانصار قالوا : لما انتهت الى امير

المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله
قال عليه السلام : ما قالت الانصار ؟ قالوا قالت : منا أمير ومنكم أمير ،
قال عليه السلام :

فهلاًّ احتجاجتم عليهم بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصّى بأن
يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ؟ !
قالوا : وما في هذا من الحجة عليهم ؟؟

فقال عليه السلام : لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم .
ثم قال عليهم السلام فماذا قالت قريش ؟ قالوا : احتجت بانها شجرة
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال عليه السلام : احتجاجوا
بالشجرة وأضاعوا الثمرة . »

إنّها كفّ يهودية

قالوا اخذ مروان بن الحكم اسيراً يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين
عليهما السلام الى امير المؤمنين عليه السلام فكلماه فيه فخلّى سبيله فقالا
له : يبايعك يا امير المؤمنين فقال عليه السلام :

« أوّلم يبايعني قبل قتل عثمان ؟ لا حاجة لي في بيعته ؟؟ انها كفّ
يهودية ، لو بايعني بكفه لغدر بسببته ، أمّا إنّ له امرة كلعقة الكلب
أنفه ، وهو ابو الاكباش الاربعة وستلقى الامة منه ومن ولده يوماً احمرّاً ! »

دعوني والتمسوا غيري

ومن خطبة له عليه السلام لما اريد على البيعة بعد مقتل عثمان فقال :
« دَعُونِي وَاتَمَسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجْوهٌ وَالْوَانُ لَا
تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ ، وَلَا تُثَبِّتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ ، وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ ،

والمحجة قد تنكرت ، واعلموا إن احبتكم ركبتم بكم ما اعلم ، ولم اصنع الى قول القائل وعتب العاتب ، وإن تركتموني فانا كأحدكم ، ولعلتي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم ، وانا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً . »

الإمام لا يحتاج الى رأي أحد

ومن كلام له عليه السلام كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا من ترك مشورتهم والاستعانة في الامور بهما فقال :

« لقد نَقَمْتما يسيراً ، وأرجأتما كثيراً ، الا تخبراني أي شيء لكما فيه حق دفعتكما عنه ، وأي قسم استأثرت عليكما به ، أم أي حق رفعه اليّ أحد من المسلمين ضعفتم عنه ، أم جهلتم به ، أم أخطأت بابه .

والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة ولكنكم دعوتوني اليها ، وحملتوني عليها ، فلما أفضت إليّ نظرت الى كتاب الله وما وضع لنا ، وأمرنا بالحكم به فاتبعته ، وما استحسن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاقتديت به ، فلم احتج في ذلك الى رأيكما ، ولا رأي غيركما ، ولا وقع حكم جفيلته فاستشيركما واخواني المسلمين ، ولو كان ذلك لم ارغب عنكما ولا عن غيركما ، وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأي ، ولا وليته هوى مني ، بل وجدت انا وانتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فرغ منه فلم احتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسمه ، وأمضى فيه حكمه ، فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبي ، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق ، والهنا واياكم الصبر .

« ثم قال عليه السلام : رحم الله امرأً رأى حقاً فأعان عليه ، أو رأى جوراً فردّه ، وكان عوناً بالحق على صاحبه . »

مراتب إنكار المنكر

« ايها المؤمنون : إنه مَنْ رأى عُدواناً يعمل به ، ومنكراً يُدعى اليه فأنكره بقلبه فقد سلّم وبرئ ، وَمَنْ أنكره بلسانه فقد اجر وهو افضل من صاحبه ، وَمَنْ أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى ، فذلك الذي اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ، ونور في قلبه اليقين . »

الحكمُ الله والمعوَدُ اليه

ومن كلامه عليه السلام لبعض اصحابه وقد سأله كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وانتم احق به فاجاب :

« يا أخا بني أسد : إنك لقلق الوضين ، تُرسل في غير سدّ ، ولك بعدُ ذِمّة الصهر ، وحق المسألة ، وقد استعلمت فاعلم .

أمّا الإستبداد علينا بهذا المقام : ونحن الأعلون نسباً ، والأشدون برسول الله صلى الله عليه وآله نوطاً فإنها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين ، والحكم الله والمعود اليه يوم القيامة . »

تعلم من ذي علم

ولما أخبر سلام الله عليه عن الملاحم بالبصرة ، وأشار بعد ذلك الى وصف التتار قال له بعض اصحابه لقد أعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كليباً « يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم ، وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدد الله بقوله (إن الله عنده علم الساعة) الآية فيعلم سبحانه ما في

الارحام من ذكرّ واثى ، وقبيح او جميل ، وسخى او بخيل ، وشقى
او سعيد ، ومن يكون في النار خطباً ، او في الجنان للنبيين مرافقاً ،
فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله ، وسوى ذلك فعلم علم الله
الله نبيّه فعلمنيه ودعا لي بأن يعيه صدري ، وتضطّم عليه جوانحي .

الراسخون في العلم

« أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا ، كذباً وبغياً علينا
أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرّمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا
يُسْتَعطى الهدى ، ويُستجلى العمى ، إنّ الامامة من قریش غُرسُوا في
هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاية من غيرهم »

عهد النبيّ بكل ما يمرّ على الوصيّ

قال عليه السلام من خطبة له :

« والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ، ومولجه وجميع
شأنه لفعلت ، ولكن أخاف أن تكفروا برسول الله صلى الله عليه وآله .
ألا وإنّي مفضيه الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه ، والذي بعثه بالحق
واصطفاه على الخلق ، ما أنطق إلا صادقاً ، وقد عهد اليّ بذلك كله ،
وبمهلك من يهلك ، ومنجى من ينجو ، ومآل هذا الامر ، وما ابقى
شيئاً يمرّ على رأسي إلا أفرغه في أذني ، وافضي به اليّ » .

ايها الناس إني والله ما احثكم على طاعة الا اسبقكم إليها ، ولا انهاكم
عن معصية إلا واتناهي قبلكم عنها .

والله ما معاوية بأدهى مني

« والله ما معاوية بأدهى مني ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية

الغدر لكنت من ادهى الناس ، ولكن لكل غدرة فجرة ، ولكل فجرة كفره ، ولكل غادر لواء يُعرف به يوم القيامة ، والله ما أستغفل بالمكيدة ولا أستغمر بالشديدة . »

لا تكونوا سبايين

ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قوماً من اصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين فقال : « اني أكره لكم أن تكونوا سبايين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم ، كان اصوب في القول ، وابلغ في العذر ، وقلتم مكان سبكم إياهم : اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق من جهله ، ويرعوي عن الغي والعُدوان من لهج به . »

هذا المال فيء المسلمين

ومن كلام له عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعة الامام وذلك انه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا فقال .
« إن هذا المال ليس لي ولا لك ، وانما هو فيء للمسلمين ، وجلب أسياфهم ، فإن شركتهم في حربهم كان ذلك مثل حظهم وإلا فجنة أيديهم لا تكون لغير افواههم . »

أتئن من الأذى ولا أتئن من لظى

ومن كلام له عليه السلام يقول :
« والله لقد رأيت عقيلاً وقد املق حتى استماخني من بُركم صاعاً ، ورأيت صبيانه شعث الصدر ، غير الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظم ، وعادوني مؤكداً ، وكرر عليّ القول مردداً فأصغيت

اليه سمعي فظنّ أنّي ابيعه ديني ، واتبع قياده مفارقاً طريقي فأحسيت
له حديدية ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضجّ ضجيج ذي دَنَف من
ألمها ، وكاد أن يحترق من ميسمها . فقلت له : ثكلتك الثواكل يا عقيل ،
أثن من حديدية أحماها لإنسانها للعبه ، وتجريني الى نار سَجَرها جبّارها
لغضبه ، اثن من الأذى ، ولا اثن من لظي .

ملفوفةٌ في وعائها

ويحدث سلام الله عليه عن هدية قدمت اليه فيقول : بعد ان حدث
عن طلب اخيه « وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ،
ومعجونة شنتها كأنها عجنت بريق حيّة اوقيتها ، فقلت : أصلة ،
أم زكاة ، أم صدقة ذلك محرم علينا أهل البيت ، فقال لا ذا ولا ذاك ،
ولكنها هدية . فقلت هبلك الهبُول ، أعن دين الله أتيتني لتخدعني ،
أغتبط ، أم ذو جنّة ، أم تهجر ، والله لو اعطيت الأقاليم السبعة بما
تحت افلاكها على أن اعصي الله في نعمة أسلبها شعيرة ما فعلت ، وإنّ
دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها .

ما لعلني ولنعيم يفنى ، ولذة لا تبقى ، نعوذ بالله من سُبَات العقل ،
وقبح الزلل ، وبه نستعين . »

لم يخطر ببال الامام تنحية اهل البيت

من كتاب له عليه السلام الى اهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه
إمارتها قال :

« أمّا بعدُ فإنّ الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً
للعالمين ومهيماً على المرسلين ، فلمّا مضى عليه السلام تنازع المسلمون
الأمر من بعده ، فوالله ما كان يُلقني في رُوعي ، ولا يخطر ببالِي أن العرب

ترجع هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ، ولا أنهم منحوه غني من بعده ، فما راغني إلاّ انثيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد صلى الله عليه وآله ، فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن ارى فيه ثلماً ، او هدماً تكون المصيبة به عليّ اعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب ، أو كما يتفشع السحاب ، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق ، واطمأنّ الدين وتنهت . »

إني لعلّ بصيرة من نفسي

وقال عليه السلام في نفس الكتاب :

« إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طيلاع الارض كلها ما باليت ولا استوحشت ، وإني من ضلّالهم الذي هم فيه ، والهدى الذي أنا عليه لعلّ بصيرة من نفسي ، ويقين من ربّي ، وإني الى لقاء الله ، وحسن ثوابه لمنتظر راجٍ : ولكني آسى أن يليّ أمر هذه الأمة سفهاؤها ، وفجّارها فيتخذوا مال الله دُولاً ، وعباده خَوَلاً ، والصالحين حرباً ، والفاسقين حِزْباً . فإنّهم منهم الذي قد شرب فيكم الحرام ، وُجلد حدّاً في الاسلام ، وإن منهم من لم يُسلم حتى رضخت له على الاسلام الرضاخ ، فلو لا ذلك ما اكثرت تأليبيكم وتأنبيكم ، وجمعكم وتحريضكم ، ولتركتكم إذ أبيتم وونيت . »

ألف ضربة بالسيف اهون من مئة على الفراش

ومن كلامه عليه السلام قاله لاصحابه في ساحة الحرب :
« وأيّ امرئ منكم أحسن من نفسه رِبَاطة جاش عند اللقاء ، ورأى

من احدٍ من إخوانه فشلاً فليذُبَّ عن أخيه بفضل نجاته التي فضل بها عليه ، كما يذُبَّ عن نفسه ، فلو شاء الله لجعله مثله ، إن الموت طالب حيث لا يفوته المقيم ، ولا يُعجزه الهارب ، إن أكرم الموت القتل ، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من مَيِّتة على الفراش .»

رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ

ومن جملة خطبة له عليه السلام قال :

« حتى إذا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الأعقاب ، وغالتهم السَّبل ، واتكلوا على الولايج ، ووصلوا غير الرحم ، وهجروا السَّبب الذي أمروا بمودته ، ونقلوا البناء عن رَصٍّ أساسه ، فبنوه في غير موضعه معادن كل خطيئة ، وأبواب كل ضارب في غمرة ، قد ماروا في الحيرة ، وذهلوا في السكرَةِ على سَنَةٍ من آلِ فِرْعَوْنَ من مُنْقَطِعٍ إلى الدنيا راكن ، أو مفارق مُبَايِن .»

أَقِيمُوا هَذِينَ الْعَمُودِينَ

من كلامه عليه السلام قبيل وفاته :

« أيها النَّاسُ كلَّ امرئٍ لاقٍ ما يَقِرُّ منه في فِراره ، والأجل مَسَاقِ النَّفْسِ ، والهرب منه موافاته ، كم أطردت الأيام أبحاثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلا إخفاءه ، هيهات علم مخزون .

أما وَصِيَّتِي فالله لا تُشْرِكُوا به شيئاً ، ومحمدٌ صلى الله عليه وآله فلا تَضْبِعُوا سَنَتَهُ ، اقيموا هذين العمودين ، وأوقدُوا هذين المصباحين وخلاكم ذمٌّ ما لم تُشْرُدُوا ، حمل كلَّ امرئٍ منكم مجهودَةً ، وخَنَفٌ عن الجهله رَبِّ رَحِيمٍ ، ودين قويم ، وإمام عليم ، أنا بالأمس صاحبكم ،

وأنا اليومَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ، وغداً مفارقكم ، غفر الله لي ولكم .
 إن ثبتت الوطأة في هذه المزة فذاك ، وإن تدحض القدم فلإنا كنا
 في أفياء أغصان ، ومهب رياح ، وتحت ظل غمام إضمحل في الجو
 متلفقها ، وعفا في الأرض مخطها ، وإنما كنت جاراً جاوركم بدني
 أباماً ، وستعقبون مني جثةً خلاءً ، ساكنة بعد حرارك ، وصامته
 بعد نطوق ليعظكم هدوي ، وخفوت أطرافي ، وسكون أطرافي^(١) ، فإنه
 أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ ، والقول المسموع ، وداعيتكم وداع
 امرئٍ مُرْصِدٍ للتلافي ، غداً ترون أيامي ، ويكشف لكم عن سرّائري ،
 وتعرفونني بعد خلوّ مكاني وقيام غيري مقامي . »

وقال من كلام آخر سلام الله عليه :

« والله ما فجأتني من الموت وارد كرهته ، ولا طالع أنكرته ، وما
 كنت إلاّ كقاربٍ وُردَ ، وطالبٍ وُجدَ (وما عند الله خيرٌ للابرار) .
 ونحن نحتم كلامه بدعائه عليه السلام ، وهو مسك الختام :
 « اللهم أفضت القلوب ، ومُدّت الأعناق ، وشخصت الأبصار ،
 ونقلت الأقدام ، وانضيت الأبدان ، اللهم قد صرّح مكتوم الشنآن ،
 وجاشت مراجل الأضغان ، اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبيّنا ، وكثرة
 عدوّنا ، وتشتت اهوائنا « رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ
 خَيْرُ الْفَاتِحِينَ . »

• • •

(١) قيل المقصود من الأطراف في الأول عيناه ، وفي الثاني يداه ورأسه ورجلاه .

لقد أنهيت تأليف هذا الكتاب سنة ١٣٦٣ - ١٩٤٤ وتم طبعه للمرة الأولى بتاريخ ١-٦-١٩٤٤ م اثناء الحرب العالمية الثانية .

وقد اضفت الفصول الاخيرة الستة حينما صممت على اعادة الطبع وكان الابتداء بها بتاريخ ٢٦-٧-٩٧١ الموافق يوم الاثنين ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٩١ هـ ، وأنهيت الفصول والمقدمة بتاريخ ١٢-٩-١٩٧١ م الموافق ٢١-٧-١٣٩١ هـ، فالحمد لله على هذا التوفيق، وله الشكر اذ هدانا الى خير طريق، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً .

حرر في الكاظمية بلدة الامامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد عليهما السلام وذلك بقلم مؤلفه محمد الصادق بن محمد الحسين ، بن الهادي ويلقب صدر الدين ، بن محمد علي ، بن صالح ، بن محمد^(١) بن ابراهيم الملقب شرف الدين ، بن زين العابدين ، بن علي نور الدين ، بن نور الدين علي ، ابن الحسين ، بن محمد ، بن الحسين ، بن علي ، بن محمد ، بن تاج الدين المعروف بابي الحسن بن محمد ولقبه شمس الدين ؛ بن عبد الله ويلقب

(١) في محمد بن ابراهيم يلتقي نسب والد المؤلف، ونسب والدته فهي رحمها الله كريمة الحجة المرحوم السيد يوسف بن الجواد ، بن اسماعيل بن محمد ، بن محمد المذكور ، ومحمد بن ابراهيم هو جد الاسرتين آل الصدر في العراق . وآل شرف الدين في لبنان . وكان عيدهم الامام المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين صاحب النص والاجتهاد والمراجعات وغيرها من المؤلفات الخالدات .

جلال الدين ، بن احمد ، بن حمزة ، بن سعد الله ، بن حمزة ، بن ابي
السعادات محمد ، بن ابي محمد عبد الله تقيب ثقباء الطالبين في بغداد ،
ابن ابي الحرث محمد ، بن ابي الحسن علي المعروف بابن الديلمية ، بن
ابي طاهر عبد الله ، بن ابي الحسن محمد المحدث ، بن ابي الطيب طاهر ،
ابن الحسين القطعي ، بن موسى ابي سبحة ، بن ابراهيم المرتضى ، بن الامام
موسى الكاظم ، بن الامام جعفر الصادق ، بن الامام محمد الباقر ، بن
الامام علي زين العابدين بن الامام ابي عبد الله الحسين سيد الشهداء ، ابن
الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ،
وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .

محمد صادق الصدر

العراق - الكاظمية

المَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

متسلسلة حسب الاعتماد عليها في الكتاب

- ١ — منتخب كثر العمال للعلامة الشيخ علي المعروف بالمتقي الهندي .
- ٢ — ذخائر العقبي للعلامة محب الدين الطبري : نشر مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٦ هـ وتوفي سنة ٦٩٤ هـ .
- ٣ — الصواعق المحرقة للعلامة ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ .
- ٤ — الاستيعاب في معرفة الاصحاب — الجزء الثالث لابن عبد البر النعمري القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ .
- ٥ — سنن الامام الترمذي . وتوفي سنة ٢٧٩ هـ .
- ٦ — تذكرة خواص الامة ليوسف سبط العلامة الشيخ ابي فرج عبد الرحمن الجوزي .
- ٧ — ينابيع المودة لسليمان بن ابراهيم البلخي الحنفي .
- ٨ — مسند الامام احمد (الجزء الاول) : وتوفي سنة ٢٤١ هـ عن سبع وسبعين سنة .
- ٩ — مروج الذهب للمسعودي (الجزء الثاني) وتوفي سنة ٣٣٣ هـ .
- ١٠ — بحار الانوار (المجلد التاسع) الطبع الحجري للعلامة المجلسي المتوفى سنة ١١١١ هـ .
- ١١ — الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي . وتوفي سنة ٨٥٥ هـ .
- ١٢ — كفاية الطالب لابي عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي ، وتوفي سنة ٦٥٨ هـ .
- ١٣ — نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار للعلامة الشبلنجي .
- ١٤ — غاية الاختصار في اخبار البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار للشريف تاج الدين محمد ابن حمزة بن زهرة الحسيني تقيب حلب .

١٥ - مطالب السؤل في مناقب آل الرسول لكمال الدين محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ .

١٦ - السيرة الحلبية (المجلد الاول) .
١٧ - الحسين لمؤلفه السيد جلال الحسيني .
١٨ - عبقرية الامام للاستاذ الكبير المرحوم عباس محمود العقاد .
١٩ - المستدرك للحاكم ابي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ المجلد الثالث طبع حيدر باد .

٢٠ - ازالة الخفا للشاه ولي الله احمد بن عبد الرحيم الدهلوي .
٢١ - شرح عينية الشاعر عبد الباقي العمري للعلامة السيد محمود الالوسي .
٢٢ - النفحة القدسية من نظم سراج الدين محمد بن الحسن القرشي التيمي العدوي .
٢٣ - اتباع الاسماع المقريري = مطبعة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤١ .
٢٤ - شرح ابن ابي الحديد (الجزء الاول) .
٢٥ - نزهة المجالس للحافظ عبد الرحمن الشافعي .
٢٦ - المعارف للعلامة ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ .
٢٧ - الامامة والسياسة لابن قتيبة - مطبعة الامة سنة ١٣٢٨ .
٢٨ - حلية الاولياء للحافظ ابي نعيم (الجزء الاول) ، توفي سنة ٤٣٠ هـ .
٢٩ - تاج العروس للسيد مرتضى الزبيدي (الجزء العاشر) .
٣٠ - خصائص الامام النسائي المطبوع في مطبعة التقدم العلمية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ . توفي سنة ٣٠٣ .

٣١ - تاريخ الواقدي (الجزء الثالث) وتوفي سنة ٢٠٧ هـ ، ودفن بمقابر خيزران .
٣٢ - تاريخ ابن الاثير (الجزء الثاني) وتوفي سنة ٦٣٠ هـ .
٣٣ - سيرة العلامة ابن هشام (الجزء الاول) .
٣٤ - شرح ابن ابي الحديد (المجلد الثالث) وتوفي سنة ٦٥٥ هـ .
٣٥ - البداية والنهاية في التاريخ لعماد الدين اسماعيل بن كثير الشامي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .
٣٦ - حياة محمد هبكل باشا (الطبعة الاولى) .
٣٧ - الخلفاء للعلامة السيوطي .
٣٨ - تاريخ الطبري (المجلد الثالث) وتوفي سنة ٣١٠ هـ .
٣٩ - تاريخ الطبري (المجلد الثاني) .

- ٤٠ - الخلفاء امراء المؤمنين للعلامة السيوطي المتوفى سنة ٩١٠ هـ .
- ٤١ - تاريخ يعقوبي (الجزء الثاني) وتوفى سنة ٢٨٤ هـ .
- ٤٢ - العقد الفريد (الجزء الثالث) المطبوع سنة ١٣٥٣ هـ في مطبعة مصطفى محمد بمصر ، وتوفى سنة ٣٢٨ هـ .
- ٤٣ - سيرة زيني بن دحلان .
- ٤٤ - تاريخ ابي الفدا (الجزء الاول) وتوفى سنة ٧٣٢ هـ .
- ٤٥ - نقض العثمانية للعلامة ابي جعفر الاسكاني المعتزلي كما نقله عنه ابن ابي الحديد في ص ٢٦٣ من المجلد الثالث .
- ٤٦ - ملحق جريدة السياسة المصرية عدد ٢٧٥١ المؤرخ ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٥٠ هـ والملحق بعدد ٢٧٨٥ .
- ٤٧ - تاريخ ابن خلدون (الجزء الثاني) ووفاته سنة ٨٠٨ هـ بالقاهرة .
- ٤٨ - المراجعات لآية الله المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين الملقون في جوار جده الامام علي عليه السلام ١ كانون الثاني يوم الاربعاء سنة ١٩٥٨ - الموافق ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ .
- ٤٩ - طبقات ابن سعد (الجزء الاول) ووفاته في بغداد سنة ٢٣٠ هـ .
- ٥٠ - صحيح البخاري (الجزء الثاني) وتوفى سنة ٢٥٦ هـ .
- ٥١ - اللثالي المصنوعة في الاحاديث الموضوعة للسيوطي .
- ٥٢ - السيرة الحلبية (الجزء الثاني) .
- ٥٣ - سيرة ابن هشام (الجزء الثاني) وتوفى سنة ٢١٨ هـ .
- ٥٤ - المحاضرات للراغب الاصفهاني المتوفى سنة ٥٦٥ هـ .
- ٥٥ - المناقب للامام احمد .
- ٥٦ - صحيح الامام مسلم (الجزء الاول) - المطبوع بدار الكتب العربية سنة ١٣٢٧ هـ .
- ٥٧ - مسند الامام احمد (الجزء الرابع) .
- ٥٨ - عبقرية عمر للاستاذ الكبير العقاد .
- ٥٩ - صحيح الامام البخاري (الجزء الرابع) .
- ٦٠ - الفصول المهمة في تأليف الامة للامام المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي .
- ٦١ - الاصابة في تمييز الصحابة لشهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني .
- ٦٢ - مسند الامام احمد (الجزء الثالث) .

- ٦٣ - الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء للامام المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين .
- ٦٤ - مسند الامام احمد (الجزء السادس) .
- ٦٥ - صحيح مسلم (الجزء الثاني) وتوفي سنة ٢٦١ هـ .
- ٦٦ - الكشف للعلامة الزنجشيري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .
- ٦٧ - مفاتيح الغيب للامام الرازي .
- ٦٨ - الرياض النضرة لشيخ الشافعية محب الدين الطبري .
- ٦٩ - معجم الامام ابي بكر الاسماعيلي .
- ٧٠ - الارشاد للامام الشيخ المفيد ، وتوفي سنة ٤١٣ هـ ودفن في مشهد الامام الكاظم .
- ٧١ - الازرية لشاعر العراق المرحوم الشيخ كاظم الازري المتوفى سنة ١٢١١ هـ غرة جمادى الاولى .
- ٧٢ - مولد امير المؤمنين في الكعبة : العلامة المرحوم الشيخ محمد علي الاوردبادي .
- ٧٣ - الشيعة : للمؤلف السيد محمد صادق الصدر - المطبوع في مطبعة الكرخ ، بغداد سنة ١٣٥٢ هـ .
- ٧٤ - اسباب النزول للامام الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ هـ .
- ٧٥ - نزول القرآن لابي نعيم .
- ٧٦ - الفرائد لابي اسحاق الثعلبي ، توفي سنة ٤٢٧ هـ أو سنة ٤٣٧ هـ .
- ٧٧ - الانوار المحمدية من المواهب اللدنية للمرحوم العلامة يوسف اسماعيل النبهاني رئيس محكمة الحقوق في بيروت سابقاً .
- ٧٨ - الانحافات الربانية بشرح الشمائل المحمدية للامام الترمذي والشرح للاستاذ احمد احمد عبد الجواد الدومي .
- ٧٩ - اتمام الوفا في سيرة الخلفاء للشيخ محمد الحضري الطبعة السابعة سنة ١٩٦٠ .
- ٨٠ - الوفا باحوال المصطفى للامام ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .
- ٨١ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هـ .
- ٨٢ - شرح الشفا للشيخ علي القاري .
- ٨٣ - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الحضري المطبوع سنة ١٣٥٤ هـ . مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
- ٨٤ - الفاروق عمر للمرحوم الدكتور محمد حسين ميكل (الجزء الاول) طبع سنة ١٣٦٤ هـ .
- ٨٥ - النص والاجتهاد للامام المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين مع مقدمة تستعرض ترجمة حياة السيد بقلم المؤلف السيد محمد صادق الصدر .

- ٨٦- بلوغ المرام من أدلة الأحكام للحافظ بن حجر العسقلاني .
- ٨٧- كشف الغمة للشيخ عبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة ٩٧٣ هـ .
- ٨٨- الإحكام في اصول الأحكام لابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ .
- ٨٩- نهج البلاغة تعليق الامام الشيخ محمد عبده .
- ٩٠- موطأ الامام مالك . طبع مصطفى الحلبي بمصر سنة ١٣٣٩ هـ .
- ٩١- الجامع لمواضيع آيات القرآن الكريم جمع محمد فارس بركات .
- ٩٢- مسائل فقهية للامام المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين .
- ٩٣- اجوبة موسى جار الله للامام شرف الدين رحمه الله .
- ٩٤- زبدة البخاري الشيخ عمر ضياء الدين .
- ٩٥- المختصر النافع في فقه الإمامية للامام المحقق الحلبي ابي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المتوفى سنة ٦٧٦ هـ طبع وزارة الاوقاف المصرية سنة ١٣٧٧ هـ .
- ٩٦- شرائع الاسلام للمحقق الحلبي ايضاً - منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .
- ٩٧- منى الناسك في المناسك للامام المرحوم السيد حسن الصدر المتولد في الكاظمية ظهر يوم الجمعة ٢٩ رمضان المبارك سنة ١٢٧٢ هـ والمتوفى عصر يوم الخميس ١١ ربيع الاول سنة ١٣٥٤ هـ وهي ليلة ١٢ حزيران سنة ١٩٣٥ م - طبع الكتاب في دار السلام بغداد : سنة ١٣٤١ هـ .
- ٩٨- كنز العرفان في فقه القرآن للامام الشيخ المقداد السيوري الحلبي المتوفى سنة ٨٢٦ هـ .
- ٩٩- مسالك الأفهام الى آيات الاحكام للعلامة الجواد الكاظمي المتوفى في اواسط القرن الحادي عشر ، وهذا الكتاب من خيرة ما حرر في آيات الاحكام ، وقد طبع منه في طهران جزآن الى آخر كتاب الامر بالمعروف ، ويوجد قسم من كتاب مسالك الافهام ضمن مخطوطات مكتبي الخاصة ، والموجود ناقص الاول والآخر ولكنه حسن الخط والضبط .
- ١٠٠- زبدة البيان في احكام القرآن للامام المقدس الاردبيلي المتوفى سنة ٩٩٣ هـ عنيت بنشره المكتبة المرتضوية في طهران .
- ١٠١- مدارك الأحكام لعننا الامام المرحوم السيد محمد المتوفى سنة ١٠٠٩ هـ بن السيد نور الدين علي بن السيد عز الدين الحسين بن السيد محمد بن السيد الحسين بن السيد علي ابن السيد محمد بن السيد تاج الدين المعروف بابي الحسن الموسوي ومحمد بن علي صاحب المدارك هو تلميذ الامام المقدس الأردبيلي المتقدم ذكره .

وصاحب المدارك هو أخ جلدنا السيد نور الدين علي لاييه ، وجدنا يكون اخاً للشيخ حسن صاحب المعالم لأمه ، وذلك أن جدنا السيد علي بن الحسين قد تزوج أولاً بنت استاذة الشيخ زين الدين الشهيد الثاني وقد اولد منها السيد محمد صاحب المدارك ولذا يعبر في (مداركه) عن الشهيد الثاني بجدنا .

ولما مات الشهيد الثاني تزوج جدنا السيد علي بن الحسين ام الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني واولد منها جدنا السيد نور الدين علي ، فجدنا أخ لصاحب المدارك لاييه ، وأخ لصاحب المعالم لأمه ، ويكون صاحب المدارك ابن اخت صاحب المعالم فغمدهما الله بالرحمة .

وكان الحال وابن الاخت كفرسي رهان في الدرس والتحصيل والتقارب في السن ودنو الآجال فقد توفي الحسن بن زين الدين في أول المحرم سنة ١٠١١ بعد وفاة محمد بن علي بستين ، ودفنا في جبع في قبرين متقاربين ، بعيدين عن الدنيا ، قريبين من الآخرة .

١٠٢ - الاجماع في التشريع الاسلامي : للمؤلف السيد محمد صادق الصدر طبع في بيروت نشر دار عويدات (مكتبة الفكر الجامعي) سنة ١٩٦٩ م .

١٠٣ - المحلى للحافظ علي بن حزم الاندلسي الظاهري .

١٠٤ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي المتوفى سنة ٥٩٥ هـ .

١٠٥ - نكاح المتعة : للشيخ محمد الحامد مدرس وخطيب السلطان بحماه .

١٠٦ - الفقه على المذاهب الاربعة لعبد الرحمن الجزيري .

١٠٧ - شرح الدر المختار للشيخ محمد علاء الدين المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ .

١٠٨ - الكافي لفقه الاسلام الكليني محمد بن يعقوب بن اسحاق المتوفى سنة ٣٢٩ هـ نشرته مؤسسة دار الكتب الاسلامية في طهران .

١٠٩ - تهذيب الاحكام للامام ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ وهو في شرح المقنعة للامام الشيخ المفيد رضوان الله عليهما .

١١٠ - الزهراء والفاطميون للمرحوم العقاد .

١١١ - بنات النبي للدكتورة الباحثة بنت الشاطيء .

١١٢ - اهل البيت : الاستاذ توفيق ابو علم الطبعة الاولى سنة ١٩٧٠ م .

١١٣ - لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري المتوفى سنة ٧١١ هـ .

- ١١٤ - مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي .
- ١١٥ - تأسيس الشيعة لسيدنا العم الامام المرحوم السيد حسن الصدر .
- ١١٦ - روضات الجنات في احوال العلماء والسادات لآية الله المرحوم السيد محمد باقر الحونساري المتوفى سنة ١٣١٣ هـ .
- ١١٧ - الكنى والألقاب للحجة المرحوم الشيخ عباس القمي طبع النجف سنة ١٣٧٦ هـ .
- ١١٨ - الذريعة الى تصانيف الشيعة للمرحوم الحجة الشيخ اقا بزرك الطهراني المتوفى يوم الجمعة ٢٠-٢-١٩٧٠ الموافق سنة ١٣٨٩ هـ . وقد طلبت اليّ لجنة الاحتفال أن اكتب كلمة عن خصوصيات اتصال الراحل الكريم باستاذة في علم الحديث والرجال الامام المرحوم السيد حسن الصدر لنشرها في الكتاب الذي عزمت اللجنة على اصداره فأرسلت كلمة ضافية تعرضت فيها لكثير من الامور التي تتعلق بالشيخ رحمه الله وبغيره من الاعلام الذين عاصروهم واتصل بهم وروى عنهم ، مع عرض اسماء جماعة من كبار العلماء رووا عن الامام الصدر ولم يذكرهم الشيخ في (ذريعتيه) مع ذكره لاسماء كثيرين رووا عن السيد رحمه الله كان في مقدمتهم المرحوم الامام السيد ابو الحسن الاصفهاني وغيره من اعلام الامة فليراجع الجزء الاول من الذريعة للاطلاع على جهود الشيخ الجبارة في «موسوعته» الخالدة ، تقع الله به ، واثابه على عمله .
- ١١٩ - تلخيص الشافي : الاصل للسيد المرتضى علم الهدى ، والتلخيص لشيخ الطائفة ابي جعفر الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ طبع مطبعة الآداب النجف الاشرف : نشرته مكتبة العلمين الطوسي وبحر العلوم .
- ١٢٠ - نظام الأسرة والتكافل الاجتماعي : الدكتور ابراهيم عبد المجيد .
- ١٢١ - «مذكرة تفسير آيات الأحكام» لطلاب السنة الثانية المقرر تدريسها في كلية الشريعة من كليات جامع الأزهر .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٥
تصدير بدعاء الامام	٧
مقدمة الطبعة الثانية	٩
تقديم الطبعة الاولى	١٨
وليد البيت	٢٧
اسماؤه	٣٥
صورته	٤٧
غرس النبي	٥٣
السبق الى الاسلام	٦١
وزير	٨١
الامام والهجرة	٩٩
أخ	١١٣
خليل	١٢٧
صاحب	١٤٥
صهر	١٦٧

الصفحة	الموضوع
١٧٩	بطولة ابن مخزومة في رواياته المختلفة
١٨٧	بيت الوصي
٢٠٣	نفس
٢٠٩	مميزات
٢١٩	مجاهد
٢٦١	مولى
٢٧٩	بعث اسامه
٢٩١	رزقة الخميس
٣١٣	حاجتنا الى السنة
٣٥٧	صلاة النبي بالناس
٣٧٣	الوصي في وفاة النبي
٤٠١	شدور من نهج الإمام
٤١٣	قطوف من رسائله و صاياه
٤٢٤	روائع من كلامه وخطبه
٤٤٣	المصادر والمراجع

